



ما بين الخذلان وال الألم

رواية

أميرة مختار

دار اكاديمية الكاتب للنشر الالكتروني



رئيس مجلس الإداره: محمود كمال

المدير العام: محمد حسن

الطبعة الأولى

٢٠٢٦ يناير

الكتاب: ما بين الخذلان والألم

المؤلف: أميرة مختار

تصنيف الكتاب: رواية

تصميم غلاف:

المقاس ٢٠ * ١٤

الترقيم الالكتروني EBIN : 60-6-1-260101

التليفون : ٠١١١٢٣٥٧٤٧٣

Email:alkatebacademyforpublishing@gmail.com

موقعنا على فيس بوك: دار اكاديمية الكاتب للنشر الالكتروني

جميع الحقوق محفوظة للمؤلف

هرع رجال الحرارة صوب الصرخات العالية كما تجمعت النساء أعلى الشرفات وعلى مداخل المنازل الملتصقة ببعضها البعض راقبت العيون الحاذقة الموقف عن كسب، الجميع يسمع السباب اللاذع وأنظارهم تتقدّم عابد الذي وقف على اعتاب بيت السيدة سناء يرتدي بنطال بيتهيّ وفوقه فانلة داخلية يضرّب زوجته ويسبّها حافي القدمين مرتعش الجسد، تحاشي الجميع الدفاع وباتت الأنفاس تكتم الحق، كيف والمرأة معروفة بين أهل الحرارة بحسن خلقها وجميل معاشرها المتواضع، الجميع يعلم أيضاً رخو شخصية عابد زوجها والتي تخفي أمام شخصية والدته المتسلطة، هوى على وجهها بكف غاشم وأتبّعه بوابل من اللطمات والركلات ولم يبرح فاه السب والقذف والي جواره والدته المعلمة قطة تُشاركه قذارة الكلام، تدخلت إحدى بنات الحرارة تسحب جارتها وصديقتها من فم الأسد وهي تصيح بهم على الجميع يرحم صديقتها "كفى! يكفي فضائح؟!" بُهتت وجوه الجميع والرجل يركل زوجته مُلقيها أرضاً، يتهمها بالفجور ويتوعدّها الشر، الخائنة وجدها ببيت السيدة سناء مع ذلك البلطجي حمو بحالة مُخزية فاضحة فما كان من دمه سوى فوراً أناً أفاض بما فيه من عاصفة غضب حتى أصبح الأمر ملء الأسماع والأعين، أنهى كلماته القذرة واتهاماته السافرة تاركاً الزمام لأهل الحرارة والحي يتنافسون بالسباب والشتائم وبعضهم التزم الحوقله بنكران غير عابئين بالتالي تقطّعت أنفاسها وقد تخرّت ذراعها تحت وقع الرفض تارة ودفع الضرب عن نفسها تارة أخرى حيث لجم لسانها تحت إثر الصدمة والفضيحة الموقدة، انتحرت نظراتها وهي تتوسل إليهم السمع والنجاة وقد دُثّرت بكفن العار والكل يزجرها بالشين، هذا بالاتهام الصرير، وذاك بالقول المُشين وهن ضربت كفوفهن صدورهن والتوت الأفواه يساراً ويميناً وألسنتهم تتلذذ مذاقاً لاذعاً شهي المنال!

لملمت عباءتها المبعثرة إثر التمزيق وما أن همت بالحديث حتى عاجلتها حماتها بدفععة قوية من جسدها البدين لتصرخ بوجه ابنها بجبروت "طلقوها!"

ضربته الكلمة في صميم قلبها ولم يستسيغها العقل ولكن مع تكرارها بـأصابعه نطق لسانه وعقله وكرامته "أنت طالق" أنتقض جسدها ثلاثةً وصرخت دون صوت عل راشداً يسمعها، أنكم صوتها وقتل قلبها وهي تجد أبنها الكبير ماثل أمامها وعينه الدامعة ترفضها بإصرار

كفوأً امتدت إليه بالمؤازرة وأخرى ضربت فوق بعضها وأفواه ملئتها الهممات وأم هدر دمها بعين ولیدها، سحبتها صديقتها الوفية من بين الجميع وذهبت بها إلى بيتها تحميها ريثما ينفض الجميع وينتهي ذلك اليوم العصيب، فكان الفض بلا فض لتبقى خلفهم كلمات أشد من سيوف الحرب وأبناءً مقتولون الأم سحبته جدته تاركة لسانها للسباب والشتائم مع توقيف اللغط ورحيل الضوء وحلت كابةُ الليل تغشى الحارة الظالم أهلها لخروج متسترة بعتمة الليل لمنزل أختها بأول الحي والخوف سار في عروقها مسرى الدم، سؤال واحد لم ييرح خاطرها "ماذا حدث؟!" أهي في كابوس وجب الصحو منه أم صارت بعد عزة النفس بلا شرف؟ جلست أمام أختها الصغيرة التي سألت باضطراب تملّك صوتها ونظراتها "ماذا حدث؟!" وبعين زجاجية خاوية من الحياة همست ببيأس "ليتني ما سمعت رجائك" أعادت سؤالها والشك يتملّكها "ماذا حدث؟!" تكلمي"

صرخت بوجهها والدموع تسبقها "ذهبت كما رجوتني للخالة سناء وما كدت أصل لبابها حتى وجدت البلطي حمّو بوجهي" أجهشت بالبكاء ويداها تلملم عباءتها حولها لتهتف بصوت خشيت دونه الهمس "الكلب هجم على وحاول!" انحر صوتها دونما شهقة صدرت من فاه المرعوبة أمامها ليعاودها العويل وهي تهمس بجنون "لم أعي على شيء سوى عابد أمامي وصارت فضيحة بقلب الحرارة في ظرف ثانية" ضربت أختها صدرها وهتفت مصعوفة "يا ويلتي" تكونت على الأريكة تبكي وتتحبب وصورة أبنها لا تفارق عقلاها نظرة عيناه اللائنة وألف سؤال نزح من فمه دونما التلفظ بشيء وبحس الأمومة التقطرت رجائه الصامت من بين عينيه وعقله وكأنه أصبح يترجى موتها أو رحيلها بغية الإنقاذ وحديث نفسه سمعه قلبها بر جاء "دافعي عن نفسك أمي لا تصمُّتي؟ أحمدي ناراً تحرق قلبي؟" تُرى ما حال أخيه، ماذا أخبروا الأصغر؟

لملمت ساقيها لصدرها تلمس عناقاً ولو من هواء يطمئن خوفها التائر، أفتنت
خمسة وثلاثون عام من عمرها تُجاهد جهاد الرجال لتنتهي لا هي حية ولا
الموت بها زائرٌ، ماذا ستفعل في الأيام القادمة وكيف ستواجه تلك الفضيحة؟
طيلة عمرها تحذر من الذهاب إلى أحد، ليتها ما لانت لتوسلات أختها! تابعت
نحيبها والمصابات تُرقص أمامها واحدة تلو الأخرى، اليوم أصبحت في الشارع
بلا معيل أو سند، منذ وفاة والدها وهي وثَّدَ البيت وقد حملت أمها عوضاً عن
حملها لها حتى تزوجت والدتها من المعلم سعدون وسربيعاً ما أسلمت الروح
تاركة أختها، كانت في الحادية عشر والصغريرة ذات عام من عمرها ليُبقى
عليها المعلم سعدون مقابل رعيتها لابنته، مرت السنون عليها خادمة في بيت
لا تملك منه سوى صلة رحم مهلهلة وحين دق بابها الخطاب رفضت وتمسكت
بتعليمها رغم رفض زوج أمها الذي أُعلن عليها الحرب لتهأ الأمور بعد أن
تعهدت بالعمل وتکفل مصاريف تعليمها كاملة ومع التخرج من كلية التمريض
دق طبول الحرب من جديد ليعلن الرجل حتمية زواجهها فلا هو بأبيها ولا هي
ابنته حتى يتکفل بها، تزوجت من ذلك الشاب جارها كان رفيق الكلام ذو طلة
شبابية تخطف الأنظار والأهم أنه قبل بها دون الحاجة لمصاريف الزواج،
وهي الجميلة التي لم تتطبع بطبع الحارة المُغبرة فدوماً ما كانت تتنى بنفسها
بعيداً عن طباع همجية رصيتها بخبرتها رغم سنوات عمرها وطبيعة نشأتها
عليها في العشر سنوات الأولى من عمرها، كيف لا تقبل به وهو ابنٌ وحيد
جزار المنطقة ووالدته أمراه لها كلمة مسموعة والكل يهابها وتحبها! تفوقعت
داخل نفسها رأسها بصدرها وذراعيها تقidea ساقيها والساخريّة تنتابها، ثُرى لو
عاد بها الزمن هل ستكون نظرتها لذلك النسب نفس النظرة؟! سؤال تعلم أنها
أجبت عليه دون خبرة، كما الطالب البليد دخل امتحان دون سابق معرفة
بالمادة ليكتب ويكتب ظناً أنه معلم ليتضح بعد خروجه أنه راسباً! أغمضت
عينها بقوة وظفرت نفس ملتهب عقلها يُنبهها لترك الماضي والنظر لمصابئها
منذ فترة وهي دفعت بكل راتبها نحو ذلك القرض الذي أجبرها عليه زوجها،
كان لابد أن تساعده على إيجاد عمل فهذا العام الثالث دون عمل وهي تسعى
دون تألف أو شكوى، فعند تجديد رخصة القيادة له اكتشفوا أنه يتعاطى
المخدرات ومنذ حينها لم ي العمل، فاضطررت للإذعان للحاچة حتى يشتري

سيارة يعمل عليها سائقاً خاصاً عليها ترتاح من بعض المسؤولية التي باتت حملها الأثقل، عامر؟ عمر؟ انتابتها موجة شديدة البرودة وهي تجهش بالبكاء من جديد ولسانها يهمس بفلاذات كبدها ولدان كالبدر في سن الطفولة وأكبرهم على أعتاب المراهقة متربقاً! ما موقفهم من تلك الفضيحة وكيف سيؤول الأمر بهم؟ ومن دائرة البكاء والوعيل إلى دائرة الحيرة وقلة الحيلة والأسئلة تحكم دائرتها حولها، مشنقة عُلقت برقبتها ومع أول حركة لها سينتفقها قبرها! انطلق أذان الفجر لتعمض أخيراً عينها تحت رضخة الألم ولسانها يهمس برجاء "ربى أني مغلوبٌ فانتصر"

* * *

من فوق سرير المرض كتب وصيته وألزم بها صديق عمره فبعد سنوات الغربة المضنية وقد الأهل أستطاع جمع ثروة طائلة فكيف لا وهو مستشار لأكبر أمراء العرب، هكذا بنى حياته هو وصديق عُربيه وحين قررا الرجوع داهمه المرض العضال مؤرق شبابه وبعد صراع دامي على أسرة المشافي استسلم بجسده خائراً إلى الموت موصياً بأخر فرد في عائلته إلى صديق عمره تاركاً خلفه إرث يشتري الهرم وصديق كان يستعد معه منذ عام كامل على نقل أعمالهم وحياتهم إلى القاهرة، كان متعلق بابنة صديقه لينا ذات العشر سنوات تعلق العم الحاني بما جعل الفتاة تحزن عليه حزناً شديداً ولكن والدتها كانت ذات رأي آخر فلم ت Hazard في فرض رأيها لتعلن دون احترام الموت عن طمع لاح بين عينها فإن كان يحب ابنته لما لا يكتب ثروته باسمها أو على أقل تقدير يُخصها بالجانب الأكبر منها؟! إذن ليحتفظ زوجها بهذه الثروة ولا يسعى لوريث بحث عنه عمده دون جدوى! لم يتعجب من موقف زوجته فدوماً ما كانت تستغل هذا الحُب والحنان في استخدام ابنته لابتزاز المرحوم عاطفياً مما يجعله يلبي طلباتها في التو واللحظة، ومع يقينه النام بطبعها الطامع البخيل قرر ترك بلاد الغربية والعودة إلى الوطن يوصل الأمانة لأصحابها في أسرع وقت ويلحق بابنته قبل أن تتطبع بطبع الطمع والبخل عليه بتلك الخطوة يضع حدأً لتلك الزوجة التي تخطت الطمع والبخل حتى صارت الأموال والمصالح ماء يروي ظمأها، أتعرف لنفسه أنه تركها لطمعها وأنشغل بالعمل

وتؤمن المستقبل كما الذي ربا أسد ليأكله، تذكر كلمات صديقةٌ وهو بين سكرات الموت "ابحث عنها حتى تجدها، ستجد ملائكةً عيناهَا كالعسل المصفى يا خل، وضحكتها جنة فردوس ما إن تبسمت لك فتحت لك الدنيا أبوابها" هكذا دوماً بداية الحديث حتى طبعت بخياله صورة وكأنها إله الفتنة على الأرض هذا وهي بالعاشرة فما حالها بعد مرور أكثر من عشرون سنة؟، وارى صديقه الترى وانتهت أيام العزاء لبيداً من فوره تصفيةً أعماله وترك تلك البلد والعودة الي أصله مع أبنته زوجته بعد مجادلات ومشاجرات دفعتها الى الإذعان بالصمت فلم تترك ملك سليمان؟، أما هو فيكيفه شقاء، لديه من المال والسلطة ما يكفي لأنها غربته وترك بلاد الأغраб،

* * *

مر شهر على الأحداث وهي حبيسةُ المنزل لا تبرح أريكتها تأثيرها الكلمات الجارحة عن لسان أختها التي أصبحت تعاملها بجفاء وتلمح لها بوجوب رحيلها فهي لن تتحمل تجريع أهل الحي أكثر من ذلك، ما ذنبها في فضيحة ليست لها، بالأمس جلست مع صديقتها وصديقة أختها التي نبهتها إلى ما يُقال من خلفها لتنتبه إلى حديثها المُطالب بالرحيل والبحث عن مسكن آخر بعيد عن ذلك الحي حتى لا تتلوث سمعتها بما فعلت، ولا تظل عقبةً في طريق العرسان، وبالحرارة صاح الأوسيطى على السباق في الجميع بصوت لام "يا عالم ليس لديكم بينة على هذا الكلام" رد أحد الجيران متحفظ "أيُّ بينة؟" زوجها سحبها عارية من بيت حمو البلطجي" صاح الآخر مُبتسماً بتهمم يُشير إلى السباق "قل له!، جميعنارأيناها وهي تستر جسدها العاري حتى شرفها لم تُدافع عنه" رد على السباق والكلام لا يرضيه "المرأة سمعتها بيضاء ولا تدخل بيت أحد أبداً"

"وهذا هو السبب فلما دخلت وهي دوماً متحفظة" رد صبي القهوة وهو يميل إليهم هاماً "كنت أراها دوماً تخرج من بيت الست سناء ولكن آثرت الصمت سترأً ورأيتم ذات مرة في ظلام الليل يتداولون القبل"

□ "استغفرُ الله" نهض الأوسيطى على السباك يهتف بهم غاضبًا "اتقوا الله، إلا قصف المُحسنات، لديكم نساء" تركهم غاضبًا فمنذ الشهر المنصرم وبات الأمر لا يُطاق، خوضاً دامى في عرض المرأة وسمعتها، دقائق وكان يفتح باب شقته ليسمع إلى صوت ابنته تضحك مع أمها "تستحق ما حدث هذا آخر الكِبر والغزو" ردت الأم بغيره لم تفتر لسنوات "كانت تتعامل من طرف أنفها" تقدم إليها صائحاً غاضبًا "أليست صديقتك؟!"

انتقضت تهتف بمفاجئة "فزعني ثم الله الغني عن صدقة الزانيات" جلس بالمقابل يتقرس طبعها ثم هتف باستغراب شمله إثر موقفها المُغاير "ماذا؟ كنت لها أخت! ووقفتي وسط الحارة تسألين ماذا ألم بها!" سكت وعيناه تلقط نظرة الشماتة التي شملت عينها وتلك الابتسامة البشعة التي احتوتها حتى أيقن بحدث الأب الذي يعلم خلجان البنّت والزوجة أن يُدْعِي ابنته ملوثة بدماء المرأة ليسأل بصوت وئيد حائر "ألم يكن مسكنها بيت آخر لك؟" تلّوّت في جلستها حتى صاحت أمها تغلق باب الأسئلة وهي تلقط شكله "اعقلها أنت لا دخان دون نار، رصيدها من الستر أنتهى" طالعهم بالتوازي وهمس حائراً "سترک يا رب، ماذا فعلت يا أبنة السباك" نهضت كمن قرصها حنش وصاحت بوجهه دون أدب "لا تقول سباك، متى ستغيّر اسمك وأسم عائلتك هذا" وبالبيت المجاور صاحت الجدة قطة بصوتها الغليظ العالى "هيا يا خلفة الندامة الفطور جاهز" وكز عامر أخاه الصغير يوشه وهتف بوجهه مغلق "استيقظ عمر جدتك بدأت في الصياح" تلوي الصغير ذو العشر سنوات في الفراش وتناثب قائلاً "أليست قطة دعها تتو نو قليلاً" لم تلقى المزحة صداحاً لدى الأخ الأكبر ليهتف عمر وهو ينهض بمزاج تبدل في لحظة "أنا أعلم ما يدور حولي يا أخي ولكن متأكد من براءة أمي" رمقه عامر صاحب الثالثة عشر بتهمك ونهض متوجه إلى الخارج بعد أن همس "متأكد؟! لما إذن لا تواجه جدتك بذلك؟" أجاب الصغير دون تردد "لأنها تكره أمي ومن يكره لا يري سوى القبح في الجمال"

وبالخارج همس والدهم من فوق مائدة الطعام وهو يميل إلى والدته "أما زال عامر صامت" أشاحت بذراعها الغليظ هاتقة "نعم، ولا تُحايله طبعة كطبع امه تحب التودد والمديح، وإثارة الانتباه، دعه يحرق" هز رأسه يشعل سيجارة

وآخر الحديث لنفسه، شهر كامل مر عليه ليعي معنى الفقد، بالأمس راوده ضميره بشأن السيارة الجديدة التي أشتراها بمالها وحين أعرب عن كرامة وأراد ردتها لها منعه الست قطة وأقتعته بأنها مقابل جرح كرامته، أنتبه لصياغ عمر على جدته "كيف حالك يا معلمة قطة" تطلعت إليه بعين مقلوبة وصاحت به تراقص حاجبيها "بأحسن حال طالما والدتك رحلت" هز رأسه موافق وهتف وهو يسحب رغيف العيش من أمامها "الحمد لله أنها ذهبت" صاحت تضرب كفه "لما تأخذ رغيفي؟" رد مُناكف بسخط "عفواً يا قطة لم الحظ توقيعك عليه" صاحت في عامر وقد علمت مدى وقاحة عمر والتي ازدادت طوال الشهر المنصرم "أنهض وأفتح الباب، لا تسمع؟" نهض الفتى وعينه بعينها ثم همس متوجه للباب "سمعت الرعد في أذنك" ثوانٍ وكان يصبح "أبي، أبي" هتف عابد للرجل الواقف بالباب وذراعه يرتاح على كتف ابنه "نعم" "أين السيدة سلمى إبراهيم حسن المصري" رد مُشدّد على كتف الفتى المتحفز "رحلت، ما الأمر؟" رد الرجل بحدة "وقع هنا، هذا خطاب فصلها من العمل"أغلق عابد الباب وقد علم مدي الورطة التي تورطت بها هي فقدت عملها من أين إذن سُنُدد أقساط القرض، أنتبه لكتف المعلمة قطة الذي هبط على كتفه تصريح أمام أحفادها "هكذا عقاب الله على الخيانة، أسكنها الله السجن حتى تُجن" دفعته جانبًا لتفتح الباب لضيفتها وحبيبتها قائلة "مرحب نهى، كيف حالك وحال عم على السباك" قلبت نهى عينها تهمس من بين أسنانها "متى ستغير أسمك يا أبي" هتفت بابتسامة وعينها تلمحه "كيف حالك يا عابد" دفعتها المعلمة قطة برفق للداخل وهمست إليها بخفوت حذر "صاحبتك رُفت من العمل" تبسمت وهمست بدورها "وصلهم الأمر! ولكن الناس بالحارة يبحثون عن حمو" صاحت أمام الجميع "تفضلي يا نهى البيت بيتك" ثم همست لها من جديد "حمو قُبض عليه منذ تلك الليلة أبلغت عنه بنفسي" تبادلا النظرات والضحكات الشامتة لتهمس نهى من جديد "هناك مفاجئة أخرى لكن الصبر مفتاح الفرج" غمزت عينها بمكر وصاحت تلقي السلام ليهتف عمر وهو يحمل حقيبة مدرسته وإلى جواره عامر الصامت "مرحب بثقل الدم الذي حل منذ الصباح"

* * * *

مر الشهـر الثـانـي ليتـجـمـع أـهـلـالـحـارـةـ حـولـسـيـارـةـ الشـرـطـةـ لـتـخـرـجـ أـمـامـهـمـ وـكـفـيـهـاـ مـقـيـدـيـنـ بـالـأـصـفـادـ وـدـمـوعـهـاـ نـارـ تـحـرـقـ حـشاـهـاـ،ـ تـطـلـعـتـ إـلـىـ الجـمـيعـ باـحـتـقـارـ وـتـقـرـسـتـ وـجـوهـهـمـ وـلـسـانـهـاـ يـدـعـواـ عـلـيـهـمـ بـحـرـقـةـ،ـ مـاـ لـبـثـ نـارـهـاـ تـخـمـدـ حـتـىـ تـشـتـعـلـ مـُجـدـداـ،ـ دـفـعـهـاـ الضـابـطـ صـوبـ السـيـارـةـ وـمـاـ إـنـ هـمـتـ بـالـرـكـوبـ وـجـدـتـ أـبـنـائـهـاـ أـمـامـهـاـ كـالـأـصـنـامـ،ـ تـبـادـلـ الـأـنـظـارـ الـبـاكـيـةـ وـمـنـهـاـ الـمـشـتـلـعـةـ وـالـمـتـوـسـلـةـ،ـ دـفـعـهـاـ الضـابـطـ مـُجـدـداـ لـتـهـافـتـ إـلـيـهـمـ وـالـصـدـقـ بـعـينـهـاـ يـتـوـسـلـ "لاـ تـصـدـقـواـ،ـ أـمـكـمـ بـرـيـئـةـ"ـ سـحـبـ عـامـرـ أـخـاهـ الـبـاكـيـ وـنـظـرـ إـلـيـهـاـ باـزـدـرـاءـ وـعـينـهـ بـعـينـهـاـ قـائـلـاـ "ليـسـ لـنـاـ أـمـ،ـ نـحـنـ أـيـتـامـ"

* * * *

صرخت من وقوتها في المطبخ والكُرْة ترتطم بكتفها بقوة جعلتها تلتقي راكضة خلفه وخُفها معلق بيدها "يا أبن الفاجرة" توقف الصغير عن الركض والتلف إليها بعين تصارع بها الغل ليهتف بالمقابل لها "سامحك الله يا أبنة السباك" تملكها الغيظ وجزت أسنانها تهمس دون صوت "متى سُتعير أسمك يا أبي" هرولت وهي تسبه حتى فتحت باب الغرفة الرقاد بها وصاحت عليه بصوتها الرفيع "عبد؟ لابد وأن تضع حد لهذا الولد" تألف من صوتها ونظر إلى هيئتها المبعثرة ثم أغمض عينه قائلاً بعصبية "توقفي أنتِ عن مسبتيه" تقدمت إليه حتى جلس أمامه على الفراش وقالت واللهيب يشتعل بعيونها "ابنك صار عديم الأدب وأخاه الكبير أصبح مستقر وأنا تحملتهم عامين ونصف فوجب التصرف في أمرهم" نهض من أمامها هارباً من رائحتها المستفرزة وصاح بصوت أربعبها "ماذا أفعل بهم؟! أدخلهم ملجاً حتى تسعدني" لملت شعرها الأشبه بأسلاك الكهرباء والتلف إليه تهتف بمهادنة "من جاء بسيرة الملائكة فقط أجعل إقامتهم عند المعلمقة قطة هي تسكن في الشقة لحالها" "أمي؟" ابتسم بتهكم وأكمل "تعلمين أنها تطيق العماء دونهم وهم أيضاً لا يحبونها" صاحت بصوتها الرفيع المستفز "وما ذنبي، لما علىّ أن أتحملهم" طالعها بقرف وأشار لها بالخروج هاماً "الذنبُ ذنبي أنا" جلس إلى الأريكة وأشعل سيجارة وعينه تطالع النافذة منذ تزوج نهى وكأنه محموم يعاني الهذيان بين الحلم والواقع، أين من تلك التي اختفت معها الحياة كانت نظيفةً وجميلة، عشرتها هادئة ورغم طمعه وعجرفته معها كانت تحمله، أما نهى فعنوانها البشاشة، كيف أوقعته في شباكها؟ متى أقنعته بأنها أنثى؟ كيف أستسلم إلى دلالها الفاني مع مطلع فجر أول ليلة بينهم؟ نهض متوجه إلى المرحاض لابد أن ينتبه إلى عمله، أصبح المسؤولية وجهاً لوجه ومُطلبات أبنائه لا تنتهي، كيف كانت تدبر أمرها؟ سؤال فرضه العقل فأحجم عن أجابتة فقط حقيقة واحدة يعلمها فهو من دفعها لخيانته وخيانة نفسها وها هو يسعى للعمل فزوجته نهى السباك ما إن طلبت طلب ولم تجده تشكي وتبكي لكل من

مرّ عليها، منذ أسبوع كانت تريد حذاء أعجبها ولمجرد أن طالبها بالصبر أصبح الحذاء حكاية تروي، فضحته في الحارة وهي تشتكى ضيق الحال وبخله وشح يده، أنهى حمامه وأرتدى ملابسه لا يعلم هي نظيفة أم مُتسخة وبدأ رحلة البحث عن فردة جورب تناسب الأخرى وسط دولاب أشبه بسوق الكانتو ومن الجوارب إلى فردة الحذاء وكأنه يطارد فار همس والعصبية تمتلكه "لو كانت سلمى محلها لكان البيت جنة" أغمض عيناه وهو يلتقط فردة الحذاء من تحت الأريكة ولكن كفه صدمت بشيء صلب ليعتدل جالس وزراعه يسحبه حتى وجد صينية عشاء الأمس تقترن الأرض بما عليها، تطلع إليها بقرف لينهض نافض ملابسه من الغبار الذي علق بها وأنجحه إلى الخارج بعد ارتداء حذائه، لم يخف عليه حال ابنائه فعامر أصبح صامت أكثر كأنه برkan تتصاعد منه الأبخرة الحارة دون الكشف عن انفجار ينفس عما بداخله، أهذا الذي كان يألف كل شيء ولا يجلس سوى بمكان مُرتب شديد النظافة كان موسوس مثل والدته، يشم كفاه كل ثانية ويغتنس مرات ومرات في اليوم الواحد! وعمر كان ودود مطيع ذو حس فكاهي كما امة الآن بات وقع مُتمرداً مستغل للفكاهة أسوء استغلال! مر على والدته ليجدها تجلس بصدر البيت تتزين بكم هائل من الذهب والحلوي والنرجيلة لا تفارق يدها لولا أ Maddah لبيته بالمال لكان مفضوح الرجولة أمام نهى سليطة اللسان الطامعة، ألقى سلام محملاً بهم وأكمل طريقه دون انتظار الرد لتهتف المعلمة قطة وهي تبعثر دخان النرجيلة "ماذا فعلتي بولادي يا ابنة السباك؟" ساحت نفس عميق ثم ظفرت سحابة الدخان في الجو تتعجب زوجة ابنها نهى السباك، هي من سعت لذلك الزواج وخططت ودبّرت، كتمت صوت أغفال داخلها قبل أن يهتف بأن الذنب ذنب سلمى وكابرية يقينها المؤكد بأن الأولى كانت تتفاني من أجل ابنها وأحفادها، لم تسمع منها شكوى ولا لمحت ضيق المال في عينيها الذي جلس منع يرتشف عرق جبين زوجته وكأنه شهد يمرا عليه بالنهاء، نهضت مكابرة كعادتها مقررة الفتك بتلك البلوي المستفزه لتهمس بغيظ وكبت "حقاً قيراط حظ ولا فدان شطاره وحظ ابنة السباك في العالى" دست قدميها في الخف المنزلي المرصع بالترتر وتوجهت متحفزة لزوجة ابنها المهملة عليها تفهم ما أصابها لم تجتهد في رضاها ورضا ابنها؟

تساقط درجات السلم بخفة ورشاقة رغم بدانة جسدها وما أن وصلت إلى شقة ابنها وجدت الباب مفتوح على مصراعيه، هالها منظر الشقة ورائحتها فدخلت وكفها يسد أنفها وصاحت بصوت جهوري "أهذا منزل أم زريبة بهائم؟ ما هذا الفرف؟"

* * *

جلس خلف مكتبه يقرأ المعلومات التي كلف بها أحد محامي مكتبه عام كامل بعد أن استقر في القاهرة وهو يبحث عنها دون جدوى واليوم جاءته المعلومات المؤكدة، أرتفع حاجبيه بمفاجأة إثر الصدمة، أكانت بالسجن منذ عامين وأكثر؟! وما هذا الذي يقرأه تلقطت إثر فضيحة أخلاقية؟! همس وعقله متوقف "ما هذا العبث" أشعل سيجارته وهنف بعصبية عبر الهاتف الداخلي لمكتبه "أين شهاب؟ يأتي فوراً" دقيقة ونصف مرروا حتى دخل شهاب مرتاب يعلم جيداً ثورته رغم قلة كلامه يهاب كما الجميع نظرة عيناه الباردة، صاح به دون النظر إليه وكفه تضرب الورق أمامه "متتأكد من تلك المعلومات؟" تلجلج شهاب وأجاب بصدق "أجل سيد داود، سألت بنفسي"

"متتأكد" تتحنح شهاب وأعاد الجواب قائلاً "أجل، فأنا نشأت في حي قريب لحيها لذلك المعلومات صحيحة مئة بالمئة"

رفع حاجبيه وأعوج رأسه متسائل بصمت ليجيب الآخر مُسرعاً "طليقها من عائلة معروفة بالمنطقة، عائلة القط نسبة لوالدته وهي انتقلت إلى تلك الحارة منذ تزوجت والدتها بالمعلم سعدون" هز رأسه بلا معنى وسأل متحفزاً والسيجارة معلقة بفمه "وماذا عن تلك الفضيحة المذكورة" حك شهاب مقدمة رأسه وأجاب دون النظر إلى عينيه المتحفزة "صار الأمر على مرأى ومسمع الجميع حين وجدها زوجها بأحضان أحد رجال المنطقة، فطلقها أمام الجميع على الفور" أراح ضهره على المقعد خلفه وعيناه تتقدد الورق ليسأل وعينيه مازالت ترکض خلف الحروف التي غشاها الدخان "دخلت السجن بسبب قرض إذن؟"

"أجل سيدتي استدانت من البنك واشترت سيارة ليعمل عليها زوجها -أوبر- لتأتى الفضيحة وتفضل على إثراها من العمل وهنا قام البنك بمقاضاتها" نفح نفس ساخن وأعلن رفضه بهزة من رأسه وغمغم هارئاً "اشترت لزوجها سيارة؟ أهكذا إذن؟" أعوج فمه متهمكاً وأطفأ بقایا السيجارة قائلاً "النساء؟ بسيارة تخرر الرجل حتى تناول ضاه وهي بالأصل سافلة" نهض يسحب جاكت حُلته من خلف المقعد ولم يلملم أغراضه قائل "أرسل من يساوي أمر الدين مع البنك وأستخرج لي إذن من النيابة للقائهما، تركه راحل دون مزيد من الأوامر ليخرج من مكتب المحاماة خاصة، ثوانٍ وكان يقود سيارته وداخله سخط العالم على تلك المرأة، أهده من تغنى عمها بها؟ بالأخير امرأة، لو كان يوسف على قيد الحياة لمات مقهوراً منها ومن فعلتها، تنهى وغضة فقدان الخل تنبه كان صديق عمره وصاحب الفضل عليه ولكن بالنهاية لابد من رد الأمانة لأصحابها، ليس لأنها بتلك الأخلاق أن يدخل بالوصية سوف يسلمها أرثها ويتركها لحالها تعرّب بالجحيم وحدها، يكفيه من النساء ما تفعله زوجته على القليل لم تتجرأ على الخيانة، حمدًا لله على الطمع والبخل عوضاً عن كرم مزيف يتبعه ذبح مدي الحياة، صَفَ سيارته أمام منزله الفاخر وما أن نزل نفح بعصبية وهو يتطلع للبيت المجاور لبيته لا يفرّقهم سوى سور قصير نسبياً، لو يعلم أن ذلك البيت سوف يصبح مسكنها لما أشتري ليوسف بيت بجانبه، أغمض عيناه يسمع لصوت زوجته تصرخ على لينا ابنته فتوجه للداخل مُتحفزاً، أليست ابنتها هي الأخرى؟ لما تعاملها بتلك القسوة؟ همس وقد أوشك على الانفجار "سُحقاً لكن يا بنات حواء" وفي الداخل صرخت في وجه الصغيرة ذات العشر سنوات "بنت أبيك وطبعه، مُجادلة باقتدار" هرولت الصغيرة ما إن رأت والدتها لتهتف بكاء "أبي والله لم أقصد" التقetta بأحضانه وعيناه تزجر دُرية "لا تباكي، ماذا حدث؟" صاحت دُرية بجنون طبعها وأفكارها الغريبة "أضاعت حقيبة الطعام خاصتها بالمدرسة" رفع حاجبيه باستفزاز يتقنه جيداً وقال حارق دمها "فداها" صرخت من فورها "فداها؟ هل تعرف كم ثمنها؟"

"لا تبكي بابا سوف نذهب لشراء غيرها"

تملكها الغيط، فهتفت من جديد "ولما؟ بالأمس اشتريت ألوان بألف واليوم حقيبة
بقدرهم، أعطني النقود إذن وأنا سوف أشتري بنفسي" أنزل الفتاة من بين
أحضانه وأبتسם قائلاً "أذهبني واحتارى ما تریدين عبر النت ولا تحزنى"
هرولت الفتاة صوب غرفتها ليهتف من جديد على درية يحرق دمها "حضرى
الغداء، لدى موعد هام" تركها دون الاستماع إلى تمتنتها لتحرك صوب
المطبخ تحضر الغداء، عينات من الطعام لا تكفي رجل فقط تأتي بمن تساعدها
مرة في الأسبوع لطهو الطعام وترتيب الفيلا هكذا طبعها ثبذر فيما يخص
نفسها وتأكل وتشبع ومع الآخرين يتملكها البخل والجنون حتى صغيرتها
ضعيفة البنية ولوازمها لا تأتي حتى لو فارقت الروح الجسد، ما زالت تستخدمن
كل ما كان يغدقه عليها العم يوسف الذي كان يرى بها ابنة أخيه التي تركها
خلفه صغيرة وهو شاباً فقيراً بعدما سافر إلى الخارج يعمل عليه يكمل دراسته
الجامعية، تطلع داود إلى الصورة التي وضعـت فوق مكتبه وقد جمعته بصديق
دربه وابنته وهـسـإـلـيـهـ مـحـزـونـاـ بـأـلـمـ قـرـصـ خـافـقـهـ "ليـتكـ مـعـيـ رـغـمـ ماـ كـنـتـ
سـئـانـيـهـ مـنـ أـلـمـ، سـلـمـيـ الـمـصـرـيـ سـيـئـةـ السـمـعـةـ وـخـائـنـةـ يـاـ أـخـيـ"
* * *

ألقت حجابها جانباً وصاحت بنزق ما إن دخلت "لما لا تأخذ أبناء أختك لديك؟
ما ذنبي لأنتم لهم" هتفت سها وقد أغفلت الباب بعد دخولها "مالـيـ بـهـمـ، لـسـتـ
مـسـؤـلـةـ يـاـ نـهـيـ"
وـلـأـنـاـ تـطـلـعـتـ إـلـيـهـ بـشـمـاتـةـ وـقـالـتـ بـلـؤـمـ "كـنـتـ عـلـىـ عـلـمـ بـوـجـودـهـمـ وـسـعـيـتـ إـلـىـ
وـالـدـهـمـ بـكـلـ قـوـتـكـ" رـمـقـتـهاـ بـخـبـثـ وـهـتـقـ بـمـغـرـىـ أـرـقـ مـنـ أـمـامـهـاـ" الـكـلـ سـعـىـ
لـمـاـ حـدـثـ حـبـيـتـيـ أـنـتـ فـقـطـ مـنـ تـنـسـيـنـ، تـنـهـتـ باـضـطـرـابـ وـدوـاخـلـهاـ تـصـارـعـ
ضـمـيرـهـاـ الـذـيـ يـقـارـعـهـاـ بـلـوـمـ تـجـاهـلـهـ لـتـهـفـ وـقـدـ جـلـسـتـ بـعـيـداـ عـنـ مـدـىـ رـائـحتـهاـ
تـسـأـلـ بـبـرـودـ "مـاـذـاـ بـكـ الـيـوـمـ؟ـ هـلـ نـشـاجـرـتـ مـعـ عـابـدـ مـجـدـاـ؟ـ"

عوجـتـ نـهـيـ فـمـهـ وـأـشـاحـتـ بـذـرـاعـهـاـ قـائـلـةـ"ـ مـعـ الـمـعـلـمـةـ قـطـةـ بـجـلـالـةـ قـدـرـهـاـ"
أـكـمـلـتـ تـحـتـ نـظـرـاتـ الـأـخـرـىـ الـمـسـائـلـةـ"ـ أـجـلـ وـجـدتـهـ أـمـامـيـ تـصـرـخـ دـاخـلـ
شـقـتـيـ"ـ توـسـعـتـ عـيـنـاـهـاـ وـسـأـلـتـ "ـ مـاـذـاـ فـعـلـتـ؟ـ"ـ حـكـتـ شـعـرـهـاـ النـافـرـ
بـأـظـافـرـهـ وـأـخـذـتـ تـشـتـكـيـ كـعـادـةـ مـلاـصـقـةـ لـهـاـ كـيفـ أـتـهـمـتـهـاـ حـمـاتـهـاـ بـالـهـمـالـ،
هـلـ عـلـيـهـاـ كـلـ صـبـاـحـ تـرـتـيـبـ الـأـسـرـةـ؟ـ بـالـأـخـيـرـ سـوـفـ يـعـاـوـدـ الـجـمـيعـ الـنـوـمـ عـلـيـهـاـ

مجدداً، وما الداعي لكتن البيت ليل ونهار يكفي مرة كلما أتسخ، والغسيل؟ الذي لا ينتهي من المجنون الذي فرض أن القطعة تُغسل من أول مرة، الملابس تغسل حين تتتسخ فقط، وتلك المصيبة المسمة مواتين هل ستقتضي اليوم أمام الحوض من أجلها، هي تجمعها بالحوض وتعمل عليها مرة واحدة! والمعلمة قطة الطالمة ألت متحضرات التجميل خاصتها في صندوق القمامه لا تعلم لما الاتهامات الجزافية امتدت حد التطاول على والدها السباك وهي لا ترى فيما ذكر على لسان المعلمة قطة ما يستحق تلك المناوشات بالأخير بيتهما وزوجها وهي حرة فيما تملك! هتفت سها بترقب بعد أن أغفلت فاها الذي كاد يصل إلى الأرض إثر الصدمة "المراة لديها كل الحق يا نهى، النظافة شعبة من الإيمان وعطورك غريبة نبهناك أنها ثقيلة بل تكاد تكون مُنفرة" عوجت فمهما وحكت شعرها ثم صاحت بعصبية "ماذا أفعل؟ وكل من يعرفني ينعتني بابنة السباك والله أبي نظيف وليس له رائحة" شهقت سها وحاولت قدر المستطاع أن تكتم ضحكاتها وهتفت بوجه شديد الااحمرار "يا غبية أما زلت تخجلين من اسم السباك؟ أنه مجرد أسم" هزت رأسها رافضةً وهتفت بغياء "الليس أبي يعمل سباك؟" طالعتها بدھشة ونفور "ما علاقة السباكة بالرائحة، هو يُصلح صنابير المياه والمواسير، يعمل معظم عمله بالمراحيض ولكن!" قاطعتها وقد جن جنونها " هنا مربط الفرس، المراحيض! تلك هي المعضلة" ضحكت من أمامها بكل صوتها، دوماً ونهى منذ صغرها لديها عقدة السباك والعجيب أن نائب العائلة مأخوذ من تلك المهنة التي ورثها أباها عن الأجداد، هتفت من بين الضحكات وكفها على فمهما "ألا تعقدن أن عقدتك تدعوا إلى الاهتمام الزائد بالنظافة حد الوسوسة؟" أشاحت بكفها وأجابت "وهل أنا مُتسخة! هل سأتزوج من جديد؟ ثم تركنا الوسوسة لابن اختك حبيبتي" لم تجد سها قولاً دوماً ونهى مُبالغة في عقدتها من اسم العائلة لكنها منذ زواجهها صار حالها أسوء مما سبق، لم تُعد تهتم بنفسها كما العهد السابق بل باتت عنوان القذارة وقد كانت تحرص على مظهرها بعناية، انتبهت إلى سؤالها تهتف بعين لاح بها اللؤم والخبث معاً "ألا توجد أخبار عن اختك سلمي؟ متى سوف تخرج من محبسها؟" تنهدت سها والجرح ما زال يؤلمها وهزت رأسها بلا معنى حتى قالت بعد بُرها "تعلمين أنه محكوم عليها بسبع سنوات ثم من أين

ستأتي بمبلغ القرض وفوائده" تنهدت الكلمات تصعب عليها لو ما رُفدت من عملها لكان الأمر متغيراً بل لو ما كادوا لها لكان تنعم بين أولادها حتى مع وجود زوج فاتر الرجولة كما عابد طليقها، هزت من أمامها رأسها دون اهتمام وابتسمت قائلة" لا تهم الأسباب بالأخير خائنة" احتدت نظرات سها وهتفت بما جال بعقلها "أنتِ أدرى بما حدث فلا تفتحي باب خلفه هلاك" رفعت كتفيها بلا مبالغة قائلة "موضوع منتهي، لعل غيرتك منها خدمت وارتاحت دواهلك" هزت سها رأسها موافقة وأحجمت عن الرد على تلك السافلة ليس خوف فقط ولكن شعور الوحيدة وتأنيب الضمير أهلك راياتها، هي أول من شعرت بأهمية وجود سلمى جوارها كانت لها أم وكانت بدورها سبب للقهقراء، نهضت وهي تسأل بخفوت "تشربى شاي معى؟" تربعت وراقت حاجب واحد وقالت بأمر" أعدى لي الطعام أنا جائعة "

* * *

ومن خلف أسوار السجن جلست بركن اتخذته ملجاً لها حتى باتت لا تجرؤ إداهن اقترابه هكذا تعلمـت الدرس وطبقـته، لا يوجد مخلوق يستحق الرحمة أو التماس العذر أو بصيص حنان إن وجد، كل البشر جياع وطيب القلب رغيف طازجاً! فقط الصبار مالا يقربه أحد فمن له قبلاً على تنوق المُر ومضغـه رغم فوائده، تركـت الكتاب من يدها تنتظر من تقدمـت إليها، فتاة صغيرة صاحبة الخمسة والعشرون عام ضمنت زوجها في إيصال أمانة فسجـنتـ عنه، وما إن مارستـ نساء السجنـ عليها أفعالـهم المشينةـ احتضـنتـهاـ هيـ بالـمقـابلـ، لاـ تـعلـمـ هلـ تـريـ بهاـ حالـهاـ أمـ بـقاـياـ رـحـمةـ تـلـوحـ فيـ ثـنـاياـهاـ المـُرـهـقةـ، مـدـتـ رـبـابـ كـفـهاـ إـلـيـهاـ قـائـلةـ "علـبةـ سـجـائرـ لـكـيـ سـلـمـيـ، اـشـتـرـيـتهاـ كـمـاـ طـلـبـتـيـ" التقطـتـ العـلـبةـ منـ بيـنـ كـفـيـهاـ وهـتـفـتـ بـمـلامـحـ صـلـبةـ "أـينـ سـتـذـهـبـينـ عـنـ خـرـوجـكـ؟ـ" تـبـسـمتـ الفتـاةـ قـائـلةـ "لاـ أـعـلـمـ، ماـ بـقـيـ لـيـ منـ الدـنـيـاـ أـحـدـ وكـمـاـ تـعـلـمـينـ توـفـيـ أـبـيـ مـنـذـ سـنـةـ، كانـ أـخـرـ ماـ أـمـلـكـ بـتـالـكـ الدـنـيـاـ الـظـالـمـةـ تـلـعـلـتـ إـلـيـهاـ بـعـينـ زـوـجـكـ؟ـ"

لوحت كما التي تُزِّيج عنها لهم وتهتفت " طلقني بعدما تيسر حاله ولا أعرف عنه شيء " تنهدت بأنفاس حارقة وتهفت بعصبية صارت من طبعها " اسمعي لا تتنزلي عن كرامتك مهما واجهتي " قطع حديثهم وتلك السجanaة تتقدم لهم قائلة بحدة " هيا سلمى وقت الغداء " أنكمش وجهها بتقزز وأشعلت سيجارتها وقد نهضت تنفسن جلبابها الأبيض وهي تُتمّم " حصة القرف وجبت " نظرت إليها رباب مُشفقة وهمست وخطواتهم بخطوات السجanaة تلحق " لا تقلقي أنا من صنعت طعاماليوم وجعلت نصبياك جانباً " هزت رأسها بنعم صامتة وقذفت سيجارتها من بين أصبعيها إلى أبعد مدى ، تخلصت من كل عاداتها السابقة وما بقي سوى تلك العادة المرهقة تألف أي شيء لم تصنعه يداها وتغسل كفها في الدقيقة ألف مرة وتخشى الغبار والتلوث كما ابنها موسوسه، جزت أسنانها تمنع الدمع فما أن مر طيف أحد أبنائها أمامها انهارت دواخلها بصمت وصرخ قلبها يناديهم بلوعة ، لو فقط تنظرهم عن بعد؟ ترى كيف تحت ثلاثة سنوات مضت ملامحهم؟ هل ما زال عامر يُشبهها طبعاً وشكلاً؟ هل ما زال عمر يتدر ويتتمر على نفسه بخفة دمه الفطرية؟ أم اعتادوا فراقها وأعلنوا موتها حية ، تنهدت ثم همست تنظر للسماء الواسعة " قبح الاعتياد ، أحتوى حياتي دون ذلك الجانب الرهيف " اعتادت حياة الغدر منذ كانت صغيرة أولها غدر عائلة والدها حين تركوها وحيدة مروراً بزواج أمها ثم موتها ومن زوج أم إلى اخت لا تعني سوي نفسها لتتزوج عابد ظناً منها أنه العوض ولكن العوض على الله فيما مضى وما هو أت فما الذي يجعل رجلاً يدل بزوجته إلى بئر الضنى والشقى ، كان يكفيها كسرة خبز بمحبة وتفاهم لم تطلب كنوز الفتح الأعظم فقط أرادت بيت تنعم به مع زوج حنون وصبيان هم تاج شرفها ، لكن؟ ضاع الشرف وسرق الناج وغدر الزوج والأخت والأصحاب وهي اعتادت الغدر والفراق عدا فراق قرة عينها ، فـأين هنا الاعتياد؟ هل جزاء الرضا نكران؟ جلست في عنبر الطعام وقد اكتسبت من طبعها الجديد هيبة انخفضت لها العيون خوفاً ، لو كانت بطبعها الأول لكانـت اليوم ثداـس تحت الأقدام لكنـها تعلـمت درسـها كـاماـلاـ دفـعت من حولـها إـلى عدم الاقـرـاب مـنـهـاـ ، أـشـعـلتـ سـيـجـارـتـهاـ وـتـطـلـعـتـ لـهـنـ بـعـينـ زـجاجـيـةـ خـاوـيـهـ كـماـ قـلـبـهاـ والـدخـانـ غـشاـهاـ بـهـالـةـ رـمـادـيـهـ لـتـبـتـسـمـ إـلـىـ سـيـجـارـتـهاـ تـهـمـسـ دونـ صـوتـ " هـاـ أـنـاـ

حرقتك بعد إنهاك حتى ألقى بك تحت الأقدام" اتسعت ابتسامتها بخل ونظرت
إلي المُرتّبات حولها فهتفت وعينها تتوعد "على ما تنتظرون"

* * *

وقف عامر عند باب المدرسة ينتظر خروج أخاه فقد تأخر بغير عادة مما دفعه
للبحث حتى لمحه من يتشارجر، هرول إليه مسرعاً ليسمع أحدهم يصرخ بقوة
"أبن الفاجر، أليست أمك من وجدوها في أحضان عشيقها؟" بعثت وجوه
الجميع ليهتف عمر بغيط "وأنت والدك مُرتشي" صاح الصبي بغيط أعمى
عيناه "لكن أمي شريفة لا تسلم جسدها للرجال كمثل أمك" وقبل أن يفيض دمع
عمر شهق وعامر يهوي على رأس الفتى بحجر لتفجر الدماء مُغرقة وجهه
وأرض المدرسة بعدهما خر واقعاً

صرخ الأولاد بفزع ليهرع المدرسين وأولياء الأمور يتقدون الصبي ليرفع
المعلم راسه شاخص البصر نحو عامر ليهتف مُتأسفاً "ماذا فعلت يا مجنون لقد
مات الصبي"

* * *

وصل إلى الحي الفاخر في غضون العشرون دقيقة ليصف السيارة مُنْتَظِر العميل، تطلعت عيناه إلى المنازل الفخمة بانبهار وتفرقت نظراته على كل غادي، نساء تسقّهم رائحتهم وبنات وكأنهم بتلات زهور أينعت وتفتحت، أما الرجال فكل منهم وكأنه ولد وبفمه ملعة ذهب، تلمس ثيابه الغير مُتناسقة وتألف وهو يلمح بقعة طولية تمددت فوق فخذه، فتبسم وهو يتخيّل نهي تمر بذلك الحي الراقي مُنْبَهْرَة، قهقهة يتخيّلها كما أَحْمَد ذكِي في فيلمه حين تعطّر بالعطر الدامي وألقى بنفسه في المسبح، همس ضاحكا "اسانس نهى السباك" همس من بين الضحكات بغيظ شديد وتهكم قائلاً "أخذك الله يا نهى هل تضعين عطراً أم نبابالم" لمح بالمرأة سيدة تُقبل عليه واجمأة لتسأل بترفع واستعلاء "كابتن عابد" أماء بالموافقة لتصعد بالمقدّم الخلفي للسيارة وتهتف مجدداً "معك العنوان أليس كذلك؟" تحرك بالسيارة متوجهاً إلى عنوان صالون التجميل الذي سجلته عند طلب الرحلة وصمت مُلقي أذنيه يتسمع حديثها على الهاتف بفضول أحيا به تمني للثراء الفاحش، وبدورها هتفت والغضب يعتريها "متى سينتهي تصليح السيارة" "لا أعلم درية"

"طال الوقت داود لما على التحرك بسيارة مؤجرة"

"هل أنا مركز صيانة؟"

"ما هذا البرود!"

"أغلاقي لدى عمل" تطلعت للهاتف الذي أغلق بوجهها وتفقدت العربية من الداخل مذهلة لما يُرِينَهَا صاحبها بتلك الْحُلْيَ المبالغة، دقائق وتوقفت السيارة لترفع يدها صوب السائق قائلة "حسابك" التقط النقود يعدها ليصبح بعدما ترجلت "يا هام ليس هذا ما اتفقنا عليه! المبلغ ناقص" احتجت نظراتها ورمقته بقرف لتهتف وتدفع بنفسها للرحيل" هذا يكفي، الطريق لم يستغرق ما ذكر" ترجل من السيارة بعصبية يصبح ويقترب إليها "هناك اتفاق مسبق" اهتزت مقل عينيها وهي تتفحص هيئته السوقية بداية من حذائه الرياضي المتهوى إلى بقعة بناطله التي لاحت في الشمس مروراً بقميص باهت اللون ليزداد خوفها إثر ملامحه المجرمة، صاحت تستجذب بالأمن "أمسكوا هذا البلجي!"

أنتهى الموقف بطرده من المجمع السكنى بعدما همست له عاملة صالون التجميل "مع من وقعت، تلك الهانم بخل يمشي على الأرض، أرحل قبل أن يتدخل زوجها" خرج بالسيارة من المجمع السكنى يسب ساكنيه وقد ضاق صدره بما رأى، لما لا يعيش في رغد كما تلك الناس المُنعمَة، كان لباسه فاخر رغم بساطته وكان مظهره مُنمق صحيح انه ابن حارة شعبية لكن حاله مع سلمى كان أفضل من تلك الحالة المُزّيرة، التقط هاتفه مُتعصب "نعم يا أمي" "أين أنت؟ ابنك قتل زميلاً له بالمدرسة" أنحرف مقود السيارة بيده وهتف وقدمه تضغط على البنزين بقوة "ماذا تقولين؟ أيُّ قتل؟ بالله لا تتلفي أعصابي" أحضر سريعاً يا عابد عَلَنَا نُدرك تلك المصيبة التي أوقعنا بها ابن الفاجر؛

* * * *

تابع عمله من خلف مكتبه يتفقد أوراق الاتفاق المبرمة مع البنك، بفضل علاقاته تم الأمر بأسرع ما يكون واليوم أرسل شهاب إلى قطاع السجون لتقديم الأوراق المطلوبة وإبراء الذمة المالية، دخل شهاب يلقى السلام قائل "تم الأمر سيد داود" هز رأسه بغير رضا وهو يتناول ملف من جواره ودون النظر سأله "وإذن الزيارة؟"

"تمت الموافقة وغداً ميعادها" رفع رأسه مع حاجبيه لنجيب شهاب على دهشته "أجل، مأمور السجن وافق فور ما إن تعرف على هوينك" توالت هزات رأسه ببطيء وسأل بهدوء "هل هناك أخبار عنها؟" أبتعل شهاب رمقه ثم أجاب دون تردد "جميع المسؤولون بالسجن أشادوا بأخلاقها ولكن مع ملاحظة عدائيتها المفرطة" تبسم بتهكم وقال مُعوج الفم "أخلاقها ها، أخلاقها!" حك شهاب مؤخرة رأسه وأضاف "هناك شخص يضع لها مبلغ نقيدي بخزانة السجن، تقريباً كل شهر، مبلغ لا يذكر" أراح جسده على مقعده وهتف وحاجبيه يرتفعا مع اهتزاز رأسه إلى الأمام والخلف ببطيء "مؤكد عشيقتها" حرك شهاب رأسه رافضاً وقال مُسرعاً "لا، الرجل يبلغ الثامنة والخمسون عام" سكن بغير

حركة حتى قال وهو يعود إلى الملفات من جديد "قصص أمره، من آخر من زارها؟"

"لا أحد منذ سُجنت" رفع عيناه يرمقه بتفكير ودهشة تلاشت سريعاً حيث عاود النظر لما يفعل قائلاً "طبيعي، فمن سيزور امرأة سيئة السمعة" توقف عن الحركة شارداً حتى أعتدل باستقامة يتطلع إلى من أمامه مُضيق عيناه السوداء هائفاً "شهاب! تقص عن كل أقاربها، أريد تقريراً قبل ذهابي إلى مقابلتها" شرد مجدداً بعد خروج الرجل يتذكر يوسف وهيامه بها، ثُرٍ لوكان على قيد الحياة ماذا كان موقفه؟ نهض وأشعل سيجارته يتطلع من خلف زجاج نافذة مكتبه ليلمح امرأتان جمعهن الضحك وكأنهما خارج الفطر ليهمس والسيجارة معلقة بفمه "سُحقاً لجنس حواء" تفرزت ملامحة يتخل شكلها، سمراء كالحنة البشرة ذات شعر أشعث، بدينة الجسد، وعيونها التي تغنى بها يوسف لابد وأن بهم حول، هكذا شكل بنات الليل والخائنات مقرزة هيأتهم، بالأخير كانت مُمرضة! نظر لساعة معصمه وأخذ خطواته يلملم أشيائه، اليوم سوف يتغدى مع محبوبته ونقطة ضعفه وقوته، لينا ابنته

* * *

علا آذان المغرب وأهل الحرارة مُتجمعين بأكملهم، قلوبهم ملتاعة على الصبي عامر، صاح الأوسيطي على السباك يضرب كف بكاف من جلسته وسط أهل المنطقة "ضاع الولد بشربة ماء" هتف الجار شحاته الذي يجاوره الجلوس على المقهى "كله من تحت رأس والدته منها الله" صاح السباك مُعاتباً "أنقي الله يا شحاته، لدينا نساء" رمقة شحاته بنزق ليسأل الحاج متولي صاحب المقهى باندهاش "أمرك غريب يا سباك! أما زلت تتق بها" صاح شحاته بتهمك منتهز الفرصة "لو كانت من لحمه ودمه لما دافع عنها بتلك البسالة" أولاه الأوسيطي على أنتباه كاملاً وأعتدل صوبه مُتحفزاً وصاح بغير طول بال "سلمي الكل يعرفها يا شحاته، ألم تكن هي من توسطت لابنك عند أكبر طبيب حين كسر ذراعه؟" تبرم شحاته وأشاح بذراعه وكأنه يطارد ذبابة وهز رأسه بعصبية مغمغم "كيدهن عظيم يا سباك الحارة" حوقل الأوسيطي على

وصاح به "يا جدع كُن محضر خير ودعنا نبحث أمر الولد" لملم الحاج متولي الأمر قبل أن يتسع و هتف بهم "صلوا على النبي وادعوا الله أن يتصالح عايد مع أهل الصبي" هتف شحاتة مرة أخرى بصوت متهم "أي تصالح يا معلم؟! مات الولد يا متولي قتله ابن الفاجرة!" هتف متولي وكفه الغليظ يضرب فخذه بقلة حيلة "لا حول ولا قوة إلا بالله، قدر الولد كقدر أمه" تبرم شحاتة وهمس بصوت مسموع "العرق دساس يا حاج سواء من الأم أو الأب" أبتسם بسماحة وأردد "أو الجدة" تقدم عايد إليهم صامت مُعلق الوجه والملامح ليسأل حمام السباك "ماذا حدث؟ هل تكلم ابنك" مسح عايد وجهه بكفيه متهد ثم هتف بيتعلغ غصة البكاء "عمر يقول الولد تهجم عليه أولاً، لملم أصدقائه وسبه بالأم وحين رد السباك تجمعوا حوله لضربه وهُنَا تدخل أخيه بحمى وقام بضربه" أبتعلغ أنفاسه الهادرة وانهمرت دموعه وهتف بيكته تقطعت له نيات القلوب "هل ضاع الولد؟" نفخ نفس هادر وأكمل يضرب كفًا بـ"بكف" الولد كان يدافع عن أخيه يا عالم" صمت دون الرد والحقيقة ليصبح يأس يستجدي معاونة "ما العمل؟" من المؤكد الشرطة سوف تأتي لأخذة" علت الهممات بقلب الحارة وتضاربت الآراء ليهتف المعلم متولي قائلاً "أسمع يا عايد، سوف نضع أبنائك عند أحُدُنا وكأنهم هربوا حتى لا يتم الإمساك بهم" قاطعه السباك موافقًا الرأي مُعقبًا "كأنهم هربوا من الخوف، دعهم عندي يا عايد" أكمل المعلم متولي حديثه وهو يزجر علي السباك بـ"يأس" "يا أبا المفهومية أنت حماماً أول من سُنْقُنْتُ الشرطة بيته" دعوه عندي أنا سوف أضعهم في الشقة المقفلة بيتي؟" التقط عايد أنفاسه يضرب كف متولي بامتنان ليهتف علي السباك مقتربًا "دعونا نذهب لأهل الولد وننفرد الأمر" هتف متولي مُتبهاً "أجلس يا علي فقد أرسلت قتله يُعسَس بالمشفى" سأ شحاتة بعد التقشير بعمق "الم نكفي على خبر والدهم ماجور وأودعهم عايد مدرسة بعيدة عن الحي؟ كيف علم هؤلاء الملائين بتلك الفضيحة؟" زجره المعلم متولي بلوم وهو يلمح تغير وجه عايد للتجهم الشديد و هتف وهو يرفع عيناه إلى السماء يأساً "وما لزوم ذلك الكلام الآن" نهض واقفًا يحث عايد على القيام معه مُتبهاً "أنهض وأحضر الأولاد قبل أن تُداهمنا الشرطة" تركهم عايد وما إن تحرك هتف السباك على شحاتة بعصبية "هل نقطع لسانك الشائك لنرتاح من ثرثرتك

المؤلمة؟" تهكم شحاته مُتبرّم "وهل قلت شيئاً؟!" صاح المعلم متولى يقطع شجاراً وشيكًّا وهو يلمح فتلـه على أول الحرارة "كفا شجار، هـا قد جاء فتلـه" وقف عابد مذهول وهو يرى ويسمع المعلمة قطة وقد أجهـزت على عمر تمسكه من تلايـبيه وأوشـكت على خنقـه صارـخـة "أصـبحـت قـتـلـه يـا أـبـنـاءـ الـفـاجـرـةـ، حـالـلـ أـنـ يـلـقـيـ أـخـاـكـ بـالـسـجـنـ عـلـ الفـاجـرـةـ تـنـعـمـ" صـفـعـتـ القـتـلـيـ بـقـوـةـ عـلـيـ وجـهـهـ وـدـفـعـتـهـ بـغـلـهـ حـتـىـ أـرـتـمـىـ أـرـضاـ يـنـتـحـبـ بالـبـكـاءـ وـأـكـمـلـتـ صـرـيـخـهاـ بـوـجـهـهـ الـأـخـرـ صـارـخـةـ "أـقـسـمـ بـرـبـيـ سـوـفـ أـسـلـمـ لـلـشـرـطـةـ بـيـديـ" أـشـارـتـ بـكـفـهـاـ عـلـيـ المـلـقـيـ خـلـفـهـاـ وـهـيـ تـهـمـ بـعـامـرـ "وـهـذاـ قـرـدـ؟ـ سـوـفـ أـذـبـهـ وـأـشـرـبـ دـمـهـ" هـرـوـلـ عـابـدـ إـلـىـ عـمـرـ يـسـاعـدـ عـلـيـ النـهـوـضـ لـيـتـفـاجـأـ بـصـيـاحـ عـامـرـ وـقـدـ هـاجـتـ أـعـصـابـهـ حـدـ السـماـحـ لـهـ بـالـهـجـومـ عـلـيـهـاـ صـارـخـاـ بـعـجزـ "سـوـفـ أـفـتـالـكـ"

ومن الدور العلوي تبسمت نهى بشماتة وهي تدلل إلى شقتها، أخيراً سوف يفارقها أبناء الفاجرة وعليها إذن إظهار روعة الحياة دونهم ليقطع عابد بأنهم سبب قلة راحته، بدأت في تنظيف المنزل باجتهاد أخفته جيداً مُقررة جعل البيت جنةً وهي حوريته عليها تقعنـه بأن روعة الحياة في ابتـعاد أبنائـه عنـه، همسـت وهي تبدأ بترتيب الدولـاب ببراءـة وإتقـان "والله لـأجعلك تـكره وجودـهم" وبالشقة السفلـية أنتـاب المعلـمة قطة الرـعب وهي تـلمـح في عـين الصـبي الجـدية وما زـاد رـعبـها تـقدم عـامر نحوـها مشـهراً في وجـهـها مـطـواهـة لا تـعلم من أـين أـتي بـها، صـرـخ الفتـى في وجـهـها بـجـنـون حلـ عليه "لم أـقصد قـتـله!" وـثـبـ عـابـد يـقـفـ أمامـ ابنـه مـرـتعـشـ السـاقـينـ ليـهـتفـ والـخـوفـ يـتـمـلكـهـ "أـهـدـأـ بـنـيـ، لـنـ يـفـعـلـ لـكـ أـحـدـ شـيءـ" "لـسـتـ أـبـنـاكـ! أـنـا أـبـنـ الفـاجـرـةـ" رـجـفتـ عـينـ عـابـدـ بالـخـوفـ ليـهـتفـ بما وـقـعـ علىـ لـسانـهـ "ليـسـتـ فـاجـرـةـ ياـ عـامـرـ" تـلـعـ الفتـى لـعـينـ والـدـهـ تـيـهـ بـيـنـ الصـدقـ وـالـكـذـبـ لـتـهـفـ قـطـةـ وـالـخـوفـ يـتـمـلـكـهـ "أـجـلـ، أـجـلـ وـالـدـتـكـ مـظـلـومـةـ وـحـقـ اللهـ" التـقـتـ عـابـدـ يـطـالـعـها بـصـدـمـةـ، يـعـلمـ جـيدـاـ إـنـهاـ لـاـ تـنـطـقـ بـالـحـقـ سـوىـ تـحـتـ الضـغـطـ وـعـلـىـ ماـ يـبـدوـ أـنـ انـفـجـارـ عـامـرـ وـضـعـهاـ فـيـ خـانـةـ الـحـقـ دـوـنـ أـنـ تـدـرـيـ عـلـىـ نـفـسـهـ، أـنـتبـهـ مـنـ غـفـلـتـهـ عـلـىـ صـوـتـ اـبـنـهـ الـذـيـ تـقـدـمـ نحوـ قـطـةـ يـسـأـلـ بـأـمـلـ وـتـحـفـزـ رـغـمـ عـنـf المـوقـفـ "بـرـيـئـةـ؟ إـذـنـ ذـبـكـ أـعـظـمـ" قـاطـعـهـ عـابـدـ وـهـ يـقـدـمـ بـحـذـرـ هـامـسـاـ "أـتوـسـلـ إـلـيـكـ بـنـيـ أـتـرـكـ ماـ بـيـدـكـ وـهـيـ لـاـ يـوـجـدـ وـقـتـ نـضـيـعـهـ" تـقـدـمـ عـمـرـ صـوبـ أـخـيهـ مـرـعـوـبـاـ مـنـ مـوـقـفـهـ لـيـصـرـخـ يـسـتـجـديـهـ بـرـجـاءـ "بـالـلـهـ يـاـ أـخـيـ اـهـدـأـ، أـنـاـ اـحـتـاجـكـ" رـقـ

عامر إلى الخوف الذي تملك أخاه وارتعد حين لمح الرعب بيتلع أوصاله وقد خر منتخب لينزل السلاح من يده حتى طواه بجيشه قائلاً بصوت مُتراجع "لا تخف هكذا"

انتبه الجميع إلى عَم على السباك الذي دق باب البيت المفتوح يهتف بعجل "أسرع يا عابد، يبدو أن أهل الصبي البلعوا الشرطة ولكن الحمد لله الصبي مازال على قيد الحياة"

* * *

امساك عامر بكف والده مُبتسماً واليد الأخرى تمسك عمر الضاحك، الفرحة تشملهم والسعادة لهم عنوان يُقرأ، هتف عمر وكفة الْحُر يداعب خصلات شعره الطويلة "إلى أين أبي؟" لم يلقى ردًا سوى صوت عامر الذي هتف وعيناه تنظر إلى والده بأمان "الصبر يا عمر، يبدوا أن هناك مُفاجأة" هتف عمر وذراعه يضرب الهواء حوله "يعيش بابا، أخيراً سوف نخرج ونلهمو" صاح عابد فيما بغير سبب واشتدت قبضته على معصمهم بقوة وما إن اقترب من مفترق الطريق حتى ظهر بئر كبير ليدفع إليه أبنائه ويهمس دون شعور بالذنب "ادهبا إلى الجحيم فأنتم سر ابتلائي" صرخ عامر وهو يسقط في ظلام البئر "ماما" وتلفظ بها عمر بجذع ليقع في غياهب البئر وصوت صراخهم يتبعهم!

صرخت بأسمائهم تتنقض من نومتها ومازال صوت صرخاتهم في أذنيها، التقطت أنفاسها المتسرعة ثم اعتدلت تُشعل سيجارتها بارتعاش، جلست بسرير السجن الأشيبه بتابت الموت تسترجع حلمها المُفزع، منذ صباح اليوم وهي مقبوضة القلب عقلها أوشك على الجنون ولا تعلم سبب تلك الحالة الموجعة، همست داخلها بآية الْكُرْسي ليتمثل أبنائهما أمامها والدماء تُغرقهم، أغمضت عينها ونفضت رأسها ترفض خيالهم بذلك منظر ونفخت دخان سيجارتها في الهواء حولها سامحة للدموع ينهمر بقوّة، تُرى ماذا حل بهم؟ لما تشعر وكأن خنجر مغروز في صدرها؟ انتبهت إلى إحداهمن تُهانقها بغضب "لقت منامنا بصوت صراخك المُنفر ودخان سيجارتك، امرأة مستفرزة" مالت

برأسها يميناً تتطلع إلى السرير المقابل لها لتبتسم بإشراق وتألق ودون مقدمات اختالت بشعرها وهي تقذف سيجارتها من بين أصابعها بحركة تُتنّق فعلها وهتفت "صوتك يا امرأة" صرخت المرأة تقادى السيجارة المشتعلة وغمغمت بخوف "مجونة، قادرة" تقدمت إليها السيدة دهب تسأل بطريقتها الأرستقراطية "ماذا حبيبتي؟ هل شاهدتي كابوساً؟" هزت رأسها بنعم تُقصّ ما رأت، تنهدت السيدة دهب قائلة وهي تُريحها بأحضانها "ما زلت عند قولِي يا سلمى، تلك العائلة وراء ما حدث" تنهدت وانخرطت في موجة بكاء طاحنة وهتفت "كيف أخرج من ذلك الجحيم؟ ماذا عليّ أن أفعل؟" اعتدلَت تنتظر لمن أمامها بانتباه ثم هتفت مُتعجبة "لما يفعلون يا دهب؟ كنت لهم خادمة فبماذا أديتهم؟" ظفرت السيدة دهب وتطلعت حولها بيأس من عنادها تتساءل لما عليها العناد حتى في تلقي المعلومة المُترسل رجالها للتحصي والبحث عنهم بالخارج وأخبرتها بما حدث، أراحت نظراتها فوقها وجذبت ذراعها إليها قائلة "لو تدعني العناد جانباً، أنهضي وتوقف عن البكاء ليته نفع" جذبتها حتى أجلسها باستقامة وصاحت "رباب، ناوييني حقيقة الزيينة خاصتي" تطلعت إليها من بين دموعها وعينها تسأل باستفسار صامت حتى أجبت وهي تتناولُ الحقيقة على عجل "انهضي واغتسلي في حمامي الخاص ودعينا نُدَلُّ هذا الوجه الساحر عوضاً عن البكاء" همت بالاعتراض لكن أوقفتها دهب بنظرتها قائلة "ذهب لا يُقال لها لا" نهضت مُستسلمةً باحتياج لذلك الحمام الساخن فلولا وجود دهب التي لحقت بالسجن قبلها بشهر لما استطاعت الاستمرار في تلك المزبلة فتلك المرأة بما تملك من نفوذ استطاعت أن تجعل من عنبر السجن شيء إدمي، أراقت الماء الساخن فوق جسدها النحيف فتاك ثانية ميزة اكتسبتها منذ سجنها حيث تخلت عن البدانة التي كانت تصيبها كما صارت تستطيع المواجه بقوة، لا أفضل من انعدام نقاط ضعف! ولا أقوى من قسوة القلب عوضاً عن ذلك اللين الذي أصابها بالتلف، هتفت السيدة دهب بصوتها الأرستقراطي "بنت يا رب دعينا نهتم بتلك البائسة قليلاً" تقدمت الفتاة تبتسم بشفقة حتى همست وعينها تُراقب بباب المرحاض "مسكينة، كيف رماها زوجها وأبنائها هكذا؟" رمقتها دهب بهدوء نظراتها وقالت بتأنٍ تُجيده جيداً "متى تركوها يا رب الأولاد مازالوا صغار لا يفهون شيء" تنهدت رباب

وسألت بطبعها الساخن "أيُّ فهم؟ مجرد قرض ولم يسد يا سيدة دهب" انتبهت دهب لعدم إدراكها وتنكرت أنها تكتمت الأخبار حين تقصت عن أبنائها لذا هتفت تفتح حقيقتها "لن يزورها النوم الليلة طالما انتابتها نوبة الحزن، دعينا نهتم بها تحتاج من يطيب حزنها" خرجت من المرحاض مُنتعشة رغم السخط الذي يشملها لتهتف وهي ترى حقيقة أدوات التجميل أمامها "من تلك الحفلة؟" جذبتها دهب جوارها وابتسمت بحنان لا تعرف مغزاً وهتفت تتناول فرشاة الشعر من حقيقتها "حفلة دلال للقمر" دفعتها برفق وظهرها أصبح لها ثُمشط شعرها بهدوء وتغمز إلى رباب التي بدأت في جذب كفيها تُقلم أظافرها بعناية اعتادت عليها من مهنتها حيث صالون التجميل التي كان لها ولزوجها، استسلمت بدورها لهما ليس طلباً للدلالة ولكن لإشغال عقلها وقلبهما الذي مازال مقبوض مُعترفة بأن نوبة اليوم غير سابقتها في القسوة، رفعت عيناهما إلى طاقة الزنزانة الخانقة وهمست بصوت خفيض "ربى إني مغلوبٌ فانتصر"

* * * *

رحل رجال الشرطة أخيراً بعد التفتيش عن عامر ذو الخامسة عشر وقد اقر الجميع أن الفتى وأخاه لذا بالهروب مُنذ وقوع الحادث، تفقد عابد الحرارة جيداً بعدما أبلغه قاتله صبي المقمى أن الشرطة رحلت من الحي بأكمله ليخرج من بيت الحاج متولي بعدما أمن مكان ولديه في بدرورم المنزل متهدلاً لهم انه سوف يُحاول مرة أخرى مع أهل الولد لعلهم يرتضوا المصالحة، خرج إلى الحرارة متوجه إلى بيته وعقله شارد، كيف سيتدبر مصاريف علاج الصبي وكيف سيؤمن مبلغاً آخر للتراضي، منذ أن أبلغه الأستاذ حمادة المحامي أنه لابد من دفع مبلغ مالي كدية بُعرف القانون وعقله ذا حل، ها هو خاوي الوفاوض لا يملك ما يعالج به المُصاب ولا ما يُخرج ابنه من تلك الورطة العصبية، دخل بيته غير منتبه على صياغ العم شحاته ليهمس بُكريه تجدد في صدره "أخذك الله يا سلمى، ها قد طالت خيانتك أبناءك" امتنى سُلم البيت الذي جددته منذ عامين ليتوقف أمام شقة والدته وجدها تسحب نفسها رائقاً من النرجيلة التي لا تهدأ نير انها ليتوجه صوبها أملأاً عل الحنان يمسُ قلبها لكنها بفطنة الأم قابلتهُ وابتسمة مُبهمة

اعتلت صدغها لتهتف وهي ترفع حاجب واحد "أما وجدت حل ينقذ أبنائك؟" تفحصها ملياً وهتف "الحل موجود ولكن!؟" اتسعت ابتسامتها وأرددت ودخان الترجيلة يضمها "لا إملاك من المال شيء يا ابن رحمي" هتف يستجديها "الولد سوف يضيع يا أمي وسوف يتبعه الصغير أيضاً" تعاملت يدها بمهارة مع الفحم المشتعل وعينها لم تسقط من فوق ولیدها لتهتف ببرود "خلفتك شين كمن أنجبتهم، جدد حظك في الذرية والعوض على الله فيما سبق" اتسعت عيناه وهو يرمي ببرودها اللاذع وهتف وقد اعلت وجهه الضيق "ماذا تعنين؟ هل اترك الولد يُسجن؟"

تبادلـت معـه النـظرـات هو ساخـن غـاضـب والـجنـون يـنـضـح من عـروـقـه وـهـي بـارـدة هـادـئـة وـصـدق مشـاعـرـها لـم يـسـترـ، لـتـهـزـ رـأـسـها بـنـعـمـ وـهـمـسـتـ تـدـنـوـ إـلـيـهـ "ـرـبـيـتـ كـلـبـ وـمـا طـمـرـ بـهـ شـيـءـ لـذـا وجـبـ التـخـلـصـ مـنـهـ" اـعـتـلـتـ بـجـلـسـتـهاـ وـأـرـدـفـتـ قـبـلـ أـنـ يـعـاجـلـهاـ بـالـرـدـ المـنـكـرـ "ـأـبـنـائـكـ انـفـلتـ عـيـارـهـ وـالـحـقـيقـةـ وـاـضـحـةـ،ـ سـيـحـمـلـونـ عـارـ أـمـهـمـ مـهـمـ طـالـ الزـمـنـ" سـحـبـتـ نـفـسـ دـاـخـلـ صـدـرـهاـ الـوـفـيرـ وـأـطـلـفـتـ السـحـبـ الـبـيـضـاءـ تـلـوـثـ بـهـاـ الـفـضـاءـ حـولـهـاـ وـقـالـتـ "ـالـسـجـنـ تـأـدـيبـ وـتـهـذـيبـ وـإـصـلـاحـ وـهـذـاـ مـا يـحـتـاجـهـ أـبـنـائـكـ،ـ أـرـسـلـ الـكـبـيرـ وـدـعـ الصـغـيرـ لـلـوقـتـ وـهـكـذاـ تـحـسـنـ تـرـبـيـتـهـمـ" تـمـلـكـهـ الـغـضـبـ وـنـحـرـتـهـ الـحـيـرـةـ مـنـ كـلـمـاتـهـاـ،ـ الـجـمـيعـ يـعـلـمـ أـخـلـاقـ أـبـنـائـهـ وـالـجـمـيعـ يـقـنـعـ مـدـىـ تـرـبـيـتـهـمـ،ـ كـانـ أـسـاسـ الـخـلـافـ بـيـنـهـ وـبـيـنـ سـلـمـيـ تـلـكـ المـدـارـسـ الـتـجـرـيـبـيـةـ الـتـيـ أـصـرـتـ أـنـ تـلـحـقـهـمـ بـهـاـ إـلـىـ أـنـ اـنـتـهـيـ الـأـمـرـ بـتـصـرـيـحـهـ الـوـقـعـ بـعـدـ تـكـفـلـهـ بـثـمـنـ قـلـمـ رـصـاصـ لـهـمـ وـهـيـ بـدـورـهـ ثـابـرـتـ وـدـبـرـتـ وـعـمـلـتـ لـلـيـلـ نـهـارـ كـيـ تـؤـمـنـ لـهـمـ مـقـعـدـيـنـ فـيـ تـلـكـ المـدـارـسـ وـأـكـمـلـتـ طـمـوحـهـاـ فـيـ أـبـنـائـهـ حـتـىـ صـارـتـ تـلـتـحـفـ بـالـخـيـشـ مـقـابـلـ أـنـ يـلـبـسـواـ ثـيـابـ الـهـنـاءـ وـالـرـغـدـ جـاءـ أـشـبـعـتـ عـيـونـهـ وـبـطـوـنـهـ ثـابـرـتـ حـتـىـ شـبـواـ أـصـحـاءـ مـنـ كـلـ زـاوـيـةـ،ـ هـتـفـ إـلـيـهـ بـعـقـلـ غـيـرـ مـسـتـقـرـ "ـأـلـاـ يـرـقـ قـلـبـ لـهـمـ أـبـداـ؟ـ أـنـتـ جـدـتـهـ؟ـ" هـزـتـ كـتـفـهـاـ دـوـنـ مـبـالـةـ هـتـفـتـ بـرـاحـةـ "ـأـكـرـهـهـمـ كـمـاـ أـكـرـهـهـمـ" سـأـلـ مـعـاضـبـاـ "ـلـمـ يـاـ أـمـيـ؟ـ" تـبـسـمـتـ باـسـفـازـ وـهـتـفـ "ـلـاـ اـعـلـمـ،ـ كـانـتـ مـُـتـكـبـرـةـ" كـثـرـ سـؤـالـهـ تـحـتـ إـثـرـ اـنـدـهـاشـهـ "ـسـلـمـيـ؟ـ كـانـتـ تـخـدـمـكـ!ـ" تـمـلـكـهـ الـكـبـيرـ قـائلـةـ "ـلـهـذـاـ زـوـجـتـهـ بـكـ" تـوـسـلـهـاـ بـالـرـحـمةـ عـلـهـاـ تـسـانـدـهـ "ـإـنـهـ أـبـنـائـيـ أـيـضاـ!ـ قـطـعـةـ مـنـيـ وـمـنـكـ" زـجـرـتـهـ بـرـفـضـ وـصـاحـتـ "ـهـمـ نـسـخـةـ مـنـهـاـ،ـ صـنـعـتـهـمـ لـهـاـ حـتـىـ بـالـهـيـةـ وـالـطـبـعـ" هـزـ رـأـسـهـ تـائـهـاـ فـيـ عـمـقـهـ

سودادها وهمس مغلوباً "حسناً، أعطني مبلغ على سبيل الدين وسوف أسدده لك" قهقهت بقوة وغمزت له تضرب صدرها قائلة "وتسجن! مثلها" خرج من عندها كما دخل خاوي الأمل ومسحون الأمومة، منذ زيجته الأولى وطأت سلمى اعتاب شقتها تنعم بالجود والكرم، أيام حتى تبدل الكرم قبحاً ومكرأً لتمضي السنوات تاركه له تلك المجنونة عليها تذعن لما يختلج دواخله الخربة، فتح باب شقتها ليقف على اعتابها مُرتاتب، دلف مُغلق الباب خلفه بحذر ليجد النظافة وطيب الرائحة تستقبله ثوانٍ وقبل أن يعي هلت عليه بعينتها التي سرقت أنفاسه قائلة "كيف حال أولادك؟ هل أرسل لهم طعاماً؟" تفرسها بدھشة لاحت بين مُقلتيه جعلتها تقدمه بدهاء، لفت ذراعيها حول رقبته واستطلت على أطراف أصابعها تطبع قبّله بجانب صدغه وهمس "انتهزت فرصة خلو البيت، اشتقت لك عابد" وكعادته وعادة طبعه أرتكن إلى حائطها المائل يلقي بثقل جسده وكامل حمله غير مُبالٍ سوى بنفسه وعقله يستجلب صورة الحي الفاخر أمامة ليصبح بين أهله وزيراً تاركاً الواقع بأكمله ومتخذاً من خياله عالم موازي، ملك وخلياته تتحين رضائه، سلم نفسه لها غير عابئ بالواقع

* * * *

تقدم عمر خائفاً إلى جوار عامر ليحتضنه الكبير بحماية هامساً "لا تخف عمر" بكى الصغير بصمت حتى همس "لسْتُ خائف، أنا"

"أنتَ ماذَا؟ تكلم" تطلع عمر إليه والدموع مكتوم بعينيه حتى همس بحسرة "أريد ماماً" أجهش في بكاء مرير يتلفظ اسمها حتى امسك بكف أخيه يهتف مقطوع النفس "لو كانت هنا ما مسنا أحد" انخرط مُجددًا في البكاء ليضممه الكبير يمسح دموعه ويفسح له مكاناً لينام جواره، دثره جيداً حتى استلقى جانبة ليتقاوماً من سؤاله المباغت "هل حقاً بـت تكرة أمي؟" نظر عامر إلى النافذة القريبة يرى من خلف زجاجها أقدام الغادي والذاهب ليهمس "كان الأمر برمنته أمام عيني يا عمر" اعتقدت عمر مواليًا وجهه إليه حتى همس ومازال مُستلقى "أغمض عينك عامر وشاهد بقلبك عل الله يهديك" أغمض عامر عيناه يائساً

قاطعاً فما أن فتح فاه ينوي توبيخ أخيه ويعنفه لاحت أمامه صاحكة، شدد إغلاق عيناه وهو يسمع صوتها تتبعه كما السابق "أعلم أنك في مرحلة تدفعك إلى السعادة بإعجاب الفتيات حولك" رنت ضحكتها الرائفة وهي تلمح الخجل فوق وجهه فأردفت وهي تنزل من هامتها له تجذبها إلى صدرها "تذكر حبيبي، يمكنك فعل أي شيء دون أن يراك أحد ولكن!" انتبهت حواسه باستفسار فقالت بابتسامتها الحنونة "الله يرى ويسمع عامر، لذا احذر لكل منا رصيده من الستر ببني" انتبه إلى وكز عمر وهو يسأل "أين شردت؟" تنهى وقد غلبه الحنين والفارق ليهمس بصوت خفيض "معها" اعتدل عمر مسرعاً ليجلس مقابلة يسأل بأمل "هل اشتقت لها؟" اكتفى بهز رأسه على استحياء ليهمس عمر مجدداً "أنا أيضاً، أموت وأراها" احتضن أخيه وهتف مُتجنب الدموع التي تكونت بعينيه "بعيد الشر عنك يا أحمق، لا تُعيدها" نهنة عمر يدنس نفسه بين أحضان أخيه وهتف "كل دوماً أراها في المنام تبكي وتهتف باسمك يا عامر" كتم عامر شهوته لتعلن دواخله تمردتها شوقاً وحرقه ليهمس بصوت مكتوم غليظ "لو فقط افهم ما حدث سابقاً، لو فقط التقى بذلك الباطجي حمو" اعتدل عمر جالساً باستقامة ينظر إلى وجه أخيه خائفاً حتى قال متردداً "هل لو قلت لك شيئاً تحفظه؟" طالعه عامر بارتياح ليُرِدَّف من جديد بهمس اشد وطأة من سخونة النفس "اقسم إنك لن تتفعل ولن ترتكب حماقة لأي سبب" اعتدل عامر حتى أصبح الاثنان وجهاً لوجه ليُعطي الكبير الصغير وعداً، تافت عمر حوله وكأن سر الذرة بحوزته ثم مال إليه ليهمس "حمو لم يكن مع أمي بل كان مع!" خرس لسانه مروعياً قبل أن يكمل كلامه وأشار إلى الواقف بالركن ينظر إليه بغرور وهمس والروح تُغادره "عامر؟!"

* * * *

ظهر اليوم التالي

جلس بغرفة الزيارة الخاصة بالسجن ينتظر مجئها، عيناه تتفقد المكان الموحش رغم اعتياده بطبيعة عمله، روحه تمنى انتهاء المقابلة قبل أن تبدأ، كلما تذكر ما قرأه عنها ذات نفسيه قرف، فبشهادة أهل الحارة كانت فضيحتها لا تقارن بأحد، خائنة وتتجه بالرد حتى فضحت رجلته على الملا، تارة بعدم قدرته على سد حاجتها المالية وتارة بعدم قدرته الجنسية! هكذا جاءه التقرير النهائي عنها، توقف عن استرداد الأفكار وهي تُقبل عليه، طويلةً ممشوقةً القوام ذات جسد نحيف تدثر في جلباب شاهق البياض يرتمي على رأسها وشاح مائل الجلبب لكنه أحجم عن تقييد خصلات شعرها المموجة الهادئة، تهادت بخطواتها القوية حتى وصلت حذوه وبعينها ألف سؤال أولهما بعد مرحباً من أنت؟ هل أعرفك؟ "مرحباً" قالتها تجلس أمامه تتفحص هيئته المرتبة ف تعالجها مرحباً برسمية شديدة وأكمل وما زالت عيناهما تتبدلان التدقيق ببعضهم "داود، داود الرازي، محامي" صمتت وهالته السلبية تشملها لتسأل بفضول "ما سبب زيارتكم؟" رفع حاجبيه ينظر إلى عينها التي تطابقت بعين يوسف عدا كثافة رموشها السوداء، عوج رأسه يتطلع إليها يُجرِّب عيناه عدم ملاحقة تفاصيلها ليهتف "أنا صديق عمك يوسف المصري ومحامي الخاص أو للتدقيق كنت أعمل معه" اعترافها الاندهاش والذهول حتى انبسطت ملامحها تدريجياً لتهتف بتهمكم "عمي يوسف؟ وهل تذكر الآن ابنه أخيه" تبسمت ونفخت خصلة تدللت على وجهها بتمرد وقالت باستهزاء وهي تهز ساقها المرفوعة إلى الأخرى "وماذا يريد عمي العزيز يا ترى" أطل النظر في عينها وبدورها لم تهرب من سواد مقلتيه الكارهه فاختلط داخله بالحيرة رغم ملامحة الثابتة، كيف لها بذلك الجرأة وكيف تتكلم بعين ملأها الكبر وكأنها مسجونة سياسية ذات شرف، رفع حاجبيه مجدداً وهمس وسبابته على فمه "اصمت، لا تتكلمي، فقط اسمعي" رَبَعَت ذراعيها تحت صدرها باعتراف واضح وهزت رأسها تستقره قائلة "سريعاً لأنني على عجل" وضع

ساقاً فوق الأخرى وجرى إبهامه على حاجبه ببطيء وعينه تسب برودها ليهز رأسه موافقاً وهو يُتمم "وكان ورائها الديوان!" مد كفه بخطاب استخرجه من جيب معطفه وهتف بجدية "هذا لك، من يوسف المصري، هذا أولاً" اعتدل وعينه تتطلع إلى كفها الذي سحب الخطاب باضطراب ليهمس داخله يتقد أصابعها البيضاء الملونة وقد مسأه الجنون "مسجونة وهذا حالها ماذا إذن عند خروجها؟ سافلة!" رفع أصبعيه السبابية والإهانة قائلًا "ثانياً، سوف تخرجين من السجن غداً أو بعد غد، سددنا القرض للبنك" مد يده بورقة تركها على الطاولة الفاصلة بينهم لتلتقطها من بين دهشتها تتطلع إليه قائلة "ماذا؟ من فعل؟ وكيف؟ متى حدث؟ أنت إذن من يرسل النقود لي" قطعت كفه دهشتها وفرحتها ومزيج المشاعر الذي ضمها فسكتت إذ عاناً لكته ليهتف بقرف تملكه "اصمتني، دعني أشرح الأمر" سكتت وانتبهت بكل حواسها ليرفع حاجبيه مندهشاً وهو يلتفت شفاهها في همس مفادة الحمد والشكر وبعض الدعاء لله، جرى إبهامه على حاجبه واستغفر في نفسه هامساً "سيئة السمعة ذات طابع ديني! الشيخة سلمى المُهلبية" تتحنح وقال جاذباً انتباها "لا تُقاطعني حتى انتهي" هزت رأسها موافقةً ليبدأ بسرد ما جاء من أجله تحت وقع عينها الصافية الغير مستوعبة

* * *

تطلعت إلى النائم جوارها بخبث، نجحت خطتها وما عملت عليه، بالأخير يظل الرجل طفل مجرد ما لوحظ له بقالب الحلوى المحبب يستسلم بشغف تارك الدنيا خلفه، هكذا ضعيف النفس من تحكم به شهوته وهي تعلم نفسه أكثر ما هو يعلمه، لكن الأهم أن تُحافظ على ما وصلت إليه وتجتهد في عملها، من ليلة واحدة أنسنة قطة وأبنائة ونفسه وخلفت له جواً دوماً يشتاق له وهي بالحرمان والإهمال ضاعفت الاشتياق حتى صار حلماً ما إن تتحقق تمسك به وأفني نفسه سعيأً للحفظ عليه، المعضلـة الآن في طلبـه! كيف التصرف والرد؟ كيف تعطيـه مصاعـها، هل هي سانـحة سوف تضـحيـ كلـتيـ منـ قبلـهاـ،ـ هيـهـاتـ،ـ لـماـذاـ حـلـقـ العـقـلـ التـسوـيفـ سـوـىـ لـتـلـاكـ الـأـمـرـ الـمـتـشـابـكـةـ،ـ وـهـيـ بـطـعـهاـ نـهـيـ أـيـ عـقـولـ

ضررت بعضها بعضاً، بعضاً من المسكنة والدلال وقمصان النوم المُهلكة وسوف يأتي بغيرهم وغيرهم، سوف تضطر على حافة الهاوية، انتبه إلى قرص كفها الذي ايقظه من نومه ليلتقطه مُقبلًا ويسأل والنعاس يمتلك صوته "متى استيقظ القلب؟" رنت ضحكتها ومالت تُقبل وجنته وتندغدغه "عيون القلب سهرانة" تمطى بكسل ونظر إلى الشرفة يسأل "هل أشرقت الشمس؟" افتعلت النعاس وعدم المعرفة تتمطى كأنها غفت "على ما اعتقد، كم الساعة يا ثرى؟" انقضى ينظر إلى هاتفه ليجدها الواحدة فهتف وهو يصبح لائماً "الأولاد؟ الأولاد وحدهم؟" نهضت تقتل القلق وهتفت تدعى الخوف عليهم "احذر يا عابد مُخبرون الشرطة مُنتشرون في المنطقة، فلا تهرول إليهم حتى لا تُدل عليهم دون قصد" تخشب جسده وثبتت في وقته وهو يقول "لم أفك في الأمر من تلك الزاوية"

"لهذا أُنبهك" هز رأسه موافق وهتف "الحق معك" جهز ي ملابسي حتى أفكر ماذا أفعل في تلك المصيبة" أغلق باب المرحاض خلفه لتنهض من مكانها تتهيا بكل أسلحتها حتى تُلزمه جنتها فتلت فرصة لن تتجدد مرة أخرى وعليها استغلالها، لابد وأن تكون همزة الوصل بين عابد وأبنائه فتلت أول خطوة سوف تخطوها في سبيل حياة هائلة، أما تلك القطعة حماتها فأمرها هيئ لمن تتبع في ترويضها، عصبتها وكُرّها لأحفادها سلاحاً لابد أن تربح به

* * * *

وكز عمر أخي همساً "عامر؟ يا عامر؟" تألف وهو يتمسّك بملابسه وعيناه تتقدّم كل شبر بالمكان حتّى دفع ظهره بقوّة "يا عامر أفق، هل طمعت بالنوم الذي خلقه الله لنفسك أخي" تململ عامر بنزق وأفلت نفسه من ذلك الأسر الذي تملّكه وهتف "بالله ارحمني، يكفي ما فعلته ليلاً" همس عمر خائفاً "لم افعل شيء يا خُم النوم" اعتدل الآخر يدفع يده عنه بقرف ويصيح "ومن الذي كاد يتبول تحته؟ أبي أم أمي؟" نفح عمر بتائف وهمس وهو يتلفت حوله بربية والغيط يتملّكه "الم تُشاهد منظره؟ شاربه أخافي وهو يرمي وكمي قلت أحداً من أهله، وذلك المتنلبي منه، بحياتي ما رأيت ذيلاً بهذا الحجم والطول، كان كما الوحش المفترس" قهقهة عامر ليلاً بكتاباته نحوه وقال يتطلع إليه "عيني مفادها أنا هنا" وأين الشجاعة وطول اللسان التي أوجعت رؤوسنا بها" قلب عيناه وهتف مستنكرةً "هل على آخر الزمان سوف أسب فار بالأب والأم" قهقهة عامر للمرة الثانية مما أسعد قلب أخيه، على ما يبدو أن مشكلته تكمن في البقاء مع جدته وزوجة أبيه فلا بد أن يخبره الحقيقة التي يعلمها، انتبه إلى أخيه وهو يهتف من بين ضحكاته "تخيل لو رد عليك السباب وقال لك -آخرس يا ولد -" قهقهة الاثنان معاً حتّى هدأت أنفاسهم ليهتف عمر وعينه أخيه قائلاً "عامر"

نعم أخي

"في تلك الليلة قبل ذهاب والدتك لبيت السيدة سعاد نزلت في الصباح إلى جدتي لأحضر حذائي الذي تركته على باب شقتها وحينها سمعت جدتك تهتف عبر الهاتف "اسمعي يا نهى بمجرد أن تصلك سوف أخبر عابد بمجرد سماع رنتك" تطلع إليه عامر بوجه شديد العبوس حتّى أردد عمر مكملاً "والله هذا ما قالت حتى إنها سألت كيف ستجعل الرجل يفعل ما يفعل؟ وإذا ربطت ذلك الكلام بال موقف لوضّح أن هناك مؤامرة ضد أمي" همس عامر شارداً "ليس دليلاً على ما تقصد" همس عمر بحذر "لم يتوقف الأمر هنا" تبادلاً الاثنان النظرات عمر زانع العين وعامر بملامح مستقصرة حتّى هتف عمر مقرراً البوج "منذ وقت مر كنت استذكر دروسني بغرفة الضيوف ببيت جدتي وبعد ساعة حضرت ابنة السباك تناكف في قطة كما تعودت" انتبه عامر إلى القادم وهمس "أكمل" ليكمل

عمر باكيًّا "سمعت جدي تعاير نهي وتصرخ بها مهدهة إن لم ترجع عن عناها وإهمالها سوف تُخبر أبي بأنها من كانت ببيت حمو لا سلمى" اعتدل عمر يقترب من أخيه يترجاه باكيًّا "أقسم بالله أمي مظلومة يا عامر، فكر في الأمر، دوماً وأنت أكثر ذكاء ودهاء وعقلك أكبر من عمرك كما كانت أمي تقول دوماً" انقض عامر مذهولاً وصاح "أمتأكد مما سمعت؟ هذا الكلام خطير" هز الصغير رأسه بتأكيد وسأل والخوف يلعب به "ماذا سنفعل؟ علينا الهرب من بيتي أبيك؟ أنا ما عدت أرجع في العيش مع أبي ما عادت لدى قوى على تحمل ذلك الظلم، أريد أمي يا أخي" احتضنه عامر بقوه تارك له المجال لدحض مخاوفه بالبكاء وأعترف لنفسه انه أصبح عاجز عن حمايته فماذا يفعل؟ يهرب به إلى شوارع الظلم أم سُحبس ويتركه، لماضي ٍ يفتَّ بمستقبله انتبه الاثنان على التي دخلت عليهم تبتسم بشماتة وتهتف بهم "يليق بكم حياة المطاردين المُشردين، تستحقونها بجدارة" هم عمر بالرد ولكن توقف واحاده يسبقُه حين تبدل في ثانية بابتسامة غامضة على وجهه يهتف بإنجليزية سليمة "مرحباً زوجة أبي، مرحباً ابنة الأبالسة" جمعت ما بين عينها تتفقدُهم بالتالي، تشعر وكأن محنته زادتهم قوة وخصوصاً ذلك الذي تخلى عن صمته، هتفت بغضب وغيره منهم "بماذا تتفوه؟ أشعر وكأنك تسبني يا ابن الفاجر" اتسعت ابتسامة عامر دون الرد عليها وبدأ عقله يسترجع بعض المواقف لها، مواقف تبدو عادية في ظاهرها ولكن باطنها أصبح محير، لن يكشف عن أوراقه أمامها بل سيصمت حتى يهتدى لأمرها، مازال يساوره الشك وما زال مشهد الفضيحة يؤرقه ليس ب قادر على الفهم لكن ليدع العقل يعمل رغم الخزي الذي يتملكه،

تقدمت تضع أمامهم كيساً بلاستيكياً قائلة "أباكم أرسل لكم الفطور، ولن يستطيع المجيء إليكم في الأيام القادمة" تبادلت النظر بينهم وسكتهم يورقها حتى أردفت وهي تتحرك راحلة "كلوا، لا هناء ولا شفى" قهقهت وهتفت تسحب الباب خلفها "بدلتم حياة الرجل تركته يلعن اليوم الذي ولدتم به" أغفلت الباب دون أن ترى كف عامر التي كممت فم أخيه خشية الرد بسانه السليط ليهمس عامر إليه منبهأً "لا تستفزها سوى بالصمت حتى تُقضى بما داخلها ونكشف نواياها" تخلص من كف أخيه يهمس "سوف أختنق، ثم من أين هذا المكر؟ أراك تركت الصمت وبدأت في الثرثرة؟" جذب كيس الطعام قائلاً

"عندما كنت ألموم على ماما عدم رد الإساءة كانت تُنبهني للصمت، فالصمت أو لاً عبادة وثانياً يكشف لك مدى خباثة الآخرين ونواياهم المواربة" مد يده يناوله الطعام وقال "الصمت يحرك الماء العَكَر في نفوس الْخُبَيَّاء، أما عن الثرثرة فيكفيك أكثر من عام وأنا أسمع واكتم في نفسي السخط مما يحدث" التهم الصغير الطعام جوعاً وهتف والطعام يتناهى من فمه "لئيم أنت" أغمض الكبير عيناه وتبرّمت شفاهه ليدفع من جواره بكتفه قائلاً بقرف "أغلق فمك يا عمر، ثم رأحتك بدأت في الظهور!" رفع كفاه يشمُّهم ونهض متوجهاً إلى المرحاض ليهتف "ما هذا القرف؟"

* * * *

تطلعت إليه بملامح عجز عن تفسيرها، هل حزينة على موت عمها أم سعيدة لتلك الترفة، أبتسם داخلياً وهو يفطن الرد جيداً، تراها سوف تمارس مهنتها المُقرزة على نطاق أوسع وبطريقة مُستحدثة ليكون زبائنا من علية القوم ورجال المجتمع المحملي، قاطعت سير أفكاره العاصفة وهتفت بصوت أستشعر به البكاء "كيف كان عمي؟" ارتبت وشدّدت على الخطاب بين أصابعها الفاتنة وأردفت "يعنِ أنا أذكره ولكن ملامحة شبهة غائبة" رقمها بتقزر وهتف "كيف تذكرينه دون ملامح؟ ها؟"

مسحت على جبينها ومقدمه شعرها ركزت عينها في نقطة غير معلومة لتهمس "كنت اركن إلى حنانه وكان بيوره يحتضن طفولي وجزعي، يشمني بالدلال رغم قصر يده وصغر سنّه" رفعت عينها المُزينة بالدموع المحبوس إليه قائلة "أتعرف؟! كان حنانه يفوق حنان أبي، حقاً افتقدته حين قرر أن يُسافر"

"هل هي صادقة؟" سؤال فرض نفسه عليه ليقر بأنه صدقها ولكن ما المانع أن تكون صادقة في مشاعرها وهو الأعلم بمن كان يوسف وما كان يحمله من إنسانية مفادها الرحمة، استحوذت على انتباهه وهي تهمس "هل أخبرك أن موت أبي تزامن مع رحيله؟ يوم أن ودعني يتمنى للمرة الثانية" تألف بصمت، لن يتحمل حديثها أكثر وها هي بدأت في إعطاء الأمر أكثر من حقه، لابد وأن ينهض وينهي تلك المسرحية الهزلية شديدة المؤوس، استقام واقفاً يلملم معطفه وعينيه ترمقاها باستهزاءٍ صامت مفاده "لا تُبالغ" وبدورها نهضت تتفحصه بعين تملكتها الأسئلة ولم تخفي عليها نظرة الازدراء الموجهة إليها حتى قالت على عجل اكتسبته من تهجمه "متى أخرج؟ وأين يقع مسكنى؟" انكمشت جبهتها وصحت "أقصد مسكن عمي" طالعها بطرف عينه وجرى إبهامه على حاجبه قائلاً بقلة صبر التقطته في تهكمه "غداً أو بعد غد، سوف أرسل لك من يقلّك ويُكمل الإجراءات" اشتعل غضبها من أسلوبه المنكر وكأنما يراها ربيبة سجون حقاً، هي ابنة عز لولا الزمن الذي دار دورته، هتفت وقد تملكتها التعالي واسترجعت طبعها الجديد "ولما لا تأتي أنت؟" صاح بها "نعم؟ ولما أنا؟" حركت كتفيها باستقرار ثقته وهتفت "محامي عمي وأنا بعده" التف إليها بكلّيتها وهتف بغضب "لم أكن محامي يوسف بل كنت أخْ له" تهياً للرحيل تاركها

لتهف من وقفتها "داود" توقفت حواسه وأحجم عن النظر إليها هل هتفت باسمه مجرداً؟، حقاً سافلة، دون أن يلتقط إليها هتف "داود بيـك، سلمى"

"سلمى هانم، داود بيـك"

"عنيـدة" همسـ بها وقد انفك رباط هدوئـه "أسمعـي! ابـحـثـي لـكـ عنـ محـاميـ آخرـ أناـ لاـ أـعـملـ معـ سـاقـطـاتـ" هـالـهـاـ ماـ سـمعـتـ وـعـلـمـتـ لـلـتوـ أـنـهـ تـقـصـيـ أـمـرـهـ لـهـ تـهـفـتـ بـتـعـالـ تـأـمـرـهـ "لاـ تـسـتـهـنـ بـالـسـاقـطـةـ إـذـنـ وـأـجـرـكـ سـوـفـ تـنـالـهـ الـضـعـفـ،ـ وبـمـاـ أـنـكـ تـعـرـفـ مـنـ أـنـاـ فـأـوـلـ مـهـمـةـ،ـ تـأـتـيـ بـأـخـبـارـ أـبـنـائـيـ وـتـبـحـثـ عـنـ طـرـيقـةـ تـمـكـنـيـ مـنـ حـضـانـتـهـمـ" اـشـتـعـلـتـ نـظـرـاتـهـ وـصـاحـ بـهـ "لـنـ أـكـوـنـ مـحـامـيـ لـكـ" تـحـركـتـ تـرـفـعـ انـفـهـاـ بـشـمـوخـ وـتـرـمـقـهـ بـتـحـديـ لـهـتـفـ وـهـيـ تـضـرـبـ بـابـ الـغـرـفـةـ "ـحـيـنـماـ اـخـرـجـ غـدـاـ تـكـوـنـ قـدـ جـنـتـتـيـ بـأـخـبـارـ الـوـلـدـيـنـ وـلـاـ تـنسـيـ،ـ أـنـاـ وـصـيـةـ عـمـيـ لـكـ كـمـاـ ذـكـرـتـ" خـرجـتـ مـنـ الـغـرـفـةـ دـوـنـ سـمـاعـ الرـدـ لـتـعـودـ بـرـأـسـهـاـ تـسـقـزـهـ قـائلـةـ "ـيـبـدـوـ إـنـكـ حـصـلـتـ عـلـىـ نـصـيـباـ مـنـ تـلـكـ التـرـكـةـ الـضـخـمـةـ،ـ فـالـأـمـرـ مـعـرـيـ،ـ لـهـذـاـ تـرـيـدـ التـمـلـصـ مـنـ مـهـامـ وـظـيـفـتـكـ" هـمـسـ بـحـقـ وـقـدـ اـخـتـقـتـ دـوـنـ رـجـعـةـ "ـسـافـلـةـ،ـ وـتـتـحـدـانـيـ!"ـ ظـفـرـ نـفـساـ مـلـهـبـ وـغـمـمـ وـهـوـ يـغـادـرـ

"ـسـوـفـ أـعـلـمـكـ مـعـنـيـ التـرـبـيـةـ كـمـاـ لـوـ كـانـ يـوـسـفـ هـنـاـ"

* * *

تعجلـتـ بـخـطـوـاتـهـاـ أـولـ الـحـيـ وـهـيـ تـلـمـحـهـاـ مـنـ بـعـدـ،ـ ثـوـانـيـ وـكـانـتـ تـلـحـقـهـاـ هـافـةـ "ـسـهـاـ،ـ كـيـفـ حـالـكـ يـاـ فـنـاءـ"ـ اـنـتـهـتـ سـهـاـ مـنـ شـرـودـهـاـ وـأـقـبـلـتـ عـلـيـهـاـ تـهـفـ "ـمـاـ الـذـيـ حـدـثـ يـاـ نـهـيـ،ـ كـيـفـ حـالـ الـأـوـلـادـ?"ـ رـمـقـتـهـاـ بـلـؤـمـ قـائلـةـ "ـرـُدـيـ السـلـامـ أـوـلـاـ،ـ ثـمـ مـذـ متـىـ وـأـنـتـ تـتـلـهـيـنـ عـلـىـ أـبـنـاءـ أـخـتـكـ حـيـبـتـيـ؟ـ"ـ تـجـهـمـتـ مـلـامـحـهـاـ وـهـتـفـ بـهـاـ غـاضـبـةـ "ـمـاـذاـ تـقـصـدـيـ؟ـ"ـ تـبـدـلـ اللـؤـمـ بـسـذـاجـةـ تـقـنـتـهـاـ جـيـداـ لـتـهـفـ بـهـاـ وـالـلـؤـمـ مـتـوارـيـ بـيـنـ كـلـمـاتـهـاـ "ـلـمـ اـقـصـدـ شـيـءـ،ـ أـنـتـ مـنـ أـصـبـحـتـ تـتـحـسـسـيـ مـنـ كـلـ كـلـمـةـ بـيـنـنـاـ"ـ لـوـتـ فـمـهـاـ يـمـينـ وـيـسـارـ وـهـتـفـ بـخـبـثـهـاـ "ـمـنـ عـلـىـ رـأـسـهـ بـطـحـةـ يـحـسـسـ عـلـيـهـاـ يـاـ سـهـاـ"ـ أـيـقـنـتـ سـهـاـ مـغـزـىـ الـكـلـمـاتـ لـتـهـفـ مـُـتـخـلـيـةـ عـنـ الحـذـرـ "ـبـلـ يـفـعـلـوـهـاـ وـيـخـيلـوـ يـاـ نـهـيـ،ـ أـمـ نـسـيـتـ مـكـرـكـ وـفـعـلـتـكـ"ـ تـجـهـمـتـ وـصـاحـتـ بـتـهـدـيدـ "ـوـهـلـ فـعـلـتـهـ وـحـدـيـ،ـ أـمـ كـنـتـ شـرـيـكـيـ سـيـدـهـ سـهـاـ؟ـ"ـ رـفـعـتـ سـبـابـتـهـاـ الـمـرـتـعـشـةـ مـحـذـرـةـ "ـبـلـ كـنـتـ ضـحـيـتـكـ"ـ حـرـكـتـ كـتـفـهـاـ بـلـاـ مـعـنـىـ وـهـتـفـ بـبـرـودـ مـسـتـفـرـ "ـلـنـ

يفرق! بالنهاية سعيت بداعف غيرتك، والآن تسائلين عن أبناء أختك الفاجرة" تطلعت حولها بارتياح مخافة الناس، للان تخشى ربط سمعتها بسمعة أختها فمن سيطلب ود أخت سلمى صاحبة الفضيحة الكبرى، أنتشر القرف على ملامحها وجانبها منها يعلم مدى دناءتها، لو أقسمت أنها ضحية تلك الخبيثة لن يصدقها أحد، كيف تثبت أنها خُدعت ولم تقصد ما تورطت به، لو يُعاد المشهد من جديد لتصرخ بكل صوتها وتدفع الأذى عن أختها، لكنها تعلم مدى خستها وجُبنها لو بها الخير لاحتوت أبناء لحمها ودمها، صاحت نهى تُخرجها من شرودها "أين ذهبتني يا حلوة" تحركت من أمامها قائلة "ابتعدني، لا تربيني وجهك مرة أخرى" هتفت الأخرى من خلفها باستهزاء وسوقية "وابناء الفاجر؟" إلا يُداعيك ضميرك من أجلهم" هتفت تستقر عُقدتها "ليس من شأنك، سوف اسأل عنهم الأوسطي علي! السباك" جزت أسنانها وتمتنع بغليظ من ذلك اللقب "متى ستغير اسمك يا أبي؟" عادت أدرجها تعلم أن تلك الضعيفة لا تملك من أمرها شيء ليس ما تشعر به سوى وخزة يفرضها تأخرها بالزواج وعدم إقبال الرجال عليها، أما سها فسقطت دموعها وعظم الألم بصدرها، يوماً عن يوم يزداد احتقارها لنفسها وتعي ضعفها، تملكتها الغيرة من أختها التي أفتنت نفسها من أجلها، لو كانت تصمر لها حقداً لأخذها العناد وانتقمت منها في شخص والدها الذي أذاقها المُر واللِّيْتم، لوما كانت سلمى متقوقة في كل شيء لما عانت وقاشت حقد الناس عليها، كانت تتجلو بين أعوامها الدراسية دون عناء المُجاهدة، لو لا قسوة زوج أمها لكان طيبة كما كانت تحلم، حتى الظلم مَا ثُمر وافرج عن زهرة جميلة ترعرعت في بيئة شديدة القسوة والهمجية لتسري الأيام مسراها وهي بين الزهور تينع، تتزوج من طامع وتظل بعطاها تزخر، تضيق بها نفقات الحياة وتظل تتحمم وتشكر، ثم بعد كل ما مر عليها هل ما زالت على عُصانها أم صارت جافةً يابسة كزهرة صبار ألقاها أحدهم تؤنس من مات لتنملكونها القسوة، مسحت دموعها ترتقي سُلُم بيتها ولسانها يهمس "يا ربِّي لم أكن أعلم أن تلك الداهية تخطط للخلص منها" أغلقت الباب خلفها تمسح دموعها وحوار نفسها سيجال "وماذا فعلت حين وقعت الواقعة يا سُلُم؟!" هكذا ليلاً ونهاراً تُمزق نفسها دائرة مغلقة بين الحقيقة والجدال، ليست قادرةً على الاعتراف، مجرد كلمة كفيلة بستر من كانت لها أم، وببيت الحارة وقفت

نهى على اعتاب شقة المعلمة قطة تنظر إليها من حيث لا تراها، لابد وان تساعدها في إبعاد الولدين عن محبيتها، فكيف تعلم نوایاها، انتبهت إليها تهتف "ادخلني يا نهى لما تقفين على الأبواب هكذا؟" رسمت ابتسامتها الخبيثة ودخلت تهتف بما تحب قطة وترغب "من أين تلك العباءة الجميلة يا معلمة؟ لم أرى مثلها على أحد" تحسست قطة صدرها بفخامة ونفخت دخانها بالهواء تسأل "حلوة؟"

"أكثر من الحلاوة، واللون الأزرق سيأكل من جمالك قطعة" شمرت أكمام العباءة قاصدة إبراز حليها حتى قالت نهى تكشف الأجواء حولها "لابد أن تُخفي ذلك الذهب عابد يطبع به من أجل أولاده" رمقتها قطة بطرف عينها وكأنها تتعتها بالكاذبة حتى عاجلتها قائلة "بالأمس طلب مصاغي وقال أمري سوف تُعطيوني بعض ما لديها؟"

"وهل صدقتي كلامه؟" حكت شعرها من تحت حجابها وقالت "بالأخير هم أحفادك" احتارت في معلم وجهها الضاحكة وأكملت تسأل "جئت إليك كي تتصحني! ماذا أقول له؟" أمسكت ماقط الفحم ثغيره بأخر لتهتف لمن ترافقها قائلة "أرى أنكِ غيرتي نمط حياتك الخربة، لست بقليلة لتسألي" اقتربت حتى جلست على الأريكة المقابلة لها وتهفت "عملت بنصيحتك، الم يكن كلامك؟" "تعجبيني" قالتها وفمه يلطف دخان النرجيلة في وجه من أمامها حتى قالت مرة أخرى "مع ولدي لا حيلة تفع، اعرف طبعه، ما إن وضع شيء في رأسه نفذه"

"ما العمل إذن؟" قالتها تدعى الحيرة والجهل وبعد سكوت طال قالت وعينها بعين قطة "تخلصنا من هم حتى وقعننا في الأشد منه" تطلعت إليها قطة تسأل "أين لهم يا سازجة؟" مالت إليها تهتف "يا معلمة سيأخذ أبناء الساقطة ما دفعته طوال عمرها؟ أهذا عدل؟" احتدت عين قطة وكأن الشر يخرج منها لتهتف والكلمات تلقى بنفسها وقع "اسمعي؟ الرفض القاطع مع ابني هو الإسلام" قاطعتها بتعجل "أنتِ قولتِ لن يترك امرأ وقع في نفسه" سحبت نفس عميق وأهدرت دخانه بقوة قائلة "إذن علينا أن نتخلص من ذلك الهم"

"كيف؟" تبسمت وهتفت ضاحكة "أنا قطة وأنت نهى وكما فعلناها سابقاً سفعلها اليوم "تنهدت بغير فهم وهتفت "وضحي يا معلمة"

وضعت قدم فوق الأخرى وهتفت تزامناً مع دُخانها "مرري اليوم، وغداً فاعل خير يُبلغ عن مكان الصبي" خرجت من باب الشقة وعقلها يعمل، سوف تنفذ خطتها على الفور ولكن هناك زيارة لابد أن تفعلها، وصلت الي شقتها وما إن دخلت هتفت "أين أنت يا حُب؟" همست وهي تقفس عنده "لابد أن يتعدّد الأمر أكثر"

* * *

"أخيراً ستخرج؟" جلسَت وسط الزنزانة والزنيلات حولها يحتفلون بخروجهما بعضاً بمحبة وأكثرهم تخلص منها، لا تعلم كيف ستبدأ حياتها من تلك البقعة السوداء، إن ذهبت إلى الحارة فالكل يكرهها لا أحد يرجو قربها حتى أختها؟ لم تتنقِ منها حتى سؤالاً، أبنائهما؟ لابد أن تأخذهم معها ولكنها لا تعلم ما حل بهم، هل مازال عامر يكرهها؟ ومن المؤكد زاد كُرهها، وعمر ماذا عنده؟ هي حتى لا تعلم عنهم شيء، وحيدة دون الأهل كُتب عليها حرباً غصباً تخوضها! فتحت خطاب عمها خلسةً عليها تُشغل بالها بشيء آخر، تسابقت دموعها وهي تستقبل أذاره وكيف بحث عنها ولم يجدها لكن توقفت عند إلحاشه المكتوب تقرأه للمرة الأولى.

"سلمي، ضعي ثقتك كاملةً في داود الرازي، هو مني وانا هو، اجعليه دوماً حائطاً تستندي إليه، أنا تعهدتُ بك لديه والرجل في خدمتك طواعية"

طوت الخطاب ووضعته في حقيبة صغيرة تخصها ومالت تهمس الي دهب هانم قائلة "هل أثق في صاحب عمي المغدور يا دهب" تطلعت إليها دهب وقالت "لا تتقى سوى بنفسك، لكن لا بأس من مجاورته، لديه نفوذ سوف تساعدك" هزت رأسها دون افتتاح لم تعد ترغب في وجود أيُّ رجل في محيطها يكفيها ما جنت، تبسمت والنساء يرقصن حولها وهمست لنفسها "فقط يُساعدني في أمر أبني وبعدها يذهب لحاله"

* * *

وبالمساء دخلت من باب المشفى تُفتش عنهم، لمحت تلك الباكيَّة فاقربت منها قائلة "هل ما زال في مرحلة الخطير" رمقتها المرأة بريبة حتى عاودت هنافها قائلة "أنا ممرضة بتلك المشفى" تنهدت المرأة بأسى وهمست "الحمدُ لله قدر ولطف" زاغت عينها وهي تجلس جوارها تهمس مرة أخرى "سمعت أنكم انفقتم مع والد الجاني على المصالحة"

"سامحهم الله، سوف نتنازل عن المحضر لعل الله يُجبر خاطرُنا" همست تميل إليها "يا أم أيمن الم تعلمي أن والدُ عامر مسجونة" انتقضت المرأة تضرب صدرها لتكمل الأخرى "أجل، وإن تنازلت سوف يعاود عامر الكرة، تلك عائلة معروفة بالبلطجة وإن دفعوا لكم الديمة سوف يأخذونها مرة أخرى مضاعفة رغمًا عنكم وعن الشرطة"

"ماذا تقولين؟ ومن أين" قاطعتها ناهضة وهتفت بها "اسألي بنفسك والدة عامر فاجرة، سيئة السمعة، تقبع في السجن بسبب النصب والاحتيال، صديقي أو لا صديقي فهي تحايلت على بنك بأكمله" ابتسمت وهي ترى النار تشتعل في عين المرأة لتهتف وهي ترحل "خُذِي بتارِيْنك وارفعي هامته، اسجني الولد فهو لا يستحق الشفقة، وأخوه أيضاً، الاثنان خططوا للأمر بِرُّمته يا غالية" تحركت المرأة من مكانها مهرولةً حتى وصلت إلى الضابط الواقف بين الرجال لتصيح به بقوة "لن نتنازل عن المحضر، وضم له محضراً جديداً باتهام عمر أخي عامر أيضاً، لابد أن يُعاقبوا وتقطع أيديهم" خرجت من المشفى متوجهةً إلى محل البقالة القريب، ثواني وكانت تطلب رقمًا لتهمس وعينها تصاحك "أنا فاعلة خير أريد أن أبلغ عن مكان عامر عابد المُتهم في قضية قتل، اكتب العنوان الذي يختبئ به من فضالك"

* * * *

أستنفر أهل الحارة من مطلع الصباح والشرطة تداهم الحارة وقد طوقوا الحي بأكمله والصبيان يصرخان ببكاء وعابد يهروي خلف الضباط حافي القدمين، كيف عرفوا مكانهم ولم يقربهم أحد، صاحت المعلمة قطة وهي تقف أمام بيتها "العرق دساس، ويبدو أن الأجرام شمل أبناء الفاجرة" تحركت سيارة الشرطة وتحرك مثلها الأب باتجاه والدته وهو يهتف "لا وقت لذك الكلام، بالله أعطني أيُّ نقود أضعها أمام أهل الولد حتى تُنْتَمِ الاتِّفاق" تحركت ترْمُقه بقرف وهتفت متوجهاً إلى شقتها "مالِي بِهِمْ! هم أبناءك! فتولي أنت أمرهم يا عابد ثم من قال إن معي مالاً؟" صعد خلفها السلم وهو يهتف "لديكِ من الذهب ما يزين الهرم يا أمي" التفت بنصفِ جسدها صوبه وصاحت بوجهه "أنت نطعم فيما عندي إذن!"

"لا إملك شيء وأنت أعلم"

"لو كنت تعمل مثل العالم والخلق لما احتجت أحد، ولكنك تعمل فقط من أجل شراء الحشيش الذي تشربه" وقف على اعتاب شقتها و هتف يائساً "هل اليوم تلوميني ما سمعت اعتراضاً لكِ قبل سابقاً" جلست تُشعَّل النرجيلة و تهتف "لا إملك لك شيء، دع السجن يربّي أمّهم" تركها يائساً وتوجه إلى شقته عقله متوقف عن إيجاد الحل لو كانت سلمي هنا لما تذلل لأحد، فتح دولابه يسحب بنطال و قميص لكنه تذكر تلك العُلبة التي تركتها الأولى كانت تحوي خاتماً و محبس و سلسال و رشة عن أمّها، غمغم وهو يفتش "ثمنهم يكفي مؤقتاً" صاح بصوته مستعجلأً "نهى، يا نهى" أقبلت عليه تلوكُ شيء بفمهما تهتف "يا نعم"

"أين عُلبة سلمي التي كانت في دولابها" تقدمت إليه و سيرتها تقتلها لتهتف في وجهه بغضب "لا يوجد عُلب" التفت إليها موشك على الجنون ليصبح بوجهها "لا وقت لغبائك متأكد أنها هنا" تبسمت تلقى إليه حذائه "هُم حقي يا عابد، ثمن العفش الذي لم تأتني به" تطلع إليها وقد توقفت يده عن ارتداء الجورب وهي تُهاتفه بإصرار علم منه ضياع الذهب "يكفي إنني ارتضيتُ النوم على فراشها، ليس لديكُم شيء عندي" لم تلقى منه ردًا حتى تركها مُهرولا خلف

أبنائه عليه يجد حل قبل أن يضيئ إلى الأبد، همست واللؤم على ملامحها الشامنة "يoman، يومان فقط وسوف تنسى أبنائك عابد، بالأخير أنت لا يهمك سوى نفسك"

* * *

نظر إلى طاولة الطعام مستغرباً منذ متى تضع كل هذه الأصناف، هل بها مرض؟" هتفت تضع السنديون شات بحقيقة لينا "كيف كانت مقابلة الأمس" تناول قطعةً من التوست الممحص كما يُحبه وقال بهدوء "إنسانة باردة، فقط أثمن خروجها وأسلمها ارثها ولن ترى وجهي ثانيةً" تفحصت صدق ملامحه ودارت عينها عليه حتى قالت بجدية "ويوسف؟" رفع أنظاره يرمّقها بغير فهم وهمس "رحمة الله، ما به؟" عاجلته مسرعة "هل ستخل بوصيتك؟" ترك الطعام من يده وهتف "ها أنا أعمل عليها وبحث عنها عاماً كامل" جلست بالمقابل له وهتفت "ارتدي حذائك لينا" ثم وجهت أنظارها إليه تسأله "داود؟ هل نسيت اهم شرط بالوصية أم تغافت عامداً؟" جرى إبهامه على حاجبه وهتف متخفراً "بما تلمحين يا ذرية؟" ها، ثم أرى إنك استسلمت للأمر برمته" تملّكتها الغيظ لكنها حافظت على هدوئها قائلة "الله يتولى إلك يوسف لا تتركها؟ ثم ما حيلتي؟ صحيح الثروة كثيرةٌ عليها ونحن أولى لكن بالأخير هي الوراثة شرعاً" صمت وعقله يتذكر توصل صاحبه من فوق فراش الموت، كاد يُقبل يده وهو يُلزمه بها وبحمياتها، تنهى بغضب، ماذا لو علم يوسف شاكلتها؟ هل كان سيهتم؟، كان رقيق القلب يعطي لكل شيء سبباً يضع الأسباب نصب عينيه لكن ما عساه سببها حتى تمنهن أقدم مهنة مخلة عرفتها البشرية، نهض ينبع صغیرته أن تستعد والتفت إلى ذرية مُحذراً "لا تفتحي تلك السيرة مرة أخرى" هزت رأسها ورسمت ابتسامة لا مُبالبة بالأخير سوف تسُكن جوارها ولا بد أن تُصبح صديقتها! بلا سوف تجعلها أختا لها، منذ أوقعت شهاب في الكلام وعرفت خلفيتها فطنّت لاحتياج مثّلها للاهتمام والتماس العذر وهي لها، ستحتويها لتكتب صداقتها وحينها تربح الهدايا والدعم المالي كما كانت تفعل مع عمها، لا عن طريق ابنتها رغم استغلالها ولكن الود والمحبة أولاً، ومن خلف مقد

سيارته ودع صغيرته ثم رفع هاتفه يسأل "شهاب أين أصبحت؟" هتف شهاب بصوت مُضطرب "هناك أمرٌ جَل سيد داود" أغمض عيناه وابعد الهاتف قليلاً يُغمغم "أصبحت لا تُطاق شهاب" أعاد الهاتف إلى أذنه قائلاً "اختصر" "تم القبض على أبناء السيدة سلمى المصري" صاح مُتفاجئاً "وهل خرجت حتى يلحقها أبنائهما! ما السبب وكيف حدث؟" قص عليه ما سمعه، منذ بزوغ الشمس يقع بالحرارة والحي يتقصى أخبار ساكنيها وبالاخص أخبار زوجها وأبنائهما ليتقاوماً بما حل بهم وما حدث، انتبه لصوت داود الذي أمره "اذهب وواتني بكل تفاصيل الأمر وانا سوف اذهب لإخراجها"

أغلق شهاب الهاتف مُتعجلاً وما إن بلغ أول الحي يفتش عن سيارته اصطدم بتلك الباكيَّة دون قصد لتهتف به والبكاء يقتلها "الا ترى؟!" هم بتوبخها لكنه رق لبُكائهما وخطرت له بعض الأفكار المتصاربة ليهتف بما تمسك بعقله "اسف، تأثرت لحال الوالدين ولم انتبه" انهمر دمعها بوفرة وتحركت تنهياً للرحيل ليُعالجها سريعاً عليها تظل "أنا محامي أهل المجنى عليه" توقفت تستتجد به وتهتف بما جال برأسها "الم تتفقوا مع والدهم على الصُّلح؟ لما تراجعتم! تفرس لهفتها وسائل وقد تأكَّد حذتها "أرى انك تهتمين لأمرهم أكثر من كونه شفقة!"

هزت رأسها بنعم وتهتفت "أنا خالتهم" اتسعت عيناه وسائل مُتعجباً من تلك الصُّدفة "إذن كانوا في رعايتك؟" زاغت عيناهما على مبني الحي وتهفت تحك انفها "يا ليت! لكن والدهم منعهم تماماً عنِّي" هز رأسه بلا معنى وهتف "لابد أن الموضع ضخم لكنني مُضطر للحاق بهم" تأهب للرحيل وهي تطالعه بحزن ليناولها بطاقة التعارف الخاصة به قائلاً "إذا أردت أن نتواصل من أجلهم هذه أرقامي" تناولت البطاقة وسألت "هل هناك امل للصلح؟" تحرك مُسرعاً يركب سيارته ويصبح "لا اعلم سوف أتفقد أهل الفتى وموفدهم" اغلق السيارة وتحرك مُسرعاً وهو يهتف إليها "يا انسه؟ حديثي في أقرب فرصة" هزت رأسها موافقة وتوجهت صوب بيتها باكيَّةً وصورة أختها ترقي أمامها، لأنَّه وان يجيء يوم المواجهة ومن الآن تجهل كيف ستبرر الخزلان، تنهدت وقد سلقت سُلم بيتها تهمس "لابد أن تجهزي حُججاً مُقنعة ليوم المواجهة" أغلقت

الباب تقرأ البطاقة التي بين كفها لتهمس "ربما أنت فرصة لإبراء ذمي" ساورتها الأفكار لتقرر التواصل معهً عليها تدفعه لإقناع أهل المُصاب للتنازل وإن لم تُفلح فقد تابعت الموقف، ليس لها حيلة بعدما اختارت بكل إرادتها إهمال أبناء أختها بل تعمدت الابتعاد عنهم، نفخت وجنتها وهي تتذكر مجيء عمر يشكو قسوة نهـى وجـنته وإهمـال والـده فـما كان منـها سـوى طرـده مـتعلـلة بـفـقـرـها وـعـدـمـ قـدرـتها عـلـىـ موـاجـهـةـ المـعـلـمـةـ قـطـةـ الـتـيـ سـتـعـمـلـ عـلـىـ هـدـرـ سـمعـتهاـ، فـهـمـ الصـبـىـ تـمـلـصـهاـ مـنـ مـسـؤـلـيـتـهـ رـغـمـ حـدـاثـةـ سنـهـ، تـعـلـمـ ذـكـائـهـ وـذـلـكـ ماـ اـثـبـتـهـ مـوـقـفـهـ حـينـ لـمـ يـعـاـودـ الـظـهـورـ أـمـامـهـ، لـمـلـمـ شـعـرـهـاـ وـصـرـخـتـ دـاخـلـيـاـ "يـحـدـثـ ماـ يـحـدـثـ، بـالـأـخـيرـ لـنـ أـصـلـحـ الـعـالـمـ وـحدـيـ"

* * *

تجمع أهل الحرارة عند قسم الشرطة مُنتظرين سماع أي خبر عن الولدين أو عابد الذي دخل الي وكيل النيابة ومعه أهل الولد،

هتف الأوسطي على السباك بحزن "يا لطيف يا رب" ليصبح شحاته جارهم "من ليس له أم حاله يغم، وأمهم من جنت عليهم"

صاحب علي السباك بغضب "لا تبدأ حديثك المُعصب يا شحاته" صاح شحاته بطبيعة الحشرى وقال بضم ملتوى "وهل قلت شيء؟ أنت من تُدقق بكلماتي وكأن تلك الفاجرة أبنتك" هتف المعلم متولي قبل أن تتشبث بينهم النار "صلوا على النبي، ليس هذا وقت حديثكم" تراشق الاثنين رصاص النظرات ليتقدم علي السباك صوب باب القسم عليه يفهم أو يسمع شيء تاركاً خلفه هذا الأفق المُنافق، وبالداخل هتف عابد إلى والد الصبي بعصبية "لم تتفق على الصلح يا أبي أيمن؟ ماذا حدث" لم يلقى إجابة فتمسك بالصمت عليه يجد مخرجاً، مر الوقت كالقاتل المُسلل ببطيء، لم تفلح مسامعي وكيل النيابة للصلح رحمة بالصغار الذين قتلهم البكاء وقوسون المكان، لينتهي أخيراً بأمر حبس عامر وعمر ثمانية أيام على ذمة التحقيق حتى يتم النظر في تقرير المشافي والطب الشرعي، توسل عابد وكيل النيابة بكل كيانه، كيف سوف يترك أولاده مع المجرمين داخل هذا الحبس المُخيف، لينظر له الرجل مُستحق أبوبته وتركته

لأبنائه حتى وصلوا لها هنا، أحجم عن أخباره أنه سوف يوِدُّ لهم غرفة خاصة حتى لا يطالهم أحد، تركه متوجهاً نحو غرفته يرُد على هاتفه قائلاً "الولدان برعايتي داود باشا، وأما والد المجنى عليه فبعض الضغط أعتقد يُجدي" وقف الجميع على باب القِسم وعقولهم تأبى التصديق، هل ضاع الولدان ومعهم مستقبلهم؟ كيف لم يستطع عابد تدبير بعض النقود ووالدته ملكة جزارين المنطقة؟ تُرى ستترك أحفادها؟ تفرقت الأسئلة دون جواب وكَبَلُهم العجز حتى أصبحوا يتطلعون لمبني القِسم دون المقدرة على الحراك، هتف شحاته يتحرك أمامهم "الوقفة لن تُجدي نفع دعونا نذهب ونبث عن حل"

* * *

أغلق هاتفه وعيناه تتفحص أوراق خروجها وهو يجلس بمكتب مأمور السجن لا يعلم هل يُخبرها بما حدث أم ينتظر حتى يعلم على ما تنوی، يتورط كل دقيقة في أمور حياتها وذلك أمراً بات يُؤرقه، ما لبث حتى أتخذ قراره بالاتصال منها حتى فوجئ بمشكلة أبنائهما، تنهد وجري إبهامه على حاجبه بمحاولة لإفناع نفسه بأنه سوف يواليها ظهره دون رجعة بعد تلك المشكلة، أنتبه لدخولها فتفقدها بعين شملت كُلِّيتها، تهادت بينطال يلتتصق بجسدها وببلوزة رمادية ذات صدر واسع ليختفي حول جسدها داخل معطفاً دثير حتى رُكبتها تاركةً خصلات شعرها المموجة تتسابُ بحرية، نهض واقفاً وهو يسْتَهِزُّ من هيئتها الممنقة مُتسائلاً بصمت، تُرى من ساعدَها في الحصول على تلك الملابس الباهظة؟ لابد وأنها على اتصال بأحد رجالها! تقدم يُدْنِي إليها بعض الأوراق حتى توقعها ليلاحظ تبرج وجهها الهدادي، أرتفع حاجبيه يسبق سؤال باغته "هل كانت مسجونة بإحدى دور الأزياء العالمية؟" أشار إليها تتبعه فرفعت حاجباً مُعترض لتقدمه بعد فهل سيتعالى عليها من أول الأمر! تطلع إلى ظهرِها مُتعجب وسأل وقد أصبح حِذوها "مهلاً" أشار بسبابته صوب إحداهُن لتجد السجانة قد جهزت أماناتها، وقعت بالاستلام وتتفحصت أغراضها الخاصة حتى أمسكت بمحبس زواجها تتطلع إليه شاردة، دقيقةٌ مرت تحت مُراقبته لها لو ما يعرفه عنها خيراً لظن أنها تتعني عمراً كاماً، تفاجأ بها تُلقِي أغراضها بالقمامنة حتى أتبعتهم بالمحبس الذهبي فقط صورة

صغيرة تقرست بها، همست بصوت مكتوم "دعن نذهب" نهبت السيارة الطريق في صمت حفهم وهو يُراقب بطرف عيناه سكونها الشارد، وهي فلم تُبالي بشيء مما حولها فقط ذهنها عالق بفلاذات كبدها، لا تعلم هل تستطيع ضمهم أم ستواجه بالرفض؟ التفت لمن جوارها تهتف بمفاجئة "أعلم أنك تقصيَتْ عنِي فهل لديك خبر عنِ أبنائي؟" لا يعلم مُجداً يُخبرها أم ماذا؟ لذا هتف بما جال في خاطره "يعيشون مع والدهم وزوجته" تبسمت وهزت رأسها تسأل "تزوج إذن؟" سكتت من جديد ولم لمها الشرود حتى عادت مُباغته "من المؤكد أنهم يُعانون وذلك في صالحِي، وبصفتك محامي هل ستسمح لي المحكمة بأخذهم؟" أرتفع حاجبيه عجباً من ثباتها ليهتف بها "دعينا نبدأ الأمر بالتراضي أولاً، أعتقد أن بعض المال يُحل المشكلة"

"من تزوج؟" تطلع للطريق ثم هتف "لا أعلم، امرأة" قاطعته تلتف بجسدها نحوه وتهتف ويدها تُشعل سيجارتها "علمت كل شيء ولم تعلم من زوجته؟" هدأ من سرعة السيارة إلى أن توقف والتقت إليها، يرمُقها بحرف كتلك السيجارة ليهتف "أولاً، لا تُقاطعني طالما أتكلّم، ثانياً، أنا لستُ أعمل لديك فلا تتجاوزي حدودك" نفخت دخان سيجارتها في وجهه وهزت رأسها موافقة لتهتف "الحق عندك، لهذا دعنا نتفق على توليك أموري القانونية"

سوف أجُد لكِ محامي آخر

"يوسف أوصاني بكَ أنت" تقلصت جبهته وهز رأسه يميناً ويساراً بالرفض يسأل بتهمُّ "لم أفهم" تهتدت وهي تتفقد المكان الخاوي حولها ثم التفت قائلة "هل سنبقى هنا؟ تحرك"

"جاوبي ما إن سألك" هتفت بشبة صياح في وجهه "عمي شدد على أن توليك أمري، ما الذي لا تفهمه" أعادت صياغتها تنفسُ رماد سيجارتها "مؤكد ألمك نفس الشيء، فلا تتغابي"

هدر بها يُديِّر السيارة مرة أخرى "سافلة" مرت ساعتان أو أكثر حتى توقفت السيارة أمام منزلها الجديد ليهتف عليها بحرف "أنزلني" ترجلت وعينها تتفقد المكان بأكمله، بيوتاً مُتشابهة تراصت جوار بعضها وطرق شديدة النظافة

يعدوا فوقها أناسٌ منمقة، تقدمها وكفهُ يدعوها تتبعه ليمر من البوابة الرئيسية يتبعها ممراً ممهداً، وصولاً لباب المنزل الداخلي، فتح البيت بفتح أخرجه من جيبيه ودعاهما قائلاً "أول أرتاك! فيلا يوسف المصري" دخلت تتطلع بالبيت بإعجاب لاح على وجهها لنقف بالبهو الواسع مأخذة أمام صورة علقت على الحائط تمثل بها والدُّها وجواره عمها وهي بعمر التسع سنوات أو قليل بينهم، ضحكتها صافية وجسدها السمين يجلسُ براحة بين راحتיהם المتشابكة وضحكات ثلاث نثرت فوق الوجوه كانت هي أجملهم وأكثرهم حميمية، تعجب بدوره من طلتها الطفولية البريئة، كيف لم يرى تلك الصورة قبل سابق؟، ذكر المرة الأخيرة التي زار يوسف بها المنزل في إجازة صيف بعيدة ولم يسمح له ضغط العمل بمصاحبته! سعل يخرجها من شرودها ليملح دمع عينها المُنْزَلِ فوق وجهها، تلبك لا يعلم يُعزّيها أم دواخله التي تشمئز منها تمنعه، مد يده بفتح البيت يتتجنب لمس أمثالها، ليهمس وهو ينظر ساعة معصميه "أرتاح اليوم وغداً نفعلُ ما يجب فعله" تناولت المفتاح من يده تسألُ بنبرة جديدة على أذنه "داود؟ ما بهم أولادي؟" مسحت دمعها وأكملت "بالنهاية أنا أم أشعر وأحس ولدي شعورٌ قاتل بأن الوالدين في محنـة، لو كنت تملك ولداً مُؤكـد إنك ستشعر بما يُساورني من قلق" جرى إيهامه على حاجبه وتحرك تاركها وهو يهتف "لينا، أبنتي الوحيدة، أرتاح قليلاً وسوف الحقُّ بك حتى نتحدث" أغلق الباب راحلاً قبل أن يسمع ردها، لا يعلم هي ورطه أم مازق عليه الهروب منهُ، دواخله وعقله وكل شيء بالكون يرفضها ووصية يوسف هي من تُقْيِّدُه بل وتتمد بينهم خيطاً كما الحرير ضعيفاً بظاهره ولكن مكمنه قوة قاتله، أشعل سيارته متوجهاً إلى مدرسة أبنته مُقرراً النأي عن محيطها ولو مؤقتاً، سيمسك العصا من منتصفها حتى يجد من يتولى شئتها وبهذا لن يخل بوصية أغلى إنسان على قلبه، أما عنها فما أن خلا البيت نفضت قناع الجمود الزائف تجلس لأول مقعد أمامها تتطلع صوب أبيها وعمها مُعاتبة، كيف تركوها تهوى من بين أيديهم، أما كانت دُررthem الغالية، خطف الموت والدها دون إنذار وتقبلت أمر الله صاغرة مُستندة بعظامها اللينة لعمها ولكنه لم يرأف بتلك اليتيمة حتى أضاف يُتماً جديداً لها، دفنت رأسها بين كفيها في محاولة فاشلة لردع الذكرى لكنها كلما أغضبت عن صورة استرسلت أخرى أشدُّ المُ، شهقت نفس مؤلماً

وتقوعت حول جسدها لتأخذ الدموع من روحها ما تأخذ، تعالت شهقاتها وقتلها البكاء وحيدة أمام عجزها بمواجهة المجتمع القاسي، كيف ستردع الظلم عنها؟ وكيف تثبت براءتها؟ كيف تخرج من البئر الذي أقرواها داخله؟ دوامه من الأسئلة عجزت عن حلها، ها هو الغريب يعاملها بما سمع وهي تعزّره، فما بال من يعرفونها! كيف ستقف أمامهم وشرفها مُلطخ بالعار والرذيلة؟ والأهم أبنائهما كيف تمحو تلك الذكرى المشينة عنهم وتأكد لهم طهارتها؟ أوشك الجنون يمس عقلها وقبل أن تُطلق صرخة يأس مدوية انتبهت لجرس الباب لتمسح وجهها وتسحب نفس ندياً بالدموع وبخطوات حاولت تذكرها اهتدت إلى الباب تفتحه، انكمشت ملامحها وفاتنة شقراء تهتف إليها وكأنها تعرفها "مرحباً سلمي، حمداً على سلامتك حبيبي!"

* * *

وفي قسم الشرطة جلس عمر داخل أحضان عامر يبكي وينقض لسانه يهذي "ماما؟ أين أنت؟" ضمه عامر بين ذراعيه وكتم البكاء خشية أن يُفجعه، صار هو أمانة فإن هو، هوى وتداعى بعده، نظر إلى الغرفة المُوحشة رغم أثاثها الذي دل أن أحدهم يسكنها لكن فكرة احتجازهم كانت كفيلة بتلك الرعدة التي نفضت أوصاله، شدد ضمته على أخيه يهمس له كاتم البكاء "لا تخاف عمر بابا لن يتركنا" علاً بُكاء الصغير وصرخ "لو كانت أمي هنا لما حدث ما حدث، تعلم جيداً أن أباك لن يهتم لنا" تنهد وكيانه غير قادر على إنكار احتياجهما لها فهمس دون صوت ودموعه يتيمة كالحالهم تتقدّر فوق وجنتيه الناحلة "لو تأتي وتأخذنا" وكان الآخر شعر به ليبتعد بجسده يُنادي أخيه سائلاً "لو هي دعوة واحدة عند ربى فأنا أريد أمي، لا ثريدها أخي؟" تبسم عامر وقد عانده الدمع فاحتضن أخيه قائلاً "ما زلت تأمل؟ كيف ستخرج من محبسها، حالها مثل حالنا وإذا خرجت كيف ستهدي إلينا؟ كيف ستدفع الفدية عمر؟ سجنها الفقر يا أخي" أنفلت زمام الفتى وهتف والدموع يتناثر من عينيه "سُجنت بسبب تلك السيارة الملعونة، والدك لم يكن يعمل، أنا صغير لكن أعي ليتني حرق السيارة حتى أحرق دمه" لم يتقدّم عامر من عدائه فهو من منعه من تلك الفعلة يوم شاهده يُدس زجاجة بنزين داخل حقيبة مدرسته، تنهد

مغلوباً وهمس يُداري سخطه "أهدا أخي" صرخ عمر من جديد والخوف يرتع في دواخله "سنحبس ونُصرِّب سنحرق بالنار ونعاشر المُجرمين وأبي لن يُبالي بنا، سينسانا ويتحمد غيابنا" حاول عامر أن يُهدئ من روعه لكنه عجز، كيف يُحارب خوف بالأساس يتملكه!، كيف يُبعد تلك الهواجس التي تطراً على عقله وهو يرى أخيه يُمتهن وهو عاجزٌ عن حمايته، كيف وهو الآخر في احتياج للحماية؟، تطلع لانهيار عمر وما كان منه سوى البكاء الصامت وقد وقر أخيه في صدره مستسلماً لل Yas بكليته، فمن يرحمهم من العذاب ومن يشمل روعهم غير أم بعيدة كما ابتعد السماء الصافية، فتح الباب فجأة فانتقض معًا ليُقبل عليهم وكيل النيابة أدهم فما أن رأى حالتهم هاتف بصوت تملكته الرحمة "ماذا؟ أ بكى الرجال" انكمش الولدان بعضهم ليهتف عامر متولاً "بالله أخي لم يفعل شيء، أرجوك دعه يرحل" صرخ عمر بانهيار وكفاه تتمسك بملابسها "لا لا والله لن أترك أخي" حطمَت الشفة قلب أدهم فتقدَّم إليهم ممسكاً حقيبة ورقية وضعها أمامهم قائلاً "لا تخافوا دعونا نأكل ونتكلم قليلاً" تطلع إليه الصغيرين بربطة ليهتف باسمه "هيا لا تخافوا، بين الثانية والثانية يُغيِّر الله القدر" فتح كيس الطعام أمامهم وهتف بوجه بشوش أوفد إليهم بصيصاً من الطمأنينة "أنا جو عان جداً من سيأكل معي؟" تطلع إلى تمنعهم الصامت ليهتف بجدية "لو أكلتم حتى الشبع سوف أحارو الوصول لحل مع أهل زميلكم" هتف عمر وعينه على الأكل "أقسم بالله أو لا" قهقهة أدهم وهو يُشعر أكمامه قائلاً "إذن أنت المشاغب الذي يأتي بالمشاكل وذاك درع حمايتك" بقلوب زلزلها الخوف تلاحِم جسدهما معًا والخوف يفهم ليبدأ عامر في إطعام أخيه هاماً "كُل حبيبي أنت من الصباح لم تأكل شيء"

* * * *

صاحت بأهل الحارة المتجمعين بشقتها "هيا كل إلى بيته، هل لدينا مأتم وأنا لا أدرى" صَب شحاته زيتُه الحامي فوق النار المُوقدة ليهتف "قلوبنا عندك يا معلمة قطة، نعلم مصابك ومدى حُزنك" عوجت فمهما مُتهكمه وهفت تطرده "مُصاب؟ قُل عُممةً وانزاحت من فوق قلبي، أولاد الفاجرة ولحقوا بها، يا فرحتي" تطلع إليها الرجال بغير تصديق من أين أنت بذلك الكُره لأحفادها كيف

لم يرق قلبها وهي تعلم ما قد يحدث لهم، صاح عابد مُتقاجأً ب موقفها الشامت "لما كل هدا الكره؟ أليس أبنائي أم نسيت؟" صرخت الجميع مُنتبهأً لها "من أين تعرف أنهم أبنائك وأمهم خائنة؟ يعلم الله من أي رجل جاءت بهم وألحقت نسبهم بنا" ضرب الرجال الكفوف ببعضهم وهالهم القول وهي تعطن نسب أحفادها، تسائلوا بصمت ما بال الكره والغل يتملکها، أنزوت نهى جانبًا تاركة الحبلة للأقوى ليهتف والدها بطبعه الطيب قائلاً "اتقى الله يا معلمة، حازري فصف المحسنات" جلست بهيمنة واضعة ساق فوق الأخرى وصاحت بصوت تملكته الفدرة "نهى؟! أشعلي فحماً بسرعة" التقت بعينها صوب الأوسطي على وصاحت به "وأنت يا سباك الحارة ضع لسانك داخل فمك أو خذ أبنتك بيديك وأرح" تدخل المعلم متولي وقد ضاق صدره من جبروتها ليهتف قائلاً "صلوا على النبي يا جماعة، هيأ بنا دعوا الناس تهدأ" تفرق الجمع سريعاً يخشون لسانها لتخرج نهى بالفحm المشتعل تجز أسنانها وتسب مهنة السباكة واللقب معاً "متى ستغير أسمك يا أبي؟!" سحب متولي على السباك أمامه يهمس له "أصمنت يا علي وإلا طلت أبنتك بلحظة غضب" أخفض رأسه قائلاً وهو يخرج مُرغماً "حسب الله فيمَن ظلم امرأة، كشف الله ستركم" سحبت أنفاس النرجيلة بغيظ أبنها الصامت وقد شمله الذهول لتصبح بصوت سبورث به "فكـر جيداً! ولدان لا يملكان من ملامحك شيء ولا طباعهم مثالك" سـحبت نفس طقطق لـه الفـحم وهـبت منه ناراً زـرقاء وأـكمـلت الدـخـان يـفصـل بـيـنـهـم "يا ولـدي أـسـجـدـ لـهـ شـكـراًـ أـنـ خـاصـكـ منـ العـارـ دونـ حـولـ وـلاـ قـوـةـ" دـفـعت زـوجـتهـ من خـصـرـهاـ تـغـمزـ لـهـ وـحـدـيـثـهاـ مـوـجـهـ لـهـ "هـيـاـ آـنـهـضـ وـأـصـطـحـبـ زـوـجـتـكـ عـلـىـ بـيـنـكـ،ـ لـاـ يـفـعـلـ اللـهـ شـيـءـ سـدـىـ،ـ تـقـبـلـ الـحـقـيـقـةـ الـتـيـ خـفـتـ قـوـلـهـاـ مـنـذـ زـمـنـ" سـحبـتـ نـهـىـ كـمـاـ خـرـوفـ أـوـشـكـ عـلـىـ النـحـرـ وـهـتـقـتـ بـصـوـتـ بـدـاـ نـاعـمـاـ "هـيـاـ يـاـ حـبـ دـعـنـي أـخـفـ عـنـكـ الـأـلـمـ" أـسـتـسـلـمـ بـغـيرـ عـقـلـ وـمـاـ قـلـ يـجـريـ بـهـ مـجـرـىـ السـُّـمـ لـيـهـمـسـ لـلـفـرـاغـ "مـنـ أـنـتـ؟"

* * *

ومن أمّام منزله رمق بابها لا يعلم أُخْبِرُها بما جاءَهُ على لسان أدهم أم عليه الانْتَظَار، تأْفِ حِيرَانٍ وتأخذ قراره بإخبارها بالأخير هم أبنائِها ولا بد أن تعرَف، نظر إلى صغيرته المشغولة بما في يدها وأتجه صوب بيتها يهتف "لِيْنَا أَذْهَبْ إِلَى الْبَيْتِ حَبِيبِتِي" دخل بواطِها الرئيسيَّة ولم يلحظ شرود أبنته التي أتبَعْتُهُ أو تُوْمَاتِيكِيًّا، وبالداخل أُوشِكَتْ على طرد تلك الترثَارَة التي لم تتوقف عن الكلام لحظة تارة تُعدُّ صفاتِها الحسنة وتارة تُعدُّ محاسن الزوج المغدور ولكن ما أدهشَها من تلك الدُّرْيَة تبَاسُطِها، كأنَّها ولدت وتربيت معها! دق باب البيت لتُهُبْ واقفةً ودُرْيَةً تَسْأَلُ بفَضْولٍ لا تعلم له قِبَلاً "هل تنتظرين أحد سلمي" نهضت كما لو البيت بيتُها وتوجهت نحو الباب تفتحه ثوانٍ وكانت تقف أمامه وهو يسألها بغضب "ماذَا تفعَلِين هنا؟" طلت بقامتها الطويلة من خلفها وقالت تستقبله رُغْمًا عنها "تفضل سيد داود" لم يُقابل ترحاَبَها بشيء يُذْكَر غير أشاره لزوجته بالرحيل فائلاً "هيا لِيْنَا بمفردها بالبيت" انتبهت الصغيرة وصاحت من خلفه "أَيْ بَيْت؟ أَنَا ورَائِكَ بَابَا" أغمض عيناه لحظةً وهتف من بين أسنانه وإيهامه يجري فوق حاجبه "هيا دُرْيَة" وبطبعها الحشري هتفت وهي تُفسح مجالاً له وللطفلة "أُعْرَفُكَ سلمي، لِيْنَا أَبْنَتِي" تطلعت إلى الصغيرة التي تقارب عمر سنًا بعين أم ذبحها الفراق لنها تستقبلها بحنان مبتور الأَمْوَمَة "مرحباً بالقمر" تخطَّت لِيْنَا سافي والدها تهتف لمن نزلت بتواضع لمستوى قامتها القصيرة "مرحباً، من أنت؟" قبلت كفها الممدود قائلة "جارِتُكُم" تفرست الطفلة في وجهها والتقت تَشَدُّ بـ بنطال داود قائلة "عِيْنَها كعِيْنِ عمِيْ يوسف، رحْمَهُ اللهُ بَابَا" اندَهَشت سلمي من ملاحظتها ورق قلبها لتهتف بطبعتها المواربة "نَفَضَلِي لِيْنَا" هتفت الصغيرة وعيْنَها تستكشف البيت "وَجْهُكَ مُنْتَقِعٌ مُثْلِ الضَّفْدَعِ، هَلْ كُنْتِ تَبْكِيْنِ؟" جلس الجميع ببَهُوِ الْبَيْتِ العصري داود يرمي دُرْيَة بغضب وسلامي تاهت بعالم الطفلة وقد أفرج عن حناياها المُخْبأ ليهتف داود دون مقدمات وقد أستبد به فعلة زوجته "سَلَمِيْ هَنَاكَ أَخْبَارُ عنْ أَبْنَائِكَ" انتبهت لنبرته العدائِية المُتحفَّزة وابتَلَعَتْ رمْقَها والخوف يغزوها ليعتدل مُشْبَكَ كفيه ببعضِهم ويهتف دون مراعاة الخوف الذي كتم أنفاسها "الصَّبِيَّانَ مَقْبُوسٌ عَلَيْهِمْ بِجَرِيمَةِ قَتْلٍ ومحتجزِين في قسم شرطة مصر القديمة"

أجهزا على الطعام بأكمله تحت عيون أدهم المتفحصة، فهمس بداخله يلعن التفكك الأسري الذي يدفع بأبراء مثالم لتأك لحظات مُظلمة، يعلم بخبرته وما لاقاه من مهنته أن المحن ستقع في نفوسهم وتبقي ذكري سوداء تلطخ بياض عالمهم، ما الذي يدفع أباً لترك أسرته تغرق في ظلام المجتمع؟ أليس قواماً بما يملك وإذا لم يملك فهو قواماً بأبوته، والأم؟ أيعلم حافظ إبراهيم حين نعتها بالمدرسة أنها سوف تُصبح ماخوراً يحوي آفات المجتمع؟ التوى فمه وتنهى مُتهكمًا وعقله يقارن تلقائياً بين أمهات الزمن وأمهات هذا الزمن شتان بين من أفتت عمرها للتربية وبين هؤلاء اللاتي يبددن العمر في هراء الشهوات القاتلة! تتحنح مُندهشاً وهو يُشاهد عامر ينظف مكان مأكلهم بعنابة شديدة ويبحث أخاه على غسل يده ووجهه جيداً ليهتف بملاحظة تعلمها من مهنته "دع عنك كل شيء سوف يأتي من ينظف الطاولة" وبسان كهل وملامح عجوز كسره الزمن أجاب الفتى رغم ملامحه الشابة المنمرة "ولما؟ نحن من أكل ونظافة شعبية من الإيمان بالله ورسوله" تبسم أدهم قائلاً "يبدو أن مدرستك جيدة حتى تعلمك تلك المبادئ المندثرة" هتف عمر وهو يخرج من الحمام الصغير الملحق بالغرفة "ماما من علمتنا لا المدرسة" ارتفع حاجبيه اندهاشاً وهو يواجه تنادى بين سيرة المرأة وانعكاسها بائنائها الذين بدأوا بتتنظيف الغرفة بمهارة وسرعة دلت على إتقانهم للأمر ليهتف بحزن قائلاً "قليل من أمهات هذا الزمن من تعلم أبنائها تلك الأمو" لم يلقى إجابة من أحد هم لكنه لاحظ فخر عمر وتصلب جسد عامر رغم حركته، فطن لموقفهم الراهن وتساءل وهو يهم بمساعدتهم رغمماً عنه ثرى ما كينونة تلك المرأة وكيف أقدمت على فعلتها؟ لما يستشعر تنادى ملحوظ بين الواقع الملقي أمامه وبين ما نقلته السن أهالي الحي، لابد وأنها نقطه الفصل في جدار النفس الذي فرضه العقل! راقب الاثنين عن كسب مُقرر التحرى عن أمرها بطريقة معاكسة خصوصاً وهو يعلم بسيرة والدهم والتي تلمسها بشخصيته الركيكة المستسلمة أثناء وجوده وكأنه يتباطأ في أنقذاه عن قصد، كيف يقف مُسلماً دون جدوى، يبدو انه من هؤلاء الكسالى الذين يوكلون أمرهم لغيرهم، أمسك هاتقه وكتب إلى داود "هناك ما يجب مناقشته"

رن هاتفه بصوت الرسالة لكنه لم يقدر على مُطالعتها، كيف يُهدى تلك الصارخة الباكية التي ما إن سمعت الخبر انهارت كجلود لفظة الجبل بيسِر، كيف استدرجت شفقتُه وقد بات يكرهُها ويكرهُ سيرتها الفدرا، أنتبه إلى تحولها المفاجئ وتوقفها عن البكاء والهَذِيَان لتهتف بصوت صلب ومُتحدياً "أريد الذهاب إليهم الآن" هم بإجابتها لكنه توقف إثر شرودها وتلك الحاله تكسوها نظره عينها الثابتة بتوعُّد وانتقام لتصبح به "هل كنت ستذهب دون أن تُخبرني؟ هل قلبك حجر؟ الولدان في خطر! أنت بني أدم عديم الحُسْن" نهضت بغير راحة تشدق شعرها وتغدو ذهاباً وإياها حتى توقفت صوبه وهتفت بشبه تذلل تترجاها "أرجوك سيد داود ساعدني في ضم أبنائي لي ونجدهم وبعدها لك مُطلق الحرية فيما تُريد الفعل بي" قاطعهم دُرية منتهزه الفُرصة "ماذا تقولين؟ أنتِ بالتأكيد لا تعلمي وصية يوسف له"

"دُرية" صاح بها مُحذراً فهتفت له متسله "أقسم لك لن أطلبك بشيء، فقط أبنيائي وبعدها لن ترى وجهي مُطلقاً" هتفت الصغيرة وكفها يتمشى بحنان على ظهر سلمى "بابا؟ من أجل خاطري أحضر أبنائهما، إنها تبكي" نفخ بغضب، ها هي أسرت أبنته من أول لقاء جمعهم، نهض واقفاً وهز رأسه بالموافقة رافعاً سبابتها بوجهها مُنبهاً "تلك فقط، وبعدها لا تسمعوني ذكرك" هرولت تلبس حذائها الرياضي ولملت شعرها في عقدة خلف رأسها وقالت تتجه صوب باب البيت "لك ما شئت، دعنا نتحرك" تقدمتُه مُسرعة تصيح بـ"دُرية" بلهجة حاسمة "شكراً لزيارتكم ولكن ألازمي تعليمات زوجك ولا تقتربى من رببة سجون مثلِي" خرجت دون أن تعبأ بوجودهم ليدفع دُرية تتقدمه هاماً لها بشر "سمعتي ما؟ هي لحالها فهمت، على البيت من فضلك وحسابنا فيما بعد" جلست جواره بالسيارة تُنصلت لحديثه مع أدهم يسألُه بأي مشفي يقع المجنى عليه ثم ليتبع المُكالمة بأخرى يأمر شهاب بالذهاب إلى أهل الولد يتحسس موقفهم دون الإفصاح عن شيء، سمعها تُنبهه بتوخي الحذر إن وجد أحد من الحرارة أو طليقها، ليعود إليه مُنبهاً أن يتحسس الأمر دون ذكرها،

* * *

ناولته سيجارة يعرفها جيداً وهمست تتحسس قميص نومها "هذه لك، عدل مزاجك يا حُب" التقى السيجارة يرمُّقها باستفسار فقالت وهي تتخذ مكانها لتنلصق بجسده "وَجَدْتُ قطعة حشيش تحت مفرش دُولابك" قُبّلت وجنته وهمست "لِفْفُتها لَك" دفعها عنه وأشعل ما بيده وأسلم نفسه إلى لهيبها الأزرق لتهتف بدلال تعلم أثره "لَا تُنْكِرْ فِيمَا مَضَى يَا عَابِد" تنهد يظفر أول أنفاسه الملوثة "وَأَبْنَائِي؟" رقّ صوتها تُجَيِّد ما تفعل "قَدْرُهُمْ وَلَا حِيلَةُ لَك" تطلع إليها بجانب وجهه وتُبسم قائلًا "جَمِيعُكُمْ تَكْرُهُونَهُمْ" اعتدت صوبه ومالت إليه "بَلْ نَعْشُقُ التَّرَابَ الَّذِي تُخْطِي عَلَيْهِ" تُقْحِصُ هَيَّنَتْها بعين جائعة وهمس يسأل بحيرة "وَالْوَلَدَانْ" خفت صوتها وأسكنت عينها الحذر قائلةً "لَعَلَّهُمْ لَيْسُوا مِنْ صُلْبِكْ" تصلب جسده وصرخ بها "أَبْنَائِي وَالْكُلُّ يَعْلَمْ" تنهدت تناظره بتحدي ثم ابتعدت تدعى التألف من دخان السيجارة تهتف بمكر "لَا يَعْلَمُ صَحَّةُ نَسْبِهِمْ سَوْيَ مِنْ أَنْجَبَتْهُمْ أَمْرُهُ أَفْتَضَحْ" سحب نفس غاضباً وأخرجه بقوة ماثلة صياحةً "كَلَامُكَ كَلَامُ أُمِّي" تقدمت نحوه مجدداً وقد فطنت عصايبه ما هي إلا ادعاء يواري رغبة في التملص من المسئولية الجائمة، الصقت جسدها بجسده بحميمية وهمست بخفوت ساخن "وَهُلْ حُبُّ الْأُمِّ يَحْمُلُ شُبْهَةً؟ حَتَّى سَلَمَى فَعَلَتْ مَا فَعَلَتْ بِدَافِعٍ حُبَّهَا لِأَبْنَائِهَا" تطلع إليها وعينه جرت على مفاتنها قائلًا بتردد "أَخْرَسِي" مالت تكشف عن صدرها وهمست كما الأفعى بسمها "فَكَرْ عَابِد؟! عُمْرُ صُورَةٍ مُطَابِقَةٍ مِنْهَا، شَعْرُهَا وَعِيُونَهَا العَسْلِيَّةُ حَتَّى خَلْجَانُهَا، وَعَامِر؟ رَجُوليُّ رُغْمٌ صَغِيرٌ يَتَكَلَّمُ دُوْمًا وَكَانَهُ هِيَ حَتَّى دَاءُ الْوَسُوْسَةِ نَفْسُ جِينَهَا، عَيْنُهَا بِالْمُطَابِقَةِ، مَلَامِحُهُ لَا تَحْمِلُ شَيْءًا مِنْ مَلَامِحِكَ فَمَا الشَّيْءُ الَّذِي وَرَثُوهُ عَنْكَ؟" احمرت عيناه لا تعلم أثر السيجارة أم من الغيظ حين اقتنع بكلامها، كتمت الجرح بالملح وهي تعطليه بإغراء قائلةً "عِقَابُهَا عَلَى خِيَانتِهِ لَكَ سِجْنُ أَبْنَائِهِ بِيَدِكَ، هَذَا ترُدُّ كِرَامَتِكَ أَمَامَ الْكُلِّ يَا حُب" تجاوب واستجاب لها واخرس ضميره خنوعاً لكلماتها وقد وجدت في نفسه ما ساده على التملص من المسئولية مُقْنِعاً نفسه أن لو كانوا حقاً أبناءه لوضع الله في قلبه نار الأبوة، لكن قلبه دافئ مرتاح الدقات من جانبهم! شدد ضمها مُستعرضاً فحولته يُثبت لنفسه

أنه رجلاً لا يضاهيه أحد وبُخْبُثها صورته أمام عينه العَشَّ أنَّه سيد الرجال
ما خلق قبله ولا بعده،

* * *

وقفت وعينها على الباب الفاصل بينهم جوارها داود الذي قرأ اهتزازها
وأمامها أدهم الذي يتطلع إليها بعين متقصصه بدءاً من شعرها حتى ذلك
الحذاء الرياضي الذي جلبتها لها السيدة دهب، رفعت كفها صوب الباب تسأل
بخوف "بهذه الغُرفة؟" اتسعت ابتسامة أدهم يهز رأسه بنعم صامتة ويهمس
"أهداي أولاً" هتف داود وعقله يتهمها بإيقاع الرجل "أهداي، ها؟ أهداي"
تقدمت إلى الغُرفة بخطوات مُترنحة تدق دقة واحدة، ففتحت الباب ودخلت
إليهم صامتة، عامر جالساً مقابل لها وعمر يبدو ناعسًّا فوق قدميه، هتف
عامر وكأنه يحلم بالجنة "ماما؟"

تقدمت ودموعها تحكي مأساة عاشتها عامرين متواصلين "عامر، عمر"
تقدمت إليهم خائفة ردة فعلهم تزامناً مع اعتدال عمر الذي حك عيناه قائلاً "ليتها
هنا؟ رأيتها حين أغمضت عيني تصنع لي رُفاق بالسكر والحليب" انفلتت
شهقُّها عالياً واقتربت حتى باتت تفصلهم عنها خطوةً واحدة لتهمس رغم
الرفض الساكن بعين عامر، "أأنت بخير" صرخ عمر واثباً بمباغته صارخاً
"أمي، ماما" شهق سألاً ماماً؟ هل أنت حقيقة؟ احتضنته وتنهيدة اشتياق تشوق
قلبها تزلزله وهمست وعينها تُنادي الآخر "اشتقت إليكم" قبلت كل ذرة بوجهه
بينما هو يتشنج بأحضانها باكيًّا يهتف "لتو كنت أحلم بك يا أمي" غلب البكاء
والشهقات كلماتها وأخذت الخطوة الفاصلة حتى أراحته واقفاً دون إفلاته عينها
تتفحصه، همست تلملم شعره التائير "استطال شعرك أكثر من اللازم عمر"
أجاها بكى "عامر يُحدِّرني دوماً من الذهاب للحلاق" أنزلت نظراتها تُعاني
نظارات من يتطلع إليها، تعلمه جيداً دوماً لا يستطيع البدء بمجاهرة مشاعره
ليس كبيراً ولكن طبيعة سنِّه لعل هي ما أصلقت به تلك الصفة حينما كانت تُتباه
كُرْه التلامس، همست ورعدة الخوف تقطع كلماتها "ع! عامر؟"

هز راسه بلا شيء ولكن الدمع بعينيه كان لهم الغلبة في الرد مما جعلها تجلس صغيرها وتجلس الفرقاء أمام كبيرها وبدموع العين والروح تهمس برجاء "أقسم بالله ببني أنا ما فعلت شيء، أقسم لك كانت مكيدة لا أعلم من دبرها" طالعت دموعه التي تسربت من بين رموشه الكثيفة وامتدت يدها المُثلجة ببرية وقد صاحبتها ارتجاجه قوية تمسح دمعاً يذبحها، ارتعش جسده عوضاً عنها وانفلت منه شهقة قوية وهو يُقبل باطنها الذي تلمسه، سحبته بقوه إلى أحضانها تكتم صرختها وتهمس "عامر؟ لا تبكي يا قلبي" أخرط الاثنان في بكاء لم يجربا مثيله وقد جذبته إليها حتى سكن أحضانها أرضاً وصاحت بشبه صراخ مكتوم "قل أنك تصدقني؟ هدى سكرات قلبي ببني" وبعجز فاق عجزها أجاب مقطوع الأنفاس "شمنا الويل واليتم دونك يا أمي" سلخت الكلمات روحها كمن يسلخ جلد الشاة حيه لينهار ثباتها ويسقط قناع القوة المُزيف عنها جلست والاثنين عن يمينها وشمالها تهزي وتلوّماً الدنيا "لما أنا؟ ما ذنب أولادي وذنبي يا الله؟" ضمتهم بصدرها تهتز وترتعش "ماذا فعلوا بكم؟ ضربتم؟ ذقتم الجوع والخوف؟ الرعب واليتم؟ شاهدتم الكوابيس في لياليكم السوداء؟ من كان يدبركم؟ أم كنتم عراة الجسد والروح مثلي" هرول أدهم وخلفه داود نحو الغرفة وقد راقب كلّ منهم الموقف عن كثبٍ ليتقدم إليها الأول يهتف وهو يسحبها من فوق الأرض والمشهد ينکت قلبه "سيدة سلمى؟ تمسكري! أهداي من فضلك" جذبها من الأرض وأسندتها حتى جلست على الأريكة ليتبع بها أبنائهما وقد رقت شفقته بهما ليتحرر إلى المُبرد الصغير يحضر علبة عصير ويتقدّمها قائلاً "أهداي من فضلك، نحن بالأخير في قسم الشرطة سلمى" تطلع للمشهد كاملاً وقد تقابلاً بضعفها، أهذا من كانت تأمره بعناد، وما لها تتعامل ببساطة مع ذلك الأدhem، لا يعلم لما يتمزق بمنظرها رغم يقينه بمنورتها بمهنتها المقيمة، ظفر غاضباً من وكيل النيابة المُتطفل، لما يتدخل في أوقاتها الحميمة مع أبنائهما؟ وعند ذكر الحميمية صاح بالجميع دون داعي "كفى وأهداي! ها؟ أهداي على القليل من أجل أبنائك" انتبهت لصرخته العالية وتفقدت المكان حولها وما زالت تحتضن أبنائهما بحماية وهفت والدموع تُغرق وجهها "ماذا حدث؟ لما تصبح هكذا؟" رمّقها عين متّوسيّة ليُجيب أدhem بابتسامة دافئة "لا شيء حدث، فقط انفعلت قليلاً سلمى" جرى إيهامه على حاجبه ونظراته القاتلة تتقدّم، أهي

تدعي؟ أم هومن يتحين ضعفها؟ أستنكر طريقة تفكيره التي ذهبت به لمكان بعيد ليس له معنى مما جعله يُشير إليهما بسبابته مُحذراً "توفقاً عما تفعلانه فليس له معنى ودعونا نناقش أمر الأولاد إذا أردتِ خروجهم سيدة سلمى" رمق أدهم بنظرة ذات مغزى وقال مُشدداً على الحروف "سيدة سلمى! ها! سيدة، سلمى! لا تنسي" قطع استفسار النظرات بينهم عمر وهو يتقدم سائلاً بأدب يمسح دموعه بكم ملابسه "هل أنت ضابط عمّو؟" هتف عامر به أنفاً وقد تطابق شكله مع شكلها "كفا قرف" هز رأسه بجنونٍ منهما وهمس وهو يتوجه خارجاً "اثنان آخرين مماثلين لها؟ لا، هذا فوق طاقتني!"

* * *

تمسكت بهااتفها وبطاقة التعارف بكفها الحر لا تعلم هل تحدثه أم ماذا تفعل! تُريد وبشدة أن تعلم ما أخر تطورات الموقف مع أبناء اختها ولكنها تخاف كونه محامي الخصم، تعلم أن تفكيرها مَعْوَج لذا تخاف افتعال شيء أو تصدر منها كلمات تُأزم الموقف، اتخذت قرارها وطلبت أحد الأرقام المكتوبة أمامها مقررة إلزام نفسها بالسؤال فقط وعدم الإجابة عن أي أسئلة، جاءها صوته وهو يسأل عن هوية المُتصل لتهتف بصوتٍ مهزوزٍ حذر "مرحباً سيد شهاب، أنا سها؟" هتف بال مقابل وعقله يعمل على التذكر "سها من يا فندم" ترددت بتعريف نفسها فهافت بما جال بخاطرها "كنت أود الاطمئنان على سير القضية" ظفر متهدأً وقال "أي قضية فهم كثُر؟"

"قضية الطفل أيمن، الوالدين عامر وعمر" تذكر هيئتها الباكية مما جعله يهتف مُذكراً "أنتِ خالتهم؟" هتف يتخذ جانباً في رواق المشفى "الصراحة المشكلة تكمن في والدة الصبي، مُتعنته بشكل متطرف؟"

"ألم يواافقوا على الصلح من قبل؟"

"أجل، ولكن المرأة تتخذ موقفاً من والدة الصبيين، تتهمها بالبلطجة والنصب"
"يا ربِي، إلى متى ستحمل ذنوباً ليست لها؟"

"وضحي من فضلك يا سُها؟ أي ذنبٍ تقصدين؟" صاحت تُدافع عنها في سابقة لم تحدث من قبل "منذ صغرها والظلم يلحقها، بدءاً من أبي وتباعاً زواجهما وصولاً للفضيحة التي ألمت بها وها هم الناس يتهموها بالنصب والبلطجة" انتبهت إلى انفعالها فعضت لسانها تمنعه الزلف بما يُدینها تزاماً مع لمحه والد الصبي أيمن ليهتف بهمس وهو يتحرك لموقع أكثر أمناً "أسمعي، دعينا نلتقي ندرس كيف يمكن مساعدتها" هتفت وظنَّ السوء يتملكها "كيف المساعدة وأنتَ محامي الخصم؟"

"أي خصم أنا محامي عينه وكيل النيابة لأولادها" سكتت والظن يتارجح بها حتى عاود هتافه مرة أخرى "سُها، لابد أن أُنهي المكالمة ولكن سوف أعاود الاتصال بك لاحقاً" تركت الهاتف تؤنب نفسها على ما قالت تحاول أن تتنكر بماذا قدم نفسه لها، قال انه محامي الخصم ولم يذكر انه محامي أبناء أختها، انتبهت إلى رنات هاتفها لتجده عاود الاتصال بها ولكنها أمنتنت عن الرد حتى تُلملم أعصابها وترتباً لأفكارها، هم بالاتصال مُجدداً لكنه أنتبه لوصوله القسم فوضع الهاتف في جيبه وتوجه بعد أن صفت سيارته إلى القسم وعينه تفتش عن داود ليخبره بما سمع في المشفى، دقائق حتى لمحه وهو يجلس مع أدهم ومعهم شابة تبدو جميلة لوما كانت فاتنة ليتقدم وعينه تتفحصها ليهتف دون انتباها "مرحباً سيدتي؟" نظرت إليه باستفهامٍ مغزاً من أنت؟ وأدهم مُبتسماً كعادته، رمقه حتى قال مُشيراً إلى المبعد الخاوي "أجلس هنا!" هز رأسه بخوف، لا يعلم من أيقظ الوحش!، جلس يتحدث بصلب الموضوع قائلاً باندفاع "والد أيمن يريد الصلح طالما هناك دية، المشكلة بالأم، تقول سلمى فاجرة ونصابة ولن تسلم من بلط جيتها، فالأمان أن يُسجن أبنائها" هبت واقفة وهتفت بعصبية "أبناء الأبالسة، ومن أين تعرفي لتحكم علي؟" صاح شهاب مُتقاجحاً "هل القمر سلمى المصري؟" فعالجه داود غاضباً "هل جُننت؟! ماذا تقول أنت؟" نظرت إلى داود واتبعها نظرها صوب أدهم تسأل مُتعاضية عن كلمات شهاب التافهة "ماذا؟ لم تُخبروني بأن عابد نقلهم مدرسة بعيدة لم يعرفُهم بها أحد؟ فما تفسير هذا الكلام الفارغ؟"

رد أدهم بمهادنة "كم مرة سوف أنبهك أن تهدئي؟" أفعى داود هاتقاً "أهداً أنت أو لاً" مسحت على وجهها وشردت وكأنها تحل أحجية الأنظار عليها حتى هتفت "اسمعوني من فضلكم" أشار لها داود مُمتعض من طبعها "أجلسي أو لاً" جلست تُسند معصميها إلى ركبتيها في جلسة رجولية وقالت تُشمر أكمام معطفها وقد انحرسَ ليكشفَ عن بنطالها الضيق "سأذهب لمقابلة أهل الولد!" هم داود بمقاطعتها فهتفت برجاء أسكنه لتقول بلطف ظهر عليها لأول مرة "داود؟ لابد أن ترى المرأة تلك البطلجية الفاجرة حتى تقنع ما إن كانت هكذا" بسطت كفها على صدرِها وأكملت "وذلك دوري"

"اقتنعت بوجهة نظرك سلمى" قالها أدهم وهو يرميَّها بإعجاب حتى أولته اهتماماً تُكمل "عظيم، طالما اقتنعتم دعني أسرد الخطبة كما برأسي" حك داود جبينه وتنهى مفكراً فيما اقتربت وب مجرد أنهم بمناقشة الأمر سبقه أدهم بالقول "تلك خطوة ثحسب لكي سلمى، السلطة دوماً تخرس أفواه البشر ومن موقفك سوف تقليبي الحَدث" هزت رأسها موافقة وأرددت "هذا ما أعتمد عليه، مجرد ما أظهر بمظهري الجديد ستقلب الموازين وستشاهدون بأنفسكم إلى أي منقلٍ ينقلبون" هتف شهاب موافقاً "أنا معك" أتبعه أدهم مُقرراً "وأنا من سيرافقك، إن شئت طبعاً" تطلع إليهم بغضب وقال ناهضاً "إذ اتفقتم فلا حاجة لوجودي إذن" هتفت توقفه "كيف؟ دورك هو الأهم داود" تطلع إليها وكلماتها تُلقي في نفسه غروراً مُحبباً "دوري؟ ها؟ أي دور سلمى هانم؟" توترت نظراتها وتفرقت بينهم فشدت من معطفها حولها وهتفت بخفوت حذر "أنت من سيرافقني!" أغمسنت عين واحدة لتشاهده بالأخرى وهي تسمع صيتها "نعم؟" تلجلجت خوفاً من نظراته وهتفت تُشير إلى أدهم "الكل يعرفه فلا يمكن أن يظهر معي، أما أنت؟" تطلع إليها يهز رأسه بماذا؟ حتى عاجلته قائلة "وكيلي! المحامي الخاص بي، ووكيل أعمالِي" اتسعت ابتسامته التي أظهرت وسامته ليُشير على نفسه يتطلع إليها بعصبية قائلاً "إذن جعلتني أعمل لدريك؟ هذا الأمر إذن؟" تقدم إليها قاطعاً الخطوات وأشهر سبابته بوجهها قائلاً "يا لا حُبُّ النساء" تربعت تكتم الضحك على ملامحه وقالت "حسناً سوف اعتبر إهانتك موافقة" أشار صوب باب الغرفة المتواري بها الولدين قائلاً "وابنائك؟

هل ستركتينهم هنا حتى تتحققى انتقامك" هزت رأسها رافضةً وسألت "كم الساعة" رد شهاب وهو يتطلع إليها "السابعةُ والثلث" تركتهم متوجهةً إلى أبنائهما تهتف " علينا التحرك حالاً يا داود" لم تترك له رداً وقد اختفت خلف الباب ليهتف أدهم مُبتسماً في وجه الآخر يقول "متحمس لأراها تنتقم" رقمه بنظرات مُبهمة وسائل بتعجب "بماذا كنت تُريد أن تحدث أدهم؟" أشار بالانتظار وهو يلقطُ هاتفه من جيب حُلته قائلًا "لحظة" أبتسم وهو ينزوبي جانباً وأردد "مرحباً حياتي، لا مازال أمامي عمل، يبدو أنني سأعود متأخراً" اغلق الهاتف قائلًا "خطيبتي؟" تنهد داود والأفكار تناوشه بنوايا الرجل، يعلم رجال الشرطة وغرورهم والأخرى لا تضع مع الغرباء حدّ فاصلاً، أغمض عينه وتآلف هاماً "سافلة" احتضنتم بقوه وابتعدت بلطف قائلة "استعدوا، إن شاء الله سوف أخرجكم الليلة، ولكن!" قبلت كلّاً منهم وأكملت تسأل "هل لديكم مانع من العيش معى؟!" هتف عمر بتمني "أرجوكِ ماما خذينا معك" تطلعت إلى عامر الصامت وهزت رأسها تحثه على الرد ليسأل بتحفظ "أين سنسكن؟ وكيف سوف تُدبرين الأمر؟" احتضنته وقبلت وجنته تهتف "سلم لي خير الرجال، هناك الكثيرُ والكثير لابد أن أقصه لكم ولكن أولاً سأذهب لأسوى أمر خروجكم" تطلعت لنظراتِهم السائلة فقالت فرحة "اتفقنا؟" هزَ الاثنان رأسهم بالموافقة لتهتف وهي تتركهم "انتبهوا على حالكم، لن أتأخر"

* * *

هفت عليها ما إن رأتها تدخل من باب البيت مسرعة "تعالي يا زوجة أبني" تفحصت نهى جلستها فوق الأريكة و هنفت تتحين لها "نعم يا ستر الكل، أراكى تصغرين بالعمر يا معلمة قطة! ما شاء الله من يراك لا يظن أنك حدة"

استعرضت جسدها البدين كما وإنها رشيقه صغيرة السن وخمسة بوجهاها بغرور طبعها وهتفت "معلوم، فقد تزوجت أنا ابنة الائتمي عشر عاماً" لوت نهى فمها يمين ويسار وهتفت ثنتي عليها "أعلم، أعلم، أمي قالت إن بنات المنطقة كانوا يغارون مناكِ، وكنتِ أجملهم" فقهته منتشرة وهتفت "دعك من الكلام وأخبريني، أين زوجك؟" أشارت بلا شيء ثم ردت "ذهب يعمل على سيارته" لوحظ لها قائلة "إذن واسمعي" انتهيت بكل حواسيها واقتربت جوارها جالسة بحزن "لابد أن نُكمِّل خطتنا"

"وهل بقي شيء لم نفعله" قلبت عينها وصاحت "أفهمي يا غبية! سلمى حكم عليها بثلاث سنوات كاملة قضت منهم اثنان أو ثلاثة وسنة السجن تسعة أشهر "اذن؟"

"إذن ماذا؟" قالتها نهى تهزّ رأسها بجهل، فصاحت قطة تضرّب جانب رأسها "افتخي ذلك المغلق، ستة وثلاثون شهر قضت منهم أكثر من ثمانى عشر إذن بقى القليل ونجدها أمامنا نطالب بأبنائهما" ربعت قدميها وقالت غير مُبالية "تظهر! حينها سوف ترکض خلف أبنائهما ثم إن حسبيك خاطئة سلمى أخذت سبع سنوات لا ثلاثة" تنهدت وصاحت بها "يا غبية نحن لم نضمن مصير الولدين فلا بد أن نعمل على تشويه سمعتها بين أهل الحرارة حتى ما إن ظهرت قابلوها بالطرب والعار، ماذا سيحدث لو خرجت بعفو صحي أو خرجت بعفو رئيسي" شردت بعيداً في تلك المعضلة حتى سألت "ما زالت تحمل الفضيحة فوق أكتافها فماذا سنفعل أكثر؟" تبسمت قطة بمكر وهفت "لابد أن يعلم الجميع أن الولدين ليسوا من صلب عايد، كي لا تصمم أفواه الخلق"

"وهل سيصدق أهل الحرارة ذلك كلام؟ وأبنك؟ كيف يقيم هامته أمام الجميع؟" رفعت حاجباً موسوم بعنابة وهتفت وهي تدعوها للاقتراب أكثر "اسمعي ما سوف نفعله وبعدها أحكمي" همسَت إليها بخطتها كاملةً حتى قالت "وبهذا سوف يُصبح ولدي ضحية تستحق الشفقة والمؤازرة" صاحت نهي بعين

جاحظة " معلمة قطة؟" هتفت قطة غاضبة "لا تقولي لم تفهمي؟" رمّقتها بذات الجحوظ وأشارت خلفها قائلة "بلا، لكن إبليس خلفك يبكي تفوقك عليه" قهقهت قطة بكل صوتها وضربت كتفها تهتف "تلמידي وأنا المعلمة"

* * *

"داود" قالتها متزددة وهي تجلس بالمقعد المجاور له بالسيارة، كمّهم يقود بانتباه "نعم" ران الصمت بينهم حتى عاودت قولها "داود" استشعر أنها تريد طلباً من مطالبها التي بدأت ولن تنتهي ليهتف مره أخرى "قلت نعم؟" تطلع إليها بطرف عينه حتى عاد ينظر الطريق أمامه قائلاً "تكلمي أو أصمتني دون نداء داود، داود" تحتحت وأصابعها تتلاعب بعضها "كُنت أريد شراء ملابس غير هذه" تلعلت صوّبها تستكشف وقع طلبها لتهمس بخجل "إذا سمحت" هز رأسه موافقاً وهمس "تمام" هتفت ثُبرر له "لابد أن أقابل المرأة بمظهر رسمي بحث" انحرف عن مسار الطريق مقرراً أحذها لشراء ما ترغبه ناقم على ما يفعله، بات الأمر له إرغام مُقتن بالأدب ويبدو أنه يتازل صاغراً وذلك أمر يراه منكراً، بحياته لم يذهب مع إداهن لشراء شيء حتى زوجته، توقف عن فعلها منذ أن أصابه الأمر قدّيماً بالملل، هل بات خادماً عوضاً عن كونه محاميًّا ذو صيت وسمعة، والمُشين أنه يصطحب ملوثة سافلة، توقف أمام أحد المولات التجارية المشهورة وصف سيارته يدعوها غاضباً "تفضلي" هم بغلق باب السيارة ليتوقف يميل إلى جلستها يسأل مُستفهمًا "الآن تنزل؟" وضع سبابتها بين شفاهها تقرضها بخجل وتلعلت له بنظرات أدهشته، فتسائل بعجب كيف تحول بلحظة كما هرّة ناعمة بيضاء اللون، أغمض عيناه يأساً مما يخلج عقله وهتف وإيهامه يجري على حاجبه "سلمي؟ تفضلي"

"داود" قالتها بخفوت، ليرد بعينه المغمضة "أنحرق داود وأنت معه! نعم" تحتحت بخجل وقالت سريعاً "أنا!، أنا لا أملك نقوداً" أنهت جملتها بصوت باكي ليتعجب، أتملك عزة نفس؟ أغلق باب السيارة بعنف وأتلف نحو بابها يفتحه وهو يُغمغم "تخجل من طلب المال! كيف؟ أليس أساس مهنتها الفاجر؟"

فتح بابها يدعوها بقلة صبر وجفاء قائلًا "هيا، دعينا ننتهي الوقت ينفذ" رمقته وقد ثبّتتْ مكانها ليصرخ وهو يسحبها بعنف "سوف أخصم كل قرش من أرثك هل ظننتِ أنني سأصرف عليك"

ارتاحت وأخذت تتفحص المحال وسرىعاً ما استقرت على زياً ما فتركته مع هاتفي لخروج ترتدي حلة رسمية رمادية اللون أسللت فوق حداء ذو كعب عالي رنان، تطلعت للمرأة التي صادفتها والتقت نصف التفافة تُتم على مظهرها حتى هتفت وهي تتقدم بخطوات رشيقه ذات صخب "انتهيت، هيا بنا" أرتفع حاجبيه وهو ينهض وعينه معلقة بها وهتف ومازال يتفحصها "انتهيت بسرعة؟" تحركت بعجل قائلة " مجرد زي لا يستحق إهدار الوقت" هز راسه موافقاً ليدعوها للرحيل وعينه تتطلع لها بقرف إثر فتحة البلوزة التي استقرت تحت الحلة وقد كشفت جزءاً من صدرها ليهمس وهو يتقدمها سافلة" همست تتبعه "هل جلبت الرجال" أغمض عينه وكلماتها تذهب به إلى سوء الظن "سافلة" وصلا السيارة ليهتف وهو يُديرها "بالانتظار عند باب المَشْفَى" رُجت المشفى إثر الحركة المفاجئة وتطلعت العيون لصاحبة دقات الكعب العالي وذلك الرجل صاحب المعطف الطويل ذو الملامح المُغلقة، أفسح الرجال مفتولي العضلات المجال لهم، تقدمت بهالتها المُجحفة تُناظر التي رمقتها وزوجها بعيناً متسعاًن وفم مُدلي لتهتف بهم بثبات وثقة "سلمي المصري، والدة عامر وعمر" ابتسمت نصف ابتسامة لم تصل عينها وهتفت مجدداً "جئتُ تُنهي المسألة"

* * *

صف سيارته في ركن آمن ليمر من أمام مقهى المعلم متولي شارد الذهن غير منتبه إلى السلام المُلقي عليه ليتبادل شحاته النظر مع متولي قائلًا "ما باله اليوم" همس متولي ومازال يتفقد بنظراته "حزين على أبنائه" مط شحاته شفتيه وبادله الهمس "من الحزين؟ أنه غير مُبالي يا معلم، لابد في الأمر سر" تنهى متولي يائساً وشحاته يصبح بقوه "ما بك يا عابد وكأن أحدهم ضرب رأسك" انتبه عابد لأسمه غير عابي بما قل ليهتف وهو يتقدم إليهم مُلقي سلاماً فاتراً، دق شحاته على ملامحه وأفرج عن ابتسامة لئيمة كشفت عن اصفرار أسنانه وهتف "بيدو المزاج عليالي اليوم، عينك وكأنما تلونت بالدم" تقدم عابد يسحب مقعداً ليتسلم ويهز رأسه بلا معنى وهتف مُستغرباً "رأسي بغير مكانه يا عم شحاته، سوف أجن" ضحك شحاته وتقبس المعلم متولي بامتعاض ليهتف الأول هازئاً "منذ متى! أنت معتاد على شرب ذلك الزفت منذ زمن"

"ليتنى ما شربته حتى لا أشاهد الخيالات يا عم شحاته" تطلع شحاته صوب متولي عيناً تستقر بصمت ليهمس بملؤم "هل الصدمة أطاحت بعقله؟ ولما مُصفر الوجه وكأنه شاهد الجن؟" أخذ يحرك الحصى بين قدميه شارد الذهن يتساءل أهي حقاً أم أخرى تُشبهها، رغم نحولها وهيئتها الجديدة تعرف عليها، ليت أقدامه ما وطأت ذلك الحي المخمرلي، اليوم تمثلت أمام عيناه المُخردة ليلعن الظلام الذي حال بينه وبينها، ما زالت جميلة وازدادت جمالاً بتلك الهيبة الفخمة! انتبه إلى فرقعة أصابع العم شحاته أمام وجهه "أين شردت يا جدع" نهض تاركهم دون رد ومازال عقله زاهلاً، تائهاً الحيرة تُترجمه أهي أم شبيهة لها، ماذا ستفعل حين تعلم ما صار لأبنائهما؟ تنهى بيأس وتهدل أكتافه ليجلس بعيوبات السُّلْمُ مُفكراً، هل كانت خائنة؟! أجاب بصدق سبق العقل محل، الخيانة لا تخطر ببالها، تذكر يوم ميلاد عامر وهو يطير بأجنحة السعادة ما إن طل بوجهه، فكيف اليوم يتصل منه ومن عمر؟! ضغط جانبي رأسه بقوه، يعلم ما توسر له نفسه، الم يقر بعد سجنها برغبته للتتصل من المسؤولية للدرجة التي جعلته يتمنى موتهم! عليه يترك تلك الحرارة وسكنها، متى سيضحك الحظ له ويصبح من ذوات الهيبة الطاغية؟ تحسس ملابسه

وأستعرض طوله الفارع، وسامته التي طمستها الحرارة، يجب أن يجعل من نفسه شيء ذو قيمة، سينفذ الفكرة التي استحوذت عليه، قد ذال أكبر هم وعيًا في حياته "أولاده" نهض إلى شقته وعقله يُخمر الفكرة المجنونة، ولوح باب البيت ليجدها جالسة أمام التلفاز فرمقها بمليء عينه وهمس "سوف تسعد بنت السباك بما أفك" تقدم إليها يخلع قميصه ويهتف "نهي؟ دعينا نغير حياتنا للأفضل" جمعت ما بين عينها في محاولة لفأك شفرات كلماته ليجلس جوارها قائلًا "لدي فكرة تجعلنا أثرياء بلحظة" التمعت عينها بالطمع واعتدلت صوبه تهتف "معك حتى جهنم"

* * *

تطلعت إليهم بقوة وتحركت تسحب مقعدًا ولم تنسى أن تمسح سطحه بمحرمه ورقية قبل أن تجلس أمامهم، مالت إليه تهمس "داود؟ كُن معي كلمة بكلمة" أماء برأسه موافقًا لتجلس وقدمها فوق الأخرى تهتف بثبات لا تعلم كُنته "طلباتكم" ردت أم أيمن بغل بلغ عينها "رقبة أبنائك البلطجية" ابتلعت رمقها بخوف لم يصل لعينيها وهزت رأسها موافقة لتشعل سيجارتها قائلة وعينها بعين من أمامها "أولاً، أبنيائي ليسوا بلطجية، ثانياً، أبنك من بدأ وسارفع عليكم دعوى سب وقدف وأحضر شهودًا بالعدد الذي تُجذبين عده" نفضت رماد السيجارة ومازالت تحبس عين المرأة بعينها لتميل إليها قائلة "القانون بحراً غادر فالقرار لك، نفرق معًا أو ننجو معًا" رجفت عين المرأة وتطلعت لها تسأل "أي نوع من الأمهات أنت؟"

"أسمعي، أنا أمرأة تحملت الظلم لأجل أبنيائي، أكلت النار ولم أصرخ، أحرق العالم ولا يطال عين أبنيائي دمعة"

"تهدينا إذن!"

"توء" قالتها باسمة وأكملت "فقط أشرح لك، أتعلمين؟ لا شيء سيرجعني خطوة واحدة" القت سيجارتها تدعُسها بمقدمة حذائهما وأكملت بثبات "ماذا لو خرجت وأخبرت الجميع بأنك مُرتшибية؟" رمقتها المرأة بخوف وهمت بسبها

فقطعها مُبتسمة وأكملت "ثم ظهرت براءتك، أي سمعة ستبقى لك؟ علمًا بسمو شرفك" اتسعت بسمتها المستفرزة تحت نظرات المرأة الهاדרة وأردفت "هذا المجتمع يعلم براءتك لكن الناس تظلم، مجرد كلمات جعلتني قاضي في محاكمة ظالمة" تلعلت المرأة لزوجها المذهول تسأله المشورة بصمت تُقر بجبروتها وعزّمها دون إبداء رد، وبدورها قذفت سيجارتها الثانية ومالت تُلقي إليهم عرضها السخي "حسناً، أبناك سينقل لأكبر مشفى وأنا بنفسي سأشرف على تمربيته، وعربون الصلح مليون جنيه عداً ونقداً" ارتفع حاجبي الآلام وألم بصدمة لطرق الحديد وهو ساخن قائلة "معكم خمس دقائق على الرد" نهضت تنظر إلى داود المرافق لها تسأله ليسحبها من معصمها جانبًا ومازالت تُذهله "ماذا فعلت؟" أفرجت عن خوفها أمام عينه وهمست "هل وُفقت؟" أشار نحوهم وهم يتشارون وهمس و هاتف بخفوت "تلعلي بنفسك" انتبهت لهناف المرأة الذي كشف موافقتها وهي تسألهما "ما الضمان بأنك لن تؤذني أبني؟" تقدمت إليها ولان وجهها لتهتف بصدق "يا أم أيمن بالأخير أنا أم" رمقتها المرأة بمكر فالتققطت نواياها قائلة "أجل سُجنت! لكن الله يعلم كم ظلمت" قاطع حديثهم خروج كبير الأطباء يتقدم إليها قائلًا "سلمي؟!" تبسمت لتتقدم مُرحبة "دكتور فاد رشدي، لقائك من حسن حظي" أمسك كفها وهتف "وصلني أخبارك وحزنتُ مما سمعت" انخفضت عيناهما بصمت ليهتف الطبيب يدعوها للبدء من جديد ومحذرها من تتبع الماضي، كما عرض عليها الانضمام لقادر التمريض بالمشفى الاستثماري تبعه فمنذ غيابها لم يعوض مهارتها أحد، أهدته وعداً بالتفكير والتفت لأم أيمن تهمس بمحبه "يعلم الله نواياي وبيني وبينك الأيام تبرهن لكي من سلمي المصري" تخطت الثالثة فجرًا وها هي تجلس وداود يعمل فقد أبرم اتفاقاً بقسم الشرطة وأنهى أمر الشجار وكأنه لم يكن، ساعدته أدهم بأنهاء إجراءات الصلح والأفراج عن عامر وعمر في سابقه لم يفعلها من قبل، كما ألمت أم أيمن ووالده بعدم ذكر شيء مما حدث على أن يدعوا الجهل بمصير الولدين أنهم لن يتنازلوا مهما حدث

وقفت بالباب الخارجي لمنزلها وأبنائها يُطالعانه بعيون مُنبهرة لتشمع صوته الرخيم يشق سكون الفجر " فعلت ما علي! لا أريد بعد اليوم روبيئة وجهك مجددًا" همت بالاعتراض لكنه قاطعها "أسبوعاً واحد ترتاحين أنت وأنا أتم

أستلام ميراثك ثم نصف الخطة الباقيَة، ولذلك الموعد سيتعامل شهاب نيابة عنِي" تركها وقد رمَّقَها بتحذير وأتجه لمنزله لتهُف تتوسط ابنائِها "هيا، هيا لدينا الكثيرُ والكثيرُ كي أقصُهُ عليكم"

* * *

دخلت من باب الشقة تتطلع إلى العُمال المنتشرون كخلية نحل تتساءل بصمت ماذا يفعل؟، أسبوع مضى بحالٍ لا يُفسِر، أفرغ غُرفَة ابنائه و باع متاعهم حتى ملابسُهم القى بها في الفُمامَة ورفض وهبها لاحِد، ويجهز الغُرفَة ويدهن حائطَها، وما هذا المقدَع غريب الشكل؟، دارت عينها بالغرفة تتفقد كم الإضاءة الساطعة كما أستوديو السينما، هتفت بصوتها الجهور "عابد؟ يا عاَبد" خرج إليها من الغرفة المُقابلة يرد ندائها بحماسية تكسوه "نعم يا سِت الحباب" تفرست بوجهه وسألت "ماذا تفعل؟"

"مفاجئة"

"تكلم لا تُثير غضبي" قهقهه واخذَ يُدْعَدِعُ خصرها "الصبر قليلاً يا قطة" قهقهت بالمثل وراقت حجابها "تعلم أني لا أتأثر بالدغدة" أحجم عن ذكر أسبابه وهتف يتوجه للغرفة "يومان فقط وسوف أشرح لكِ الأمر برُمته" دارت عينها بالشقة مُستغربة وهمست لحالها مُتخوفة "هل نسي ابنائه؟" أنقبض قلبها بشدة وتحركت تهمس بما يؤرق جانب الحق ببنفسها "يا ويلي من طبعك يا بن بطني"

* * *

أسبوع وهي ترافقه عن كثب وقد سلمَها أرثها كامل ليتمتع عن متابعتها والحديث إليها، شهاب من يتبع أمورها، تنهدت بغضب، كيف يترك المال هكذا؟ وماذا ستفعل بكل تلك الثروة، لو أكلت النقود عوضاً عن الطعام والشراب لن تنتهي ولن تُفْنى! "ماذا أفعل؟" صاحت بها عاجزة عن التواصل معها، لابد أن تجد ثغرة تولج منها، ولكن ما هي؟ دارت حول نفسها بيدها البيت وبيدها هاتفها لا تعلم كيف تبدأ، تطاعت لساعة الهاتف لتجدها الثانية عشر ظهراً فتحركت مقررة زيارتها تطمئن عليها، ستقترب برغم تحذير زوجها وبعدها ستُفكِّر في الخطوة القادمة، التقطت مفتاح البيت ورفعت الهاتف تتفقد مكانه قائلة "أين أنت داود؟" هتف عبر الأثير وقد بدا عليه الانشغال التام "بالعمل درية"

"حسناً أردت الاطمئنان عليك" أغلق الهاتف غير مهم بمهم بسؤالها يكفيه انها لم تطلب شيء، هتف في الجالس بحضرته "أين توقفنا قاسم بييك" تبسم الرجل وسحب نفساً من سيجاره الفاخر على مهل وهتف بجدية شديدة قائلاً "اثنان مليون جنيه وتخسر قضية دهب الإخشيدى!" لم تتغير ملامحه الجامدة فكيف يتجرأ هذا الرجل ليعرض عليه هذا العرض السيدة دهب الإخشيدى ملكة الذهب في القطر العربي بأكمله وهو مستشارها القانوني ومكتبه المسؤول عن ابرام صفقاتها، لو يعلم أن بها شبة أو شائبة لأدخلها السجن بنفسه ولكن هكذا حال رجال الأعمال في البلد، القوي يزداد قوة ولا مكان لغيره، دبروا لها مكيدة بسبب منجم الذهب الذي اكتشفه في قطعة أرض ورثتها عن زوجها وما أن ذاع الخبر بعثوا من أشتري من محلاتها الذهب ليقلدوه بالنحاس والإبلاغ عنها لتتصبح رهينة خمسون محضر محرراً، وبمهارته وخبطه استطاع الوصول لصانعي القطع ومورديها ليبتَ أَنَّ القطع ذهب مئة بالمائة وأن كل قطعة لم يُصنع منها سوى واحدة فقط، رفع عيناه وهتف وهو يُشعَّل سيجارة نادراً ما يلجاً لها " وهل يُرضيك بيع ضميري باثنان مليون فقط؟"

استبشر قاسم الوكيل وهتف "خمسة مليون يا متر" بادلة الابتسام يهز رأسه موافقاً وقال "أنتظر ردي بالقرب العاجل"

نهض قاسم يتصفح كفه بحرارة قائلاً "أذن المبلغ سيحول لحسابك يوم النطق بالحكم" خرج مغادراً ليرفع داود سماعة الهاتف الداخلي قائلاً "شهاب؟ آمن كل

ما تمتلكه السيدة دهب الإخشيدى جيداً وأبلغ شركة الحراسة الخاصة أن تشدد تأمينها يوم جلسة النطق بالحكم" هتف شهاب "تم الأمر يا باشا؟" هتف مجدداً "أبلغ شركة الأمن يستعدوا في غضون يوم لإتمام باقى الاتفاق الخاص بسلمي المصري، دعنا نغلق صفحتها للأبد" انتبه للعمل مجاهداً مع عقله الذي يتبع أخبارها، آخر ما يريده أن يسمع اسمها أو يخطُر بباله طيفها، همس متحفزاً "يكفي إلى هنا تحملت فوق طاقتى" أخرط بالعمل غافلاً عن ذكرها مُقتنعاً بأنها تفرض حضورها ليس لشيء سوى سفالتها وجرأتها في التعامل مع كل شيء، رغم أنه دائم الإعجاب بالمرأة ذات الشخصية القوية إلا أن هذه حطمت الإعجاب ليتبديل لشيء يعجز عن تسميتها، تقلب له موازين الحياة بتقدّمها المسؤولية التي صبغتها بالجبروت لتصبح غريبة الأطوار! ألقى القلم بعصبية أردته أرضاً يسبها ويسب نفسه التي تتفلسف بعالمها مقرر إتمام خطتها ليتنى له الذهاب بإجازة مع صغيرته وذرية،

ذرية؟ وفقت بباب منزلها هتف لصاحب الشعر الناعم الواصل حتى أول كتفه "مؤكِّد أنت عمر؟" تفاصها مُنبهر من جمالها وهتف "وأنت باربى" قهقهت تداعب شعره وسألت "أين مامي سلمى" ظهرت تضع كفها على كتفه هتف بإشراق جديد عليها "مرحباً ذُرية تقضي" طالت جلستهم النسائية مما اسعد ذرية وأشار قلق الأخرى فأخر ما ترجوه احتمام أمرها مع داود، تعلم تحفظه وقد التمست سابقاً صراحة رفضه لأي علاقة تجمعها مع زوجته، لذا هتفت بحزن لمن أمّامها "ذرية؟ سامحيني وتفهمي موقفى، لكنى أخاف المشاكل مع زوجك، كلانا يعلم رفضه لأى صدقة تجمعنا" ابتسمت تتناول فنجال القهوة من فوق الطاولة وقالت بهدوء وثقة "لك العذر فانت لا تعلمين داود جيداً، هو جامد الوجه لكنه يملك قلباً من ذهب" تأفت داخلها، تعلم أنها تُدافع بيقين مما تملك لذا هتفت "يا ذرية! أعلم بيقيناً انه يكرهني"

"يكرهك؟" تبسمت بثقة وأردفت بيقين كاذب "لا تقوليهما، داود فقط يجهل التعبير عن مشاعره" انكمش حاجبيها يستجديان تفسيراً منطقياً لتهتف ذرية مؤكدة لها "داود أحن رجل تلقىه بحياته" وضعـت فنجـال القـهـوة بعدـ أنـ أـنهـتـهـ وـاعـدـلـتـ تـدـلوـ بـدـلـوـهـاـ "ـهـلـ تـسمـحـيـ لـيـ بـالـتـحدـثـ بـصـدـقـ دونـ تـحـسـسـ" لـانـتـ مـلامـهاـ وـهـتفـتـ

"أرجوكِ" اعترفت وأولتها انتباها وبدأت تشرح لها مُستندة بما أفضت به وفضفاضة، فبمجرد أن قصت سلمى حكايتها كاملة تفهمت درية موقفها والتمسك لها الحُجج بمهارة تتقنها جيداً لشرح موقف زوجها فكيف لمن لا يعلم بالظلم الذي تكبّته أن يُقابل فضيحتها بصدر رجب، بالأخير تقصى عن حكايتها وكما جرت عادات مجتمعنا الظالمة تزين الإشاعات بالثرثارات القاتلة حتى تتفاقم الشائعة لتصبح سيرة مُزينة بالأكاذيب، الكذب شاباً فتياً يلبس ثوب الحقيقة الخادعة زهق كهولة الحق بقوته، وهو محامي وبطبيعة مهنته تظل الأدلة ما يقره الشهود وتفرضه المستندات والبراهين ولو كانت خادعة، ليس منا من يُفند حديث الناس بعين العقل والحق جمعينا ندين ونُلقى فوق النار الحطب، أو همتها بأن داود نفسه من ترك باب الوصال بينهم موارباً ووضع درية كصديق بينهم ليهدا ضميراً ولا يشعرُ بأنه غفل عن وصية صديقه، داود أمر برعايتها وتلبية طلباتها! اقتنعت البلهاء بما سمعت لترك قناع القوة الذي تزيّنت به وتكشف عن طيبة عقلها وظاهر دواخلها مُقرة بأن له كامل الحق بموقفه فمن الذي يسمع بفجر امرأةً ويدافع عن براءتها!

نهضت درية تتطلع ل ساعتها تُعدّها بلقاء غالياً ليذهبوا للتسوق وشراء كل ما يلزم أبنائها، أغلفت الباب خلفها تتحمّد وجودها وتترجم سيرة عمها الذي أوّصاهم بها فلولا وصيته ما اهتمت لصادقتها، صاحت تُنادي أبنائها وتنتفّقدهم، بالأمس أحقّتهم بتلك المدرسة الدولية الموجودة بالمجمع السكني بمساعدة شهاب الذي رافقها طوال الأسبوع المنصرم بجانب توصيات أدهم التي سهلت إجراءات كثيرة، أسبوعاً واحداً وتبدل حالهم وبدأت نفسيتهم بتقريع ما بها من سقم، كما أسعدتها حال عامر الذي بدوره أmeterها بالأسئلة حتى هدأت نفسيته رغم ما ظل به من وسوسه،

اليوم ستذهب لتشترى لهم بذلك النادي الرياضي الضخم وتلتحق كلاً منهم بـلعبة رياضية تناسبه، عمر تمنى لعب كرة القدم وعامر أفضى بطلبه تعلم السباحة والاشتراك بصالحة ألعاب رياضية، دخلت مطبخها الواسع تستعد لتجهيز الغداء ليتقدم إليها عامر يسأل "من تلك السيدة التي رحلت؟ ثرثارة لأبعد مدى" "ولد"

"تمسكت بجانبي وجهه وقبلته وهي تُجاوبه "جارتنا، زوجة السيد داود الراري"
تطلعت إليه تسأل "ماذا تأكلون اليوم؟"

"أي شيء"

"إذن قل شيء"

"ماما؟"

"نعم"

"لما تخلى عنا بابا؟" توقفت يداها عن الحركة وهو يُداهمها بسؤاله، لا تنكر شدة كُرهها التي زادت لوالدهم حينما علمت تفاصيل زواجه بصديقها، لم تخيل أنها تتحين مكانها بل باتت تميل لتصديق السيدة دهب، تطلعت للذي يفترسها بعينه الذهبية الفاتحة ولا تعلم بما تُحببه، أُبلغة عن حقاره والده وتكسر هالة الأب داخله، أم تكذب بالحق وتخدعه حتى ما إن وعي لامها، لم تلمس شعرها بعقدة خلف رأسها وهتفت تتحرك بين دُلف مطبخها "لم يتخلى عنكم عامر فقط ضيق يده وعدم امتلاكه ما يسعفكم كبله" هتف بضرج "أ معقول نسي أبنائة، لم يسأل ماذا أصابنا؟" اضطربت وسكنت تُفكّر حتى قالت "لكل منا ظروفهبني"

"ماما؟" هتف بها مُغاضباً وأكمل بصوت صادق "لابد أن تعني نُضج عقلي
بالكامل وللأمانة لا أجد له مُبرراً"

"أسمعني إذن" تقدمت وزيت وجهها بإصرار لا يقبل التفاوض لتهتف بفتح حرف خافت "أنا أخفيت خروجكم من تلك الورطة ليس لشيء سوى أناانية الأمة، فلن ولم أسمح لأحد أن يأخذكم مني هذا أولاً، ثانياً مُحال أرجع بكم للوراء خطوة واحدة لتكونوا لقمة سائعة في فم قطة ونهى! كفاكم حملاً للهم بُني" تنهدت وأسكنت عينها بعينه وقالت بقوه "وبما أن لديك عقل فماذا لو كان الأمر خلاف بيننا عليكم؟ ثم ألا يكفيك وجودي عامر أنا أصلى الله شكرأ على وجودكم معي بُني، دَعْه وشأنه وإن أردت زيارته لن يمنعك أحد" طالعها بفخر ممزوج بالحيرة ليرضخ لعينها التي أقسمت على كل حرف ولم ينكر بقراره نفسه ارتياحه لما سمع وما سمعه وهي تروي تفاصيل ما حدث على تلك الجارة الترثارة زوجة

المحامي المغدور، كلما تخيل طوال الأسبوع الماضي أمكنية الرجوع يتتابه الاشمئاز والقرف للدرجة التي تجعله يُحك جلدُه حتى يجرحه، يأنف تلك الحارة كما يشمنزُ من زوجة أبيه نهي دوماً ما كانت تتتابه نوبات استفراغ متكررة، تطلع إلى عودتها لما تصنع من طعام ليغمض عيناه ورائحة الدجاج تلمس النار تفتح شهيته، هنئاً له بالنظافة ونعم الفراش المُعطّر برائحة النعناع المنعش عادة لم تسلاها رغم ما لاقته من قذارة الأيام فإن كان والده نساء أو تتصل منه فمرحباً بذلك النسيان منذ متى وكان أبوه متذمراً؟ هتف وعينه تتتابع ما تفعل مُختلفاً الكثير والكثير من الحوار بينهم "أخاف أن يتصرف عمر بغير لباقه في المدرسة الجديدة ماما" صاح من خلفه عمر يتمسك باللوح الإلكتروني الذي أهداه له أدهم تخلٍ عن مقتنياتك أو لا ثم تحدث عني بعدها يا بيك" رقمه مُحدراً في التمادي لتخدم النار تحت الطعام وتتوجه لهم وعينها تستكشف شجارهم، هتفت ترمقهم بشر "هاتوا ما عندكم" صاح عمر غاضباً "يتهمني دوماً بطول لسانى!" صاح عامر به "يا بنى أدم أخاف أن تتفوه بسبه جاره رغم عنك" رقمه عمر بغيط وصرخ بوجه احمر غاضباً "وأنا أخاف أن تتعرض للحبس مُجدداً من تلك التي تُنسها بأغراضك" هتفت متوجسة من خلف سور المطبخ "ما الأمر؟" تبادل الإثنان النظرات المتوعدة ليهتف عمر وهو يرمي أخاه نادماً "أبنك يُخبي مطواة معه"

"ماذا؟" صرخت بها ليتابع عمر "ولا يخرج دونها" تركت المطبخ متوجة صوبهم كالرصاصة الطائشة ثمّسك بكفه تسأل بخوف خوض جسدها "هل حقاً ما سمعت؟" تلجلج وانزل أنظاره أرضاً ثم أغمض عينه وهمس بخزي "أجل" شهقت تضرب صدرها "لما حبيبي ما الهدف؟" همس بذات الخزي "حماية لا أكثر، حتى لا يتعرض أحدهم لهذا الجرز الأزرع" أنهى كلماته يُشير للواقف أمامه مما دفع عمر لتوسيع عينه ويقول صارخاً "أصبحت أنا السبب؟ لا يا حبيب الماما أنا أستطيع ذبح من أمامي بلسانى فقط، هاو" صاح عامر بغيط "للم لسانك الطويل هذا وإلا قطعته" أستفزه عمر صارخاً "وهل شاهدت طولاً، فقط أنتظر وأسمع ما يليق بك يا واشي" تقدمه عامر بطوله الفارع كما تقدمه عمر وما أن أوشكها على القتال صرخت بالمنتصف "يا أبناء الكلب" دارت نظرات الثلاثة فوق بعضهم البعض واحمر وجه الولدان كتماً للضحك،

ها هي أول من سب وشتم وها هي ألوان الحياة تنتشر مجدداً، ثوانٍ من الصمت والنظرات تدور بينهم حتى انفجروا باللache لتهتف من بين أنفاسها مُحذرة "لحظة جد! صرنا بين أنس قمة في الأدب وسترتادون مدارس غاية في الترف والفاخامة فدعونا نلتزم الأدب" تعلقت لوجه الكبير وهمست بتوسل "عامر؟ تخلص من خوفك حبيبي ليس ما آت كما سبق" هز رأسه موافقاً لتهتف " وعد" عاجلها بالرد القاطع " وعد" التفت للصغير تبئه لكنه عاجلها بإنجليزية صحيحة مئة بالمئة وهو يقف مفروم القامة يمتهن الرجال قائلًا "عنوان الأخلاق والأدب أنا سيدتي" احتضنتهم تهمس لهم "كونوا سندًا لي ولا تكونوا خنجر أطعن به" عادت للمطبخ من جديد تهتف "هيا أحضر البلوة التي معك ودعنا نتخلص منها وأنت عمر حضر مائدة الطعام كي نتغدى"

* * *

دخلت تتنفس بعينها وتتفحص المكان بحذر بعد أن وافقت على لقائه مُجبرة، ليس لشيء سوى لطبعه المباشر المتفهم، وبعد أن أخبرها أن لديه بعض المعلومات عن اختها هرولت تستطعم الطعم الذي القاه لها، انتبهت إلى أشارته من خلف الطاولة لتتقدم والhydr يتحكمها، تبسم بتكلف واستقبلت سلامه الحار بفتور فرضه طبعها الهش وجلست أمامه دون أن تتجرا على قول كلمة حتى سألاها وعينه تتفحصها "ماذا تشرب؟" همست بصوت مضطرب بالكاد سمعه "لا شيء" تبسم للنادل قائلاً "قهوة مضبوط وعصير ليمون فرش" تطلع إليها ب hydr وسأل "لما الارتباك؟" رفعت عيونها البنية وهتفت ترجي لحظة شجاعة "إذا سمحت أخبرني بما تعرف حتى أرحل سريعاً" رمّقها بجدية يسأل بشفافية "ليس قبل أن تُخبريني ماذا حدث معها سابقاً"

"الجميع يعرف حكايتها" وافقها بهزه من رأسه وعقب مُستغرباً "ما حدث مُنافي لسيرتها، التحريات أثبتت أنها سيدة محترمة لذا فضلت سمع وجهة نظرك" زاغت أنظارها وأحجمت النظر إليه، هل يطلب وجهه نظرها؟ كيف تقيم وكيف تدلوا بما لها؟، مسحت على وجهها وأعادت عينها له لتهتف "لا اعلم ما حدث، تقاجأت كما تقاجأ أهل الحرارة" سألاها وقد التقط اضطرابها "هل حضرت

الوَقْعَةُ؟ أَعْنِي شَاهِدِيَّهَا مُتَابِسَةً؟" اخْتَنَقَ بِسُؤَالِهِ لَتَهْفَتُ مُتَسَرِّعَةً "لَا، هِيَ ذَهَبَتْ لِإِعْطَاءِ الْحَاجَةِ سُعَادَ الْحُقْنَةِ، لِيَتَّنِي مَا دَفَعَتْهَا عَلَى الذهابِ لِهَذَا الْبَيْتِ" اسْتَقْبَلَ أُولَى الْخَيْطِ بِكَلَامِهَا وَلَكِنَّهُ افْتَأَلَ عَدْمَ الْاِنْتِبَاهِ وَبِخَبْرِهِ الْمَحَامِيِّ حِينَ يَسْتَمِعُ لِأَحَدِهِمْ هَفْتَ بِخَبْثِ خَبَأٍ جَيْدًا "بِالْآخِيرِ كَانَتْ مُمْرَضَةً، بِمَا يَعْنِي اعْتِيَادِهَا عَلَى زِيَارَةِ الْمَرْضَى" هَزَّ رَأْسَهَا رَافِضًا وَأَفْرَتْ بِيَقِينٍ صَادِقًا "مُذَّ أَنْ امْتَهَنَتِ التَّمْرِيسُ أَمْتَنَعَتْ عَنْ زِيَارَةِ أَحَدِهِمَا كَانَتْ حَاجَتُهُ كَانَتْ تُبَرِّرُ رَفْضَهَا بِنَتَّاكَ النَّظَرَةِ الَّتِي تُخْصُّ الْمُمْرَضَاتِ" تَهَبَتْ مِنْ عَيْنِهِ الْمُرْتَكِزَةُ عَلَى خَاصِّيَّتِهَا وَأَكْمَلَتْ وَالْمَغْزِيَّ يَصْلُهُ "تَعْرِفُ مُجَمِّعَنَا وَمَا يَتَنَافَلُهُ عَنِ الْمُمْرَضَاتِ" خَبَأً دَهْشَتُهُ وَسَأَلَ مَحَاوِلاً الْفَهْمَ أَكْثَرَ "غَرِيبٌ! فَمَا الَّذِي دَفَعَهَا لِلذهابِ إِذْنَ؟" تَطَلَّعُ إِلَيْهَا يَسْتَفْرُ حَذْرَهَا وَقَالَ يَسْتَدِرَّجُ سَذَاجَتِهَا الَّتِي أَسْتَشْعَرُهَا "إِذْنَ مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ الرَّجُلِ تَنَازَلْتَ" بَكَتْ بِصَمْتٍ وَهَفْتَ وَعَيْنَهَا تَرَاقِبُ مَنْ حَوْلَهَا "لَا تَقُلْ هَذَا، أَنْتَ لَا تَعْرِفُهَا، لَوْ تَعْلَمُ مِنْ سَلْمِي وَمَدِي اعْتِزَازِهَا بِنَفْسِهَا لَنْ تَتَهَمُهَا أَبْدًا" مَسْحَتْ دَمْوَعَهَا بِسَرْعَةٍ وَأَكْمَلَتْ "مُسْتَحِيلٌ أَنْ تُثَلِّ نَفْسَهَا، كَمَا اسْتَحَالَةُ أَنْ تَنْتَرِ لِرَجُلٍ وَخَصْوَصًا لِوَكَانِ حَمْوَ"

"حَمْوَ؟ مِنْ حَمْوَ؟"

"بِلَطْجِي الْحَارَةِ وَالْمَنْطَقَةِ، مُدْمَنٌ وَدِيلَرٌ أَيْضًا؟" نَشَبَتْ السُّخُونَةُ بِجَسْدِهِ مَا يَسْمَعُ لِيَسْأَلُهَا بِاِهْتِمَامٍ حَاسِرٍ "عُذْرًا سُهَا، لَكِنْ مَاذَا فَعَلَ زَوْجَهَا بِالرَّجُلِ؟" تَنَهَّتْ تَمْسِحُ دَمْوَعِهَا وَقَالَتْ بِصَوْتٍ مُتَأْثِرٍ بِالْبَكَاءِ "لَمْ نَجِدْ لَهُ أَثْرًا حَتَّى سَمِعْنَا خَبْرَ الْقَبْضِ عَلَيْهِ لِيَلَةَ الْوَاقِعَةِ" حَكَ جَبِينَهُ وَظَفَرَ بِقُوَّةٍ لَمْ يَتَخَيلْ أَنَّ الْمَوْضِعَ هَكَذَا، هُنَاكَ عَدَدٌ أَسْنَلَةٌ تَفَرَّضُ نَفْسَهَا، كُلُّ مَنْ حَكَيَ الْوَاقِعَةَ قَالَ زَوْجَةٌ ضَبَطَهَا زَوْجَهَا بِالْخِيَانَةِ فِي فِرَاشِ أَحَدِهِمْ! التَّفَاصِيلُ مُرْعَبَةٌ وَيَشْوِبُهَا شَيْءٌ يَبْدُو لَوْهَةً مُدْبِرًا، اِنْتَهِيَ يَسْأَلُ بِاِهْتِمَامٍ "مَا اسْمُ حَمْوَ يَا سُهَا؟"

"لَا اعْرِفُ لَهُ اسْمًا أَخْرَى وَلَكِنْ لَمَ السُّؤَالِ" أَجَابَ يَدْعُوهَا لِشَرْبِ الْعَصِيرِ الَّذِي لَمْ يَلْحِظْ مَتِي وَضَعَ فَوْقَ الطَّاولةِ "فَضُولُ فَقْطَ" نَهَضَتْ تَقْطُنَ أَنَّ الْمَقَابِلَةَ لَمْ تُثْمِرْ بِشَيْءٍ وَانْتَابَهَا أَحْسَاسٌ أَنَّهَا أَسْرَفَتْ فِي الْحَكْيِ، عَلَقَتْ حَقِيقَتِهَا عَلَى كَفَّهَا وَقَالَتْ "لَابَدَ أَنْ ارْجِلَ" نَهَضَ يَلْحِقُ بِهِرُوبِهَا بَعْدَ أَنْ وَضَعَ النَّقْوَدَ فَوْقَ الطَّاولةِ

ليلحقها وهو يهتف "دعيني أفلأك حتى مسكنك" خرجت للشارع تبحث عن مواصلة وهتفت بصوت مهموم "لدي مقابلة عمل، شكرًا" دعاها بكفه بأدب "أوصلاك إذن" وافقت توفيرًا للوقت وعناء البحث عن مواصلة وجوارها عقلاً يعمل كما الدينامو فيما سمع ليهداً قليلاً مقرراً عدم إخبار داود الشرس بما عرف مؤقتاً، فمنذ أن رافق سلمى وقد تلمس بتصرفاتها ما ينافي ما سمع وحين فكر في التحدث عن أمرها تفاجأ بشراسته التي باتت طبع جديد له، لابد أن يثبت ما يشعر به لذلك سوف يستجمع شجاعته أمام الوحش قبل أن يفتاك بالجميلة.

* * *

نفخت دُخان النرجيلة تتفحص تلك الواقع على الميديا، أكلتها الغيرة وهي تشاهد المقاطع المُصورة لنساء تماطلت معها بالسن، تلك معلمة مقهى وهذه ملكة الذهب حتى فقيرة الحال تستعرض فقرها، ما يعني هذا الأسد؟ ونسر، صقر، وجوارح كثُر، تلعلت لانعكاسها في المرأة البعيدة وشردت في هيئتها التي تصغر سنها، رأت نفسها مكان إداهن الكل يخطبِ ودها، هذا يضع لايك وتلك قلبٌ شديد الحُمرة وأميرة عربية تُهديها أسد، أُعجبت بنفسها وبتلك اللعبة وتساءلت لما لا؟ هي حالها كاريزما مُهلكة! انتبهت لصوته يصبح من مكان لا تعرفه "مرحباً أحبابي اليوم أول لقاء مباشر لنا، معكم عابد وتلك زوجتي، رحبي بهم يا حُب" ضربت صدرها تُشاهده من خلف شاشة الهاتف عبر الغرفة التي جدها، وما هذا؟ أهذا المقدار المرسوم عليه عالمة التك توク؟! هتفت تسحب روح النرجيلة لصدرها "يا ابن الكلب" تلعلت إلى نهي وقد تخلت عن حجابها لتتجدها خلفه تهتف وقد تزيينت بملابس عصرية خالفت طبيعتها "ننتظر دعمكم ليوميات عابد الزاهد وحُب زوجته، ادعونا" عوجت فمها بهكم وقالت "أهذه المُفاجأة؟؟" شردت بعالم موازي وابتسمت بعدما طال الشرود لتجري كفها على شعرها المصبوغ أصفر فاقع نزو لا بقوامها لتهتف ضاحكة "حلو، دعونا نتنفس على التك توک إذن"

* * *

وبالحي الراقي دق بابها بقرف وما أن فتحت مُرحبة به تسمى وهو يستمع لصوت ضحكات وكيل النيابة تأتي من الداخل، أرتفع حاجبيه وهو يرى زيها الرياضي الذي تلبسه ليهتف دون وعي "كيف تستقبل بيتك رجل؟ ها، وكيف بتلك الملابس؟" نظرت له غير واعية لمقصده وتعلمت لملابسها تسأل "ما بها، حلة رياضية فضفاضة؟" عاجلها وسبابته تُشير للداخل "ماذا يفعل أدهم هنا؟" انتبهت لنبرته العدائية فضمنت ذراعيها إلى صدرها وهتفت بعناد بالغ "ليس من شأنك داود" جرى إبهامه على حاجبه ومال برأسه ينظر لأصابع قدميها التي طلت من خفاتها المنزلي العصري ليهمس بغل "ليس من شأنني؟ ها!" "ما الذي جاء بك أنت؟ ها" هل تُعيد سؤاله؟ أحمر وجهه غيظاً وهتف يقترب منها حتى تجاوز نقطة الخطر، ليس هدفه الاقتراب ولكن فضولاً ليلمح على ماذا يقهقه ذلك اللزج، هرولت عينه لبها البيت يلمح أدهم يُلاعب عمر، رجعت بدورها خطوتين للوراء تتلمسُ بهم الأمان لتصبح بألم وقد اشتباك شعرها بأزرارِ معطفه "أه، داود انتبه؟" انتبه على التشابك الواقع بينهم وتعلم التصادق رأسها بصدره ليهمس بغضب "انتظري!" فاك اشتباك شعرها على مهل لتتطلع لسوداد عينه المتوسعة بالغضب، وبدوره هتف بتشنج وهو يرجع خطواته قائلاً "تجهزني غداً حتى نُنْمِ خطتنا"

"خطتنا؟ أليست خطتي أنا؟" تركها راحلاً يمسح على وجهه بغضب ليتوقف لجزء من الثانية وهو يستقبل عطرها الذي علق بكتفه، مزيجاً بجهله ضم نسيم النعناع مع دخان سجائرها التي لا تتوقف عن حرقها، هرول بخطوات متوجلة ليهمس بغيظ "سافلة" دون إرادة رفع كفه يسمه وصوت مجهول المصدر "يُهْمِس "مُذْهَلَة"

* * *

أغلقت باب بيتها بغضب وتوجهت صوب الجالس وقد انتابها أحساس بالخطأ حين لمح أنها تستقبل رجال غرباء في بيتها؟ الرجل جاء دون دعوة تفاجأت به يحمل بيده هواتف جديدة لها ولأبنائهما، لا تنكر أنها طلبت منه ومن شهاب اصطحابها ليختار أبنائهما، اليوم فوجئت به ومعه الهواتف كما فوجئت بأنه اشتري خطوط بأرقام مميزة بحكم مهنته، تطلعت إليه يتوسط أبنائهما ويعلم كلًا منهم على الهاتف ومميزاتها، هتفت مملوقة بالذنب وقد سكن في نفسها عدم الارتياح للوضع "عامر، عمر هيا، تأخر موعد نومكم!" تحرك الأبناء بطاعة ليهتف وهو ينهض من جلسته "لا تؤاخذني إن أتيت دون موعد سابق سلمي" تخلت عن الذوق واللباقة متأثرة بكلمات الآخر وقالت بجدية شديدة "لا تؤاخذني سيد أدهم، بالنهاية أنا امرأة تسكن لحالها"

تبسم مُفهوم موقفها وأحجم عن ذكر ملاحظة تغيرها مُنذ زيارة داود، استأنن بلباقة وعدل قفيصه العصري ولكن ليس قبل أن يقول لها بقصد دعمها "أقدر موقفك جيداً لكن لابد وأن تنتقي بنفسك أكثر سلمى، أنت قوية فلا تجعلني أزمتك الماضية سوط تجلي روحك به" طأطأت رأسها وهمست وقد كفت ذراعيها خلف ظهرها "أنت لا تعرف ما تلقيتها من السنة الناس أدهم، يعلم الله الظلم الواقع على" تحرك صوب الباب ثم فتحة يهتف لمن لحقت به "وأنا معك كأخ حتى نثبت براءتك" التف إليها قبل أن تسحب كفه الباب وهتف "أدعى نفسك لا تنتظرني دعماً من أحد" أشرقت ابتسامتها وأكمل يسحب الباب الذي حال بينه وبينها "حقيقة واحدة أعلمهها جيداً، كل من ينظر بعين الاتهام سوف ينظر بعين الإعجاب ويسأل، من تلك الرائعة؟" أغلق الباب حلفه دون سماع ردًا لترجع إلى صالة البيت وكلمات داود يشغلها واحد يراها بحق وأعلن نفسه آخر، وأخر يراها سافرة دون التحري قبل اتهامها، نهضت تتقى اللدين وتستعد لغداً لابد أن تظهر بمظهر القوة لما ستسمعه من اتهامات خلفها سنوات البُعد كما لابد من مُجابهة نظرات الحي التي سقطلها! لن تعتمد على داود سوى بالمنظر العام، وجوده حلية ستتزين بها لفرض الهيمنة والسلطة لذا وجب عليها الاستعداد لتلك اللحظة التي ستفضل بين سلمى المستسلمة وسلمى التي عادت لأخذ حقها بكل السُّبل سلمية أو غُدوانية،

استلقت على فراشها الوثير أغمضت عينها عالها تستطيع التغلب على النظرة التي يرمّقها بها دائماً، رقدت على جانبها الأيمن مغمضة وهمست بصوت مُتهكم شديد الغيظ "وتصفه زوجته بالرجلة الطاغية!"

* * *

من بين هدأة الليل هناك من أفتuel تيهاً أصحابه بالضجيج حتى صار السكون ثورة لقلب الموازين، قهقهه من فوق مقعده يصبح بجنون "حملة، هيا كبسوا، كبسوا يا أصدقاء" انقسمت الشاشة لثلاث واحده تحوي بثًّ مُباشر له وأخرى لفقاء ذات دلال مُصطنع تتنابذ بالفاظ نابية والثالثة لأخر لا يعلم كينونته أحد ولا يستطيع سوى من يعرفه أن يُجزم إن كان رجلاً أم امرأة! تبادل الثلاث النكات المُخللة وبدأ التتمر على ذلك المُخنث الغريب، أرقت الضحكات سكون الليل مُدنسة فُهسيته بحقاره أفعالهم غريبة الأطوار ليتدفق عليه سيلًا من الإعجاب والدعم، فما كان منه سوى الصراخ مُهلاً عبر الشاشة الصغيرة "يسلم دعمك يا سمو الأميرة" وأشارت إليهم تتابع الموقع الخاص بها بعلامة النصر وهتفت بعدما أغلق صوت الهاتف "أسد، جاعني أسد يا حُب" صاح بالمقابل "من أول بثٍ مُباشر"

"كم سعره يا عايد؟" أجاب نشوانيًّا كمن حق نصراً "قربيا خمسين ألف جنيه ولو لعب الحظ يُحسب بعملة بلدنا" نظرت لجموع المعلقين على الهاتف وصاحت "أفتح الصوت التفاعلات تأججت" فتح الصوت وأنضم للبث من جديد يهتف للمتابعين ببهاء "أيقظت حبيبي تُشاركتني الفرحة معكم" وأشار بيده خلسه لتتقدم صوبه تُعدل ببيجامتها البيتينية وشعرها المرتب تهلل من خلف مقعده "مساء العسل نهى حُب وصل" امتد البث بعد الفجر ليغلق الحاسوب ويصفق قائلاً "أنظري نهى تمت التحويلات لحساب البنك، مائة ألف في ليلة واحدة من أول بث" قهقهت بهستيريا والقت نفسها بأحضانه قائلة "مرحباً بالثروة يا حُب" وبالأسفل توسيع عينها ورقدت بفراشها تتابع ما يفعلون بغيرة، من بث واحد حققوا هذه الشهرة، كل هؤلاء مُعجبون؟، أغمضت عينها تُنصب نفسها ملكة الجميع يطلبون ودها ويمطرونها بحلو الكلام والهدايا النفيسة تُرُخ عليها كالملطر! صاحت بعد انتهاء البث "يا أبناء الأبالسة؟ المال والشهرة بضربة واحدة" نهضت مُعتدلة تُسند جسدها للفراش

خلفها وبدأت تبحث عن الفيديوهات المولعة، لا تبغي المال والثروة فلديها المال ما لا يُعد هي تتبعي المدح والثناء! تلك طريقة تُشع غرورها وشُكت صراخ الأنابها!

* * *

أرتدى ملابسة، بنطال أسود أتبعه بقميص من ذات اللون اعتدليغلق أزرار الصدرية على مهل ليسمعها تهتف بنعاس "أين تذهب؟ اليوم الجمعة وأنت تُفضل البقاء بمكتبك بالمنزل" مشط شعره القصير يتطلع لانعكاسها بالمرآة قائلًا "مشوار عمل مهم" لملمت شعرها الأشقر في كعكة فوق رأسها ونهضت تتناثب وتتسأل "يبدو الأمر هاماً فعلاً! فما يُجبرك على كسر أجازتك يا ترى؟" التقت يُطالعها بغيظ وتقدم إليها ببطيء قائلًا "اليوم نهاية اتفافي مع سلمى" دُهشت لجديته والفرحة بعينه، ألها الحد يكرهها؟ تلك مشكله كبرى! هزت رأسها مُقررة مُباغنته قائلة "داود؟ أصدقني القول، هل يرضي ضميرك تراث من يحتاج إليك؟" تفرست وجهه المنكمش وأكملت وهي تعاود الجلوس طرف فراشها "ما بالك بأمرأة ظلمت وأوصاك عليها صديقك؟" هتف بملل يتقدمها بخطوات حادة "شاهدتي بنفسك ما فعلت من أجلها؟"

"لم تفعل شيء! فقط أعطيتها ميراثها وبطريقة لا تليق بمرءة داود الرازي" وأشار بسبابته نحو اللا شيء وهتف بعصبية طفيفة "وهل داود الرازي يستحق أن يلزم تاريخه بتلك الساقفة" هتفت بهدوء وروية "وماذا لو كانت غير ما ظننت؟" صاح بها يزداد عصبية "وما أعلمك؟" تهدت ببراءة وهتفت بثبات تُتفنن "فقط استمعت لقصتها بعين العقل" كشر وجهه مُستغرباً وما واصعاً عينيه بعينها يسأل "إما يُساورني شعور بأنك كاذبة فيما تدعين؟ أليس تلك التي حرضتني على أكل ميراثها؟" اتسعت عيناهَا تدعى الدهشة وهتفت وما زالت تنظر داخل عينه "أنا كاذبة؟ أنا فقط جنبت الظن، واتخذت الأمر بعقولي بعد سماع ما حدث لها"

تأفف في وجهها وابتعد وهو يرمي بها بغل ليهتف مُتحدياً "من الممكن أن أقص عليك رواية يجعلها مجرمة، ذلك في غاية اليسير" نهضت صوبه وران صوتها بنبرة رجاء قائلة "حسناً ولكن أجب سؤالي وإذا سمحت نهي نعمك عليها جانبًا"

"أيُّ سؤال؟ ألا تُلاحظين أن حياتنا أصبحت تدور في فلكها؟ "فقط أجب"

تطلت للاستفسار بعينيه وهتفت تنتهزُ انتباهه لها "أليس من قواعد القانون أن المُتهم برىء حتى تثبت إدانته؟ تعامل إذن من ذلك المُنطلق!" صاح بها الجنون لاح بخلجات جسده "عن أي براءة تتحدثين؟ المرأة سُجنت وحُكم عليها ذُريّة؟" صاحت تبادلُه الحُجة وقد ملت عقله اليابس "بقضية قرض لا قضية شرف؟"

هز رأسه يستوعب ما قالته حتى عاجلته بالقول الفصل "كل ما قيل عنها مجرد سمع فعلى القليل أسمع من الطرفين" شرد قليلاً ثم هتف مُغمض عيناه "أغلقي ذلك الموضوع من فضلك وعواضاً ركري في حياتنا ذُريّة، ألا تُلاحظين أنك أبتعد كثيراً بالأيام الماضية؟" تركها متوجه خارج الغرفة لتنطلي خروجه وتبتسم بمكر، منذ الأمس أمنتُع عنه ومنعْتُه من الاقتراب منها ثُرِك السبب للتعب ونفسيتها المتغيرة، لابد أن تدفعه نحوها حتى تُصبح سلمى بكل ما تملك بينهم! هل ظن أنها سوف تستسلم وتترك هذا الكم من الثروة يذهب سُدى؟

توجهت للمرحاض المُلحق بغرفتها وبدأت بروتينها اليومي، لم تدرس علم النفس سُدى صحيح وافتقت أن تلتزم بيتها ولا تُذل للعمل حين أمن داود حياة رغدة كانت تتطلع إليها لكن لم تتنازل عن مُزاولة عملها الذي طبقته على زوجها لتجعله يُلبي رغباتها، تارة تُشعره برجلته التي تفرض أشد أنواع الرعاية بأسرته وتارة أخرى تلعب على وتر الجرمان من مزاولة مهنتها، وعدم انتسابه لعائلة فخمة تضاهي اسم عائلتها مما يجعله يخضع لتلبية أوامرها، تلعب بحبه الجنوني لأبنته وبذكائها جعلته كما المُحارب المُتأهب حينما ينتصر يجد نفسه يحارب مُجدداً بميدان أشد ضراوة وقسوة، ليُصبح داود الرازي رجل المحاماة الشهير من تُرجم له ساحات القضاء، قاضياً لا يملك الحكم بالرأفة على نفسه، ذلك ما جعله لا يجرؤ على المطالبة بأخ لأبنته حتى لا يُخفق بحياة طفل يتمنى ميلاده! ترك البيت بأكمله لتجهيز السيارات ورجال الحراسة ذوي المظهر المُرّيب عبر شركة الحراسة التي يمتلكها مناصفة بينه وبين يوسف المصري، توقف عن الحركة وتطلع للرجال شارداً، كيف غفل عن نصيبيها في تلك الشركة؟ رد تحية شهاب وقد أقبل عليه يهتف "تم ما طلبت" هز رأسه موافقاً وأشار صوب بيتها قائلاً "أين هي؟" رفع الآخر هاتفه قائلاً "سوف أستعجل حضورها"

تقدمه يسأل وحاجبيه ارتفعا للسماء "أعطناك رقمها! ها، ما لبست الحصول عليه!" صاح من خلفه غير عابئاً بما سأل "هيا سلمى، جميعنا ننتظر" تنهي مُمتعض وقد بات الجميع برفع الألقاب عنها، أخذ الرجال مواقعهم بجوار السيارات مُنتظرين أمر التحرك من رب عملهم لتقبل عليهم ببنطال من الجينز التصدق بجسدها وبلوزة بيضاء انتهت بمنتصف فخذيها وحذاء رياضي بلون البلوزة دثرت كل ذلك تحت معطف بُني اللون أظهر قامتها المشوقة، تهادت تتطلع الموكب المهيب وحصلات شعرها تُشaks عينها لتنتظر له مُمتنة تزامناً مع نفخها تلك **الخصلة** التي **تُداعب** عينها! أشار للرجال بالاستعداد ليصرخ بهم ما إن لمح نظراتهم، صاح بجدية أرعدت الجميع وهي منهم "هيا لاما لا تتحرکوا؟" توقفت أمام سيارته تسأل بصوت مُضطرب "أين أركب؟" دعاها بسقم وقد أستلم مكانه خلف مقود سيارته يهتف لمن جلسَت جواره "مُستعدة" هزت رأسها رافضة وهمست "خائفة حد الرُّعب أَفضل" سألاها يُدير السيارة "هل **تُفضلي تأجيل المواجهة**" أُمانت بالرفض وهمست بإصرار وحدق "لا، لابد أن أُقتل خوفي من مواجهتهم وأمحو سلمى القديمة الضعيفة" رمّقها بجانب عينه ليشعر بخوفها وارتعاش كفيها غير مُدرك لما حيّ به دون مشيئته، أعاد رأسه يتبع الطريق وطرفًا من صدقها وحرقتها يتسرّب له، نفح ينفض عن الشفقة التي استدرّجتها ذُرية ومعها مروءته، جزَّ أسنانه والغضب يعتلي صدره وال فكرة تتمموا ماذا لو ظلمت؟ وكان الحق والباطل سويًا؟ دُهش وهو يراها تنزلق بالمقعد الذي أحتوه كامل جسدها النحيل وكأنها قوتها الظاهرة تتوارى خوفاً لكنه دُهش أكثر وهو يلاحظ تتبعه لها وقراءة لغة جسدها، ضجّ بمرءوته التي حركتها كلمات ذُرية ولم يعي ماذا يفعل، وبالإحجام أجبر نفسه على عدم فعل شيء والتزم الصمت حتى ينتهوا من ذلك اليوم، أما عنها فخانتها الشجاعة وت bxر ما رتبته له لتصبح خاويه العقل، شيء واحد توده بشدة وهو القوة المُغلفة بقسوة القلب تلك قوة تجعل الإنسان مخلوق يهاب الجميع المثول أمامه، دون شعور تحسست ندبة اختفت تحت حُصلات شعرها الناعمة كانت لها يوم دخلت السجن ولو لا مُجابتها لمن فعلوا بصلد حد التخلّي عن الرحمة لأن أصبحت سنوات سجنها في وادي ويل، عدلت من غُرتها ثداري جرحها وشردت مُجددًا في حياتها لآن تشعر بالسجن، لابد وان تُعيد بناء حياتها فقط

تنتهي من تلك المواجهة، ستُنادي بهم لقلة الراحة لترتاح هي من همهم، تعلم علم اليقين أن مجرد ما يصلهم خبراً عنها لن يتركوا الراحة تدق أبوابها فإذاً ما عليها أن تبدأ بالمباغة، انتهت لوقف السيارة بأول الحى لتسأل وهي تعندل بجلستها "لما توقفت؟" رفع هاتفه لتسمع الرد حيث هتف "شهاب أنت والسيارة الأولى والثانية أولاً وأعطيك استطلاعاً ما إذا كان الكل مجتمع، وأن لم يكن فافعل ما انفقنا عليه" تركها لدهشتها الصامتة وترجل من السيارة وقد لمح محلأ للعصائر دقائق وعاد إليها يحمل كوباً ورقياً فارغاً وأخر أكبر منه بلاستيكياً مده إليها قائلاً "ليمون فريش" تطلعت للكوب بوجه لا يُفسر لتسحب محمرة ورقية تتناوله وقد أوشكت على البكاء ما إن نظرت إليه، كيف تُخبره بأنها تألف ما لم تصنعه يداها، جلس جوارها يُراقب نظراتها بدھة وقد فطرن لحالها، وبدورها وضعت الكوب في الجزء الفاصل بينهم وهتفت "كوبك فاضي؟" لاحظت ابتسامته المشرقة حيث مال ليلانقط حافظة سوائل من المعد الخلفي يُفرغ قهوته الخاصة أمامها، صاحت بغيظ وهي ترى فعلته وقالت تُهدده "والله لن يشرب هذا السم سواك!" فقهه بقوة وسبابته وإيهامه يستقران بين عيناه وهمس والضحك يتململه "لامحوك يا الله"

تلمست وجهها وقد بدأ الضحك بعدوتها "ما به وجهي؟" أشار إليها بسبابته يجاهد الضحك ليُكشر وهو يُقلد لها حين أمسكت الكوب بقرف "يا الله، كيف وصفتيه بالسم سلمي" انهى كلماته غارقاً في موجة ضحك عالية لتهتف وقد انتابها ما انتابه من ضحك "تخيلت صاحب المكان يصنعه" قلت كفيها فوق وتحت بهستيريا وأكملت تسأل "هل غسل يده؟ أم حك جسده وفعل؟" دمعت عيناه من نوبة الضحك إثر كلماتها وتعبيرات وجهها ليمسح عيناه ساحب نفس عميق عليه يُوقف تلك النوبة المفاجئة، يُقر لأول مرة بشيء لصالحها ويعرف بخفة ظلها وردودها العفوية، صاحت بضم ملوى كطفل أطعمته والدته البروكلبي "دادو، من أجل خاطري تخلص من كوب الجراثيم هذا" علا صوت ضحكاته وتناول الكوب يهوي به من نافذة السيارة قائلاً "حسناً لا تبكي" ومن بين ضحكتاه تناولت كوب القهوة خاصته ترشف منه تلقائياً وتهتف "هل أقيمت السم بالطريق العام؟" أغمضت عينها بنشوة وطعم البن يأسرها لتهتف مجدداً غافلة عن نظراته "واو، من أين تشتري ذلك البن" وضعت الكوب مكانه وصاحت مُتألمة "شديد"

"السخونة" وبعد صمت التقط الكوب غافلاً عن مشاركتها له وبدأ في الشرب! وبعدين ثرّاقب حركاتها العفوية تخشب جسده وخففت ابتسامته وهو يلاحظ ما فعل وصوتوأً داخلاً عاوده يصرخ "هل أصبحت أحد رجالها؟"

وبالحرارة صاح العم شحاته وسط الجمع الذي احتواه مقهى الحاج متولي "هل رأيت زوج أبنتك يا سباك الحارة، صار مشهوراً ولا عبد المطلب في زمانه" أغمض على السباك عينه بخزي يتذكر ما عرضه عليه شباب الحارة قبل صلاة الجمعة، لم يصدق عيناه وهو يشاهد أبنته وزوجها عبر الهاتف وهم يعرضون أنفسهم بابتذال أورد إلى نفسه اشمئزازاً من الاثنين معاً، هتف الحاج متولي وهو يسقسر منه عله يفهم "الم تكن تعلم بما أقدموا عليه يا علي؟" بسط ذراعيه أمامه بفقة حيلة قائلأً "والله تفاجأت مثلكم يا معلم! وكأن القيامة قامت وأنا لا أدرى"

هـ شحـاتـه يـتـقـصـد إـهـانـتـه "ـسـامـحـنيـ" يـاـ سـبـاكـ وـلـكـ، يـخـاقـ منـ ظـهـرـ الـعـالـمـ فـاسـدـ،
الـكـلـ يـعـرـفـ تـقـواـكـ وـأـبـاـ عـابـدـ رـحـمـهـ اللـهـ كـانـ لـاـ يـخـيرـ عـنـكـ، إـذـنـ مـنـ أـئـنـ أـتـيـ فـجـرـ
الـأـبـنـاءـ لـاـ أـعـلـمـ" لـمـ يـقـوـىـ عـلـىـ السـبـاكـ عـلـىـ الرـدـ وـالـمـجـابـهـ، كـيـفـ يـسـكـتـ لـسـانـ مـنـ
يـتـحـيـنـ عـورـاتـ النـاسـ وـقـدـ كـشـفـتـ أـبـنـتـهـ عـورـتـهاـ عـلـىـ مـرـآـيـ وـمـسـعـ مـنـ أـهـلـ الـحـيـ
بـلـ الـبـلـدـ بـأـكـلـهـ؟ وـبـيـدـ زـوـجـهـ، مـنـ أـوـلـ الـأـمـرـ كـانـ يـرـفـضـ تـلـكـ الـزـيـجـةـ الـمـسـؤـمـةـ
يـعـلـمـ طـبـاعـ عـابـدـ الـمـتـعـبـةـ الـأـمـ تـكـنـ سـلـمـيـ خـيـرـ مـثـلـ لـزـوـجـةـ يـمـتصـ دـمـهـاـ وـيـسـتـنـزـفـ
رـوـحـهـاـ، لـوـلـاـ إـصـرـارـ اـبـنـتـهـ وـأـمـهـاـ وـتـهـدـيـدـ الـأـولـيـ بـالـزـوـاجـ شـاءـ أـمـ أـبـىـ لـمـ تـقـبـلـ
الـغـصـبـ مـجـبـورـاـ بـالـرـضـىـ، وـلـكـنـ مـاـ فـائـدـةـ النـدـمـ أـصـبـحـ جـيـفـةـ بـفـمـ الضـبـاعـ الـجـائـعـةـ،
أـنـتـبـ إـلـىـ صـيـاحـ الـمـعـلـمـ مـتـولـيـ لـشـحـاتـهـ يـنـهـرـ "ـلـمـ فـاهـكـ يـاـ شـحـاتـهـ وـالـتـرـمـ الـصـمتـ
لـاـ تـزـيدـ النـارـ اـشـتعـالـاًـ"

هتف شحاته ناهضاً وبعينيه الشماتةً "وهل قولت شيء؟ الحارة بأكملها تسأل، فلما تلوم على؟" هتف متولي وقد رقّ لحال السباتك "نهى خرجت من ذمته لذمة زوجها، هومن يُسال، لذلك أصمت خيراً لك" صاح شحاته محروق دمه "ديوث زوجها والكل يعرفه، كان ينام وزوجته الأولى تتلوى بين أحضان الرجال" تطلع لمن حوله وهتف مجدداً "أجيروا أنتم، أنا فقط أبصر الرجل" هم السباتك بالتشابك معه لكن الجميع انتبه للسيارتين الكبيرتين يقتربا من الحارة محدثتين بأبواقهم ضجيجاً مُلتفت للنظر، تجمع أهل الحارة بتفقدون الموقف ليترجل شهاب بوجهه

صارم يسأل "أين عابد در غام؟" تقدم شحاته وبعقله ألف سيناريو وصاحب "مالك به يا باشا؟" تحرك شهاب وقد أصطف خلفه أربعة رجال ذي هيئة مُرعبة وهتف بصلابة "الهانم تُريده، أحضره قبل أن تأتي" تقدم صوب الواقف خلفه يسأل "أنت على السباق حمام؟" صعد فتلة صبي القهوة سُلم بيت المعلمة قطة بأقصى سرعته وتركت دقاته على باب بيته ولم تقطع حتى فتحت نهى تسبة ليهتف مقطوع النفس "ست نهى أين أخي عابد" صرخت والنوم يشلها "ما الأمر يا مختلف؟" التقط أنفاسه الهادرة وهتف بما ظنه "هناك أميرة خليجية جاءت لمقابلة" هرولت نحو الغرفة فرحة "عابد! عابد أنهض وأنظر من أتي إليك يا حُب"

* * *

حملت صحن كبير بين يديها وهتفت "هيا لينا دعينا نطمئن على أبناء طنط سلمى" هكذا سوف تجعله يتورط في عالمها أكثر وأكثر حين تربط نقطة ضعفه بنقاط ضعفها، تعلم صغيرتها تُماثله الطبع باختلاف أنه لا يُجيد التعبير عما يُخالجه ولینا تُجید استخدام تلك الملكة حتى انها تستغلها ما إن أرادت شيء منه وقابلة بالرفض، دوماً ما تُلْعِق صغيرتها بما ترغب حتى تتعامل الصغيرة بلسانها المُتكلّم ورجائها الذي يستخلاص منه الموافقة حتى لو لم يقتعن! هتفت الصغيرة سعيدة تحمل لوحها الإلكتروني بين أحضانها "هل أحضرهم أبي لها؟" أمسكت الصحن بكف والثاني أمسك صغيرتها لتهمس إليها تتخذ خطواتها صوب البيت المجاور لها "أجل لينا، والدك حنون مثالك وقد أوصاني بهم كي لا يشعروا بالوحدة" ضغطت على كفها تسأل "وأنت ما رأيك؟"

هتفت الصغيرة وقد التقطت الكلمات بقلب اخضر لم يمسه حقد "بلا أمي، نحن جوارهم، أحببنا طنط سلمى وأكيد أبنائها طيبون مثلها" تبسمت بخبث تتحسس رأس صغيرتها تشجعها وقالت "دقني جرس البيت إذن" ثوانٍ وفتح عامر يسأل من لتهف الصغيرة التي تُماثل سن عمر قائلة "أنا لينا داود الرازي، من أنت؟" تطلع الفتى لتلك الشقراء ذات الخصل الذهبية وهتف بهم "مرحباً سيدة ذرية" اقتحمت باب البيت تهف بمحبة "كيف حالك عامر أين عمر؟" هتف عمر من خلفها "عمر هنا" تقدمت وسط البهو وخلفها لينا تهف بحب "أعلم أن سلمى

لديها مشواراً هام برفقة داود فقررت بعد إذنكم أن نفتر سوياً" كشفت عن صحن المعجنات الشهية فرحب الولدان بهما بمحبة وعامر يتفحص الصحن بعينه جيداً يدعوهم للجلوس بأدب "دعوني أصنع لكم مشروباً دافئاً" هتفت وعينها تتفقد أثاث البيت وتقيمه "هل تستطع؟" توجه للمطبخ يهتف مُرتباً "أجل" جلس عمر جوار لينا كلّاً منهم يتفحص لوح الآخر وبدأت بينهم موجات الثرثرة ليهتف عامر يسأل "أنا وعمر نشرب الشاي بلبن ماذا عنكم؟" هتفت تتفقد اندماج من أمامها بعين مُنتصرة "لو أمكن نسكافية" نهضت مُتجهة إليه "دعني أساعدك" وافق بفُسح لها مجال وهتف يسأل "وأنت يا! يا؟" صاحت تضحك له "أسمى لينا يا عامر، لا تنسي لينا" القفت صوبه وأشهرت سبابتها في حركة مائلة والدها وهتفت تسأل عمر "هل الشاي بلبن هذا جيد" هتف عمر وهو يهز رأسه "واحد شاي بلبن لأهل كairo يا ولد يا عامر" فقهت درية على طريقته لتنتبه لعامر الذي همس مُتأسفاً "أسف على طريقته السوقية سيدة دُرية، فلم تتأقلم مع الوضع الجديد فقط ما لبثنا سوي أسبوع أو إثنين بينكم" رمقته بدهشه من لباقته وهتفت وهي تتناول كوبها من ماكينة النسكافية قائلة "لا تعذر" اتسعت ابتسامتها وفكرة خبيثة تطرق عقلها لتهتف خلفه وهو يحمل الأكواب فوق صنييه صغيرة ويخرج إليهم "ما رأيكم؟ أعلمكم بعض الأمور تساعدكم في التأقلم، كما أن الدراسة اقتربت" تحمسا وأقرأ بالموافقة لتسعد بدورها، فما أن تعامل معهم داود تقبلهم، صاحت تبدأ أول دروسها الأرستقراطية قائلة "هيا، نبدأ بالطعام كيف نتحدث والطعام بين أيدينا؟" بدأت تتعامل بطريقة نفسية تعلم نتائجها ووقعها لتنقاجاً من استيعابهم وكأنهم يسترجعون شيء بالأصل لديهم، همست وقد تلمست بطبعهم يسراً بغير عسر وهمست داخلياً بتنمي "هداك الله يا داود واسكن سلمي داخلك"

* * *

شهقت تتطلع إلى رسالته وخرجت مهرولة من غرفتها إلى الأخرى دون هدف، هل حقاً جاءت سلمى؟ على ما تنوي؟ كيف ستواجهه أهل الحي؟ متى خرجت؟ مازالت سيرتها حديث الناس ويُضرب بها المثل! ارتدت بنطال رياضي وببلوزة وجدتها ملقةً على جنب ودست قدمها في حذائها الرياضي تتسرع مع الوقت تناولت مفتاح الشقة سريعاً حتى توقفت وهي تضرب صدرها وتهمس "أبنائهما؟ أبنائهما في السجن؟!" هرولت تقطع الطريق عليها تصل إليها وتفادت أسطول السيارات التي كادت تصدمها تطلب رقم شهاب دون رد، هرولت وقد أوشكت على الجري تهمس بأنفاس مُهدرة "رد أرجوك، لا يجب أن تتم تلك المواجهة" أعادت الاتصال ووقفت تلتقط أنفاسها وهمست يائسة من عدم أجابتني" يا رب، لن تحمل ألسنة الناس مجدداً، سلمى ضعيفة وطيبة وأهل الحرارة ازدادوا توحشاً همت بالذهاب ولكنها توقفت وسؤال يُباغتها "هل لديك القدرة على قول كلمة الحق والمواجهة؟" جلست إلى الرصيف لا تقوى الحركة جزء منها يدفعها للوقوف خلف من غدر بها الزمن وجزء آخر يخاف الناس وسوء السمعة، غلبها الدمع والخوف وهي تلمح بعض الناس وشباب الحي يهرونون خلف السيارات يهمهون بما لم تستطع فهمه، نظرت إلى السماء فوقها وأغمضت عينيها تهمس "ماذا أفعل في الرُّعب الذي يشمني" وضعفت وجهها بين كفيها وانخرطت بالبكاء تعلم ما يشتمل نفسها من أنانية وضعف كعلمتها أين الحق، لا تقوى إهدار سمعتها دون ذنب،

* * * *

هرول عابد ينزل الدرج يصبح وقد وجد قطة تسبقه بكمال أناقتها ذات الألوان الفاقعة "نهى! صوري المقابلة من شرفة أمي هي أقرب للشارع ولا تنسي وضع العدسة على الهاتف ومكبر الصوت" صاح يتقاداها "ماذا يا معلمة هل صرت أحظى باهتمامك؟" خرج يُعدّل من هيئته وتقدم بقامته الطويلة يسأل "من يريديني؟" وقبل أن تنتهي كلماته اقتحمت سيارته الحارة وخلفها سيارتين حمامة، ترجلت برؤقي وداود يفتح لها الباب وعينه تُشجعها، تقدمت تتفحص الوجوه من خلف نظارتها السوداء لتقف أمام الجميع قائلة بثبات "كيف أصبحت؟" هل مرحباً وهتف يتقدّم لها ملهوفاً "مرحب بسidiتي وست الكل" ارتعش جسدها بقوّة وكفّها يرفع النظارة فوق رأسها لتتقدّم بوجه ثابت مُعلق قائلة "أصبت، أنا سيدتك وتابع رأسك يا عابد در غام" ابتسّمت بقوّة وهتفت بتحدي تفتح ذراعيها مُستعرضة حضورها المباغت "أين أبنائي يا ابن قطة؟" شهق من شهق، وذهل البعض، والهمس أتحد بكلمة "سلمي" همس شحاتة لمتولي وهو يعي لها "من تلك يا متولي؟ هل هي؟" همس متولي يتقدّم خطوتين "إلا شك عادت لأجل أبنائها" أعاد شحاتة الهمس ولكن إلى علي "انظر يا سبّاك الحارة وملي عينيك أهذه من ثداعك عنها "عوج فمه مُتهكماً وأكمل "ظهر نعيم المال بما عملت، ويقول السبّاك بريئة" تقدّمها بدھشة وعقلاً لا يُدرك ليتقدّم بصوتاً هارب وعيناً فضحها الحنين يسأل "سلمي؟"

* * * *

جلست تستقبل زيارة مدير أعمالها تسأل واسعة قدم فوق الأخرى مستفورة
"ما سر تلك الحراسة المشددة صهيب؟"

أعتلى وجهه الاهتمام وهتف بجدية "أوامر المحامي دهب هانم" أماءت موافقة وهتف بصوتها الموقر "كُن معه، أنا أثق به" هتف يتفحص المكان كعادته "كلما زارها وضعَ المال في الإدارة كما طلبتني وأما عن موقف تلك الفتاة؟" حَكَ جبينه يتذكر أسمها لتهمس "رباب" وافقها متذكرةً وعاود قائلًا "أجل رباب، زوجها اختى وخروجها بعد شهر تقريباً تنهدت قائلة "إذ لم أخرج حينها سوف تستقبلها عنى، متى الجلسة المُقبلة؟"

"أَخْبَرَنِي الْمُتَرَاهِنُهَا فِي غَضُونِ الشَّهْرَيْنِ الْمُقْلِبِلِينَ وَلَمْ يَعْطُنِي أَيْ كَلْمَةً تُقْيِدَ
مُوقْنَنَا سَلْبًا أَوْ إِيجَابًا" تَطْلُعُ إِلَيْهَا وَمَالَ يَسْأَلُ "هَذَا الرَّجُلُ غَامِضٌ وَأَنَا قَلْقٌ مِنْ
طَبْعِهِ هَذَا" قَهْقَهَتْ بِرُوَيْيَةٍ وَهَفَتْ بِأَرْسِتَقْرَاطِيَّةٍ تَلْيَقُ بِهَا "يُعْجِبُنِي أَسْلُوبُهُ، مِنْذَ
أَنْ تَعْرَفْتُ عَلَيْهِ فِي إِحْدَى سَفَرَاتِي، رَاقَتْ لِي طَبَاعَةُ الْغَامِضَةِ فَتَقْصِيتُ عَنْهُ،
تَخْيِلِ سَمْعَتِهِ بِالْخَارِجِ فَاقْتَتْ تَخْيَلِي، رَجُلٌ مِنْ الطَّرَازِ النَّادِرِ صُهْبَيْبٌ" هَزَ رَاسَهُ
مُوافِقًا وَهَمْسٌ "أَعْلَمُ" أَنْتَبِهِ لِنَدَائِهَا وَأَوْلَاهَا اِنْتِبَاهَهُ كَامِلًا لِتَهْفَتِهِ "هَنَاكَ اِمْرَأَةٌ
اسْمُهَا سَلْمَى الْمُصْرِيَّ، أَبْحَثُ عَنْهَا وَإِنْ عَجَزْتُ أَوْكُلُ أَمْرَهَا لِلْمُتَرَاهِنِ دَاؤِدٌ" لَاحَ
الْأَسْتِفَسَارُ عَلَى وَجْهِهِ وَسَأَلَ "مَالِكُ بَهَا يَا هَانِم؟" اِبْتَسَمَتْ بِمَحْبَةٍ وَهَفَتْ نَاهِضَةً
وَهِيَ تَسْمَعُ اِنْتِهَاءَ الْرِّيَارِةِ "لَا أَعْلَمُ وَلَكِنْ حُبُّهَا أَسْتَقْطَعُ جُزْءًا مِنْ قَلْبِي وَكَانَهَا
أَبْنِتِي" وَافْقَهَا فِيمَا أَمْرَتْ وَهَفَتْ وَافْقَأَ "فَاسِمٌ بَاشَا الْوَكِيلِ يَرْسُلُ لِكَ أَحَرَّ السَّلَامِ
وَيَسْأَلُ هَلْ يَنْفُصُكَ شَيْءٌ" عَدَلَ مِنْ حُلْتَهُ وَأَكْمَلَ "هَذَا الرَّجُلُ يَكِنُ لَكَ اِحْتِرَامٌ
دَهْبٌ هَانِمٌ، عَظِيمٌ عَلَيْهِ مَا لَقِيَتِي مِنْ غَدَرٍ" تَحَرَّكَتْ تَهْفَتُ وَصُوتُهَا يَبْتَعَدُ "حَقًاً،
إِبْلِغُهُ تَحْيَاتِي صُهْبَيْبٌ وَابْلِغُهُ اِمْتَنَانِي الشَّدِيدِ لِمَا يَفْعَلُ" خَرَجَ مُسْتَعْرِبًا طَلَبَهَا مِنْ
سَلْمَى الَّتِي تَنْتَهَى أَبْنِتِي؟ يَعْلَمُ مَا تَقْعِلُهُ مِنْذَ وَطَأَتِ السَّجْنَ مِنْ مَسَاعِدَاتِ كُثُرٍ
فَكُلُّ مَنْ وَطَأَتِ جِوارُهَا كَانَتْ إِمَامًا غَارِمَهُ أَوْ قُتِلَهَا دِينٌ، فَرَجَتْ كُرْبَاتِ الْبَعْضِ
وَلَكِنْ كُونَهَا تَهْبِي مِنْزَلَةَ الْأَبْنَاءِ شَيْءٌ جَالٌ، يَعْلَمُ حِرْمَانَهَا مِنْ نِعْمَةِ الْأَمْوَالِ مَلَأِيدَ
وَلَكِنْ قُوَّتِهَا وَذِكْرَاهَا لَا يَعْتَرِفُانَ بِالْحَنَانِ مِنْ أَوْلَى وَهَلَةٍ رَغْمَ سَماحةِ طَبَعِهَا، تَنْظَلُ
جَامِدَةً لَا تَقْدِرُ أَحَدًا هُنَّ عَلَى اِخْتِرَاقِهَا، وَصَلَّى سِيَارَتُهُ لِيُشَيرُ إِلَى رِجَالِ الْحَرَاسَةِ

المرافقين له بالتحرك ويهمس لأحدهم "كل معلومة عن سلمى المصري" تحرك
مُسرعاً يهمس بطبعه الشكاك "لنرى من أنت وكيف ملكتي تلك المكانة
سيدي!"

* * *

تقدمت قطة تُنحي الصدمة جانباً وهفت والدهشة تعتلي وجهها كما وصعلوكاً
تجرأ على صفعها "من؟ الفاجرة؟" تلفت حولها تنظر مهابة حضورها
ورمشت بعينها والحق يملكونها والكثير من الغموض يشملها حتى هفت "لك
عين تجهري بمعصيتك ولا تحسبى حساباً لأحد، يا جرأتك؟" تطلعت إليها
باحتقار لم تخبو ناره لتسمع صوت شحاته يتسرّب من بين الهممات يهتف
"متى أفرجوا عنك؟" اهتزت مما تسمع، هل سيعاد المشهد، لم تبرا من الأولى
لتجد الثانية، رمقته بنظرة مُتعالية وهفت بقوة حرقت جُنبه "آخرس يا آفاق
الحرارة" تقدم إليها علي السباك يهتف "سلمى؟ حمداً على سلامتك بُنتي" رمقته
مُستغربة من رحمته وتذكرت حين ابلغها شهاب بأنه من وضع لها النقود
بخزينة السجن، لتنلين ملامحها وتهتف له رُغم فعلة أبنته "شتان بينك وبين
أبنتك يا عم على" سقطت نظراتُ الرجل أرضاً وما زال يساوره الشك تركته
لتقف أمام عابد مُتجاوزة قطة بكرياء حرق دمُها تسأل مُجدداً "أين أبني؟ يا
هذا؟" هم بقول شيء لكن قطة هفت وما زالت تشملها بحقد "ليس لديك أبناء
عندنا يا حلوة" أعادت سؤالها له وأحجمت عنها تعلم إهمالها سيوقد نار جنونها
لتقف أمام عابد تنتظر رده لكنه سأل بعين تذكرت طيفها "كيف تغيرت هكذا؟"
تدخلت قطة تلمح حنينه لقف أمامها تهتف "أبنائك طفشو! لم يتحملوا فعلتك
المُشينة والناس تتعمّلهم بأبناء الزانية، هرعوا للشوارع يتلمسوا شرف أهدرته
أمهم الفاجرة" احمرت عينها تتكبّد الدمع بقوة ونظرت لجموع الناس بحسرة،
دارت عين داود تحصد ما يسمع ويرى مُتعجب من عداوة المرأة غريبة
الأطوار لها، كلماتها؟ تركت داخله شُعوراً لم يستسيغه ولا يعلم كُنته ولكن شك
للحظة بعدم الارتياح يُباغته، تقدم مُنتبهاً لكفي قطة وقد تمسكت بمقعدة
ملابسها وقبل أن تتجرا أكثر نفض ذراعيها بقوة لا يعلم كيف وافتهُ يصرخ بها
وقد حال جسده بينهم "إياك ولمسها" صرخت قطة تتمسّك بإحدى ذراعيها
تهتف "مؤكد أنك عشيقُ الفاجرة، صاحب المال وولي النعم" تمالكت أعصابها

تحاول دفع نفسها للرُّد بالسباب أو حتى الرُّكل ولكن دون جدوٍ أين ذهب ما دربت نفسها عليه وهي تنتظر تلك المواجهة، كأنها تتلظى بالجمير دون الاستطاعة بلفظة ألم!، نظرت اليهم تلتمس أي معاونة حتى قابلت الدعم بعينه، تنفست بعمق وهتفت تدور حول نفسها مُستعرضة "سلمي اليوم ليست كما سلمي الأمس" رفعت نظراتها تُشر صوب نهى وغمزت قائلة "صوري جيداً ما يحدث صديقتي" انتبهت للجمع حولها تتنذك كلمات السيدة دهب حين لمحت بأن هناك مكيدة مُدبِّرة لتهتف وأفكارها مُبعثرة "جئت لأجل أبنائي الذين تخْفونَهم، وبما أنكم تُريدون فتح الماضي" رفعت كفيها ببساطة وأكملت "هيا بنا" تقدمت نحو قطة وهتفت بها "ما رأيك؟" رفعت أنظارها تُشير لمن تصور لتهتف "صديقي المقربة دوماً تحرضني على حماتي وأفعالها أراها اليوم تتخذ مكانِي، عجيب أمرها!" تبسمت تقدم شحاته "وأنت يا نمام الحارة أراك تركت شُرب الحشيش وتفرغت لمحركات أكثر شغفاً" تطلعت في الجميع ثم قالت تستدعي جبروتاً اكتسبته من ضحل سجنها "أنا لا أرجوا منكم إنصافاً بل إجابة سؤال واحداً، كيف أختفي محمود زغلول عزمي؟ الشهير بحمو؟ ألا يحق له أن يدلُّو بدلوه؟" تبادلت عيُّنَ النظارات بين قطة ونهي وأكملت ثُرَّبع ذراعيها إلى صدرها "حمو أفسى بأسرار الحارة لي يا قطة! لكن السؤال، لما أنا؟" زاغت عيُّنَ قطة واهتز الهاتف بيد نهي وكلّاً منهم يعي الحقيقة دون فهم مقصدتها، تقدم إليها يهتف وهو يُحُك ذقنه قاطعاً المشهد "حمو اخْتفي منذ تلك الليلة فما أدرانا أنك لا تعرفي مكانه ونبهته ليُبعد"

تقرّست الرُّجُل وهتفت وجهها بيتسم بهم وقالت "مرحباً شيخ حازم، ما أخبار تقواك الكاذبة يا شيخنا"

صاحب باضطراب في وجهها "تحشمي يا امرأة" انتبه داود لذلك الرجل الملتحي وهم يعذر منه مُقرأً بإدانتها التي لم تُطمِّس لكنه توقف وهي تهتف قاصدة ذلك الشيخ "لما الإضطراب يا شيخ حازم، ألوست من حرضني على ترك من لا يقدِّر النعم" أشارت بازدراء لعابد ثم أكملت "هافتني حين طردت من الحارة تُطِيب خاطري وتزعم أن ما أقدمت عليه لن يحاسبني الله لأنني مُرغمة" اضطرب الرجل وتصبب عرقاً وهتف "ماذا تقصدين؟!" هتفت في

أهل الحارة تُشير عليه "الشيخ حين سببته عبر الهاتف ظل يُرسل لي الرسائل والمواعظ ويُخبرني بأنني جُبرت على اتخاذ رجلاً آخر تحت وطأة ما ألاقيه من سوء المعاملة" صرخ يتقدّم ينوي صفعها "كاذبة، كاذبة" تعلقت كفه وداود يدفعه عنها أمراً رجاله به، صرخت تتقدمه وسبابتها بوجهه "لو كنت املك هاتفي القديم ما تجرأت على تكذيبني" لكمه داود ثم اعتدل صوبها يهتف "غداً سأستخرج سجل مكالماتك ورسائل هاتفك القديم" هتفت وعينها تدور بالجمع "الشيخ نصحي بحسن اختيار رجل تقى يقف جانبى" تقدمت له وهو مُكبل بين رجال داود وتمسكت بذفنته تشدّه حذ الألم وتصيح بوجهه "أخبرهم كيف أردت مُساومتي، ولما أردت تسديد القرض عنى؟" تقدم الحاج متولي وقد أوشك النار تندلع بالحارة ليهتف بروية "صلوا على النبي يا جماعة وأهداؤا" لم تهدأ النفوس وظللت وآجلة يعلم متولي وأهل الحارة شاكلة الشيخ المُدعى حين صاحت أحدهن من نافذتها ذات يوم تسبّه بأمه سُبة نابية لمحته يجلس بظلام الليل يتلخصن على غرفة أبنته، لمحته حين أنار هاتقه فجأة وكانت فضيحته مدوية، وقفت داود حذوها حتى قال أحد الشباب وهو يهتف بتعقل "خالتى سلمى أنا وبعض شباب الحارة لم نستسيغ ما حدث سابقاً وللأمانة كلما جاءت سيرتك ساورتنا بعض الأسئلة عجزنا عن حلها لذلك وضحى لما جئت ومن هؤلاء الذين معك" أجبت وقد ملأ نفسها الإحباط "أريد أبنائي ولن تروا وجهي مرة أخرى" هتف داود يوقف نزيف الإحباط الذي لاح على وجهها "أولاً، دعوني أوضح لكم الصورة كاملة" رفع حاجبيه وتقرس وجههم المتسللة وأكملاً "أنا داود الرازي، محامي السيدة سلمى المصري ووكيل أعمالها" علت الهممات والكل يسأل ليهتف وقد خرست أفواههم "السيدة سلمى المصري الوريثة الوحيدة لعمها الملياردير يوسف المصري رحمة الله وصاحبة مكتب محاماه أديره أنا، جميع موكليه من زمرة وزراء وأكابر الوطن العربي بأكمله، وشركة حراسة خاصة مسؤولة عن أهم شخصيات بالبلاد وتأمين حراسة البنك المركزي" بُهتت وجوه الجميع وانكتملت الأفواه الغاشمة ليهتف شحاته الأفاق قائلاً "وهل داس أحذنا على طرف لها؟" توجهت العيون المتوسعة صوبه ليكمل مُبتسماً بسماجة "سلمى ابنتي، نحن بشر ما ذكرنا سوى ما رأينا، ولكن الحقيقة!" أخفض رأسه مستغفراً ثم توجه الي قطة

التي مازالت تتالم من كتفها قائلاً "يا معلمة، الم تصرُّخي يومها أنتِ وأبنك ونحن ما فعلنا سوى الاستماع لما حدث" نظر الى داود بخوف من منظره وقد بات مجرماً وقال "سوف أرتضي بحُكمك!" حَدَّاج داود بمعالمه الخبيثة وانتبه يسمعه ليهتف بغلب تصنعه "ماذا لو كنتَ مكاني سمعت فقط، امرأة سحبها زوجها من فراش أحدهم! ما موقفك؟" تخشب جسده، هل يضعه أمام نفسه؟ من أين جاء بحُجَّة إبليس هذه؟ لم يرى ولم يسمع! فقط التقط ما تقوه به الخلق، اشتعل جسده بنار لم يعرف لها سبب وانتفخ شُريان جبهته الأزرق ليصرخ في الرجل "حرقك الله في الدرك الأسفل" احتمل الموقف أكثر وعايد يتقدم إليها مُعاتب "سلمي أخبريني ما سبب ذهابك لبيت حمو طالما أنت بريئة مما حدث؟" وقبل أن ترد تقدمت نهي تصرخ وسط الحرارة "على ما ثبرر وقد أتضح أن أبنائهما ليسوا من صُلبك؟" التفت للخائنة ما إن سمعت اتهامها الجديد لتهوى على وجهها بلطمة أودعت بها نارً تلتهمها واستدارت تهجم على قطة وتسبُّها بقوة

* * *

وبأول الحرارة أنزوى يطلب رقمها للمرة العشرون حتى جاءه الرد بعد يأس منها "أين أنت؟ لما تترُكين أخناك في تلك المحنَّة؟" هتفت بيقاء استرعي استفهامه "أنا خائفة" صرخ من موقفها معاذباً والجنون يُذهب بعقله "من ماذَا سُها؟" صرخت بالمقابل ليتلمسُ خوفها "المواجهة، أهل الحرارة لئام، لن يرحموا أحد، أنت لا تعلم شاكلتهم" صاح بها معاذباً ومحذراً "لا أفهم لضعفك سبباً سُها!" ننهدت عبر الهاتف وهتفت برجاء لم يتقبله "ليس بيدي ما أقدمه لها شهاب" تحير من ردة فعلها ليهتف بها وقد استبدت به الشفقة على سلمي وحل السخطُ على أختها "أنتِ خائنة سها، لا تستحق سلمي منك موقف الخذلان هذا ابداً" أغلق الهاتف بوجهها وعقله يدفع به لتقسيراتٍ يأبى تصديقها ليتطلع نحو سلمي الذاهلة وداود الذي هتف في تلك المرأة التي لطمت "وضحي، كيف ليسوا أبناءه؟" تصدّرت قطة الموقف وتقدمت أمامهم تهتف بصوت ملأ الحرارة لأخرها "أجرينا تحليل النسب وأخبرني المعملاليوم أنهم ليسوا أبناءنا" أغمض داود عينه يتارجح فوق حبال الحق والباطل ليصرخ بها

"أين نتيجة التحاليل؟" لوت قطة فمها مُتبرمة وصاحت به "سأستلمها غداً أو بعد غد" صرخت سلّمى بها تقدّمها "يا أبنة الكلب، هل وصل بك الغل والكره الى هنا" دفعتها من كتفها كما فعل داود من قبل والذي حال بينهم لتصبح خلفه تسبّهم وبدوره ومقتضيات مهنته قرأ الكذب بعينها الزائفة ليتوجه صوب عابد الجالس أرضاً وكفيه فوق رأسه مولول، سحبه يوقفه وهتف أمام الجميع مُبتسماً "أظن أنك موافق ولا حرج لك" وبوجه شاحب وصوت مفقود سأله "أي موافقة" تركه متوجهاً نحو قطة وقد فطن انها الأميرة الناهية ولم تغفل نظراتهُ نهى التي وقفت كتفاً بكتف لها تتوبي الغدر والفتاك بمن لطمتها فتبسم لهم بخبث المحامي قائلاً "الأبناء ونسبهم ليس لكم، إذن لا بد أن توقعوا على ما يُخلي ذمتك منكم" دفعت نهى كتف قطة الذي خُلع بقلق لتهتف الأخرى تُحذرها بعينها "نمسي ونبضم لن ربى نسلاً مُحرماً" تحركت السيارات بعد ساعة مُثيرة عاصفة ترابية خلفها بعدهما جعلهم يوقعون على الأوراق التي بها تنازل عن أبنائها وقد سُلبهم الحق بضمهم حتى لو ثبت مع مرور الوقت صحة نسبهم، كما ادعى تفاجأه بما حدث للوالدين وقد تبين أن الجميع لا يعبأ بهم، تطلع إليها السيارة تنهب الطريق وهالة السكون التي تلبسها، هتف يسترعي ولو جزءاً من انتباهاها "سلمي؟" أعاد النداء تحت وطأة سكونها المدقق "سلمي!" بالنهاية فعلنا ما جئنا من أجله حصلتني على أبناءك للأبد" لا جواباً ولا رد، لا شيء ليصمت إذ عانا لحالتها وكفه تضغط على المذيع عليه يملأ ذبذبات الفراغ التي شملتهم بأي صوت، ارتقى الصوت والكلمات تجري بسمعهم وكأنها تقصدها

دنيا راحتها تعب وياما شققني

خلتني أبات في العراء لو عشت غلاني

طلبت أنول ودها سكنها شققني

إن موت لا تنهرزم لو عشت غلاني

والمنتهم بالعشق عمره ما يتبرى

فالجاهل اللي يتمن النسوان من برا

اعتدلت بوجهها صوب النافذة تحاول استنشاق الهواء على صدرها ينفرج، لا تعلم هل أخطأت بذهابها أم تلك لحظة لابد أن تمر بها، ظفرت نفس مُحمل بالآسي تطالع حياتها الفائتة، كيف ستبدأ حياة جديدة ووسمة العار مازالت تلحف بها من نوافذ الغدر أم ستظل حبيسة بظلال الماضي، ماذا لو حرفت الأرض وما عليها، أشعلت سيجارتها الأولى تنفس لهيباً مُماثل بلهيبها، ماذا لو تسللت ليلاً لترقى الحرارة وأهلها، ما أطعموها سوى الحنظل، ما إن علموا بكينونتها الجديدة صار كل منهم يخلق لنفسه عذر ومبرر مفاده هذا حال الدنيا! بل هي دنائه من فيها، انتبهت للساعات السجارة التي طالت أصابعها فألقت بها من نافذة السيارة لتسمعه يهتف عليه يجد استجابة "في الطريق العام التقىتها؟" لم تهتم لقوله حتى انه اجزم انها لم تسمعه، مازال سؤال شحاته الأفاق يضمه في خانة مُظلمة فبذلك سؤال أفلت من ضميره جزءاً يبدو عليه العطبر، ماذا يفعل؟ بالأخير وصفوا له فتاةً وكأنها ملاك يحرُّس الأرض ومن عليها، لم يقل أحدهم أن عجلات الزمن سحقت روحها وقلبتها وكل غريزة صحيحة بها، وهل تلك معادلة تحتاج لشرح أحدهم؟ ماذا كان هو؟ وماذا أصبح! كان شاباً طموح ومرح لا يعبأ بطريق الحياة بالأخر الكون له رباً يُسِيرُه، لكنه أصبح مُهدم بهدم بيته أجهد حتى أنسه، شتان بين الماضي والحاضر بينهم سغيراً لا تخبا نارها وما من بشر سلم من شراراتها حتى تركت بثنياً روحه ندوياً لا تندمل، تملكته الغضب من نفسه وعقله الذي يُجبره على المرور بنقاط طالما تجنبها، تطلع بطرف عينه إلى إشعالها سيجارتها الرابعة وهمس بينه وبين حاله "يا الله! وكأنني أتعاطف معها"، شعور مكروه بشدة تعاظم بتعاطفه معها **كيف سُكِّمل حياتها؟**

طال الوقت ومعه الصمت ليوقف السيارة بقوه دفعتها للانتباه تسأل "ماذا حدث؟ أين نحن؟" استدرجها مترجل ليقف بمقدمة السيارة والشمس تلوح بفارق احمر صبغ السماء، أشعل سيجارته ليجدها تتقدم جواره مُلتزمة السكون، عينها مُعلقة بالخلاء المُعبر، شعورها بأنها وحيدة يقتلها تعلم أن القادم رغم ترافقها سيفيأسوء وأسوء فمن سيسمع عن فضيحتها ويعاملها كإنسانة؟ ستعامل وكأنها كلب ضال مما سيجعل كلاب الدنيا تتبع عليها ذاك بالشتم والطمع وأشباعهم سيركض بغرائزه الشاذة إليها! التفت إليه تهتف بحسنة مدافعاً عن نفسها "لست بكلبة" ارتفع حاجبيه بحركة تلقائية لا يعي ما تقصد لتأخذها تعابيره لسوء الفهم فتقدمت إليه تصبح بما يوجعها "كيف أجد الموت؟" تسربت دموعها وأكملت

"لَيْتَهُمْ قَتَلُونِي عَوْضًاً عَنْ قَتْلِ سَمِعَتِي" ضربت صدرها بقوه وهمست وكأن الموت خلفها "بِحَقِّ اللَّهِ مَا فَعَلْتُ شَيْءًا" انخرطت في البكاء بقوه وجهها بين كفيها والكلمات تنزلق دونوعي "خُذْ رُوحِي يَا رَبَّ، لَمْ أَعُدْ قَادِرَةً عَلَى تَحْمِيلِ تِلْكَ الدُّنْيَا، مَا عَنْكَ أَفْسَلُ، لَا أَقْوَى عَلَى قَتْلِ نَفْسِي يَكْفِينِي جَحِيمُ الْأَرْضِ"

"سَلَّمَى؟"

"لَا أَرِيدُ جَحِيمًا أَخْرَى بِالْآخِرَةِ"

"سَلَّمَى!"

"لِمَا جَعَلْتَ قَتْلَ النَّفْسِ كُفْرًا وَهُوَ رَحْمَةٌ"

"سَلَّمَى؟ انتبهي؟"

"أَيْنَ مِنِي الْمَوْتُ؟"

"مَا تَهْذِي بِهِ كُفْرًا"

"تَحْمَلْتَ فَوْقَ طَاقِي يَكْفِي، أَيْ ذَنْبًاً أَعْاقَبَ عَلَيْهِ؟"

"أَسْمَهُ ابْتِلَاءً لَا تَقْنُطِي" رفعت وجهها إليه و هتفت بكاء حار "عشرون سنة ابتلاء ينتهي بسمعي؟ لما أنا؟ ماذا فعلت؟" أنهت كلماتها تضرب وجهها و صدرها حتى أوشكت على مزع خصلاتها الثائرة ليلقي سيجارته التي أحرقت أصابعه ويهجم عليها محاول ردعها عن الجنون "لن يمسسك أحد؟" لم تشعر بنفسها وهي تتمسك بملابسها تتسل صدره عليها تخباً كطفلة تائهة بغابة موحشة وجدت طيفاً همس بها لا تخافي ولا تحزني، تلعلت لعيناه و همست بأنين صادق "أنا خائفةً! مرعوبة! ألا يوجد من يسمعني؟ حبراً يترأفُ بحالِي؟ أحداً يُزْهقُ روحي علَّ أرتاح من ظُلْمِ الدُّنْيَا؟" بكت بحرقة وصرخت بين أحضانه غيرُ واعيه بكفيها التي تتمسك بقميصه وكأنه قميص يوسف، سكنت روحها لروحه فملأت داخله فراغاً لم يعلم وجوده، جاهد نفسه لعدم لمسها الي أن شهقت، ليحكم ذراعيه حولها بقوة مُدثِّر رأسها بين ضلوع صدره ولسانه يسبُّ الضعف وما يُخلفه، لاعناً الشفقة التي استدرجته لسقوطها المدوِّي داخلُ صدره، مرّت لحظات

قصيرة الوقت، طويلة الأثر وكلاهما غائب عن رحيل الشمس وبزوج القمر
الذي عكس نوراً خافتًا لاح غصباً عنهما، سعل بعين متوعنة وعقله يردد له وقد
أوشك على تقبيل مفترق شعرها ليدفعها بقوة طفيفة يجز أسنانه ويهمس دون
صوت "سافلة" أغمض عيناه يسحب جسدها المترافق صوب السيارة حتى
أراها بهدوء ليتفنحو نحو مقعده وصوت داخله يُعربد كالمارد صائحاً "مُذهلة"
أدار السيارة وتحرك عقله المجنون يسأل "لما يُعربد مارد بداخلك كُلما لمحها؟"

أمانة لو داق بك الحال شوف الناس وأطلع

أمانة لو داق بك الحال روح القبر وأطلع

تلقي الأسود رم و العظم مطلع

يا مهملين المحبات عقدي انفرط منه حبات

وأبويابا روح يا ناس وحنانة راح مني

كان الأمان والسند والنظرة تكفيوني

وأخواتي يا هل ترى يكونوا رحمني

ولا القساوة في قلوبهم على وش تكفيوني

* * *

تركته نهى شارداً وركضت تقطع درجات السلالم مهرولة لتدخل وهي تصيح
بغلها الأسود "هل رأيت ما رأيت يا معلمة" نفخت دخان النرجيلة بغضب تسأل
من أين جاءت بتلك الهيبة؟ ومن ذا الرجل الذي خلع كتفها لأجلها؟، انتبهت إلى
الألم الذي عاودها وصاحت والغل يأكل أحشائها "غيري هذا الفحم فوراً" تلعلت
إليها نهى بغضب مثل غضبها وصورة سلمي تنحرها، طلتها الواقفة وثباتها!
ثقها التي لم تقدر مهما حدث لها وكأنها!، ابتلعت غضب أهل الحرارة بلقمة
واحدة؟، لا تُشبه أحد وكأنها سليلة الملوك والأمراء وهي لها نسل السباكين!
نظرت لقطة بطرف عينها ولوت فمها ناقمة عيشتها وذلك النسب الذي حاربت
من أجله، لابد وأن تعلو فوق الأخرى مالاً وشكلاً ورفاهية، لابد أن تُعامل وكأن

والدها ملك لا سباك الحارة والحي والمنطقة، نظرت لحماتها بقرف وأنزلت عينها بنفس النظرة إلى النرجيلة وقالت مُتمنعة "فحـم ماذا؟ أنا أـشـعل فـحـم وغـيرـي تـصـبـحـ هـانـمـ؟" اـنتـبـهـتـ قـطـةـ لهاـ وـمـالـتـ تـتـفـحـصـ وجهـهاـ قـائـلـةـ بـنـصـفـ اـبـتسـامـةـ رـائـحةـ الغـيـرـةـ تـفـوحـ منـكـ" هـزـتـ رـأـسـهاـ موـافـقـةـ وهـنـقـتـ "لـسـتـ وـحـديـ،ـ هلـ تـنـكـريـ ماـ يـطـلـعـ مـنـ عـيـنـيـكـ؟ـ" صـرـخـتـ بـهـاـ وـالـغـلـ يـنـضـحـ عـنـهـاـ "أـغـارـ!ـ أناـ أـغـارـ ياـ زـوـجـةـ أـبـنـيـ؟ـ الـمـ تـرـىـ كـيـفـ فـصـحـثـهـاـ" رـنـتـ ضـحـكـهـاـ المـسـتـهـزـئـةـ وهـنـقـتـ وقدـ مـالـتـ لـهـاـ بـوـجـهـهاـ "اـصـمـتـيـ حـتـىـ تـسـمـعـيـ ماـ يـقـالـ بـالـحـارـةـ عـنـهـاـ" اـعـدـلـتـ تـشـيرـ صـوبـ الشـرـفـةـ وـأـكـمـلـتـ أـمـامـ عـيـنـهـاـ المـتـوـسـعـةـ "شـحـاتـهـ صـارـ يـبـرـ لـهـاـ وـيـخـتـلـقـ الـأـعـذـارـ لـمـاـ سـبـقـ،ـ وـشـبـابـ الـحـارـةـ؟ـ ذـلـكـ الرـجـلـ الـذـيـ دـافـعـ عـنـهـاـ تـعـالـمـ بـحـكـمـةـ حـتـىـ بـاتـ الجـمـيعـ يـضـرـبـ بـأـخـلـاقـهـاـ الـمـثـلـ مـرـةـ أـخـرىـ" الـقـتـ قـطـةـ لـيـ النـرجـيلـةـ بـقـوـةـ تـصـبـحـ غـيـرـ مـصـدـقـةـ "هـلـ تـهـذـينـ؟ـ شـحـاتـهـ يـكـرـهـهاـ،ـ وـشـبـابـ الـحـارـةـ لـعـنـهـاـ مـاـ إـنـ عـلـمـواـ بـنـسـبـ أـبـنـائـهـاـ" تـقـدـمـتـ إـلـيـهـاـ تـهـفـتـ مـنـ بـيـنـ أـسـنـانـهـاـ بـحـرـقـةـ "شـحـاتـهـ لـاـ يـكـرـهـ وـلـاـ يـحـبـ أـحـدـ،ـ مـنـافـقـ لـدـيـهـ عـدـوـيـ التـرـثـةـ وـحـبـ الـفـضـائـحـ،ـ شـبـابـ الـحـارـةـ وـرـجـالـهـاـ أـعـادـواـ التـفـكـيرـ فـيـمـاـ حدـثـ،ـ أـفـيـقـيـ يـاـ مـعـلـمـةـ الـكـلـ بـاتـ يـنـبـشـ فـيـ قـصـتـهـاـ وـيـسـأـلـ أـيـنـ حـمـوـ؟ـ"

"حـمـوـ؟ـ"

"اجـلـ لوـ ظـهـرـ حـمـوـ لـنـ يـصـمـتـ حـتـىـ يـأـتـيـ بـحـقـهـ وـحـقـهـاـ" رـفـعـتـ حاجـبـهاـ تـرـمـقـهـاـ بـمـغـزـىـ وـسـأـلـتـ وـالـشـكـ يـتـسـرـبـ لـهـاـ "وـمـاـ حـتـتـهـ يـاـ نـهـيـ؟ـ غـائـبـ عنـ الـوـعـيـ تـهـجمـ عـلـىـ اـمـرـأـةـ؟ـ" اـضـطـرـبـتـ مـلـامـحـهـاـ وهـنـقـتـ وـالـخـوـفـ يـتـمـلـكـهـاـ "أـنـاـ فـقـطـ أـفـكـرـ بـصـوتـ عـالـيـ،ـ مـاـذـاـ لـوـ اـكـتـشـفـ أـنـهـ مـتـهـمـ بـاـغـتـصـابـ إـحـدـاهـنـ؟ـ" خـرـسـ فـمـهـاـ وـلـكـنـ عـقـلـهـاـ لـمـ يـخـرـسـ لـوـ وـصـلـ أـهـلـ الـحـارـةـ إـلـىـ حـمـوـ سـوـفـ يـفـضـحـ كـلـ شـيـءـ،ـ خـصـوصـاـ وـحـمـوـ يـكـنـ كـلـ اـحـتـرـامـ لـسـلـمـيـ،ـ كـيـفـ لـاـ وـهـيـ سـاعـدـتـهـ فـيـ الإـقـلـاعـ عـنـ ذـلـكـ السـمـ الـأـبـيـضـ الـذـيـ كـانـ يـُـدـمـنـ،ـ لـاـبـدـ أـنـ يـرـدـ جـمـيلـهـاـ وـقـدـ سـتـرـتـهـ وـلـمـ تـخـبـرـ أـحـدـ،ـ لـوـلـاـ تـلـكـ الـحـبـوبـ الـتـيـ وـضـعـتـهـاـ لـهـ نـهـيـ بـكـوـبـ الشـايـ لـيـلـتـهـاـ مـاـ كـانـ الـهـلـوـسـاتـ تـمـلـكـتـهـ وـلـاـ استـطـاعـتـ أـنـ تـوـهـمـهـ أـنـهـاـ هـيـ!ـ تـنـبـهـتـ لـصـوتـ قـطـةـ تـهـفـ "حـمـوـ لـنـ يـظـهـرـ!ـ أـنـاـ أـرـسـلـتـ لـهـ مـرـسـالـ يـخـبـرـهـ أـنـ الـحـارـةـ بـأـكـمـلـهـاـ تـتـرـصـدـهـ بـعـدـ مـاـ وـشـىـ عـلـيـهـ الشـيـخـ حـازـمـ بـأـنـهـ دـيـلـ الـمـنـطـقـةـ فـبـاتـ الـكـلـ يـرـغـبـ بـتـسـلـيمـهـ لـلـشـرـطـةـ خـوفـاـًـ عـلـىـ أـبـنـائـهـمـ"

لمعت عينها وهتفت تسأّل لطمئن "وهل أنطلت عليه الحيلة" تناولت لي النرجيلة من جديد وقد غيرت الفحم بذات الاشتعال السريع وهتفت "بالطبع، خصوصاً وأنى استغلت موت الفتى سيد بن سعيد الونش الذي مات من جرعة مخدرات زائدة وأبلغته أنهم ألقوا التهمة به" تركتها بعدما أمنت جانب كان يُرعها، وعزّمت وصورة سلمى وتلك اللطمة التي تلقّتها تُثير حقدها، لا يجوز أن تصير أفضل منها لابد من تغيير حياتها بأكملها والأهم جعل عابد مثل ذلك المحامي الذي حضر معها، مُنمق ورجولي والعز يفوح منه، دخلت شقتها تهتف على المستلقي فوق الأريكة كما خرقه باليه "أنهض عابد ها نحن تخلصنا من كل عقبات حياتنا" أشار بزراعه وهتف وهو يولي عنها وجهه "أتضح أنهم ليسوا أبنائي يا نهى!" بدأت باستخدام أسلحتها التي لا تصدأ نصالها لثاقٍ بلوزتها من فوقها جانباً وتنقّم تدعى المؤازرة قائلة "دعك من الماضي يا حب وأنظر أمامك، لدينا الكثير لفعله حتى نعتلي دنيا المال والثروات كما باشوات هذا الزمن" افترست عيناه جسدها وواقع كلماتها يؤوج في نفسه نقصاً بات يحبه إليه مؤخراً، لما لا يصبح كهؤلاء الرجال أصحاب الـ **الـحـلـ** السوداء والقصور والفيلات لا هو بالقليل وسامة ولا يريد أن يصير جزاراً مثل عائلته، لابد أن يرتدي ثوب الأكابر ويجالس فطاحل البلد، حملها متوجهاً لغرفتهم وكلا منهم يتطلع لعالم ليس منه عازمين على الانتقال من نقطة الصفر لأرقام يعجز العقل اللحاق بها، اثنان من الزوجان أصبحا وجهان لعملة واحدة، وأبنائهما؟ مبدأه ومراده التخلص من مسؤوليتهم واليوم ساهمت الدنيا فيما ير غب بما المعضلة إن كانوا له أو لغيره، حمدأ الله على هم انزاح من صدره.

* * *

تدثرت داخل فراشها ليسحب عامر أخيه عمر وقد حزنا لذلك التعب الذي حل بها، أطفأ الكبير الضوء مُغلقين الباب على انتهاء هذا اليوم بأكمله، فما أن وصلت بملامحها الغريبة حتى أخبرهم داود ببعض الحمى التي أصابتها ساحباً زوجته التي ما زالت تمكّث عندهم وهو يتآفف من فعلتها، هل قضت النهار بأكمله هنا، وبطبعها شديد البخل أكلت وشربت حتى كادت تجهز على مُؤن البيت لتخرج وبيدها صحنها وقد ملأتها ببعض الحلوى وأخر يكربه

وضعفته فوق الأول بحزن ملأه عامر ببعض المكسرات التي اشتراها سلمى لعشق أبنائها لها! دفعها لداخل البيت يهتف بصدره "هل أخذت الطعام من عندها" وضعت الأطباق من يدها وهتفت تدفع أبنتها إلى غرفتها "عامر من أصرّ، مجرد امتنان لجلستي معهم" صاحت الصغيرة تتقدمها "لم يعطيك شيء أنتِ من أخذتي ودون الأذن" نشب الشجار بينهم ليهتف عليها مُحذراً "إياكَ أنْ تُعيدي ما كُنْتِي تفعليه مع يوسف يا دُرية، هذا الإنذار الأول والأخير لكِ" ومن بين اليقظة والمنام أسترجع عقلها ما حدث لترى نفسها بين أحضانه في مشهد مُخزي لها لتستمع مرة أخرى لأخر كلماته التي ألقاها وهو يسندها بتحفظ الي باب بيتها "أتمنت ما طلبت سلمى هذا آخر تعامل بيننا" بكت خزياً من فعلتها فماذا سيظن بها بالأساس يراها بصورة مُخزية وقد أكدت له الصورة بل طبعتها كطابع بوسطة عتيق الطراز سيظل دوماً يتذكرها بهيئة سافرة، بكت حالها وضعفها لنهمس بخزي شملها "ماذا فعلت يا سلمى؟ مَاذا فعلت؟!"

* * * *

دخلت بيتها وقد صارت السابعة صباحاً بعد أن قضت ساعة كاملة في المشي، هكذا بدأت حياتها الجديدة فمع بزوغ الفجر تصلى فرضها وتبدأ يومها وساعدها طبيعة الناس في ذلك المجتمع السكني الفاخر فلكل إنسان هنا خصوصيته طالما لم يتجاوز خصوصية أحد،وها هم أولادها انتظموا بالدراسة وقد كثفت لهم دروسهم وتعهدت لإدارة المدرسة أن تضغط العام الدراسي بتزم واحد، انخرطت بين الدراسة ومشاغل الأبناء حتى تنامت مجمل همومها وساعدها الولدان بالاجتهد رأفةً بها وهم يلاحظون حالتها النفسية المُتداعية، صارت صامتة تتحين أي فرصة تتفرد بنفسها رغم هروبها من الوحدة التي تضعها أمام اللوم والشعور بالخزي مما حدث! صاحت تهتف على تلك التي تحضر الفطور "رباب؟ هل استيقظ الأولاد؟" هتفت رباب وابتسماتها تسبقها "أجل حبيبتي، يجهزون بغرفهم" صعدت سلم البيت الداخلي برشاقة وتوجهت تدق باب غرفتهم "عامر، عمر هيا، هل انتهيت؟" تحركت صوب غرفتها حتى تغير ملابسها وهي تسمع صوتهم يطمئنها، أخذت حمام سريعاً وارتدت ملابس رياضية فضفاضة لتتوجه إلى النافذة تفتح ستائرها، تراجعت وهي تراها يخرج وبهذه ابنته واليد الأخرى حافظة القهوة خاصة، مر شهراً ولم تلمح طيفاً رغم علمها بموعد خروجه فهو يوصل صغيرته مدرستها مبكراً ثم يذهب لعمله، هكذا خبرتها دُرية التي تعمقت معها حتى صارت كما الأخت لها، هي الأخرى توصل أبنائهما لذات المدرسة لكنها تفضل النزول متأخراً حتى لا تلتقي به فقد وعدته آخر مرة انه لن يري وجهها حتى ولو صدفة، لو فقط تُكْفِ زوجته عن ملاحقتها بأخباره! هي الأخرى لا تُكْفِ عن الترثرة يومياً لما أخبرتها عن قضية خطيرة يعلم عليها وأن اليوم جلسة النطق بالحكم؟، كما أبلغتها أن خصومه في القضية من حيثان البلد ولا يتفاهمون سوى بالدم، تنهدت من حضوره غصباً عنها وتساءلت لما صارت حياته تُفرش أمامها دوماً، نزلت إلى الطابق الأرضي تسحب مفاتيح سيارتها الجديدة وتهتف وهي تعطي أبنائهما السندوتشات التي أعدتها رباب لهم "هيا كي لا تتأخروا" تحركت بالسيارة متوجهة إلى المدرسة وهي تمنّ لأدهم الذي ساعدتها على شرائها وقد أصبح صديقاً مُقرباً من العائلة وتلك خطيبته لذينة طيبة القلب لا يُنْفَضّ حبّهم سوى والدتها التي تتدخل بينهم بشكل مستفز فتاك

شكوة أدهم دوماً، توقفت وهي تهتف لهم "مستعدين؟" هتف عامر وهو يفتح بابه "أن شاء الله" ليتبعة عمر "كتّفي الدعاء سلمتي، يوم الامتحان يُكرم عمر أو يُهان" تبسمت بيأس من مشاكله الدائمة وتحركت عائنة للبيت لا تعلم هل سيأتي شهاب كما طلب مقابلتها أم سينشغل بقضية اليوم،

دخلت من باب منزلها لتجده يجلس إلى طاولة الطعام يفتر بنهم فصاحت متوجة صوبه "رباب هي الفطور سوف يبرُد" جلست على رأس السفرة تهتف "هل قالوا لك هذا البيت ملحاً، فطار وغداً هنا دوماً" تبسم ومامزال يأكل وهتف "جعل الله بيوت المحسنين عمار يا سلمي" سحبت فنجان القهوة الذي وضعته رباب جانباً وأشارت لها بالجلوس حتى تُقطر لتهتف وهي ترتشف القهوة "أليس لديك اليوم جلسة هامة" تبسم ينظر إليها باستفهام وتهتف "يا لا اهتمامك، كيف عرفت ذلك الأمر؟" انكمش وجهها وسألت رباب "هل غيري البن" ثم التفت إلى شهاب تُجيبة "أخبرتني دريةمنذ يوم أو يومين" هتفت رباب والطعام بفمهما "البن الآخر خلص وطلبت بالأمس من درية هانم أن تخبرني من أين تأتي به ولكنها راوغت" قاطعها شهاب يهتف بفم ملتوي "أقطع ذراعي بأنها طلبت نقود لتشريه لك، طبعها وأنا أعرفه جيداً" هزت رباب رأسها بنعم لتهتف سلمى وهي تُتحي الفنجان جانباً "أما زلت تكرهها؟" أجاب بطبعه الصريح "بخيلة وانتهازية، داود نفسه يلاقي الويل من تصرفاتها لكنه كتم لا يتحدث" لم تستطع الدفاع عنها وقد تلمست ذلك الجانب بها فلم تنسى ذلك اليوم حين تركت أبنائها لتجدها أجهزت على طعام أسبوع كامل، حتى حين ذهبته لتساعدها على شراء بعض الأغراض لها ولأبنائها انتهت الفرصة وتبعضت بالكثير على حسابها مُشددة بأن داود سيخاسبها وبدورها لم تستطع طلب النقود امتناناً لوقتها ومع التكرار ظنت داود مثناها وتلك التصرفات بالاتفاق بينهم حتى صحق مفهومها ملاحظات شهاب التي لا تنتهي، هتفت تلمست لها عذر واهناً "يكفي رعايتها لأولادي، رغم تواجهها طوال اليوم معي وطلباتها التي لا تنتهي لكنها علمت أبنائي بعض السلوكيات التي ساعدتهم على الاندماج السريع مع ذويهم" التقطت قطعة من التوست المُقرمش الذي تعشقه ووضعت عليها القليل من المربى وهتفت مجدداً "ما دراستها؟ هل عندك خبر"

هتف بضم ملوبي ينظر إليها "علم نفس وكانت متوقفة في جامعتها، ارتفع حاجبيها دهشة وهمست "ليست قليلة إذن" هز رأسه وأبتسם بسماحة لتهتف

تنفس يداها "لم تقل ما الذي أتى بك مبكراً" عصّ بالطعام فاللقط كوب الماء يشربه ثم هتف بصلب الموضوع فهو لا يعترف بالمقدمات لدرجة اتهامه بقلة الذوق "سُها تسأّل عليك باستمرار لكنها تخشى رفضك لها" نهضت متوجه لبها الصالة الكبير تجلس على الأريكة تنقدّ هاتفها وتهتف "شهرانٍ ويزيد منذ خروجي ومازالت تخاف مُقابلتي؟ الم يجُن قلْبُها، مؤكّد سمعت بيوم الحارة المشؤم!" تطلعت له وقد جلس بالمقعد المجاور لها لتهتف باستفسار وغضب "كيف تواصلت معها؟" هتف دون موافقة "لائقى الأول صُدفةً ومع مرور الوقت صرنا نتحدث سوياً" رمقته بخطر تفهمه جيداً ليهتف مُباشرةً "ليس الأمر كما تظنين ولو أن هناك انشغالاً بها لكنه لم يرقى لموقع الإعجاب" عوجت فمها ترمقه بقهم، تعرف انه بعيد عن الكذب والادعاء وتذكرت حينما جاءها فائز الدم يشتكي داود وطبعه الجديد الذي صار يصاحبها، أشارت بكفها لباب بيتها وقد ضاقت من سيرته التي ما أنفك السكوت عنها حضرت أخباره غصباً، قالت بصوتٍ بدّي حزيناً لأبعد مدى "بابٌ مفتوح لها، بالأخير أختي وقطعة مني أنا من ربّيتها" أغمضت عينها وقد تذكرت ضعفها وهشاشتها لتهتف "بلغها تأتي بأقرب فرصة لزيارتني"

نهض مُبتسماً من طبيتها فهما ادعت القسوة التي طالتها حقاً لكن تظل يدها ممدودة لمن حولها وأقل مثلاً على طبيتها ضم رباب إلى منزلها أخبرته يوم خروجها أن يُرسل من ينتظرها ويأتي بها على الفور لبيتها، لم تخشى قول قائل ولا تعلّت بكون الفتاة ربيبة السجن، فقط احتوتها وأسكنتها بيتها على وعد بالبحث عن عمل مناسب لها لكن رباب صمنت على مرافقتها الدائمة تُراعي شئون منزلها ليس كونها خادمة ولكن محبة وامتنان لحسن معاملتها معها حتى بعد أن رزقها الله بتلك التركة،

نهض وقد شارفت الساعة العاشرة لتهتف خلفه وقد توجه خارجاً "أخبرها لا مانع من زيارتها، هل يوجد أم تلطف بنتها؟!" خرج وقد سمع سؤالها الساخط مُتقهم موقفها فكيف لا تهربول إليها حتى من باب الاطمئنان عليها، مُتقهم موقف الأخرى أيضاً رغم تحفظه وشكه في دوافعها بأن تظن سلمى تقرّبها لأجل الثروة التي المت بها وظناً أنها طامعة فيما تملك، هناك دوماً شعوراً يساوره بأن سُها لديها سراً هو السبب الرئيسي في موقفها، كيف لا تهرع لمن ربّتها وترتكن لأسباب ليست مُقنعة؟ لكنه عاجزٌ عن التقاط الخيط من أوله،

رد على هاتقه ليجد داود يستعجله فاليلوم جلسة النطق بالحكم في قضية دهب
هانم الاخشيدى، أغلق الهاتف يتساءل عن مزاج رب عمله الذى بات لا
يُطاق، كأنه بركان خامد وأنفجرا ليفظ حم طالت كل من حوله، رغم ابتعاده
عن مُحيط سلمى بات أكثر اشتعمالاً، إن ذكر اسمها ينصلت ويسمع بصمتاً
غاضب وزوجته لا تكُف عن ذكر أحوالها وتفاصيلها حتى اعتاد الأمر دون
الرغبة منه، صف سيارته أمام الشركة وتوجه مُباشراً لمكتبه دخل ملقي
السلام يسأل "باشا، من أين تشتري البن خاصتك؟"

ترك داود ما بيده وتطلع له وإيهامه يجري على حاجبه يسأل "أهذا وقت بُنْ؟ ولماً لست من مُحبِي القهوة" جلس بالمقابل له ورد بِمُباشرة "ليس لي بل سلمى" أرتفع حاجبيه في حركة تلقائية تلزمه وهتف ببواحد غضب "هل عينتك خادم لديها؟" تفرس شهاب بوجهه وعلامات الاستفهام تمر بخاطره ليهتف بعد صمت "زوجتك تمدها به وحين طلبت معرفة مكان المحل تمنعت وطلبت المال لتشتري" أنهى جملته يقصد إرسال المعلومة له فباتت تصرفات ذُرية تتخذ مُنْحنى خطراً، لو تتعتمد تعليق كلاً منهم بعضهم لن تفعل ما تفعل، يعرفها مُنْذ زمان، كان جارها في تلك الدولة العربية فقد سافر في السادسة عشر مع والديه بعد قرار العمل خارجاً، فتاة فاتنة الجمال لكن مجرد ما تكلمت طمست جمالها بنقل الدم، هكذا أجمع زملاء المدرسة ذُرية بخيلة ومتغطسة، انتهازية تتمتع بالكياسة بارعة في أخذ ما تُريد وهي تُشعر ضحيتها بالذنب والقصير في حقها، كان سبب في معرفة داود بها حين توفي والده ليراها الآخر بالعزاء ويُفتن بجمالها، بعدها لحقت الأم بزوجها فكانت الثانية، والأخيرة كانت حين أصيب بالزائدة الدودية ليشمله يوسف وداود بالرعاية وتأتي هي لزيارتة في المشفى وتبدا الحكاية.

منذ قرر داود الزواج من ذرية صارت العلاقة بينهم متحفظة وقد كان أقرب للصداقـة الحقيقة منذ تحذيره من طبعها أتخذاهـا داود بمحمل الغيرة ومع مرور الوقت أتضح صحة كلامه ليقف كلاً منهم عند ذلك الفاصل ولا يستطيع أحدهـم تخطي سوء الفهم الذي أنهى تناـغم بدأ بينـهم، فقط منذ شهر لانت علاقـتهم مجدداً بلـحمة من طيفـاً مضـي وهذا ما أسعـده، همس داود وطـيف الماضي يلـسعـه

"ليتني أخذت بنصيحتك شهاب! ملعون الكبر!" تطلع له غير مصدق ما سمع
ليعاجله داود وقد أرتفقت فوق وجهه ابتسامة مفادها الحسرة "أما زلت تحملها
في نفسك؟" هز رأسه نافي بقوة وبصر احتجه المعهودة قال مُباشرةً "أبداً، فقط
كُنت ألم نفسى على النصيحة وأراك لا تشتكى، كُنت مُتعسفاً ولكن!" سكت
يستطاع وجهه ثم عاود قائلاً "سكونك جعلني أشعر بالذنب سيد داود، بتُمْتَقِن
بسابق معرفتي وعشرتني باك أنك كتم للحد الذي جعل الجمود عنوانك" ارتفعا
 حاجبيه تهكمًا وهتف "سيد داود؟ إذن ما زلت تحملها بنفسك!" تطلع ل ساعته
ونهض مُبتسماً يهتف وعينه تلمع بمبادرته الغير متوقعة "هيا داود وبعد الجلسة
لنا حديث لن ينتهي"

* * *

عدّلت من طرحتها التي انتصفت بشعرها الأصفر المصبوغ وضبطت الهاتف
فوق الحامل أمامها ثم أشعّلت الضوء الأبيض الساطع لينير وجهها، تمسكت
بلي الترجمة واتخذت وضعية نادية الجندي في فيلم السلخانة وهي بين
صبيانها في محل الجزاراة لتهتف بصوتها الجهوري "ولد يا عضمه عند
الإشارة تبدأ" اليوم أول بث مباشر، طوال شهرين منصرمين تتعلم البرنامج
"النّاك توك" شاركت البعض في بثهم على سبيل الانتشار والتجربة، فبعد نجاح
ابنها وزوجته وتحقيق انتشار ومكاسب طائلة دفعتها غيرتها وحب التملق
لخوض التجربة، ولكنها لا تبغي مكاسب مالية فقط الشهرة والثناء المبالغ فقط
كنجوم السينما، ضغط زر الهاتف وتبتسم قائلة "حباب قطة، اليوم أنا معكم
من أحدي محلات الجزارة التي أمتلكها" أشارت بالعلامة المتفق عليها حتى
هتف عضمه "العجل جاهز يا معلمة، سمي وكيري" ضحكت وهمت ناهضة
تلّم أكمام عباءتها ذات اللون الأصفر الكناري تهتف وتصفق بكفيها "اللهم
صلي على النبي، هيا يا حباب قطة نذبح العجل معاً" النقطت الهاتف تناوله
لأحد صبيانها ومازال التكاميلا على نفسها لتهتف " أمسك الهاتف جيداً" صاح
الرجل بصوته الخشن العالي "أوامر يا معلمة" النقطت سكين بحجم متوسط
وبiederها الأخرى مسن وبدأت تصطركهم معاً بمهارة ضحكتها لم تخبو وهي
ترى التفاعل تخطي الخمسون ألف لتهتف "أسحب يا عضمه" أتسع المشهد

تتوسطه الرجال يسحبون العَجل يقيدو كل ساقين معًا لتصبح بصوتٍ أرعد العَجل نفسه "أسحب يا جدع" سحب الرجال الحبل ليخرُّ العَجل على جنبه فوقه اثنان آخرين تزامناً مع ميلتها لتذبح العَجل بلمحةٍ خاطفة، استقامت السكين بكفها تقطر دمًا والرجال يهلوون وقد شدوا الإحكام على المذبوح "عاش يا معلمة، شيخة الجزارين أباً عن جد" تطلعت لشاشة الهاتف وصاحت ضاحكة "ما رأيكم يا فنرات قطة"،

صرخت نهى تدق باب المرحاض على عابد وبيدها الهاتف "عابد أنظر ماذا أرسلت لك" خرج من المرحاض يُعدل بنطاله ويهاهف حاقداً "هل رأيتِ كم التفاعل الذي حصدته في ساعة" هزت ساقها اليمين باضطراب وغلَّ لهاهاهف وعينها على الهاتف "أربع أسود في عشر دقائق، فعلتها قطة وراحت علينا" صاح بحدٍّ وغضب "كيف؟ هل ستُنافسنا!" تناولت منه الحقد وصاحت بغل "صدقت أن اختفائها طوال الشهر الماضي لم يكن بسبب وجع رُكبتيها؟" جلس فوق الأريكة وما زال يتقدّم الفيديو ويصبح بغيظٍ "أيُّ وجع؟ ذبحت العَجل ولا أجدّعها شاب" اعتدل بجلساته وهتف "فكري معي لا بد أن نُشعّل موقع التواصل بشيء يمحو ما فعلت" التزم كلاهما الصمت لهتف بحماس "وَجَدْتُهَا" اعتدلت صوبه وصاحت "إثارة الشجن والرومانسية لا تخروا نارها" هتف وقد ضاق صدره "وضّحي؟"

"كأنك بضائقـة ماليـه بسبـب الكـافية الجـديـد وتسـأل الجـماـهـير أفـكار لـتـدبـير المـبلغ وأـنـا أـتقـدم بـعـلـبة الـذـهـب واعـطـيها لـك عـلـى الـهـوـاء" شـرد فـي الـفـكـرة لـيـتـسم قـائـلاً وـالـطـمع بـعـينـه يـلـمع "وـهـكـذا يـأـتـيـنا أـلـف دـعـم" صـفـقت وهـتـفت "هـيا بـنـا" دـفعـها وـهـو يـنـهـض مـتـوجـهاً لـغـرـفة الـبـث قـائـلاً "تجـهزـي وـارـتـدي الـبـلـوزـة الـزـرـقاء ذاتـ الصـدر الواسـع"

* * *

أنتصف النهار وقد أنهت تحضير الغداء حتى يأتي أبنائهما، هتفت دُرية من خلف جلستها بباب المطبخ "دعيني أتنوّق قطعة لحم يا سلمى، رائحتها أثارت شهيتي" وضعـت لها قطعة من اللحم فارتـبت حجم الكـف ومعها بعض الأرز بالخلطة وقدمـتها لها على مـضـدـ تـهـفـتـ "ـبـالـهـنـاـ عـلـىـ قـلـبـكـ دـرـيـةـ"ـ عـادـتـ تـغـطـيـ أـوـانـيـ الطـعـامـ تـهـمـسـ لـنـفـسـهـاـ بـسـخـطـ "ـمـاـ بـقـيـ سـوـىـ أـنـ تـأـكـلـنـيـ وـتـحـلـيـ بـأـبـنـائـيـ اـيـضاـ"ـ نـهـمـةـ لـاـ تـنـتـرـكـ شـيـءـ إـلـاـ وـاسـتـولـتـ عـلـيـهـ حـتـىـ الـمـلـابـسـ بـاتـتـ تـدـهـرـ غـرـفـتـهـاـ وـتـنـتـقـيـ كـلـ جـدـيدـ لـمـ يـلـبـسـ بـجـرـأـةـ،ـ لـكـ شـيـءـ حـدـ وـدـرـيـةـ حـدـودـهـاـ عـدـمـتـ،ـ صـبـاحـ كـلـ يـوـمـ تـأـتـيـهـاـ مـُـتـعـجـلـةـ تـجـلـسـ لـأـخـرـ الـيـوـمـ ثـمـ تـذـهـبـ بـعـدـمـاـ تـأـخـذـ حـصـةـ زـوـجـهـاـ مـنـ الـأـكـلـ وـالـشـرـبـ،ـ هـلـ يـعـلـمـ بـمـاـ تـفـعـلـ؟ـ وـإـنـ كـانـ عـلـمـ هـلـ يـرـضـىـ بـأـسـلـوـبـ الشـحـاذـةـ الـمـنـمـقـ؟ـ!ـ ضـاقـتـ ذـرـعـاـ بـطـبـعـهـاـ مـنـذـ أـنـ أـنـتـ بـالـمـدـرـسـيـنـ لـأـوـلـادـهـاـ بـالـبـيـتـ بـاتـتـ تـقـحـمـ لـيـنـاـ مـعـهـمـ رـغـمـ إـنـهـاـ لـيـسـ بـصـفـ عـمـرـ لـكـنـ دـرـيـةـ لـاـ تـفـوتـ فـرـصـةـ حـتـىـ تـُـحـسـنـ اـسـتـغـالـلـهـاـ،ـ لـاـ يـعـنـيـهـاـ ثـمـ الـحـصـةـ الـذـيـ تـخـطـىـ الـخـمـسـمـائـةـ جـنـيـةـ،ـ تـعـلـمـ مـُـسـاعـدـتـهـاـ الـكـثـيرـ لـكـنـهـاـ لـوـ طـلـبـ ثـمـ الـخـدـمـةـ أـفـضـلـ مـنـ حـرـقـةـ الدـمـ،ـ طـامـعـةـ حـقـاـ وـبـخـيـلـةـ بـشـكـلـ زـادـ عـنـ الـحدـ،ـ اـنـتـبـهـتـ إـلـيـهـاـ تـهـفـتـ "ـسـامـحـكـ اللهـ يـاـ سـلـمـيـ،ـ بـثـ أـخـجلـ مـنـكـ جـداـ"ـ تـنـاـولـتـ كـيـسـ الـبـنـ الـذـيـ أـحـضـرـتـ لـهـاـ تـقـحـمـهـ وـتـسـأـلـ عـاجـزـةـ عـنـ الـمـجـاـلـمـةـ "ـوـلـمـ الـخـجلـ دـرـيـةـ؟ـ"ـ دـسـتـ قـطـعـةـ مـنـ الـلـحـمـ بـفـمـهـاـ تـأـكـلـهـاـ بـنـهـمـ وـتـشـرـ صـوبـ كـيـسـ الـبـنـ بـعـيـنـهـاـ قـائـلـةـ "ـتـسـعـمـائـةـ جـنـيـةـ ثـمـ الـبـنـ"ـ اـبـتـلـعـتـ مـاـ بـفـمـهـاـ ثـمـ هـتـفـتـ مـرـةـ أـخـرىـ "ـدـاـوـدـ بـاتـ لـاـ يـطـيقـ طـعـامـيـ،ـ أـصـبـحـ مـُـدـمـنـاـ لـطـعـامـكـ حـتـىـ أـنـهـ يـرـجـوـكـ أـنـ تـأـخـذـيـ ثـمـ الـطـعـامـ وـتـجـعـلـيـ لـهـ حـصـةـ ثـابـةـ"ـ رـمـشـتـ بـعـيـنـهـاـ وـاـضـطـرـبـتـ،ـ هـلـ قـرـأتـ أـفـكـارـهـ؟ـ وـكـيـفـ يـطـلـبـ دـاـوـدـ مـثـلـ ذـلـكـ طـلـبـ؟ـ الرـجـلـ لـاـ يـطـيـقـهـاـ،ـ رـدـتـ بـصـدـقـ "ـمـاـ هـذـاـ الـكـلـامـ دـرـيـةـ بـالـأـخـيرـ مـُـجـرـدـ لـقـمـ،ـ أـخـبـرـيـنـيـ فـقـطـ مـاـ يـشـتـهـيـ وـسـوـفـ أـعـدـهـ لـهـ"ـ تـصـنـعـتـ الـدـهـشـةـ وـهـتـفـتـ تـدـعـيـ الـخـجلـ "ـلـاـ سـلـمـيـ،ـ فـقـدـ تـشـاجـرـتـ مـعـهـ كـيـفـ يـلـزـمـكـ بـأـمـرـ كـهـذاـ؟ـ لـكـلـ شـيـءـ حـدـ"ـ تـنـاـولـتـ كـوبـ الـمـاءـ تـجـهـزـ عـلـيـهـ إـثـرـ الـعـصـّـةـ الـتـيـ أـصـابـتـهـاـ وـأـكـمـلـتـ بـوـجـهـ يـمـتـهـنـ الـمـسـكـنـةـ "ـقـوـلـتـ لـهـ تـحـنـ أـصـبـحـنـاـ ثـقـلـ الـدـمـ وـسـلـمـيـ سـوـفـ تـكـرـهـنـاـ،ـ وـصـدـقـيـ!ـ يـرـدـ لـيـ كـلـمـتـيـ وـبـيـتـسـمـ قـائـلـاـ سـلـمـيـ إـنـسـانـةـ لـنـ يـجـوـءـ الزـمـانـ بـمـثـلـهـاـ"ـ تـحـرـكـ شـيـءـ دـاخـلـهـاـ بـجـانـبـ الـدـهـشـةـ،ـ هـلـ يـمـدـحـهـاـ؟ـ كـيـفـ وـقـدـ اـشـتـرـطـ أـلـاـ تـظـهـرـ لـهـ؟ـ مـاـذـاـ يـحـدـثـ؟ـ!ـ هـتـفـتـ وـكـلـامـ مـنـ أـمـامـهـاـ يـُـشـعـرـهـاـ بـتـأـنـيـبـ الـضـمـيرـ وـالـمـسـؤـلـيـةـ وـتـغـاضـيـتـ عـنـ لـمـحـةـ فـرـحـ مـسـتـهـاـ "ـأـخـبـرـيـنـيـ

فقط ماذا يُحب ويُشتهي" لمعت عينها تُكمل طعامها بنهم وتهتف "سلمى!
المحاشي بجميع أنواعها يحبها خصوصاً ورق العنب، الدجاج المشوي واللحم،
الرقيق والبط ويُعشق الموزة الضائني والفترة والحمام الـ" قاطعتها مُستغربة
"مهلاً! لما لا يظهر عليه أثر ذلك الطعام الدسم؟" زاغت عينها بأرجاء المطبخ
حتى همست وكأنها تُلقي في البئر سر "الحيم؟ صالات الألعاب الرياضية
حبيبي! داود جعل غُرفة في بيتها صالة ألعاب على أعلى مستوى" ضحكت
بمحبة وهتفت تُشير على بيتها "تخيلي! يُريد صُنْع مثلها لك ولأولادك، يقول
هذا أكثر أمناً على عامر ثم عمر ولك أيضاً" توقفت يداها عما تفعل وهتفت
مُتقاچئة "أنا؟ وما شائي؟" أهدتها ذُرية اندھاشاً وهتفت معاتبة "سلمى؟ داود
رجل شرقي غير أنه يغار على أهل بيته غيرة حارقة"

"يغار؟! بيته؟!" هتفت بها مُستنكرة، لتهزّ الأخرى رأسها مؤكدة وتبتسم قائلة
"صدقيني لن يسمح لك بالذهاب إلى صالات الرياضة أو يسمح بأن يتعامل
معك رجل غريب، ما زلت لا تعرفين داود حق المعرفة" دفعت الصحن بعدما
أنهت وأكملت "داود يعتبرك من العائلة، حتى أني أفتعمت بشق الأنفس أن يتركك
لرياضة الصباح، فاذعن لأجل خاطرك، وحتى لا تحزني"

رمقتها بشك وهمست لنفسها بجنون مما تسمع "خاطري؟! هل يخاف أن
أحزن؟" انتبهت صوب الباب وقد دقّ الجرس وعقلها غير مستوعب ما
سمعت، من يغار ومن يحزن هل تلك المجنونة واعية عما تحدث! هتفت إلى
رباب بصوت مُهتز وعقل غادرها "اقتحي لو سمحتي ربّاب، من يا ثري"
دقيقة حتى عادت ربّاب تهتف وعينها على ذُرية بقلق "سلمى؟ سُها هنا!"
تحركت بعد بُرُّهة من استجمام نفسها المضطربة تستقبلها لتمسّك ذُرية بزراع
ربّاب تضغطه وتهتف بتکبر "أسمها مدام سلمى أو سلمى هانم، لما تنسي
نفسك دوماً وتنتعامي وكأنها صديقة لك!" دفعت كتفها تهتف "أعدي لي فنجان
من الشاي الأخضر!"

* * *

خرج داود من قاعة المحكمة يبتسم بعدهما ربح القضية الخاصة بالسيدة دهب بعد أن قدم مُرافعة تُدرس، تبسم لصهيب الذي رافقه قائلاً "أذهب مع شهاب حتى تستلم حُكم البراءة وتنتمي الإجراءات بسرعة" تطلع له صهيب بإعجاب وتحرك يهتف سعيداً بغير تصديق "أنتَ أسطورة، بل داهية مُتحركة تُسمى داود الرازي" ابتسم منتشرًا بما حققه فقد تكون على الشهود لأخر الوقت وفاجئ الجميع بما أعده مُسبقاً بعدهما أتي بصناعة الذهب الحقيقي في مواجهة صناع الذهب المُقلد ليثبت بالدليل القاطع الملعوب الذي دُبر، وَلَوْ رأي وجهه قاسم الوكيل الآن وما ردة فعله بعد أن أوهمه بالتضامن معه، نظر في ساعته وهمس "مؤكد وصله خبر البراءة" انتبه مُتذكرة القاضي الذي أشاد بهاته وتقاجأ بوكيل النيابة حين وجد أدhem الصاوي بنفسه وقد حُولت القضية إلى حيازته، تسأله هل قاسم له سلطة بهذا التحول؟ كان طلبه عندما شكك في نزاهة وكيل النيابة السابق حينما حاول الضغط على دهب لتغيير أقوالها لاستشعار الخطأ والمواربة!، انتبه لصوته يتقدم صوبه "حقاً أحسنت داود باشا"

تحرك يرمي بغير راحة وهتف "من بعض ما عندكم أدhem بيتك" أستاذن منه بحجة إتمام الإجراءات فقد بات يكرهه كُلما لمح سيارته أمام منزل الأخرى، شاهده ذات مرة يتعشى في حديقة منزلها وبصحتهِ خطيبته التي صارت صديقتها، تعزم الكُرة الأرضية وتُرسل له الطعام كالباس مع زوجته ورسالة باتت ماسحة مفادها اعتذار وامتنان لوقفته معها، سرّح عقله وتساءل، هل تشكره على المؤازرة أم تعذر عما حدث بتلك الليلة؟! لليوم لا ييرح عقله الحُضن المؤرق وكُلما أعاد عقله المشهد شعر وكأنها التصقت بضلوعه للأبد، نفض رأسه علّها تتركه وترحّم عقله الذي يستحضر هيئتها دوماً فرغم إجبار نفسه على التلهي بكل شيء دونها والمُكافحة لنسيانها يجد من أقحمها مُجددًا داخل خياله، أغمض عينيه للحظة وعطرها يداعب حواسه، لالآن لا يعلم من أين تأتي بهذا العبق الممزوج بالنعناع والدخان وبينهم شذا عطر أنثوي حد اللعنة عجز عن كشفه هوبيته، رفع هاتقه عاجزاً عن معرفة سبب تغيره واضطرب به المفاجئ ليسأل "هل انتهيت شهاب؟ هيا ودع صهيب يُكمل" مرّت ساعة وهو يجوب الطريق بلا هدى جواره شهاب ينظر شروده بين الفنية والأخرى حتى سأله "داود؟ مَاذَا بك يا صاحبي؟" تنهى عاجزاً عن التعبير

وكلمة صاحبى تُشير به شجن ليهتف برغبة حقيقة في إزالة الهم الجسم على صدره "لا أعلم شهاب، دون مقدمات وجدت نفسي ارکض بنفس المكان والأنفاس مقطوعة بصدرى" حات شهاب ما بين عينيه وهتف بطبع الصدق الذي يملكه "أتفهمك، يبدو أنك وصلت لأعلى درجات التحمل، نفذت طاقتك" سأل بجدية "ترى ما السبب؟ ولما الآن؟ عشر سنوات غير مُبالي فماذا حدث؟" أحجم عن ذكر الواقع بينه وبين زوجته فكيف يشكو تمنعها عنه الذي أهان رجلته وما زاد النار اشتعالاً حين واجها لتهف بسجاحه لم يراها عليها من قبل تدعى عدم رغبتها بذلك الأمر منه! هل يُهين رجلته ويشكوا نشووز طبعها بأكمله، إهمالها ازداد حد المأكél والملبس وبذات الوقت يجد من ينعتها بالسافلة تحنو رغم كره لها، تداعب ما يفتقد من اهتمام زوجته دون دراية بما تفعل، بالأمس أهدته عطراً جديداً شديد الروعة، أرسلته مع ذرية تركن السبب لسرعة تسللها ميراثها، زوجة تبتعد قاصدة وغريبة تقترب دون قصدٍ منها! وهو بات لا يملك لنفسه رادع كيف يقتل طيفها الذي لا يتركه، ظمان قتلها العطش وما إن تزوق مائتها قتله الظما أكثر ليعود بئرها فيجدد مُعكرأً، تمسك شهاب بالصمت لفترة وعقله يُثير الكثير من اللغط ليهتف بما أراد التحدث به منذ فترة ويترك أمر تفسير حيرته للأيام القادمة "سلمي؟" قاطعة يصبح بحده غير متوقعة "ما بها؟ ها! أنا لا أضعها بمقارنة مع ذرية"

طاف الصمت الذاهل بينهم، شهاب يلتقط خيطاً رفيع من انفعاله وداود يلعن نفسه بما تفوه لسانه! سؤال صامت هو ما أشتراك بينهم مفاده "بماذا نطق؟" سعل شهاب وقد التقط ذلتة فقال يتصنّع عدم الملاحظة بمهارة "سلمي بريئة داود! هناك الكثير والكثير من الأدلة تدعم براءتها" صمت ولم يعقب كعادته والمارد داخله يتمنى أمل، كلما أسترجع ما حدث بالحارة شعر بشيء خاطئ، تشجع شهاب وأكمل ينتهز صمته، أنا أجريت تحليل DNA لأنباء سلمي وثبت صحة نسبة لأبيهم مئة بالمئة" التفت نحوه مُقاچي وسائل وحاجبيه تلمسا السحاب "كيف فعلناها؟" تمسكت كفه بمقبض الباب المرتفع ورجع بذاكرته لذلك اليوم يُقصّ عليه وكان المشهد يتجدد أمامه،

وَقَعْ عَابِدُ الْأَوْرَاقِ الَّتِي دَفَعَهَا شَهَابٌ أَمَامَهُ حَتَّى أَسْتَلَمْ نَسْخَتَهُ لِيَلْمَحْ شَهَابَ
شَعْرَةً مِنْ رَأْسِهِ سَكَنَتْ كَتْفَهُ تَسْقَزُهُ فَوْقَ تِيشِرْتِهِ أَبِيضُ اللَّوْنِ، فَاقْتَلَعَ أَنَّهُ
يُطِيبُ خَاطِرُهُ اثْرُ الْمُصِبَّةِ الَّتِي أَلْمَتْ بِهِ ثُمَّ مَدَ كَفَهُ عَلَى كَتْفَهُ قَائِلًا "تَجَلَّدُ أَعْلَمُ
أَنَّ الْأَمْرَ مِنْ وَرَاءِ الْعَقْلِ" أَنْزَلَ عَابِدَ رَأْسَهُ أَرْضًا تَزَامِنًا مَعَ سَحْبِ شَهَابِ كَفِهِ
مُلْنَقِطًا الشِّعْرَةَ بَيْنَ أَصَابِعِهِ لِيَتَرَكِهِ مَتَوْجِهًا صَوْبَ سِيَارَتِهِ وَكَفُهُ مُخْبَأً فِي
جَيْبِهِ، مَا لِيَلْتَقِطْ مَحْرَمَةً وَرَقِيقَةً وَأَخْرَجَ كَفَهُ الْحُرُّ يَدِسُ الشِّعْرَةَ بَيْنَ الْمَحْرَمَةِ
بِحَذْرٍ، بِصَبَاحِ الْيَوْمِ التَّالِي كَانَ يَفْطِرُ مَعَ أَبْنَائِهِ لِيَقْتَلَ مُزَاحَّاً خَشْنَ مَعِ
الصَّبَّيْنِ حَتَّى حَصَلَ عَلَى شِعْرَتَيْنِ لِيَتَوَجَّهَ لِمَعْلَمِ تَحَالِيلِ مُتَخَصِّصِ بِهِذَا
الشَّأْنِ، أَسْتَلَمَ التَّحَالِيلَ بَعْدَ عَشْرِينِ يَوْمًا لِيَجِدَ النَّتِيْجَةَ مُطَابِقَةً مِنْهَا بِالْمِئَةِ.

تَوَفَّتِ السِّيَارَةُ أَمَامَ مَكْتَبِ وَدَادِ تَزَامِنًا مَعَ تَوْقِفِ الْحَكِيِّ لِيَهْتَفِ إِلَيْهِ "خَبِيْثُ أَنْتَ
يَا شَهَابَ"

* * *

جَلَسَتْ بِبَهْوِ الْبَيْتِ الْفَارِّهِ تَتَطَلَّعُ حَوْلَهَا بِصَمَتِ، تَغْبَطُهَا عَلَى مَا أَصْبَحَتْ عَلَيْهِ
مِنْ نَعِيمٍ وَبِذَاتِ الْوَقْتِ سَعَدَتْ مُقْتَنِعَةً بِأَنَّ ذَلِكَ التَّرْفُ عَوْضُ اللَّهِ عَلَى مَا تَكْبِدَتْهُ
مِنْ ظَلْمٍ، امْتَدَ الصَّمَتُ وَكَلَّا مِنْهُنْ عَاجِزَةٌ عَنِ الْبَدَءِ لِتَنْتَهِزَ الْفَرَصَةَ وَتَتَوَجَّهُ إِلَى
دُرْيَةِ بَنْظَرِهِا وَقَدْ فَرَضَتْ نَفْسَهَا بَيْنَهُمْ بِجَرَأَةِ بَاتَتْ تَخْنَقَهَا، هَنْتَقَتْ بِوْجَهِهِ جَامِدَ
"دُرْيَة؟" هَلْ مُمْكِنُ أَنْ تُحْضِرِي الْأَبْنَاءَ مِنَ الْمَدْرَسَةِ؟" نَهَضَتْ تَسْتَغْلِلُ الْفَرَصَةَ
تَهْتَفَ "طَبِيعًا، طَبِيعًا" تَوَجَّهَتْ يَمِينَ الْبَهْوِ تُحْضِرُ حَقِيقَتَهَا وَمَا أَنْ فَتَحَتْهَا هَنْتَقَتْ
تَدْعِيُ الْخَجْلِ وَمَالَتْ تَهْمَسُ بِصَوْتِ التَّقْطُهُ جَمِيعَ مَنْ حَوْلَهَا "عَذْرًا سَلَمِيُّ"
تَرَكَتْ مَحْفَظَتِي بِالْبَيْتِ فَهَلْ لَدِيْكَ بَعْضُ الْفَكَهِ لِسِيَارَتِهِ الْأَجْرَةِ؟" وَارَتْ سَلَمِيُّ
دَهْشَتِهَا مِنْ ذَلِكَ الطَّبَعِ وَهَنْتَقَتْ "رَبَّاب؟ حَقِيقَتِي مِنْ فَضَالِكَ" أَقْبَلَتْ عَلَيْهَا تَبْكِيَ
لِينَكْمَشَ وَجْهُ سَلَمِيُّ تَسْأَلُ دُونَ سُؤَالٍ مَاذَا بِهَا، قَاطَعَتْ دُرْيَةُ الْمَوْقِفِ تَهْتَفَ
وَكَأْنَهَا وَجَدَتْ فَكْرَةَ الْمَعْيَةِ "وَلَمَا النَّقْدُ؟ أَعْطِنِي مَفْتَاحَ سِيَارَتِكَ أَفْضَلَ!"
"وَأَيْنَ سِيَارَتِكَ دُرْيَة؟" سَأَلَتْ سَلَمِيُّ تَرْمِقَهَا بِحَذْرٍ لِتَتَوَجَّهَ صَوْبَ مَفْتَاحِ السِّيَارَةِ
فَورَ أَنْ لَمَحَتْهُ ثُمَّ التَّقْطَتْهُ ذَاهِبَةً لِتَهْتَفَ "فَارِغَةُ، لَيْسَ بِهَا بِنَزِيرٍ" خَرَجَتْ
مُسْرِعَةً مُعْلَقَةً أَذْنَاهَا عَنِ السَّمْعِ، سَوْفَ تَرْتَأُ سِيَارَتِهَا الْفَارِهَةَ أَلِيْسَتْ تَسْتَحِقُ
السِّيَارَةُ عَوْضَ عَنِ الْمُرْضَةِ؟ هَمْسَتْ سُهَا أَخِيرًا وَلَا تَعْلَمُ لَمَا ذَكَرَتْهَا دُرْيَةُ

بني "أختي؟ من تلك المرأة الجريئة؟" تلعلت لها ورددت بطبيعة يشوبها الحدة "هل أخذت سيارتي؟" أغمضت عينها يائسة ثم تنهدت قائلة بغضب ارق من أمامها "ضاقت نفسي منها! صارت مُستغلة جداً" تنبهت على الموقف البارد الذي افتعلته ذُرية رغم سخونة اللقاء الذي لم يبدأ لتهف سلمى مُعاتبة من أمامها بحده "وأنت؟ أخيراً تذكرت أن لكي أخت؟" رقت دموع سُوها واعتلاتها أحساس بالذنب لم يخبو حتى همست تبكي "خجلت أن أتني إليك" صاحت بها غاضبة "ولما يا سُوها! لما؟!" أشتد البكاء عليها وهمست بصدق "ليس لي عين، لفظت أبنائك، ولم أهتم بالسؤال عنك، فكيف أفعلاها يا سلمى؟" هزت رأسها وأغمضت عينها تمنع حقدها المتصاعد تندذر ما قصة عمر لها، رغم أنها أفهمته بأنها لا تملك حتى قوت يومها وبالأخير تعيش على إيراد البيت المتهاك الذي تركه المعلم سعدون لها وبعض فرص العمل حصلت عليها ما بين شركة ومصنع ومكتب محاسبة رغم حصولها على شهادة جامعية فهي خريجة كلية التجارة بالقاهرة لكن حالها كما حال جيل بأكمله، كذاً دراسة دون فرص عمل لكنها مازالت ناقمة من إهمالها لأبنائها كان يكفيها سؤال ولو على مضض، تنهدت بسخط وقالت بمعزى "عمر أخبرني ولكن أعاذراك لم تُقعني سُوها" نشجت بالبكاء الحار وشعورها بالذنب يرتفع مرتبة أعلى لتهف سلمى وقد رقت لحالها رغم الجليد بينهم "أتفهم تخوفك كلام الناس سُوها وهو سوك المرضي بأن يفوتك قطار الزواج بسببي وبسبب سمعتي التي تلطخت" نهضت سها جوارها تستسمحها بقلب ملئ "سامحيني سلمى، عادات المجتمع قاسية، أنا لم أسلم مما تعرّضت له بات الجميع يتذنبني" مسحت دموعها وأكملت بأنفاس مُهدر "من هاب شيء بُليّ به! وبلاني طباع الناس فجُبرت على موقفي" نهضت تمسح دموعها وتستخلص ابتسامة من روحها المهملة وقالت وهي تنظر لعين من تطالعها "لك كل الحق في كُرهي سلمى" ترددت ولاح على وجهها الحيرة لتثبت بوقفتها وتهمس بتردد "تقدم لي عريس" لاح الإحباط في عينها تُكمل "سأستخير الله حتى أقرر" سحبتها بعنف من ذراعها تجلسها مجدداً وهتفت بسلط تسأل "عريس! هل هو زميل لك بالعمل؟" حرّكت رأسها بالرفض وهمست وغصة البكاء تكم أنفاسها "أنت تعرفيه، بن السنت نعيمة

**صاحب محل البقالة والتموين "ارتقع حاجبيها ترمقها بفزع لتضرب صدرها
صارخة "نهارك أسود، سمسس!"**

تركتها تهأً بعد توبیخ ساخن وتوجهت صوب رباب الباکية تتقدّها وما أن علمت بفعلة دُرية صرخت بقوّة "إياكِ أَن تصمُّتْ لِهَا مَرَّةً أُخْرَى؟ هَا أَنَا أُفْوِلُهَا، مُثْلِمًا ثَعَالِمَكَ عَامِلِهَا"

صاحت مجدداً تجلس بالصالحة غاضبة وقد باقتها الطبع الشعبي "على رأي المثل، سكتنا له دخل بحماره" رمّقتهن وقد علا بُكائهن لتصريح وقد فاض النك بها "كفا بكاء، أنتن قبلة نك، ما هذا اليوم يا ربى"

* * * *

جلسا بالمكتب والذكريات القديمة تتدفق بينهم لينسحب عُكار الماضي رويداً رويداً تارك دفء العشرة وعقب اللحظات التي لا تنسى وسيرة يوسف المصري تحضرهم، دخل العامل بالقهوة ليسأل داود مهتماً "كم الساعة؟" رد شهاب مستغرب حماسة المفاجئ "الخامسة والنصف" نهض يُشير باتباعه يلقط جاكت حلته ليصبح شهاب خلفه "ماذا حدث؟" وبسرعة لم يعلم فحواها أحدهم كان يُدبر سيارته وشهاب مازال يستقر ليتحرك هاتقاً "الم تقل ترِيدَ البن؟" رمقه شهاب مُستقهماً يتذكر حديثهم بالصباح ليسأل بوجه مقلوب والسيارة تُسرع "هل ستشتريه بنفسك؟" أجاب ببساطة لم تكن له "من باب الشُّكر، يكفي الطعام الذي تُرسله يومياً" سأله شهاب مذهول وقد اختلط عليه الأمر "من يطعم من؟ هل ثُخِرْف أم عقلك جن؟" أنتبه لما تفوه وهتف مراوغًا وقد فطن لأسرفه بالحكى "ها، لا أفهمك، وضح مقصدى"

"نعم؟!" صاح بها شهاب وقد تشوّشت أفكاره ليصيغ معتبرضاً "أنا من بات لا يعي ولا يفهم، تارةً ثبور وتغضب وتارةً تلعن ذكرها والآن تُفاجئني بتصرفك" رمقةً بجانب عينه يسأل بفضولٍ متعجب "ثم ما أمر الطعام هذا وما علاقته بها وربنا وبالأمر برمتِه، طار عقلي وبِتُّ تائهاً يا جدع" احمرَ وجه داود من شدة كتمان الضحك ليقهقِه وقد صفت السيارة أمام محل البُن، ترجلَ تاركه للحيرة تعصف به ليتطرق عقله للمرة فرُضت نفسها تضرُب أفكاره المبعثرة، أفتح

فأه على وسعه وعيناه أوشكت ترك مجرها ينظر نحو الذي تسلم كيس ورقي
كبيراً وكأنه أبتابع محل البن بأكمله ليهمس مصعوقاً وهو يرى خطواته العائدة
"داود؟ سلمى؟ متى؟ لا يمكن!" فتح داود الباب الخلفي للسيارة يضع الكيس
الورقي تحت عين شهاب الذي التف بكمال جسده يتبعه بقلق ليهمس داود
يُطالعه تحت نور السيارة الداخلي مُشاكساً في سابقة لم تحدث من قبل "أنظر
أمامك يا ولد" تفحصت عين شهاب الذاهلة ملامحةً ومال معاونه يفتح الكيس
قليلًا ليهمس ومازال يُكذب نفسه "بن وشكولاتة بطعم البن، حلوى وكاندي،
بسکوت أيضًا" رفع أنظاره لمن يدفع يده بقوه وسأل مُباشرةً "داود هل"
انصهرت الكلمة واختفت بين ضجيج السيارات وأبواقها بإذ عاج لإحياء زفة
عرسان ظهرت من عدم، صرخ بربع لا يعلم ماذا يحدث وأنذه تلقط دوي
طلقات نارية من بين ضجيج الأبواق والموسيقى، انتقض بالألم وسكن جسده

فوق السيارة

* * * *

أنتهى الدرس وغادر المدرس يُثني على مجهد أبنائها بعد لفت انتباه ذرية لمستوى أبنتها المتداع، نهضت سُها تنظر ساعتها وقالت "الوقت تأخر، لا بد أن اذهب سلمى" تلتفت إليها مطولاً لتهتف سلمى بأمر غير قابل للمناقشة "لا رجوع لتلك الحارة"

لم تفهم مقصدتها جيداً لتهتف مرة أخرى "لا أحب العودة متأخرة، تعرفين أهل الحارة وألسنتهم" سحبتها بقوة حتى وقعت جوارها ومالت إليها تهمس بغضب خشية سماح ذرية التي تُركز معهم "لن تعيشي بعد اليوم وحدك وموضوع سسم ونعيمة يُحذف من رأسك لن أعيد كلامي مرة أخرى" ارتعبت سُها من تصريحها والجبروت الذي لاح بعينها كما سعدت أيضاً باهتمامها وتمسّكها بها تهمس بصدق نية "يكفيك أختي، أضعت شبابك في رعائي فلا تُشعريني بأنني ما زلت عبَا عليك"

رق قلّها وتنكرتها صغيرة تتعلق بجلبابها تبكي، لا تصمت إلا وهي تحملها فوق كتفها تُهدهدها، همست تكتم الدمع بعينها "من يومك ملكة الدراما سُها، السيدة أمينة رزق بجلالة قدرها" أرتفع كفها يمسح دموعها وقالت وعينها تُشير صواب أبنائها "فكري كيف تسترضيهن خصوصاً عمر لأنك لن تغادري هذا البيت أبداً، موضوع منتهي" همست وعينها تتابع أبناء أختها بندم "عمر القى على سلام فاتراً وعمر رمقني بغضب" تبسمت ثم قالت وعينها مازالت صوبهم "لا تحزني مازال صغير لذا دعى الأمر للأيام تتكلف به" قاطعنهم ذرية وقد التقطت حديثهم بخبث طبعها، أحرقتها الغيرة من فكرة بقاء سُها جوارها، وبنظرة لهيئتها البسيطة وملابسها شديدة التواضع علمت ما ستفعله سلمى من شراء الملابس وتلبية كافة احتياجاتها لذا تبسمت بلهؤ وهتفت بحنان زائف "هل أنت راحلة؟ هيا دعيني أوصلك" تحرّجت سُها وشعرت بثقل نفسها وشعور بارد بالغرابة مسها وذرية تلهمها بأنها الأقرب لسلمى عنها لتهض بقلة حيلة كعادتها السلبية تستعد للرحيل فوراً انتفضت سلمى تصيح بغضب "ماذا سُها، ألن تحترمي كلمتي!" نهضت تُكمِّل هنافها بسلط مفرط "كلمتني أمر ترجئي على كسره"

"ماذا سلمى! ليست صغيرة تحتجزينها لي؟" قالتها ذرية بغيره وغل لتهتف بها "ليس من شأنك ذرية، ألزمي حبك، وأجل سوف أسجنها لدبي" رمقتها

مُحذرة وصاحت بعلو دون اهتمام لها "عَامِر؟ خُذ خالتك لغرفتها المجاورة
لِكَمْ"

لملمت دُرية غيرتها وتقدمت بتحفظ صوب سُها تهمس "لن يضرُّ بقائك لليوم وبالصباح أذهبني حيثما أردت" لمحت عمر يرمي خالتة بلوم ويتقدم مُسرعاً ليهتف "ماما هاتفك يرن" التقطت الهاتف ترُد بغضب لتجد شهاب يصرخ "درية لديك! أين تلك المريضية؟" هتفت باستفسار تتوجه إلى الباب تفتحه لتسمع صراخ شهاب "داود مُصاب وأنا على باب بيته ولا أحد" صاحت بفزع وقد لمحته أمام الباب "أحضره شهاب دُرية هنا" لم تكمل كلماتها وشهاب يقتحم بوابة منزلها يحمل داود المُغرق بدمه ويصرخ "أفسحوا، أفسحوا" وضعه بأول أريكة قابلته والتلف يصرخ بـدُرية يُخرج بها خوفه "لما لا تجلسني بيتيك مثل أي زوجة؟ الرجل يموت وأنتِ هنا" طالعته بحدٍّ و هتفت "كيف تتحدثُ معِي هكذا؟ أنسى نفسك!" صرخت سلمى بهم بتوتر "ليس وقتكم، دعك منها شهاب وتعال ساعدني" هرول إليها لتهتف مرة أخرى "رباب، عُلبة الإسعافات بدولابي أحضريها فوراً" وتب عَامِر ينهب السُّلُم كل درجتين معاً ويهتف "سوف أحضرها أنا" تقدمت درية تستقرس بثبات أدهشهم "ما به شهاب وما هذا الدم الذي لا يتوقف؟" تبادل شهاب النظر مع سلمى التي طلبت استفساراً صامتاً ليهتف بتهمك وعيته على درية "كان يصطاد الإوز من ناصية الشارع، أما الدم فجميع خلق الله لديها دماء عداك يا منبع الاستفزاز" دفعها بغضب جانباً وهم بمساعدة سلمى يهمس لها "لا أعلم؟" مر زفاف جوارنا وعلا الصخب ودون مقدمات وجذنا طلقات نارية تستهدفنا" مالت تفك أزرار الصدرية التي يلبسها لتشهق قائلة "طلق ناري؟ ساعدني سريعاً لأخلع عنه ملابسه" ناولها عَامِر صندوق الإسعافات، ففتحته بهمجية وتناولت المقص تُشُق الصدرية وأتبعتها بالقميص الأسود وما أن شقت الجانب الأيمن حتى هتفت بفزع "رصاصتين؟" هتفت دُرية تلتقط هاتف سلمى "ما كلمة السر، سأتصل بالشرطة"

"لا" قالها شهاب يسترجع الموقف بأكمله ليسحب منها الهاتف مُرداً "انتظري عسى الأمر مُدبر!" صاحت دُرية تسأل بثبات "هل أصحاب قضية اليوم؟" قاطعنها سلمى بأعصاب مُضطربة تصيح بهم "دعونا نُنقذُهُ أولاً وبعدها نُقرر

ما نفعل" بدأت التعامل مع الرصاصتين وحمدت الله أن واحدة منهم مجرد شظية أعلى كتفه لتخرج الثانية التي استقرت قرب الصدر بالجانب الأيمن ولم تُصيب قلبه، التقطت بأذنها هممات بقاء الصغيرة لينا لانقت صوب آخر البهو لتجدها منزوية تتنحب بقوة، صاحت بصوت جعلته قدر استطاعتها طبيعياً "عمر؟" رفعت عينها وأشارت بصمت له فهروي الصغير إليها وقد سبقه عامر يهمس لها "لا تخافيلينا تعالى لا تبكي" هتفت سلمى متعجبة من ثباتها وما زال تركيزها معه "ذرية أبنتك تبكي؟" تنهدت ذرية بملل وغممت مُتأفة وقد توجهت تصيح بوجهها "أخرسيلينا، هل مات حتى تتنحبي؟" تبادلت رباب النظارات مع سُها إثر كلماتها الفجة كما تبادل شهاب وسلمى ليسغفر بغضب هامساً "سأضرُّها" بادلةه الهمس بدورها وقد بدأت في تقطيب ذراعه "أقسم أنا من سيفعلها!" همس النائم بين يديها بصوت مُتعب "ذرية كفي عن الغباء مع البنت" مالت تهمس له واعية بنقطة ضعفه "لا تخف داود الأولاد معها" مال شهاب يتحسس جبهته ويسأله "داود أنت واعي أم تُخرف" فتح عين واحدة بتعب وهمس "أخبرني أنت ما أخبار الإوز القابع بناصية الشارع" همست وقد تغضن وجهه بالألم "انتهيت، لا تخف" رقمها من بين أهابه الكثيفة عن كتب وهمس للواقف جوارها "شهاب؟ تحرك سريعاً وأدخل سياري المرأب الخلفي" وعن بعد طفيف أخفي عامر لينا وراء ظهره وقال لو ادتها بأدب "أهداي حضرتك هي فقط خائفة، والدها ينزف فما عساها تفعل غير البكاء" تطلع للصغيرة مُبتسم ومال لها يهمس "لا تقلي، تعالِ نشاهد التلفاز" غمز لعمر ليسحبها برفق "تعالِ نشاهد بيتر بان ولا تخافي هكذا" جلست تنظر زوجها وقد أغمض عينه بتعب مُجددًا، مُذذ متى وداده لديه أعداء؟ هناك أمرٌ جلل وتبدوا قضية اليوم هي السبب، داود لن يُخبرها بشيء وشهاب لا يعلم فمن روایته لمُلابسات الحادث يبدو أنه مُذبر! نهضت متوجه نحوهم تتحققص بعينها نومته، كيف تختلفُ عذر لذهب لبيتها في ذلك وقت، عليها أن تبحث بمكتب المنزل عن كل ما يُخص القضية فهو يحتفظ بنسخة من جميع الأوراق مختومة بختم طبق الأصل، أنقذها شهاب من الحيرة يسأل "ذرية أين مفتاح المرأة الخلفي لبيتكم" اعتذرت مُغادرة معه لبيتها لتعود بعد دقيقة تتراوله المفتاح وتهتف "أسبقني، سأحضر ملابس نظيفة له والحق بك"

توجهت مُسرعة للمكتب تُفتش بين الملفات المكومة حتى وجدت ملف مدون عليه تاريخ اليوم وعنوانه "ذهب الاخشidi" انتبهت لدقائق الباب الخافتة ثوانٍ وكانت تفتح لشهاب الذي ناولها المفتاح بعد أن انتهي، ناولته الملابس الخاصة بزوجها تهمس "نسيت ملابس لينا سوف أحضرها والحق بك" عاد شهاب يضرب كف بكف يتمتم "ملابس ماذا التي تأخرها عن زوجها؟ ثم هل ستُقيم عند سلمي؟" أو قفته سلمى تناوله ورقة متوسطة الحجم قائلة "عذراً شهاب، هل يمكنك أحضار هذا الدواء" توجه خارجاً بعدما أعطته مفتاح سيارتها لتعود أدراجها تهتف بإرهاق "رباب، سُها هيا لغرفكم فقط أطمئنوا على الأولاد" خلت الصالة دونهما فخففت الضوء حتى لا يكثر عليه الصداع وتقدمت تتحسس جبهة لتقاجئ وعيناه بمواجحتها، سالت وما زالت مائلاً نحوه "كيف تشعر؟"

لم يُجب سؤالها فقط عيناه تشملها وكأنه يطمئن عليها، شهران كاملان مُنذ تلك الليلة لم يسمع صوتها فقط يلمحها ليصاب برأفة لا يعرف سببها كمثل الغموض الذي يكسوه ما إن مر طيفها، أغمض عينيه ورائحتها الممزوجة بالنعناع والدخان تُشدد من أسره، تأوه يعتدل ليهreu كفها فوق صدره توقفه "تمهل داود، جُرحاً حي" همس يتذوق اسمه وقد أشتاب طريقة نطقها "أريد ماء" هرولت وعينه تتبعها دون إرادته لتعود بکوب الماء الذي طلبه، تأوه بقوه يعتدل لتجلس بطرف الأريكة العريضة تُساعدُه، ذراعها اليسرى يدعم ظهره بترفع تدفعه وكامل جسدها مرتکز ليديها واليد الـحـرة توجه الكوب لفمه، هل هو من بأحضانها هذه المرة؟ سؤال فرض وجوده على كلِّيـما ليتمسك بتلك اللحظة ويـتـلـكـا بشـرـبـ المـاءـ قـاصـداـ، يـعـلمـ فـحـوىـ حـرـكـتـهـ الصـبـيـانـيةـ جـيـداـ لـيـرـحبـ بـمـراـهـقـةـ لـمـ يـطـرـقـ بـابـهاـ قـبـلاـ، أـرـاحـتـهـ مـجـدـاـ لـتـنـهـضـ وـقـدـ اـنـتـابـهاـ أـحـسـاسـ مـزـعـجـ عـجـزـتـ عـنـ تـقـسـيرـهـ لـتـسـأـلـ بـمـاـ جـالـ بـخـاطـرـهاـ "ـهـلـ حـقاـ إـصـابـتـكـ مـدـبـرـةـ"ـ أـجـابـ وـقـدـ أـحـتـدـتـ نـظـرـاتـهـ بـقـوـةـ "ـيـبـدوـ هـكـذاـ"ـ أـشـعـلتـ سـيـجـارـتـهاـ وـهـنـقـتـ بـخـوفـ "ـمـنـ فـعـلـهـاـ؟ـ هـزـ رـاسـهـ بـلـ صـامـتـهـ وـهـمـسـ بـتـعـبـ "ـأـرـيدـ النـومـ"ـ غـطـتـهـ بـغـطـاءـ خـفـيفـ تـعـيـ تـكـتمـهـ لـلـأـمـرـ، مـرـتـ سـاعـةـ وـقـدـ اـنـتـهـتـ مـنـ تـعـلـيقـ الـمـحـلـولـ لـهـ لـيـهـتفـ شـهـابـ يـسـأـلـ "ـهـلـ أـحـمـلـكـ إـلـىـ الـبـيـتـ"

تطلع إليها وهي تُلملم بعض الضماد المُغرق بدمائه ليريح راسه للوراء قائلًا
بتعب "البيت خطر شهاب، أبحث لي عن منزل آخر؟! هنف شهاب "لدي، أنا
أعيش وحدي" همس و حاجبيه يرتفعا "بيتك أيضًا خطر، مؤكد ستكون
مُراقب" أنكمش وجه شهاب يسأل "إذن تعلم من فعلها" تبسم بألم و همس "ليس
غيره قاسم الوكيل، عرض على رشوة مقابل سجن دهب"

"هل تصنعت الموافقة؟" تنهد بألم و حاول الاعتدال دون جدوى حتى قال
مُتهكمًا "وطالبتك بزيادة المبلغ واليوم بالمحكمة حصلت على براءتها" لاحت
المفاجئة فوق وجه شهاب الذي سأل بربية "وما مصلحته، أنت لم تُشاركني
تفاصيل تلك القضية" تطلع إليها تنهادى ثعيد ترتيب الصالة من حولهم ليتباهي
لما ترتدى، بنطالي توقف حَدَّ ثلث ساقِها وبلوزة قصيرة تكشف عن رقبتها
بسخاء، لما لا تُلملم شعرها الناعم المُموج؟ تطلع بطرف عينه نحو الجالس
أمامه شارداً ليصبح بصوت كبلة التعب "أرحل شهاب هيأ أرحل" تابع شهاب
حركة عيناه التي تلاحقها ليهتف بعنادٍ وقد بات مُتيقن مما يُخلج صدره "لا
سوف أبيت معك هنا" أنهى كلماته يُلقي وسادة أرضًا جوار الأريكة التي ينام
عليها ليهتف داود بغضب "الآن تبحث عن شقة؟" تهم شهاب قائلًا "هل
سأبحث بالواحدة صباحاً عن شُقق، ثم أنا مُراقب" خرجت من المطبخ تضع
الطعام أمامهم قائلة "سوف تبقي هنا، هذا آخر مكان يخطر ببالهم"

تركتهم متوجة للطابق الأعلى وشهاب يهمس بذات مغزى "صدرت الأوامر
العلياً أم أبحث عن شقة؟"

* * * *

طل نور الفجر وما زالت تقرأ أوراق القضية بتمهُّل، إذن قاسم الوكيل كان صديق زوج دهب! أشتري كلاً منهن قطعة أرض مُنذ عشرون سنة ليتمسك قاسم بموقع على البحر جعله مُستقبلياً أكبر مُنتجع سياحي في المنطقة وتمسك الآخر بموقع بحصن الجبل مُقرر جعله قصر يسكن إليه ويستجم به وزوجته ولكن أمر الله أتى وتوفي زوج دهب هام دون تحقيق حلمه لتبقى الأرض لم يقرُبها أحد حتى أن دهب ظنتها فَأَلْ شَوْمَ وَتَجْنِبَتْهَا بينما حق قاسم حلمه بأكبر قرية سياحية، منذ عامين انتشر خبر أن المنطقة بها بعض المناجم للذهب وقد قام بعض الشطاء على الميد يا بمحاورة بعض سُكّان المنطقة من البدو لتحفيز السياحة وقد أقرّوا بالأمر حيث كانوا يعملون مع بعض العلماء الأجانب الذين استعنوا بهم لمعرفة طبيعة الأرضي الوعرة بحكم نشأتهم، لتحرك السيدة دهب تُنكب عن الحقيقة مستعينة بصديق زوجها الذي يعلم المنطقة وأهلها جيداً، ثبت الأمر لينتشر كالنار الممسكة بالفُطن لتصبح دهب سيدة الذهب الأولى بالمنطقة العربية بأكملها فهي منذ وعت على الدنيا تنتمي لعائلة الأخيدي ملوك الصاغة والذهب،

توقفت عن قراءة الملف وقد شعرت بالتعب لتعيد كل شيء لطبيعته وتتوجه
لغرفتها وقد أشرق ضوء النهار بتالق، أقت بجسدها فوق الفراش تهمس
وابتسامتها تنسع "أنت في خطر داودا!"

* * * *

أسبوع كامل مر على الحادث وكأنه تبخر مكتبه يعمل كما الساعة وما إن سأله عميلاً عنه يتفرق الجواب بين ثرّهات الإجابة، مرة خرج مُنذ قليل وأخرى لديه اجتماع، ذهب مقابلة النائب العام! شبح لا يراه أحد رغم وجودة على أرض الواقع، حتى زوجته تتحرك بطبيعة دونما لمسة حزن! أمعقل زوجة يتعرض زوجها لمحاولة قتل وتغدو كالفارشة من غصن إلى غصن؟ أو أنها بغير علم! ثارت أعصابه حد التلف فألقى ما فوق المكتب صارخاً بــ رجاله "أين اخْتَفَى؟ لا يوجد خبر عنه؟" لم يلقى جواب وبات الكل مطاطاً رأسه من بطيشه يعلمون تلك الهيئة جيداً فهذا وجهة الآخر يواريه خلف هيئته المنمقة،

رجل السياحة الأول وعضو مجلس الشعب الراقي يمتلك شخصية مجرمة،
طلع إليهم وصاح يسأل "ما أخبار أبناء الاخشidi؟" هتف أحدهم بخوف
"تستجم في قريتك السياحية" أشار لهم بالانصراف وجلس خلف مكتبه المحطط
يفكر، هل أحد خبرها بما حدث؟ أم وجودها هناك مجرد صدفة؟ يعلم مكرها،
ثعلبة تتستر خلف وجه حمل، "داود الرازي!" همس بها مغلولاً كيف اخفي
منذ تلك الليلة وكيف جرّؤ على التلاعب به، الأغرب أن مساعدة يعيش حياته
وكان شيء لم يكن!

تملكه الحيرة حد الجنون بين إتمام الخطأ وفشلها، عض شفته يسب رجاله
الأغبياء فكيف يهربون قبل أن يتبيّنوا أصابته من عدمها أم الغباء كان له
ليفعل زفافاً وضجيج كي يقتله، كان الشارع خاوي مهياً لقتله بكتام صوت
دون تلك الورطة،

نفح والغيظ يكوي داخله كيف خانه ذكائه ليُفتعل زفاف شعبي في حي راقي
أفراحه تنتهي بغرروب الشمس دون إثارة حفيظة أحد، رفع هاتقه حتى جائه
صوتها "لا نقل أنك عرفت مكانني قاسم" تحكم بنبرته بمهارة وهتف "أشرفت
الأنوار دهب هانم، كان لزاماً عليك أخباري لأهتم براحتك" تنهدت قائلة
بمحبة "لم تُنصر يكفي ما فعلته حالي، مُمنته بشدة لك" تحرّر بكلماتها التي
تحمل معنيين ليهتف علّه يستربط دواخلها "لابد أن ترتاحي قدر المستطاع يا
ذهب، وإذا ما أردت شيء أنا جوارك" أردفت عبر الأثير بامتنان "فقط بعض
الوقت أستردد هدوئي وسلامي النفسي لأبدأ الخطوة القادمة" هتف بفضول لم
يستطيع تحجيمه "إذن هناك مشاريع تستعددين لها؟" أجبت بهدوئها القاتل
"بالطبع، لا مجال للكلسل" أنهى الحديث خشية إثارة انتباها يعلم طبعها
الخيث فهي لا تُفصح عن شيء ثوّهمله بشيء وتفعل أشياء لا تجوب العقل،

سيلتزم الصمت مُجبراً حتى يتبيّن الموقف بأكمله، التقط هاتقه يتقىد رسالة
واردة لينتفض وهو يرى الفيديو المُسجل له، جز أسنانه واضطربت خلايا
جسمه ليهمس والمشهد يخنقه "داود الرازي؟ أم دهب؟!" من يقوى على
تهديده؟، طوال الأيام الماضية يستقبل رسائل تهديد عشوائية تُثم عن ابتزاز
أحدهم، بالأمس استقبل مُكالمة لا يعرف رجل أم امرأة فكان الصوت لأحدى

البرامج المُشخصة، طلب منه عشرة ملايين دفعة واحدة مقابل تسلية فيديو يجمعه مع داود الرازي بمكتبه! حائز فيما بينهم أم صار فريسة لـكلاهما معاً، تطلع للقطع مُجدداً والأفكار تُنجزه، هناك من بدأ محاربته ولو أفتضَح ضاع قاسم الوكيل للأبد،

* * *

وضعت كوبِي الشاي فوق الطاولة الصغيرة وجلست تقتحم الهدايا المرسلة ثم تتمت "أصبح الأمر هدايا فقط عابد، الدعم قليل جداً" تطلع إليها بجانب عينه ثم أكمل تحفُّص الساعة باهظة الثمن التي أرسلت له وقال بغيظ "قطة تربعت على عرش الميديا لا تتوقف عن بث مغامرتها بين الذبح والسلخ" جزت أسنانها وهمسَت لنفسها "هل تذكرت الجزارة ومحلاتها الأن؟، رحم الله الأيام الخواли حين كانت تتناظر بكونها ملكة متوجة لا يصح أن تعمل بيدها!" هتفت ومازالت تُتابع ما تفعله حماتها عبر الميديا "لابد من حل" تناول كوبِي يرتشف الشاي على مهل لتهتف بعين شاردة "ماذا نفعل؟ الكافية مازال يحتاج الكثير من المال حتى نفتحه" همس بمزاج مُعكر "فكري إذن في مواقف جديدة تجذب الناس" رمقته بحذر وتقدمت منه رويداً تهمس "عباد؟" نفح بسقم "خيراً، هاتي ما عندك، منذ ذلك الشاي وأنا أنتظر ما تصبين إليه" أشعلت له سيجارة محسنة بما يذهب العقل وسألت بكل ما تملك من حذر "الم يأتيك خبر عن أبنائك؟"

تخشب جسده والتلف إليها مصعوق ليهتف وهو يتطلع لحيث ملامحها بحد "هل تعايريني بهم؟" ضربت صدرها وقالت "أنا يا حُبٌ! كيف تفكِّر هكذا؟" تناولت كوبِها واعتدلت صوبه تهمس وكأنها تُملِّيه سراً "فكر معِي! سلمى صارت مليونيرة، فما يمنع إذ ساعدتنا" ألقى بالكوب فوق الطاولة حتى كاد ينقلب وامتدت كفه تتحسس جبينها يسأل "هل أنتِ محمومة" صاح بوجهها والغضب يُداعبه "سلمى منْ التي ستساعدنَا، وأبنائي؟ هل نسيتِ ماهية نسبِهم؟" طالعته بمكر والكوب على فمهما وما أن أُنزلته غمزت قائلة "أسمعني فقط وإن لم يعجبك حديثي أقذفه البحر" سردت ما تُفكِّر به أمام عينيه التي أوشكت على الخروج من محجرها ورسمت خطتها المقنة لتنظر لشروعه

الذي طال عن الحد حتى قال بصوت هارب "الكنى وقعت أوراق التنازل لها كيف ابتزها وبالأصل الأبناء ليسوا أبنائي" أراحت جسدها على الأريكة بكسل واضعه ساقيها فوق فخذية وأحجمت عن التفسير وإبداء الرأي تاركة للطمع فرصة إقناعه، تعلم من لمعة عينيه أنه وافق لكن طبع الخوف هو ما يربط لسانه، بعض التهديدات والمناوشة كفيلة بدفع سلمى نحو المساومة إما شرفها أو صمت له ثمن وورقة النسب رابحة ينقصها فضيحة شرف عنوانها النسب، هتفت بصوت تعلم تأثيره عليه "لا تشغلي بالك سنجعل الأمر امرأة لامرأة ومن الصباح سأخطو أول خطواتي لها" هز رأسه بغير رفض أو موافقة والشروع يشمله لتهافت متخففة "فقط أدع أن لا تتدخل قطة في الأمر وتقصد" رقمها بطرف عينه وهي تتبع الميديا بنهم غير واعية لنظرة التي اعتنلت وجهه، متى وكيف أصبحت زوجته؟ وما الذي يُجبره على البقاء معها؟ يعلم ذهاب النعيم الذي كان يتمرغ به حين كانت سلمى تبني وتُكِد في البيت كي تُمُر به وبأولاده مضيقاً خلف مضيق دون اليأس من بلادة طبعه، رُبان سفينه واجهت أمواج الحياة وكتفيها تحملهم بكد، يدفعها كفان صغيران رُغم وهن الدفع ليبقى هو حملاً ثقيلاً حملته غصباً حتى غرقت في مُحيط الغدر،

سؤال واحد لا يفارقها هل حقاً عامر وعمر ليس من صلبه؟ يقيناً يبصم بأن دمائهم دماء لكن الرغبة في التخلص منهم تطمس ضميره، يعلم قدرة والدته على تزييف شروق الشمس لتقنعك أنها القمر، لو لديها نصف شك أنهم نبت الحرام لما تركت به وبهم نفس غيورة الطبع وحب الذات مرضها، نرجسية للدرجة التي دفعتها لكره من فوقها، طبعها ويعلمه فهو الوريث الوحيد لها فما الذي يدفعه لما يفعل غير ميراثاً عطباً؟

رفع هاتقه يشاهد لها تُشَفَّي خروف بعدما ذبحته، مُنذ القدم وهي قوية، جباره، تقبل النصيحة وكأنها سُبة نابيه زيت جبينها، صاحت والهاتف بيدي عضمها يصورها "حباب قطة أين الشير والمتابعة"

* * *

الرابعة عصراً

نزل من الطابق العلوى بعد أسبوع من احتلال بيتها مُتعبداً بكل ما يحمل من قناعة وشغف، فتش البهوج بعين تفقد أثرها ليجدتها تجلس على طاولة الطعام وعمر ولينا يمينها ويسارها تستذكر دروسهم وعامر يتذمّر مقدعاً جوار أخيه مُخرط فيما يفعل، مد رقبته صوب المطبخ ليجد رباب وسهاماً مُنخرطتان في حديث جانبي دون الانتباه لأحد، وعجبًا! أين ذرية؟ وكأن ليس لها زوج تهتم به، كثُر انشغالها وخروجها المُتكرر، هاتفها بات لا يُفارق يدها، أنتبه لتصفيق كفيها تتمايل بدلال راقص وتصبح مُشجعة "ممتناز يا لي لي أحسنت يا قمر" أخرجت الصغيرة لسانها تُكيد عمر وتصبح بفرح "صرتُ أشطر منك" هتف الصغير ضاحكاً "هأو، أنا تركتُ لك المجال لارتفاع من بُكاءك يا نك" صاحت بهم تكتُم الضحك كما تكتُم هو "بنت، ولد" نهضت واقفة تُشير على الكتاب أمامهم "معكم نصف ساعة وينزل هذا الامتحان" هتف عمر "من يحصل على الدرجة النهائية سلمتي؟" داعبت غرته وقبلت لينا قائلة "له ما يطلب يا قلب سلمي" تقدمت تلف ذراعها حول كتف عامر ومالت تُشر إلى كتابه قائلة "ذلك القانون خطأ، راجعها مرة أخرى" استقامت تشدُّ أذنه برحمة وتضحك "ركز يا بط" توجهت للمطبخ غافلة عن من يراقب ظلها، أسبوع يرتع بجنتها دون الشعور بذرة ملل، طعامها ونظافتها المبالغة، الحالة التي تفرضها على الجميع ما إن شعرت بمللهم، اهتمامها به وبدوائه وبكل ما يخصه وكأنه أحد أبنائها، والأروع حين تكون وحدها وتنمايل على أنغام الموسيقى التي تعشقها لو فقط تترك ذلك المُطرب الذي أعلنت حُبها له، باب بيتها كارثة مجرد شق لكن يُدخله حالة جنون لم يمسها في نفسه سابقًا فمع كل شروق للشمس لا يتوقف عن الدق ورغم استسلامه للبقاء في بيتها واستدامته على نعمتها بالسافلة لم يُنكر ما تعاظم في صدره نحوها، مجاهل مُغلقةً بروحه ما إن مرت بها رسمت خريطتها بطبعتها المتوجهة، تمعن في صغيرته كيف تأمن جلستها وتسطع ضحكتها وهي ترافق أبنائها، كان متخوف من طبيعتهم بعد إمامه بظروف نشأتهم وصولاً للسجن الذي كاد يقضي على مُستقبلهم لكنه تيقن وأذعن بأن من جاور جنتها ينعم بها وخير دليلٍ راحة أبنته التي لم يمسسها يوماً مع أمها، لينه يعرف سر كينونتها التي تجذب كل مارِ بسبيلها، هل تواضع شخصيتها

المختلطة بالين والجمود معًا أم عقلها المتقمم لطبيعة غيرها، قلبها؟ ماذا يحمل ذلك الجزء له؟ كُرّهًا تفنن بكلماته في صنعه أم خيط مودة نسجته كما الشرنقة حتى بدا كخيط العنكبوت فولاذى الطبيعة رغم الوهن، وماذا عن قلبه؟! ذلك النائم مُنذ أذل، لما يلتمس بدقاته خلل يصاحبها كلما مررت منه؟، أرتفع حاجبيه وجرى إبهامه على أحدهما لينهض من جلسته على السُّلم الداخلي يُعدّل من ذراعه المعلق برقبته يهمس "ما بك داود؟ ها؟ ماذا يحدث معك؟ يكفي كُرّهًا، المرأة ساعدتك!"

صاحت الصغيرة تلمحة مُقبل عليهم "بابا" تبسم لها مُقبلاً مفرق شعرها الذهبي وانقلات كفه ثداعب موضع كفها بشعر عمر ليهمس لهم غامزاً "ذاكرواوا" تطلع إلى عامر المتحفظ من جانبها ليتسم بمحبة ويميل هاماً "إذا علامات امتحانك فوق الخمسة والتسعون بالمئة لك عندي مُفاجأة" النقط بذنبه القوية شرودها تترنم بكلمات الأغنية التي صدحت من مُساحلها الصغير بمطبخها "أكرّها وأشتاهي وصلّها وإنني أحبّ كرهي لها أحب هذا اللؤم في عينها وزورها إن زورت قولها أكرّها"

انتقضت مُفاجأة وهي تتنبه لحضوره لتهتف وعينها تتقحصه "كيف حالك اليوم؟" أشرح صدره بذلك سؤال ولا يعلم لحالته سبب ليهتف بصوته العميق "زال الألم" اعترضت بهزة من رأسها وتقدمت صوبه تُعدّل من رابطة ذراعه بدافع مهنتها قائلة "لا تغتر بمحض المسكن، جُرّحك غائر ومولم"

"مرت بسلام" لملمت شعرها أمام نظراته في كعكة عالية وسألت بخفوت "لما أمنت عن الذهب للمشفى؟ أمر الشرطة وتفهمته" كاد يُجيبها لكنه انتبه كما الجميع إلى درية التي فتحت باب البيت تُنس هاتفها في جيبها لتسأله سلمى بترقب خطر "هل معك مفتاح البيت؟" تبسمت بسماجة ورفعت كتفها ترد ببرود تام "أعطاني إيه عمر" صاح عمر من موقعه بجرأة "قبل أن ترمي بي" بالنظرات الناريه هي من أخذته دون موافقتي" تبسم في وجه درية بسماجة يُقلدها وأكمل "أليس ذلك ما حدث! يا طنط باري" تقدمت صوب المطبخ وعين داود تشمل الجميع وهتفت ضاحكة بلا مبالاة "لا يمكن خفة دم أبنك سلمى" دارت النظرات بين سُها ورباب يراقبون جرأتها وبدورها باذلتهم النظرات

بازدراء وهي تتألف وجودهما، عوجت رباب فمها يميناً ويسار وهمست وكأن الكلمات موجهة إلى سُها "الإحساس نعمة"

قلبت سلمى عينها غير قادرة على كبح طبعها فقد ضاق الجميع بها، طوال الأسبوع المنصرم لا تُلقي بالاً بزوجها المختبئ حتى أبنتها تنصلت من مسؤوليتها ولم تهتم سوى بنفسها لا أحد يعلم أين تذهب، لم تجلس معهم على مائدة فقط حين ينتهي طهو الطعام تأكل دون اعتبار لأحد لا تهتم من أكل ومن جاء، الوحيدة التي ضربت بتعليمات داود وشهاب عرض الحائط فقد أكد الرجال بل شددوا على عدم خروج أحد من البيت لدعاعي أمنية حتى عليها أدهم حين تقاجأ بالحادث يوم زيارته لهم، ملابس صاحبة البيت صارت لها، البيت بكامل ما يحوي تحت تصرفها الجميع يشعرون بأنهم في ضيافتها، ترتد سيارة سلمى في اليوم ألف مرة وحُجتها حتى لا يعرف طريقهم أحد! أجج غضب وسخط الجميع طريقة التعامل المرضية حيث تشعرهم بالدونية والاحتقار، وكلما شعرت بإثارة غضبهم هادنت وطلت بوجهها البريء وادعاء أن لا فارق بينهم، تحفزت سلمى ولاح على وجهها الخطر وهمت بالتفوه لكن تقدمة بينهم وصياغة بوجهها أو قفها "ذرية؟ أستعدى لذهب بيتك" تقدمت تناظره بقلق وهتفت "مازال الوضع خطر عليك داود" التفت برأسها صوب عمر تم ذراعها قائلة ببرود "عمور حبيبي، مفتاحك ها هو" توسيع عيون الجميع أثر طريقتها في تحويل الأزمة للا شيء مستعرضة سلامه نيتها ببراءة طفل، هتف داود مُصرًا وقد عَكِرت مزاجه "نصف ساعة ونرحل" رمقت بعين الثعلب خاصتها نظرة سلمى له وتابعت بنفس العين الضيق الذي أعتلى وجهه، يبدو أن ما خططت له شرع في البدء واندلعت بينهم نار أشعلتها بنفسها، لبست وجه الحمل لتهتف تدعي الاعتذار والندم وعقلها يُخطط باقي مكيتها "ماذا حدث؟" سلطت أنظارها صوب سلمى تسأل بلهفة "هل أزعجتك سلمى إلى هذا الحدا لم أقصد شيء!" تقدمت تتحقق وجهه قائله "مازال وجهك مُتعب، مُصفر وظهورك خطر، هل نسيت الرجل الذي سألك عليك بالأمس؟!"

تحسن كتفه المعلق بألم وهتف عاجز عن فهم أفعالها "لا يهم، الأمر يُخصني وحدي، أستعدى" نظر إليها مطولاً وأكملا حاجبيه يرتفع بمغزى أرّقها

"يُكفي استغلال للبيت وصاحبته" صاحت لا تعلم ماذا تفعل في تلك الورطة "نأكل أولاً وبعدها يحلها المولى" هم الجميع بالحركة رباب وسُها يُحضران ما أعدت من طعام والأولاد لملموا كُتبهم وقد أستبد بهم الجوع ليهمس عامر إليها خلسة وهو يراها شاردة "يا رب ترحل، أنا لا أطيقها" رمقته بقلة حيلة وعتاب رغم الرغبة في رحيلها لكن كيف سترحل دونه، سرقت نظرة مُسرعة نحوه لتصطدم بعينيه المراقبة لها فأنزلت عينها سريعاً وفكرة رحيله تولمها، أنها الشفقة! هل تلك المستغلة ستهتم به! تنهدت مخنوقة دون سبب وتوجهت للمطبخ وعامر خلفها لتهمس له بحزن "أشُفق على ذلك الرجل" أكملت بين ذاتها "رغم سوء معاملته" أرقتها مواقفه المتناقضة ساعة إعجاب لم يخفى عليها ساعات يأمر وينهي، دائم النقد لطبيعتها المتواضعة، هز الفتى رأسه يتناول من يدها طبق السلطة وهمس يُشير بعينيه "ماما؟ هذه المرأة مُستفرزة" دفعته أمامها تسمع همسه "دعينا نتكلم فيما بعد" جلس الجميع إلى السفرة ودرية بينهم تأكل للمرة الثالثة ليتفقد داود سكون الجميع وتجهم وجوههم يلعن طبعها الذي أحرجه، طالع الطعام ثم هتف "لما تصررين تناول الجميع الطعام في وقت واحد، الأطفال ماتوا جوعاً سلمني" ردت مباشرة "قوانين العائلة" هتف عمر مقاطع لها "غير مسموح باختراقها" هز رأسه والتزم الصمت أديباً لحلوة طعامها وتطلع نحو ذرية التي سحبت صحن الدجاج أمامها تأكل بشراهة لم يلاحظها سابقاً، بدا منظرها غريباً مُقرزاً له، ألها كانت تتجنب تناول الطعام معه سقطت عينه على التي تأكل وتأكل صغيرته وصغيرها بطبيعة ورقي لا يعلم أين تعلمته، تنهَّد يائباً نفسة فقد بات بالأيام الأخيرة لا يطيق رؤيتها بل بات مُركزاً في كل خلجة من خلجانها وبالأخير يحكم بما ليس في صالحها،

أنهى الغداء وشرب الشاي ليهتف داود بقوه "هيا ذرية وجب رحيلنا"

* * *

أوشكت على شق بلوزتها العصرية الجديدة وهي تهتف "ما هذا الحظ؟" صاحت والدتها تربع فوق الأريكة المتهالكة "لم يذهب عن بالي أسطول السيارات الذي كان يَقْلِها، سُجِّنت وتلويت سُمعتها وبعد الطرد عادت هانم وصاحبة ثروة بحجم الدنيا" قبضت كفيها الهواء بغيظ وصاحت "أه يا أمي محروق دمي ماذا ستفعل بكل الأموال الطائلة؟ هل رأيت ذلك الرجل؟ المحامي الذي خلع ذراع المضروبة قطة" حركت كفها بالصحن الواسع تلقط حصوة صغيرة من بين حبات الأرز وقالت تُلقيها خلفها لأبعد مدى "كيف حالها معك؟ هل رأيت عباءتها التي صورت بها آخر فيديو؟ ولو أنها؟ يجنن" لوت فمها بتهكم ثم اقتربت منها تهمس "دعك من قطة وموائدها وخبريني ما رأيك؟" ركنت الصحن جانباً ومالت وذراعيها تستند فوق ركبتيها الهشة قائلة "هل جُنِّنت يا نهى؟ بالأمس فُضحت المرأة وسودتي عيشة أبنائها واليوم تتطلعي لمالمها؟ ثم ليست ساذجة لتخال عليها خطة كهذه" تكررت ملامحها وهتفت بعصبية "ماذا؟ سوف أذهب إليها وأدعى الشفقة بها وأخبرها أن قطة زورت تحليل النسب وعادت كما تعلم وافق مُرغماً وأطلب المال مقابل بيانات المعمل وأشهد معها لإثبات نسب أبنائها" ضغطت السُّست هنية رُكبة ابنتهما بقوة وحضرتها بعينها قائلة "احذري يا نهى، سلمي التي نعرفها ماتت وضيفي لعقالك ذلك الرجل الذي معها، لن يترك لك ولا لزوجك مجالاً، ها أنا حذرتك" صرخت بوجهها "لما تُخوفيني؟ ستخاف الفضيحة على نفسها وأبنائهما"

"بدأتِ تعني! دعيها تأتي إليك عوضاً عن ذهابك لها" رمقت أمها بطرف عينها وقالت تسأل "وضحي يا هنية" "كم تدفعين؟" لوت فمها وهمست "لاكِ من الحُب جانب، أفصحي!" تمسكت هنية بكاف أبنتهما تضغطه بقوة وأخذت تشرح ما عليها فعله فخير الفعل المُساومة المُستترة، رغبة سلمي بأبنائهما ستدفعها لمحو صفحة عابد من حياتها والضغط بفضيحة جديدة سيجعلها تأتي مهرولة تُلقي بالمال تحت أقدامهم كي لا يُفضح أبنائهما!

خرجت من بيته والدتها بذهن شارد يُدبر ويخطط ولم تسمع العم شحاته الذي صاح ما أن مررت به "يا مراحب بنجوم الميديا"

* * * *

تحركت بحديقة منزلها برشاقة وخفة تُسقي الزروع والورود خاصتها وجوارها عامر يساعدها ويتبادلان الكلمات والضحك غافلة عن عينه التي تتبع سكناتها من خلف زجاج الصالة الداخلية المُطلة عليها، أغلقت محبس المياه ثم جلست تتلمسُ الراحة وتبعها عامر بالجلوس يسألها "ماما، ما رأيك بالسيدة دُرية؟" تطلع لكيفها وتركت المحرمة جانبًا والنفقة صوبه تجاوبه بحيرة "ينطبق عليها المثل الشائع تعرف فلان؟ نعم، عاشرته؟ لا، إذن لا تعرفه" رفع عامر قدمه مائلاً وكفه ممسكة بركبته والكف الأخرى تنفس بعض العشب اليابس العالق بها أنظاره تتفقد المكان حوله قائلاً "ماما، يُساورني شكٌ تجاهها" نظر إلى عينها وأكمل "هناك أمرٌ حدث" وتحت أنظارها المتسائلة قص ما حدث بالأمس، كان يلعب مع لينا وعمر تلك اللعبة ذات الأسماء والجماد والحيوانات وقد تجمعوا عند مرآب السيارات الخلفي التي جعلته مخزن لوضع ألعابهم مثل دراجة هوائية أشتراها لهم، خرج عامر تارك عمر ولينا الذين قررا اللعب بالدراجة وتقدّها ليُلمح خلف السور القصير الفاصل بين البيتين دُريه تتحدث في الهاتف وبدا عليها الاضطراب والقلق، تقدم يجلس الفرقاء خلف السور ليسمع صوتها تُسجل رسالة صوتية مفادها جملة أو جملتين لم يتمكن عامر من سماعهما أثر الضجيج والضحك الصادر من لينا و عمر فقط سمع "لا تسمح للوقت يفضحك" تطلع إلى ملامحها المُفكّرة ليهتف "هل تُخبر السيد داود؟" هزّت رأسها بغير علم وقالت "لا أجد فيما قلت ريبة" اعتدل صوبها وهمس "لا أعلم ولكن تصرفاتها مُريبة، أشعر بشيء لا أتمكن من وصفه" تحيرت في الأمر وزاغت عينها بشرود حتى قالت "لن أنكر الريبة اتجاهها، تركها زوجها وهرولها من المسئولية، كأنها مُتعمدة" نظرت للسماء برجاء ومسحت وجهها تتبهّه "عامر؟ دعنا نُراقب الوضع حتى لا نظلمها أو نظلم أنفسنا فأخر ما أرجوه التورط مع أحد" تفهم وجهة نظرها فمنذ أن حكي له عمر ما سمعه عن لسان نهى سابقاً وعي على الظلم الذي تكبّدته لكنه أمتنع عن فتح الأمر معها لمخافة في نفسه، مازال منظرها بملابسها المُمزقة وفضيحتها تؤلمه فكلما تذكر الحادثة أختلّ الحق بالباطل داخل عقله جزء يُقر ببراءتها وأخر يُعادله القسمة في إدانتها هو بحدثه سنه يميل للجزئين معًا لعدم خبرته بدنيا الظلم ومكائدِها!

أنتبها كلاً هما لبعض الرجال الذين دخلوا من الباب الرئيسي للبيت لتهتف بفزع متوجة صوبهم وعَامِر إلى جوارها "من ترك الباب دون غلق؟" هرولت إلى أن وصلت باب البيت تسأل "من أنتم وكيف دخلتم البيت؟"

تفحص أحد الرجال الثلاث المنزل بعينه وهتف الآخر بأدب "أسف سيدة سلمى الباب بالفعل كان مفتوح، نحن عمال شركة الغاز أبلغ أحدهم عن تسريب بالمنطقة فلزاماً علينا فحص البيوت بأكملها" تطلعت إليهم بخوف والتقت تغمر له ليتفهم الغمرة دون احتياج لفهم، هتفت بثبات وقوية "بُنِي أسبيق وأبلغ النساء يسْتَرُوا" دفعته نحو باب البيت الداخلي وسرقت خطوتين خلفه تهمس بحدِّر "أسرع بُنِي" هرولَ عامر مُسرعاً لتألف للرجال وعلى وجهها ابتسامة بلاستيكية لم تصل عينها فكيف عرفوا أسمها وما زال البيت باسم عمها؟!

"دقيقة فجميع من بالبيت نساء" قالتها وقد القت بطعمها ليلتقطه ثالثهما المُتجهم قائلاً "كيف وقد دخل البيت رجل من ساعة" اتسعت ابتسامتها رغم الرُّعب لترفع حاجباً مُنمِق وتسأله "هل أنا مُراقبة" تبادل الرجال نظرات الفلق ليهتف أحدهم بيقدم أمامها "ما عاذ الله، أثناء دخولنا البيت المجاور رأينا من دخل" هتف عامر من خلفها "ماما" تقدمت تدعوهم قائلة "فضلوا"

* * * *

جلست خلف الشاشة بكامل أناقتها ترسم ملامح الصدمة فوق وجهها ليبداً
المتابعين بالأسئلة "لما الحزن نهى؟"

"هل تبكي؟"

"فضفاضي نحن معك أخوه" عَجَّ الموضع بالأسئلة وهي تتابع التفاعل عن كثب
لتهافت وما زالت تبكي "ماذا لو أراد أحدهم المكرُ بكم؟" بدأت الردود كالنار
الساخنة "لا تصمتُي مادام الحقُّ معكِ" "تكلمي نُحُنْ بظهرك" "هل صارت
الأرض غابة" "تكلمي حتى حكم بالعدل" مسحت دموعها تلقي مادتها سريعة
الاشتعال قائلة "ليس لي عزيزاً غيركم لهذا أريد رأيك" مسحت وجهها
وسحبت نفس قوي والكل متأهب لسماعها "طليقة زوجي عابد خرجت من
السجن لتنتقم مِنَّا!" انتحبت أمامهم وأكملت "بعد سجنها بعامين كاملين خرجت
لنجدتها أمامها امرأة ذات سُلطة وثروة، أخذت الأولاد بعد تهديدها" تلعلت
لسيل الأسئلة التي أمرت صفتتها لُجُوب وهي تُداري فرحتها "كيف
خرجت؟"

"ما ثُمِّتها"

"من أين تلك الثروة نهى"

"هل البلد أصبحت للأقوى" أجبت تفعل الخوف والصدمة "لم نعرف كيف
خرجت من السجن فقط وجدناها مع رجل ذو نفوذ وقوة، وأجبرت عابد على
توقيع أوراق التخلّي عن أبنائه تحت مرأى ومسمع" مسحت دموعها وسألت "
أشعر وكأني ببابوس مُظلّم! أفقد الأولاد حد الجنون!" تلعلت إلى التعليقات
المليئة والميديا المشتعلة تسبّ غرمتها وتلعن شرفها، الكل يصطنع لها روايةً
مُقزّزة "طليقة عابد در غام الباطجية" هتفت مُجددًا بوجه حمل "رجائي لكم لا
تسألوا عن ثُمِّتها فهي امرأة مثلّي ولا بد أن أتقى الله فيها وفي نفسي" تنهدت
وابتسمت بانكسار "سترنا الله فوق الأرض فنزاً

سمعت دق الباب فهمت تغلق الباب قائلة ببكاء "لابد أن أغلق، سامحوني لا
أستطيع التحدث، دعواكم لي ولعابد الرجل مُحطم" هتف عابد وقد هاله بُكائِها
"ماذا حدث؟ لما تبكي؟" رنت ضحكتها وصرخت بجنون تُشير إليه بالتقدم
قايلة "سبعة عشر أسد واحد عشر فيل وخمسة حيتان في ساعة واحدة" أقبل

عليها مهرولاً وبدأ بفقد التعليقات يسأل "كيف؟ ماذا فعلتي يا حُب؟" دفعته تهتف "اجلس وأسمع جيداً" قصت ما فعلت وشرحت الأمر ليصرخ بها "هذه فضيحة! ماذا لو علمت سلمى؟" تبسمت تخلع بلوزتها لتبكي على التي شرت ذو الصدر المفتوح أمامه وهتفت وهي تنظر مبتسمة "لم أتفوه باسمها، ادعيني أنها أخذت الأولاد بالقوة وأوقفت تجهيزات المطعم"

"مطعم؟ الكافية أصبح مطعم؟"

"أجل، دعنا نتوسع" قالتها وهي ترفع شاشة الهاتف أمام عينه قائلة "تحصلنا على ثروة، أنظر عدد المشاهدات، نصف مليون خلال نصف ساعة فقط" تألف بقلق وهتف متخوفاً "إذن لهاً وكفى نهى، سلمى أصبحت تمتلك القوة وأخشى انتقامها" ألقت الهاتف بغضب وهتفت صارخة "أي قوة وأي انتقام؟ من أين ستعرف؟" نفخت خديها وأكملت بمهادنة "يا حُب؟ أنا لم أذكر أي معلومة عنها، سلمى تكرهه الميديا" حك جبينه بتوتر وهمس لها "لست مطمئن لنتائج الكارثة" تدللت أمامه بطريقة تعلم آخرها ومالت له تهمس "طمئن قلبك، المُهم، لا تظهر على الميديا الأيام القادمة أبداً" تفحص مفاتنها بجوع وهمس "لما؟"

همست تقترب بدلال "الجميع يعلم بأنك مُكتَب، حزين مما صار معك" تفحيصت وجهه وقالت "أترك لحياتك وشعرك ينمو" غمزت باسمه تتحس ذقنه "عايد" طالعها دون حيله يهمس "عقلك يُعُج بالسم" سحبها لصدره فهمست بخفوت حار "التربيّاق معي يا حُب"

* * * *

دخلت أمامهم وقلبها يتخطب بين ساقيهما لتتفقد المكان بعينها وتسأل شهاب الجالس بالمقعد المجاور لسُلَمِي "أين رباب؟" دخل الرجال بهيئتهم الغريبة تزامناً مع تقدمة منهم يهتف وعينه عليهم "ذهبت تتفقد عمر بالأعلى، لا تقلقي!" أنتبه للرجال قائلاً "من أنتم؟" تحرك اثنان صوب المطبخ وقال الواقف أمامه "أنا حسن وذلِك سعيد ومن معه أحمد من عمال الغاز، سوف تتفقد الأمر بعد إذنك" هزَ رأسه موافق وعينه تتبعهم وهو يتوجلون بالمطبخ وعيونهم تتناثر هنا وهناك ليهتف سعيد المُقبل عليهم "أريد تفقد حمامات العُرف" أو قفه

شهاب بكفه يهتف "سخانات الحمامات كهرباء، الغاز بالمطبخ فقط" رد حسن وقد تذكر وجهه "لابد أن أتأكد سيدتي؟" وضع شهاب ذراعيه بخصره وتأهب قائلاً "تتأكد! كيف؟ المفروض معكم بيانات شاملة، ثم نظام المنازل مُطابق لبعضها مما يعني أنكم على علم بذلك" سعل حسن وتبادل النظرات مع من معه ليتقدم إلى الطاولة الجانبية يمسك الضماد الملوث بقطرات الدم الخثرة قائلاً "سلامة مصابكم" أضطراب شهاب وسلمي، وانزلقت سُها تدفن نفسها إثر الخوف بمقعدها ليسحب شهاب الرجل من ذراعه ينوي العراق معه لكن صوت رباب نبّهم، تطلع الجميع إلى السُّلم الداخلي ليجدوا رباب تتقدم عامر يسند عمر ويهاهف "ماما، فُك الرُّباط من قدمي" هرولت تدعى القلق وأسندته حتى جلس أمامهم لتهتف بما جال برأسها "ليت ما اشتريت الدرجة لك، هذا ما حصدناه منها" رفع عمر قدمه إلى الطاولة وقد ظهر الشاش المُغرق بالدم ملتف على مقدمتها ليهتف بكاءً وعويل الأطفال المُزعج "أه يا قدمي، هل سوف تقطعونها؟ قدمي يا خالي شهاب، قدمي يا خالي، الألم يقتلني يا أخي" صرخ مُحدثاً ضوضاءً مُزعجة "أغثثوا صغيراً يا عالم، أين الطبيب يا أمي" سكت الجميع يدعون الحزن وشهاب وسُها ومعهم رباب يكتمون الضحى حتى ظن الرجال أنهم على وشك البكاء من أجله، جلست الأم مع الأخ جواره لتهتف "سامحتي أنا السبب ليت ما اشتريتها" تبعها عامر يدعى البكاء "لا أنا السبب أنا من تركته يتعلم وحده"

أنزَعَ الرجال من شدةِ بكاء الصبي ليهمس حسن لهم وهو يحكُ أذنيه "دعونا نخرج، صراحَ الولد كبوقة قطار طائش" وافقهُ أحمد وسعيد الذين لأندوا بالخروج سريعاً وحسن يهتف "لا بأس عليه، أسمحوا لنا بالmigration" ظل عمر يصرخ ويصرخ وشهاب يراقب خروجهم من النافذة وعامر معهم حتى أغلق الباب الرئيسي وعاد راكضاً يهتف "رحلوا"

سكن الجميع والصمت يكتُم أنفاسهم وقد نزل داود إليهم يتطلع المشهد حتى انفجروا جميعاً بموجة ضحكٍ كادت تُزهق أنفاسهم، لم ترى عيناه غيرها، ضحكتها العالية تُأجج الفرح بصدره ومارده يرتع سعيداً وهو يراها تجلس أرضاً تتلوى من الضحكات بفقتة لم تسبقها إحداهن لها! صرخُ عمر وهو يثبت فوق الأريكة كالقرد "هاؤ، الحبر صار دم" هدا الجو ليجلس شهاب جوار داود والجَد علا وجوههم ليسأل شهاب بجدية "الوضع بات خطراً داود، ماذا

ستفعل؟" نظر وفقتها في المطبخ وهمس له "أطلب السيدة دهب، تلك أول خطوة" أقبلت عليهم وببدها القهوة لتضعها أمامهم متحضره "داود؟ هل من الممكن شرح الموقف كاملاً" تطلع لوفقتها المستفرزة وتفقد شهاب الذي يُجري مُكالمته جانباً ليهتف وسبابته صوّبها "أذهبني وأرتدني شيء فضفاض أو لا، ثم ما هذه الوقفة يا محترمة؟" تفقدت ملابسها ببطال جينز وبلوزة تُعطي لما قبل ركبتيها بقليل، حرجته بدهشة وصاحت بعناد "وما شأتك؟ ثم ملابسي ليست ضيقه" طالعته بغضب تُشهر سبابتها "لا تتجاوز حدودك يا متر فأنا محترمة رغم انفك" أعتدل يُسند ذراعه المعلقة وجرى إيهامه على حاجبه وهاه "ليست ضيقه ها؟ والبنطال؟، هل كنت تقفين به أمام الرجال" أرتفع حاجبيه في حركة لازمه وأكمل "البلوزة الشفافة ها؟ وشعرك؟" قاطعته وسبابتها كادت تخترق وجهه "ما أمرك؟ لما الاستفزاز، دوماً كلامك معصوب وكأني أثير حفيظتك" تلعلت نحو شهاب وعادت تهتف بحذر أن يسمعها "انتقاد، انتقاد! ملابسك، شعرك، صوتوك ضحكتك، ماذا؟ ما دخلك؟" تبسم ببرود وهاه "تسعدين بنظرات الرجال حولك ها؟ يسعدك الأمر؟!" حرجته بنار عينها وهاه تفتق بصلاية "آخر، كيف ترانى؟ تختنى في بيتك وتنعم أنت وزوجتك وبالأخير تتهمني بقلة الأدب" مال وما زالت عينه بعينها فتأفف قائلاً ببرود "لم أتهمك بشيء، فقط أنتهى" تعلق الدموع بعينها تطالع ببروده القاتل لتهتف بتحدي "لم تتهمني؟!" لفت تمسح دمعه خائنة وتحمّل "ظننت العشرة القليلة أثمرت" التفت إليه مجدداً وصاحت بقوه تكتم دموعها "عهد على يوم كشف الظلم عنى لن أغفر لأحد" تطلع إليها يلوم نفسه على إراقة دمعها، كيف أخذ الحديث بينهم ذلك المنعط؟ كاد يشكّرها على وفقتها معه ليفجع ولسانه ينطق بما حرق دمه، ظفر بقوة وتناول فنجان القهوة من فوق الطاولة الفاصلة بينهم ليهتف بضرر "لم أقصد، ها قلت لم أقصد يا سلمى" تبسمت باستفزاز وهتفت مُتهكمة "أو تقصد سيد داود لن يفرق"

تقدّم شهاب إليهم يلاحظ دموعها ويستشعر توترهم ليسأل وعينه حائرة بينهم "ماذا حدث؟ لما الجميل يبكي؟ ترکتكم والضحك معكم؟" توجهت صوب المطبخ لينظر إلى داود ويهز رأسه "ماذا فعلت؟" همس بغضب وكاد صوته يعلو "لم أقصد، هكذا خرج الكلام من فمي" قصّ عليه ما تفوه به وبدا للسامع أنه يلوم نفسه، فتهكم شهاب قائلاً "حقاً لا أفهمك! مالك أنت؟ لما تتدخل؟"

سكت حين لمحها تعود إليهم بطبقٍ مليء بالطعام الشهي ليهمس بنفسه "يا لا سواد الأيام القادمة لو ثبتت ظني" هتفت "فضل الطعام؟" سحب الطبق قائلاً بمجاملة "يا سعدي، لو أمري، ما اهتمت بي كما تهتمين يا سولي" أشرقت ابتسامتها لمشاكسته وهتفت تبادله المشاكسة "ألف هنا يا شاهي!" علت الضحكات وكفوفهم تُضرب ببعض غافلين عن المتربيص بينهم، فُرع الاثنين وثالثهم يصرُخ "كفا قلة أدب!" فصاح الاثنين معاً "ما أدخلك!" جُن عقله وقد أوشكَا على الضحك والثرثرة مجدداً دون اعتبار له ليسحب الصحن من أمام شهاب بغضب يأمره بإصرار لا رجعة له "أرحل فوراً" اتسعت ابتسامة شهاب يرمقه بخبط ليهتف مُغيراً الموضوع برمتته "صُهيب! أنت حتى لم تسأل ما حدث؟" ضغط ما بين عيناه وهتف غاضباً "أرحل شهاب ولا تُعصبني" نهض يرمقه بقرف وتوجه صوب باب البيت قائلاً "ذاهب! لكن صُهيب سوف يأتي بها هنا لتقابلاك" عاد بعدما قطع خطوتين أثر ندائها لتمد يدها ببعض السندوتشات قائلة "كل في الطريق وتوخي الحذر" قهقهه وعينه ترمق داود جانباً وهتف وما زال الضحك منه يشع "قلبي الضعيف لا يتحمل" صاح بها ومارده حضر "سلمي؟" طالعته بغيظ بعدما أحضرت دوائة لتجلس أمامه قائلة بحقن "تناول طعامك حتى تأخذ الدواء" ظفر ينظر في الاتجاه الآخر لترفع يدها بأحد اللقم وتهتف متوعدة "فضل" النقط الساندوتش يمضغه بغيظ تحت أنظارها الناقمة لتسأل بروية وصوت هادئ نسبياً "هل من الممكن أن تفهمّني ما يحدث؟ أنا قلقة عليك" أعتدل صوبها ونظرة عينه تخرقها بلطف أسعدها كسعادته فتلك أول مرة يغزوه الاهتمام من أحد هم بل الأولى التي يشعر بمِن ينتابه الخوف من أجله، لحظة لفتحهم كالنسمة الباردة في ليل صيفي حارق وكان سكون الليل يُعجّ بدقائق قلبه، تشاركا في الجهر بالكره ليظل المستتر لغزاً لا تُفك شفرته،

ناولته الدواء تهتف تحت أنظاره التي أرقت شيءٍ بها "داود، وضع لي الأمر كاملاً" وافقها بحاضر صامتها وأراح جسده فوق الأريكة يسأل بحذر "هناك صوت" هتفت بيأس من كتمانه "داوداً أنه الراديو خاصتي" تبسم وعينه بعينها وهمس "حسناً اقتربى لتسمعى جيداً" القت بوسادة كبيرة أرضًا لتجلس براحة تحت أنظاره المستغربة لتهمس مفسرة "جلستي المفضلة، تفضل الميكروفون

معك، احكي" طالعها بوجل وقص الأمر برمته بدءاً من قضية الذهب وصولاً
لرجال قاسم وبدورها شاركته الأمر تارة بالإنصات وتارة بابدأء الرأي، ومن
بين ذبذبات الهمس ترنمت الألحان تشاركتهم السهرة وتحرك ساكناً أصم
بنغماتها

"من أجل عينيك عشقتُ الهوى، بعد زمانٍ كنتُ فيه الخلي، وأصبحت عيني بعد
الكري، تقولُ للتسهيد لا ترحل، يا فاتناً لولاه ما هزّني وجد، ولا طعمُ الهوى
طابَ لي، هذا فؤادي فامتلك أمره، واظلمه إن أحببت أو فاعدل"

شرد كلاهما بالأخر لتعي على شرودها الذي طال وتسأل بما خطر بباليها "هل
موكلتك تُدعى دهب الاخشidi؟" أرتفع حاجبيه بدهشة وسأل "تعرفينها؟"

أراحت ظهرها إلى المقعد المجاور للأريكة وقد تجاوز الليل منتصف وهمست
والنوم يداعبها "الوحيدة بالكون التي دعمتني في عز ضعفي" نظرت إليه
ورأسها يرتاح للخلف تهمس وعقلها يسترجع ليالي السجن "دوري بالحكي
إذن"

* * * *

أنهت رباب ركعتي الفجر تتحمد الله، لوما سلمى لما كانت بتلك النعم، بيت وأسرة وأناس يتعاملون معها بأدمية، تخوفت موقعها بالمجتمع ف مجرد لقب مسجونة كفيل بنفيها عن البشر لعنة من العار وُشمت بها فدوماً سجن النساء مقروناً بقلة الحياة، ويدرك ذلك مهن أتخاذها البعض ستار، وهي نشأت على مهنة زوجها سمير الذي يملك صالون تجميل للنساء، ومع الاستدانة والسلف من أجل التطوير وقفت ضامنة لما أفترض ليهرب تاركها للديون التي أودعتها سجن النساء، رقدت على الفراش تتطلع لمن تجاورها فقد تأخى معاً دون شرط أو ادعاء، هكذا وجدت الاتنان أنفسهن وكل منهن تقسح مجال للثانية قطعة بازل تكمل غيرها، لهج لسانها بالدعاء والابتهاج لها، سلمى؟ تلك الحنون التي عرضت عليها أن تفتح لها باب رزقٍ خاص بها يغولها ويعينها على الزمن، صالون تجميل خاص بها وقد وع她 على مهاراتها لترفض باقتناعٍ تام وتكلّفي بجوارها حتى لو خادمة، تعلم كعلمه شروق الشمس أن لا مكان لها بين المجتمع وذلك أمراً عظيم ورغم أنها تمتلك من القوة النفسية وصلابة الشخصية ما يُجاهه شرور الناس لكن مكمن الجسارة دفعها لن قبل وضعها، همست وهي تلمح تقبل سُها "هل أنتِ نائمة" اعتدلت هامسة بكسل "جفاني النوم من كثرة الخوف" اعتدلت صوبها تتفقدها "أنا أيضاً ارتعبت، لكن عمر!" ضحكت متذكرة ما حدث وأكملت "خفيف الظل، ربِّي يحرسه" هزت رأسها بتاكيد ليظهر الحُزن على وجه سُها التي همست تحمل وأخاه عذاب عظيم، وأنا تخلت عنهم" تنهدت رباب تجلس مُتربيعة و هتفت إليها "سُها؟ كفى لوماً لنفسي قدر الله وما شاء فعل" مسحت دموعها وهمست بحسرة "خزلتها، تعبت عليَّ يا ربِّي، ليتنِي ما!" سكتت بعض شفتيها بقوه قبل أن ينزل لسانها لتسألهما ربِّي بريبة "سُها، أعلم أن العلاقة بيننا ليست بالقوة الكافية ولكن لما أشعر وكأنك تلومين نفسك على شيء عظيم؟" هزت رأسها موافقة و هتفت بتردد "كلماتك" كلمات شهاب وسأرد كما ردت عليه، دعوني ليوم أصرخ به عما بداخلي" تفهمت وضعها وأحجمت عن الضغط عليها لتهف لها بابتسامتها المشرقة "بمناسبة شهاب؟" غمزت وأكملت بمشاشكة "أشعر وكأن هناك نظرات مُوازية" هزت رأسها نافية وهمست "شهاب؟ صحيح شجعني على مقابلة سلمى والاعتذار لها، كما أنه رجولي وخفيف الظل لكن أين أنا وأين هو؟" هتفت

مُستنكرة "لما تُقلالي من نفسك هكذا؟ ثم أنا لاحظت نظراته نحوك وإلا ما سألت"

أفرجت عن نصف ابتسامة وقالت وقبلها يتمنى الضد "لا تتوهمي رباب هو فقط أنسان ليس كما باقي البشر" اتسعت ابتسامتها بفرح وصفقت قائلة "تمدحينه؟ إذن رأيت به ما لم تريه بأحد؟ لا تُنكري" حاولت مداراة ابتسامتها وهمست بخجل "رباب، ماذا تقصددين؟" غمزت بشقاوة وهمست ضاحكة "أقصد؟ أقصد إعجاب يلوح في الأفق، اعترفي سرّك في بئر"

تهكمت على نفسها تداري هشاشتها "وماذا يُفيد؟ وهل سينظر لمثلي أنا؟" رمقتها رباب بلومٍ وعتاب وصاحت بها "يا لا طبعك الكئيب، فقط أحلمي! ثم أنا رأيت نظراته لـك"

"توقفي رباب، تفاؤلـك زائد أصمتي ولا تدفعيني للطم لافق على واقع مُحبـط" جلسـت على حافة الفراش أمامـها وهـمست بخـوف أن يـسمعـها أحد "لو تـعلمـي ماـذا عـلـقـ علىـ مشـروعـ خـطبـتكـ منـ ذـلـكـ السـمـسـمـ لـنـ يـكـونـ حـلـمـكـ مـحبـطـ" دـهـشت وصـاحتـ فـزـعةـ "سـمـسـمـ؟ مـنـ أـينـ عـرـفـتـ وكـيـفـ عـلـمـ؟" أـشارـتـ عـلـىـ فـمـها بـالـسـكـوتـ وهـمـسـتـ "أـصـمـتـيـ، سـوـفـ تـفـضـحـيـ وـتـظـنـ سـلـمـيـ أـنـيـ أـتـلـصـصـ عـلـيـهـمـ"

"أـحـكـيـ ياـ رـبـابـ أـلـسـنـاـ أـصـدـقـاءـ؟ وـأـقـسـمـ لـنـ يـعـرـفـ أـحـدـ" تـبـسـمتـ تـرـاوـغـهاـ قـلـيـلاـ حتـىـ هـمـسـتـ تـحـتـ وـطـأـ رـجـائـهاـ "أـسـمـعـيـ سـيـدـتـيـ"

جلس شهاب أمامـهاـ حدـ بـارـ المـطـبـخـ وـهـيـ تـعـدـ الـغـدـاءـ لـيـثـنيـ عـلـىـ تـقـبـلـهاـ سـهـاـ فـهـيـ تـسـتـطـعـ اـحـتـواـنـهـاـ وـرـعـاـيـتـهـاـ، كـمـاـ أـعـرـبـ عـنـ نـفـورـهـ مـنـ سـلـبـيـتـهـاـ وـنـصـحـهـاـ بـالـبـدـءـ فـيـ التـعـاملـ كـوـنـهـاـ ذـاتـ رـأـيـ وـكـيـانـ لـابـدـ أـنـ تـعـبـرـ عـنـهـ فـلـاـ بـقـيـ عـلـىـ وـجـهـ الـأـرـضـ فـتـاهـ ضـعـيفـةـ شـخـصـيـةـ كـمـاـ تـمـلـكـ سـهـاـ، أـكـتـ سـلـمـيـ عـلـىـ حـدـيـثـةـ تـعـربـ عـنـ قـلـقـ مـسـ قـلـبـهـاـ وـهـنـقـتـ "المـجـنـونـةـ كـادـتـ تـورـطـ نـفـسـهـاـ فـيـ زـيـجـةـ اللهـ وـحـدـهـ أـعـلـمـ بـهـاـ" أـسـتـقـسـرـ عـنـ تـلـكـ الـزـيـجـةـ مـعـتـرـضاـ لـعـدـمـ ذـكـرـ سـهـاـ لـهـ لـتـهـفـ الـأـخـرـيـ قـائلـةـ "جاـرـتـهـاـ تـقـدـمـتـ بـطـلـبـ يـدـهـاـ لـأـبـنـهـاـ سـمـسـمـ وـمـاـ أـدـرـاكـ مـاـ سـمـسـمـ"

"سمسم؟" قالها ضاحكاً قبل أن تتغير ملامحه للصدمة حين أرددت بالقول الفاتر "أتضحك؟" هزت رأسها بحزن وأكملت "سمسم تخطى الأربعون عام، جسم مارد وعقل يُصفر به الهواء"

"ضعيف الشخصية مقصِّدك؟" تنهدت بلا صامتة وشرحت له كينونته التي انحصرت بين جسم رجل وطبع النساء ليهتف والصدمة تمتلك وجهه "ترير؟ خسارة الرجال" ضحكت ولم يتبعها بالضحك ليهتف بوجه احمر شديد التجمُّم "ذلك أدعى لعدم تركك لها سلمى" تطلعت إليه بخبث وقد تنبهت لتعكر دمه "سؤال وجواب عليه بينك وبين نفسك شهاب، ما الذي يُجبر فتاه بالثامنة والعشرين أن تقبل زبحة من رجل مُختن؟" صمت مُفكراً بعمق غير واعي لنظراتها الخبيثة حتى دفع طبق الطعام من أمامه وقد تلاشت شهيته التي لا تفتر ليهمس بحزن "ما الذي مس روحها حتى تقبل تلك المهانة والظلم؟"

هتفت سُها الي رباب التي توقفت عن الحكي وقد نَكَّت السيرة جرحها " مجرد شفقة على بائسة مثلي، أنت من تُضخمين الأمر برومنسيتك" اكتفت بما سمعت لتنفقد الساعة فائلة "ال السادسة، هيا نواظر الأولاد فالليوم آخر امتحان لهم" خرجا ومازال الحديث بينهم لتشير رباب على فمها بالسكتوت وهي تسمع هممات تأتي من الطابق الأسفل، عادت وعيونها تلمع بعدما اختلست النظارات لأسفل تهمس دون حساب الكلمات "يبدو أن السيد داود وسلمى جفاهم النوم" تلمست قلبها وهمست مرة أخرى "لو يغرقوا سوياً بالحب" دفعتها سُها أمامها توبحها بقوة "هل جُن عقلك؟ الرجل متزوج!" توجها لغرفة عامر وعمر وتوقفت رباب ترد بجدية "بريك هل تلك باربي زوجة؟ الرجل واضح عليه النفور منها وضوح الشمس" تعجبت سُها وهتفت بغير رضا "لا رباب، يجب تبييه سلمى، لا ينفعها أن تُتهم بخطف الرجال" تنهدت وأعادت حديثها بغضب "لا تفتحي بكلامك أبواب الريح، داود يكره سلمى، يطيق العماء ولا يُطيقها" فتحت الباب توقفت الأولاد وال فكرة التي طرحتها رباب لا تلقى قبولاً بنفسها، فلا سلمى تقرئه ولا هو يستسيغها!

تحيرت كيف لها فتح تلك السيرة معها لا هي بالمُتحدة اللبقة ولا تعلم كيف ستنقبل الأخرى تلك وجهة النظر، لا يوجد غيره، شهاب ذو الأفق الأبعد فهي تلمست بشخصيتها مرونة ولطف تُجبر من أمامه على التحدث دون الفلق،

أنتهى الفطور وخرج الأبناء بصحبة درية التي مازالت تسطو على سيارتها لترسل من هاتفها رسالة له مفادها "أريد التحدث معك في شيء خطير" طالعت سلمى تتقدم صوبه تناوله الدواء وهي تسأل بطبيعة "متى سيأتي ضيوفك اليوم" دققت بنظراته التي شملتها لتشعر الخطر فهتفت بين نفسها "وكأنني أشعر بالنار تشتعل" استفاقت وضميرها يضحك بشدة ويهمس لها "لا مناص من غيرك، ماذا ستقولين تلك المرة!"

* * *

الناسعة صباح اليوم

نظرت في المرأة تتفقد وجهها ثم تناولت الهاتف تكتب رسالتها "هل قررت؟، العشرة مليون أو أنشر الفيديو على الملا" تركت الهاتف وتبتسم لانعكاسها وبعثرت شعرها تهمس "عشرة مليون، مبلغ يستحق المجازفة" ابتسمت وأصابعها تلعب بخصلة من شعرها وعقلها يهمس "يكفي سجن خلف أسوار الحياة، سُحقاً لرجل أحتكر طموحي وسجيني باسم الزوجية" تنهت لتهمس مجدداً "سُحقاً عشر الرجال، لا يأتي من ورائكم غير الهم"

* * *

لهجت أنفاسها بقوه تضع الأكياس التي تحملهم أرضاً ورباب تتقاهم عنها لتبدأ بإدخالهم المطبخ، أنزلت الحقيقة المعلقة على كتفيها وتوجهت لبهو الصالة الجانبية وما أن رأتها عيناه صرخ بها "أين كنت؟" أنكمش وجهها من عداوته ومدّت ذراعها تناوله الحقيقة قائلة بحاجب مرتفع "حقيقةتك! ولا تطلب أن أذهب بيتك مرة أخرى وزوجتك ليست به؟" التقط الحقيقة بعنف وأعاد سؤاله بصيغة أخرى "كل هذا الوقت تجلبين حقيبة من منزل مجاور لك؟" تألفت واستغفرت محاولة قدر استطاعتتها ترويض غضبها، ماذا فعلت؟ دخلت كما طلب إلى بيته حيث باب الخاص المرأب ولملمت أشيائه وهو معها على

الهاتف لحظة بلحظة فقط استقطعت ساعة ذهبت بها للمتجر تشتري مُؤن البيت التي أوشكت على النفاد، ضغطت على طرف شفتها السُّفلَى ثم صاحت به "إياك والصراخ بوجهِي" أستشعر طبعها الصلب الذي يأسره وأخفي إعجابه بقوة وهتف ومازال صوته عالياً "ساعة واثنين وثلاثون دقيقة تستغرقينهم بالعودة؟"

"هل أصبحت مُنبِّه؟"

"أنت من تأخرت" مسحت على وجهها وأفسحتُ شير خلفها صائحة غافلة عن رباب التي وكزت سُها هامسة "ماذا يحدث؟" انتقضت كلتاهما إثر صراخها "تسوقت خزين البيت، فماذا حدث؟ هل اشتريتني!" هاجت أعصابه وصاح بها "الم أُنْبِه بعدم خروجك من البيت؟"

رمقته باستفسار مُتهم وسألت متوعدة "أهذا ما عندك؟" خلعت جاكيتها والفت به بطول ذراعها وقدمت من جلسته خطوة واحدة تهف غاضبة "ماذا أفعل؟" رباب وسُها لا يستطيعان شراء بيضة، وزوجتك أخذت السيارة ولم تأتي حتى هاتفها مغلق! ماذا أفعل؟" نفخت خريها وشدت شعرها من طبعه الغليظ وأكملت "ثم لما لا تُحاسب زوجتك وتتركني وشأنِي؟" أرتفع حاجبيه ببرود وهتف "وأين شهاب؟ تسوفي إلكترونياً؟" صرخت بغيظ "الرجل لديه عمل، ليس خادم عندي داود، وأي إلكتروني سينتقى اللحم والدجاج والخضار الذي يلزمني؟ لا أثق فيمن يتلمس طعامي؟ أقرف! ثم أنا حُرَّة افعل ما يحلو لي تشطر أنت على زوجتك" وعي طبعها الأنف وتذكر طبعها الموسوس طوال الأسبوع بأكمله تشم كفيها كل ثانية وتنشم الملاعق والشوك وأرھقت الأولاد وهي تصيح مُنبِّهًة تحموها، اغسلوا قصوا أظافركم، حتى هو مُنْذ يومين أعطته مقص ومُقام أظافر أشتربته خصيصاً له، حتى المناشف تكتب على كل واحدة اسم صاحبها! أُنْبِه واضح ساق فوق الأخرى بعد طول شرود يستقرها ليكمل استفزازه ببرود أعصابه قائلاً "هو يرتضي" هنقت من بين أسنانها كفى ببرود يا بارد" صرخت بها وقد انفلتت أعصابها لتُكمل "لم أعتاد طلب شيء من أحد! صعب! عظيم الأمر على نفسي" لاحظ ارتعاش جسدها إثر الغضب فرق لها ولم تهن عليه ليهتف بمهادنة "حسناً أجلسني" رمقته بملل

حتى هتف "سلمى! قدوم هو لاء الناس يعني شكم بوجودي هنا" هدأت نظراتها نسبياً ومالت للتركيز تسأل بخوف "هل مجيء ذرية كل يوم أو فد لهم شكا؟" أرتفع حاجبيه بعجز الرد وقال "لا أعرف، يجوز وربما مجيء شهاب، ولكن المؤكد أن هناك شيء لفت انتباهم لك"

"أنا؟" تبادلا النظارات والخوف بينهم يلعب لتسأل بقرارة نفسها هل سيصيّبه أذى؟! كما سأله هو هل ورطها معه؟! الظاهر من الباطن لهم أن كلاما منهم يخاف على نفسه! جرى إيهامه على حاجبه مُقرر الخروج من هذا البيت ليس لسلامته ولكن كلما تخيل أنها تُسحب لعالمه تحرك شيء داخله ملواحاً بالخوف، تطلع إليها وسؤال باغته "هل يخاف عليها؟" تلمس ذراعه المعلق إلى صدره وعجز عن الإجابة التي هزّته ليُجزم أنه يخاف توريط أي شخص وليس هي فقط فليس من الشهامة توريط أحد بمشاكله، أرتاح لذلك سبب ونهض من مكانه مُتنبه إلى اختفائها ليجدها بالمطبخ تفرغ ما أشتربت كما تُفرغ غيظها في سُها التي شردت في هائقها غير عابئة بالمساعدة، هتف ويدُ الحرّة في جيب بنطاله "كم ثمن تلك الأشياء حتى أدفعها؟"

تخشب جسدها لتغلق باب المُبرد بقوّة وتلتقي له بكل ما تحمل من غضب وتهتف "أنت مستفز حقاً"

"أنا أأكل وأشرب! فلما الغضب"

"حين أُقلِّب البيت فندق سوف أُوافيوك بالحساب حتى تدفع" قالتها وعينها تتوعّده ليكتُم الضحك على مظهرها، كأنها تحايل طفل نظير أن يصُمّت ويحلّ عنها، راقت له اللعبة فهم باستفرازها لكن قاطعة دخول الأولاد العاصف عامر ملابسه مُبعثرة وعمر يركض خلفه صارخاً بكلمات لم يتبنّ فحواها، صاحت عليهم دون جدوٍ لتجد لينا أمامها وذرية تهتف بسلام مُتعجل وتغدو راحلة بسرعة ليست من شيمها، تبادلت الأنظار الصامتة معه ليستمعوا إلى رباب تسأل وقد تحفّزت سُها "ماذا حدث يالينا؟" ألقت حقيبتها جانبًا وببرود ماثل والدها هتفت "لا أعلم، عامر صرخ عندما رأى هاتف صديقه وعمر تبعه هو الآخر قائلًا -امرأة قذرة -وسألهم صاحب عامر هل تعرّفون هذه

المرأة فهم عامر يضربهُ لكن دفعهُ عمر وخرجنا من المدرسة نهرول، ولكنني لا أعلم شيء" صدم داود مما سمع وهتف وعينه على سلمي التي هرولت خلف أبنائهما "كل هذا ولا تعرفي؟ ها؟ أنا من يعرف؟!" دخلت غرفتهم كالنمر الشرس تنوّي بهم فعلاً حذرتهم من الهمجية والطبع السوقي ألف مرة لتنوقف وعقلُها يستوعب ما تسمعهُ لتصرخ بكل صوتها وهي تنهر أرضاً "لا، بالله ليس مجدداً"

* * * *

تحير شهاب وهو يُشاهد الرابط الذي أرسلته سُها على هاتفه ووقف أمام صُهيب شارداً هل يُلغي ذلك الميعاد أم يذهب به وبالسيدة دهب إليهم؟ تطلع لخروج دهب من بيتها الذي تفاجأ بوجوده داخل المُجمع السكني كما تفاجأ بمعرفتها سلمي، والأكثر مُفاجئة أن صُهيب كان يبحث عنها كما أمرتُه السيدة دهب، وتحت وطأة الموقف اضطر لاصطحابهم ليرسل رسالة إلى سها يُنبئها أن تلتزم الصمت، رحب بها ودعاهما لسيارته لتهتف بكلماتها المُمنقة "دعني أتبعك بسيارتي، من أجل الرجعة" أنتهي الموقف على باب بيت سلمى بعد أن أخبرهما بأن الفارق بينهم شارعين فقط كما وجب ترك السيارة مخافة المُراقبة، تقدمهما مُرحاً يدق باب البيت الذي فتح ليتفاجأ الجميع بصوت الصراخ المُفزع، نظر إلى سُها الباكية ليندفع وذهب مع صُهيب خلفه قائلاً بغضب "لما خبرتيها؟" أفسحت مجالاً للضيوف وهتفت "لم أفعل شهاب، لم أجرؤ" هتفت دهب بقلق شمل جسدها وصوتها معاً "هي من تصرخ" لم تلقي جواباً حتى هتفت "صوتها! صراخها كما كانت بالسجن" تجرأت وولجت حتى منتصف البيت وهتفت بعصبية "أين هي؟"

وبالطابق العلوى وقف الولدان بعجز أمام انهيارها عامر يرتعب من عودة الماضي وفضائحه وعمر يبكي بحرقة متسلٍ لها أن تهداً أما ربّاب جلس أرضًا تحضن انهيارها بعجز تام كثفها عن حُسن التصرف في عودة نوبات هلعها،

أما هو؟ تمزق وهو يرى خوفها الذي فاق الضعف والانهيار، دخله مارد غاضب ما إن شاهد المقطع وتلك الساقطة تذكرة وتنذر ما حدث يوم الحارة بالكذب والافتراء، هل قرر حرق الحارة بمن عليها؟ أم أتخذ قرار يجعل تلك الساقطة والديوث زوجها عبرة لمن فكر بذكر أسمها؟ قرأ التعليقات التي تزداد بالشتم والسباب على لسان الفارغين وعاطلين الميديا، تلك المذلة الاجتماعية المخصصة لتفریغ السموم والأمراض النفسية، قرأ بعين قُدت من نار المجنوس والكُفر تعليقات شواذ الأخلاق والضمير ليتبه لذكر أسمها وأسم أبنائها، كل تفصيله عنها بدأ من نشأتها بالحارة بعمر العشر سنوات وصولاً للفضيحة وسجينها، حتى إرثها لم يخفى عنهم! بدأ التشكيك بها في التعليقات لتبدأ جولة الاتهامات السافرة القذرة ما بين اتهامها بمرافقه رجال الأعمال

وبيـنـ المـهـنـةـ الـتـيـ تـدـرـ عـلـيـهاـ ثـرـوـةـ بـلـمـ الـبـصـرـ!ـ الـبـيـوـمـ فـقـطـ عـلـمـ معـنـىـ الـخـذـلـانـ الـمـمزـوجـ بـالـأـلـمـ،ـ أـغـمـضـ عـيـنـاهـ وـصـراـخـهـ يـقـتـلـهـ "ـلـمـ تـفـتـحـونـ أـبـوـابـ الـمـاضـيـ مـرـةـ أـخـرـىـ"ـ شـفـتـ صـدـرـهـ وـقـدـ خـارـتـ عـنـهـ الـقـوـةـ تـهـفـ بـأـنـفـاسـ لـاـهـجـهـ "ـلـمـ أـنـسـىـ،ـ لـمـ اـبـرـأـ،ـ تـعـهـدـتـ بـتـرـكـ كـلـ شـيـءـ،ـ أـقـسـمـتـ عـلـىـ تـرـكـ الـمـاضـيـ"ـ أـشـارـتـ عـلـىـ أـبـنـائـهـ وـصـرـخـتـ تـضـرـبـ وـجـهـهـ "ـهـتـىـ الـقـسـمـ لـمـ يـبـرـدـ فـيـ فـمـيـ؟ـ؟ـ"ـ صـاحـ بـقـلـبـ مـقـبـوضـ وـعـقـلـاـ مـتـرـمـدـ "ـسـلـمـيـ؟ـ أـنـاـ هـنـاـ؟ـ إـيـاـكـ وـالـبـكـاءـ؟ـ؟ـ"ـ طـالـعـتـ بـعـيـنـ مـتـورـمـةـ تـسـتـقـبـلـ كـلـمـاتـهـ كـمـاـ يـخـالـفـ قـلـبـهـ،ـ لـتـشـهـقـ وـغـصـةـ كـرـهـهـ لـهـ تـخـنـقـهـاـ "ـأـجـلـ،ـ أـنـتـ هـنـاـ؟ـ لـتـكـتـمـلـ صـورـةـ السـافـلـةـ أـمـامـكـ"ـ نـهـضـتـ تـدـفعـ رـبـابـ بـقـوةـ وـوـقـفتـ وـعـيـنـاهـ تـتـحدـىـ عـيـنـهـ الـمـشـتـعـلـةـ تـهـفـ بـقـهـرـ تـمـلـكـهـاـ "ـأـنـظـرـ؟ـ دـقـقـ فـيـ السـافـلـةـ؟ـ أـنـظـرـ الـزـانـيـةـ بـلـاـ شـرـفـ؟ـ"ـ شـهـقـتـ تـبـلـعـ دـمـوعـهـ وـتـقـدـمـهـ بـهـمـجـيـةـ "ـأـجـبـنيـ أـوـلـاـ بـمـ يـحـويـ صـدـرـكـ مـنـ ضـمـيرـ يـاـ مـنـ؟ـ"ـ لـكـمـ صـدـرـهـ الـذـيـ يـتـهـافـتـ لـضـمـهـاـ لـتـهـمـسـ بـقـهـرـ "ـأـقـمـتـ بـبـيـتـيـ أـسـبـوـعـ وـأـكـثـرـ"ـ اـسـتـعـرـضـتـ قـوـامـهـاـ الـفـارـعـ وـمـقـدـمـةـ صـدـرـهـ الـتـيـ ظـهـرـتـ بـسـخـاءـ بـعـدـ شـقـ مـلـابـسـهـاـ وـأـكـمـلـتـ "ـهـلـ وـجـدـتـ سـفـورـ؟ـ هـلـ رـاوـدـتـكـ عـنـ نـفـسـكـ أـوـ رـاوـدـتـ أـحـدـاـ؟ـ هـلـ تـعـاـمـلـتـ بـلـاـ شـرـفـ بـلـاـ أـخـلـاقـ؟ـ"ـ صـرـخـتـ أـمـامـ وـجـهـهـ "ـأـجـبـنيـ دـاـوـدـ بـاشـاـ"

شـهـقـتـ بـأـلـمـ وـتـمـسـكـ بـتـلـابـيـهـ تـهـفـ بـجـنـونـ "ـأـلـاـ بـكـ ضـمـيرـ يـنـظـرـ لـكـلـهـ الـضـبـاعـ عـنـهـ؟ـ"ـ تـشـبـثـ بـتـلـابـيـهـ بـكـفـيـنـ مـرـتـعـشـينـ،ـ مـلـقـيـةـ بـثـقلـ رـجـائـهـاـ أـمـامـ قـلـبـهـ الـمـلـتـاعـ "ـلـسـتـ بـاغـيـهـ؟ـ لـمـ الـظـلـمـ إـذـ؟ـ"ـ خـارـ جـسـدـهـاـ مـهـدـ بـالـلـوـقـوـعـ لـيـدـعـمـهـاـ كـفـهـ الـحرـ وـالـأـخـرـىـ تـنـمـسـكـ بـكـفـيـهـاـ الـعـالـقـينـ بـصـدـرـهـ يـهـمـسـ تـزـامـنـ مـعـ صـرـاخـ أـبـنـائـهـ "ـقـسـمـاـ بـشـرـفـكـ سـلـمـيـ لـيـدـعـ الجميعـ ثـمـ دـمـ عـكـ دـمـاـ"

اقـتـحـمـتـ دـهـبـ الـمـكـانـ وـخـلـفـهـ سـهـاـ تـحـاـولـ منـعـ تـنـفـلـهـاـ لـتـهـفـ رـبـابـ بـدـهـشـةـ "ـسـيـدـةـ دـهـبـ؟ـ جـنـتـ بـوـقـتـكـ"ـ أـلـقـىـ عـمـرـ نـفـسـهـ فـيـ أـحـضـانـهـ يـصـرـخـ "ـبـالـلـهـ لـاـ تـبـكـ،ـ أـنـاـ وـعـامـرـ سـنـحـرـقـ أـبـنـةـ السـبـاكـ لـأـجـلـكـ"ـ تـسـلـمـتـهـاـ دـهـبـ مـنـ أـحـضـانـهـ لـيـلـحـظـ الـجـمـيعـ خـرـوجـ عـامـرـ مـنـدـفـعـاـ بـمـلـامـحـ مـجـرمـ دـافـعـ شـهـابـ وـصـهـيـبـ بـقـوةـ وـدـاـوـدـ يـهـرـوـلـ خـلـفـهـ بـعـدـ أـنـ هـمـسـتـ لـهـ "ـأـتـوـسـلـ إـلـيـكـ أـدـرـكـهـ"ـ صـاحـ وـقـدـ أـلـقـىـ بـحـاـمـلـ يـدـهـ أـرـضاـ "ـشـهـابـ؟ـ لـاـ أـرـيدـ رـجـلـ بـذـلـكـ الطـابـقـ"ـ أـغـمـضـ شـهـابـ عـيـنـهـ يـشـيرـ لـصـهـيـبـ الـواـقـفـ بـأـوـلـ درـجـاتـ السـلـمـ أـنـ يـسـبـقـهـ وـهـتـفـ إـلـىـ سـهـاـ الـمـتـرـدـدـةـ "ـلـمـ لـسـتـ مـعـهـاـ؟ـ أـذـهـبـيـ"

سَالَهُ صَهْيَبُ بْنُهُوَءَ "مَا بِهِ دَاوِدُ؟" لِيَهْتَفُ وَهُوَ يَنْزَلُ السَّلْمَ خَلْفَهُ "بُرْكَانٌ" وَأَنْفَجَرَ، أَقْرَأَ عَلَى الْجَمِيعِ الْفَاتِحَةَ

* * * *

رمقتها بحدة وغضب، مجنونة لا تعلم أي مسلك سلكت بفعلتها السوداء، سلمى أخذت أبنائهما واحتقت بلا رجعة، فلما تُحضر عفريت لن تستطع حرقه؟! صاحت والترجيلة تشتعل أمامها "يا أبنة السباك، يا خائبة الرجاء هل تعرفين ماذا فعلت؟" جزت أسنائهما وصرخت بصمت "متى تُغير أسمك يا أبي" رفعت عينها صوب قطة تهتف بغيظ "لم أذكر أسمها ثم ماذا ستقول؟ هل تخويفني بها؟" قلبت قطة عينها بسقم وصرخت بوجهها "لن تُقييك الغيرة يا نهى، سلمى صارت قوية وليس المال فقط، تذكر ي الحراسة والسيارات التي سدت الحرارة وطوقت الحي بأكمله" سحبت نفس وعينها ترمقها بحدق على ما حققته من مكاسب وتقاعلات بهذا البث الذي لم تخبو ناره وقالت تلفظ الدخان في وجهها "كل رجل منهم لو عَطس بالحرارة لجعل من فيها يطير لسابع سما" أتسعت ابتسامتها الخبيثة تقرأ الغيرة بمن أمامها وقد أقرت بنجاح البث وتحقيق أعلى مشاهدة، سيدأ إذن النزال بينهم فمن يا ثري سيتفوق ويصبح صاحب أعلى بث ومشاهدة، فردت ذراعها فوق ظهر الأريكة والأخرى تهزها بالأأساور الذهبية الجديدة وقالت تستعرض أكتافها "أعلى ما بخيلاها تركبها! تبحث أولاً عن أبنائهما ثم تأتي وتقف أمامي إن استطاعت" رنت ضحكتها وتلاعبت بحاجبها تغيط قطة وأكملت "ستجد ما يُخرس فمهما" مالت تسحب لي الترجيلة وشدت نفس وعينها تراوغ، سددت بوجهها سحابة الدخان على مهل وهتفت "يا معلمة قطة يا سرت الكل، هل افترقنا عن بعضنا البعض" تلويت قطة بمقعدها من نار الكيد التي أوقفتها نهى وهتفت بغيظ "ماذا بجعبتاك يا عنان؟"

"نتقاسم سلمى! والبٍث معاً؟" رنت ضحكة قطة تلك المرة وراقت حبيبها ثعيد لها الكرّة وقالت تسحب لي النرجيلة كما كان لها "يُحنن، على الله يا ابنة السباك" جزت أسنانها تهتف بصمت "متى سنُغيِّر أسمك يا أبي؟" نهضت ثُلقي

على رأسها طرحة لا تُثمن ولا تُغنى من ستر وهتفت بجدية "اعقلِي الأمر يا معلمة، سلمى ستأتي لتفاوض على شرفها، ها نحن أكلنا الطُّعم وتركتنا الأولاد دون ثمن وكل ما فعلناه جاء بصالحها فلما لا نقتصر الفرصة" هتفت قطة بترفع "لدي مال الدنيا ولست طامعة بمالها"

"وهل المال ما أبغى؟ شاهدتي بنفسك جبروتها الذي رجّ الحارة بمُن فيها، أهذه سلمى؟ القطة المُغضّبة؟" صاحت قطة والكلمات تلعب بعقلها "فسيري يا بلوى بُليت بها نفسِي" حملت حقيبتها تهُفَّ وعينها بعين المعلمة "بُث واحد رِبْح مالاً طانلاً، فما بال العشرة، العشرون؟ ألف يا قطة؟، الشهرة والنجمة" أسهبت ترى وجهه من أمامها أشرق بالمدح لتكمل "الكل يطلب ودك، تلك تمدح عباءتك وتلك تنقطُ صور بعد إِذنك والسلطة؟! كبار البلد يتوددون لأكبر معلمة في البلدي المعلمة قطة، شيخة الجزارين بنت البلد"

"أنا معك يا داهية" قالتها دون تفكير وتقدير لتهُفَّ نُهَي وقد حال بينهم باب الشقة الموارب "أنتِ أفعلي ما تفعلي ونحن أيضاً، لكن سنجتمع في البث المشترك ولنلعب ونتسابق بالجولات أما الجمهور؟" غمزت بعينها بمعزى تفهمته قطة وغزى شعفها لأقصى درجة وقبل أن تشرد مُجدداً صاحت بصوتها الجهوري "بنت يا نُهَي" طلت برأسها من الباب الموارب وهتفت "أوامر يا معلمة"

"هل سخبر المُتابعين بصلة القرابة بيننا" غمزت قائلة "تلك حلقة سوف تُجني ذهب" شدت الباب وأجابت راحلة "كل شيء بمعاده احلى" خرجت إلى الحارة وقد انقلب وجهها للقسوة المُفرطة تتوعد سلمى بويلات لن تستطع مواجهتها، تلمست وجنتها تتحسس اللطمة الفائنة وتُقْسِم أن تدفع ثمنها من كرامتها حين ترأها، رفعت رأسها بكبرياء زائف وتمايلت بمشيتها بقبيل الحارة تتظر بتعالي للشيخ حازم الذي رمّقها بقرف، ألقت السلام على متولي وشحاته الذي صاح من خلفها "مرحباً وألف مرحب بنجوم الميديا" كان لابد أن تكسب قطة بصفتها تعلمها وتعلم كيدها، حُبها للمدح والتملق مرضها، تخاف أن تت忤د سلمى ذلك الجانب الأُعرج وحينها ستقف معها ضد أبنها، دوماً ما كانت تحثها وتقْهِمها طبعها ولكن المُغفلة تتعرف وتخبرها التملق والكذب نفاق وقلة شرف

وأبنة المصري لا تهين كرامتها وتبيع نفسها بالبخس، تبسمت بغل وهمست "أين الأن الشرف والكرامة يا صاحبة السمو" بثقت أمامها وهرولت بخطواتها وهي تلمح والدها على السباك متوجهًا صوب المقهى فأخر ما ترجوه نصائحه البالية، لا تدري بأنه لمحها ولكنه أفعل عدم رؤيتها، منذ أن قرر التحدث وردعها عما تفعل حتى تدخلت أنها تُحذر بأن لها زوج يُحاسب عنها، علي الفليل لم تخون زوجها بل تظهر أمام الجميع بصدق ولا يعييدها ما عاب صديقها، أنتبه لكلمات الشيخ حازم المار من أمام المقهى يصبح بجرأة "أصبحت الحارة دون رجال، نسائها فتحت غرف نومها على الهواء مباشرةً" حملق في علي السباك وكفة تقر المسبيحة بين أصابعه وسأل بضم معوج "أليس كذلك يا سباك المنطقة يا ملوث؟" هب رجال الحارة باستفار وكف السباك يصفع وجهه حازم بقوه ويصرخ به "آخرس يا مُدعى الدين يا تاجر البانجو" حال متولي بينهم وقد أوشك حازم على ضربه ليهتف متولي وهو يجذب على "صلوا على النبي يا جماعة" سحبه يسأل "ما الأمر يا علي" هتف شحاته بطبيعة الحشري غير متضامن مع أحد "بما استقرزته ياشيخ حازم؟" صاح فتلة بوجه الشيخ مُتحفزاً "زودتها يا جدع، هل نسيت ما كنت سابقاً"

صاحب الشيخ بالجميع يُحک ذقنه متورتاً "أليس منكم رجل راشد؟ السباك ترك أبنته تتعرى وتتلوي على موقع التواصل ويتهمني ببيع الممنوعات أمامكم، آمن تاب كما أرتد يا كفرة؟" دفعه شحاته بصدره يسحب على السباك بعكس اتجاهه وهتف "ما دخلك يا منافق؟ الرجل حُر بأبنته هل سألك رزق؟ داقت في وجه الجميع والكل بات يبحث عن باب يُرزق منه" صاح السباك يتملص من شحاته الذي حرق بالكلمات دمه "رزق ماذا؟ أليس لها زوج يُحاسب عنها؟" رمقة شحاته بابتسمة شماتة وصاح قاصداً إشعال ناره "قلنا هذا سابقًا يا عم علي" هتف الحاج متولي بعدهما أمر فتلة وبعض شباب الحارة بصرف حازم "كفى لغط، هيا كلّ حاله" ألتقت يُحدج شحاته مُحذراً بالتمادي وجذب على إلى داخل المقهى يُطيب خاطره "صلي على النبي يا رجل يا طيب، لا تعتب على الشيخ حازم يا علي جميعنا نعرف أنه مُدعى" أخفض علي رأسه يمسحها بكفه وهمس "الله الأمر يا متولي، فضحتي أبنتي"

ومن شُرفت منزلها شاهدت ما حدث وعينها تتوعد حازم بتحدي، ذلك الذي لا تعرف متى وكيف أصبح شيخ يدعى الوقار، رفعت هاتقها إلى أذنها وهتفت والخبث على وجوهها يضحك "سامح! كيف حال البث ومتابعيك؟" أملته ما خططت لتغلق الهاتف وتدخل غرفتها تستعد لجولات الميديا تهمس "حلوة علاقات الميديا، بيدوا أننا بدأنا في عالم الوساطة والسلطة"

* * * *

تحرك قاسم متوجهاً لسيارته يتبع رجاله الذين أبلغوه بأن السيدة دهب لم تخرج من غرفتها فhem بالاتصال بها ليجد هاتفها مغلق ولكن أحد رجاله شاهد من تُشَبِّهُها تُغادر قبل بزوغ الفجر ولم تعود مرة أخرى، صاح بالرجل مُنبهاً "أرسل خدمة الغُرف تتنقصى الأمر" أتى صوت الرجل "تركت عالمة عدم الإزعاج خارج باب الغرفة و" صاح به "لما توأوا يا جحش" تألف الرجل يبتعد عن غرفتها وقد ضاق بالغرور والغطرسة "بابها يفتح يا باشا" أنتظر بصمت والرجل يتبع مراقبة الغرفة ليعاود الهمس "أخرجت عربة الطعام جانبًا" ظفر قاسم نفس كاد يحرق الجو وأعطى أوامره ملزم الرجل بالمرأبة وتوجه بسيارته صوب مكتبه لابد أن يعرف هوية صاحب الرقم الذي يهدده، بالأمس فقد رجاله ذلك البيت الذي يتزداد عليه كلًا من شهاب وزوجة داود ولم يتوصل لشيء كل ما قيل له أنها جارة جديدة بالمدينة السكنية وبمراجعة ملاك الفيلـا تبين أن الفيلا باسم يوسف المصري وقد وافته المنية، لا يعلم هل زوجته أم قرينته، ربما مستأجرة من الباطن؟ تألف وهو يتذكر الحجة الخائنة التي تصنعها رجاله لكن كيف كان سيدخل منزلها ويتجول براحة لوما تلك الحجة، سوف يذهب إليها بنفسه وينظر أمرها وجهًا لوجه والحجة معه، قانوناً من نوع تأجير الوحدات السكنية من الباطن وبصفته مالك الكوم باوند لابد أن يتحرى، توقفت السيارة أمام مدخل قصره المُتطرف بالمدينة ل تستقبله ذات الدلال والجمال المذهل هاتفة "قاسم باشا أفتقد طلتك" سحبها من خصرها ودخل للبهو يضحك والسيجار بين أصابعه قائلًا "جنان دورك بالمسلسل الجديد يا حسناء"

* * * *

جاهد لا يصل صوته لداخل البيت ليهتف أمام غبائها "هل جُننت يا سُها؟"
تترکيها في هذا الهم لحالها مرة أخرى؟" تحيرت بالرد وقالت تبكي "لم أقصد
ما فهمت" أغمض عينه قرفاً منها ومن ضعف شخصيتها وجلس بمقدمة
الحديقة غاضباً، بات لا يعلم هل هي هشة النفس أم أثانية تتئي بنفسها وقت
الخطر، التمس لها العذر حين تتصلت من مسؤوليتها أول مرة وركن ضعفها
لوحدها وقلة حيلتها مع الفقر، أما اليوم لا يعلم إلى ما يُرکنها؟، زال الفقر
وابتعدت عن أبواب الشارع بل ما يزيد حيرته موقف سلمي التي احتوتها دون
العتاب واللوم، تقدمت تجلس جواره لا تعلم كيف تقوهـت بما قالت، لا تتوـي
تركها أو البـعد بل تـريد أن تعوض فعلتها القديمة بتـقديم الدـعم والـمؤازـرة لها
ولأبنـائـها عـلـ ضميرـها يـرتـاحـ منـ كـثـرـةـ الدـقـ، تـطـلـعـتـ لهـ وـهـمـسـتـ بيـكـاءـ "أـقـسمـ
لـكـ شـهـابـ لمـ أـقـضـ ماـ فـهـمـتـ" هـزـ رـأـسـهـ دونـ النـظـرـ إـلـيـهاـ وـهـتـفـ "ماـ قـصـدـكـ؟"

"أنا حائرة شهاب! تائهة كبالون فر من يد طفل حتى طاح به الهواء لا هو بالثقل الذي يسمح له بالهبوط ولا هو في مأمن يحميه من الانفجار" ظفر غير مُقتنع براها تدفن وجهها بين كفيها وتختلط بالبكاء ليعتدل صوبها ويتكلم مباشرةً بطبعه الصريح "حسناً سُها دعينا نبدأ الحديث بيننا من جديد" رفعت أنظارها تمسح الدموع ليكمل قائلاً "كان سؤالك تفسيراً عن ماذا تفعلين؟ وذكرت حلين أولهما البقاء وثانيهما الرحيل" قاطعته تهف "لم أقصد الرحيل خوفاً من الفضائح بل قصدت الرحيل كي لا أزيد أعبائهما و" قاطعها يلقط آخر كلماتها وهتف "و ماذا سُها؟ لابد أن تعي بأنكِ لستِ عبأ والأهم سلمى ليست ساذجة كي تُكبل نفسها بأحد سلمى عاشت بالسجن عامين كاملين و تلك تجربة تجعل من الزاهد العابد سفاح يقتل ضميره بيده وبدم بارد دون الندم" هزت رأسها موافقة وأضافت "تأكدتُ بنفسي من جمودِ يضربُ أو صالحها حتى أني تخوفت منها"

"هل تشعر بأن هناك ما يحدث مع داود وسلمى" أنكمش وجهه ورد دون انتباه
لما تقصد "أي شيء؟ وماذا يحدث؟"

"أشعر وكأن بينهم إعجاب" هتف واعيًّا لما تقصد "وما دخلك؟" تلجلجت تسأل
بخوف "شهاب ماذا تقصد، لو كان الأمر صحيح فتلك مُصيبة وفضيحة أخرى
سلمى في غنى عنها" تأهبت حواسه يضرب مقدمة رأسه بقوة، كيف غفل عن
تلك الحقيقة الواضحة أم سعد من أجل سعادة داود الذي يكتوي بنارِ درية،
درية؟ ماذا لو الأمر حقيقيًّا وأنْتَ حفًا أن داود يكن لسلمى عاطفة؟ درية لن
تصمم بل ستحرق سلمى وتُشهر بسمعتها، رغم عدم اهتمامها بدواود كرجلٍ
لكنها لن تترك خزانتها البنكية، يعرفها أنانية واستغلالية قيلت شرط داود بكلامٍ
إيراداتها ليصبح ما بينهم مجرد صفة، امرأة ارتضت الزواج برجل للتو ترك
القرف، دون عائلة مرموقة فلزاماً عليه تعويضها بالمال، وبذكائها الخبيث
أشعرته بأنها مَنْت عليه بوجودها وقدر عائلتها ليصبح دون دراية يلهث خلف
أبواب الثراء لتلبية طموحها الشرس، لذا وجب عليه مُفاتحة داود في الأمر فهو
ليس بغرِ ساذج حتى لا يلاحظ الحرب القائمة بين عقله الوعي والباطن الأول
يكرهُها ويجهر بذلك والأخر وصل لمراحل الغيرة التي لم يُجرِبها يوماً، هتف
وقد بدا لهم مُزييناً صوتة "دعني الموضوع لي يا سُها، واعلمي أن ما ذكرتنيه
ليس مُبرراً" نهضت تهُزُ رأسها موافقة ولكنها توافت قائلة "انا لن أتركها مهما
حدث شهاب" اشتغلت عينها ببريقِ لمحه لأول مرة لتحرك من أمامها قائلة
"فقط ظل جواري! فأنا خائفة من القادم جداً" تنهد يتطلع غيابها وهمس حيران
"لو تمنحي نفسك بعض الثقة" أنتقض وصهيب يهتف من خلفه بجدية "بيدك"
استقام بجلساته وسأل بتحفظ "هل تسمعت حديثنا؟"

"لم أقصد فقط كنت جواركم أجري بعض المُكلمات" نفح باضطراب ثم قال
مُحذراً "هل يجب أن أنبهك بحفظ السر" تبسم صهيب وهتف "حقك! فأنت لا
تعرف من صهيب" رقمه شهاب بعين الدهشة والإعجاب وصافحه "مرحباً
بالرجال" تبسم وجلسا مُتجاورين ليهمس صهيب يريح ظهره للخلف "لو ظننك
وظنها صحيح فوفر عليك المعاناة" وافقه شهاب تمام الرأي وهمس وهو يميل
بجذعه للأمام "تخيل؟ داود الرازي يقع بالحب! تلك أتعوبة من أتعوب
الزمن" نهض صهيب واقفاً يهتف "أصعب شيء على الرجل اقتلاعه جبراً من

جنة وجدها على الأرض! أعن الله صاحبنا" هز شهاب رأسه ينظر رحيله
ويهمس "كُنتم مع برنامجكم قال الفيلسوف"

نهض ينقش عن داود الذي اخترى هو وعامر غريب الأطوار ليتحمّل ربّ الـ
لا تخفي ابتسامتها ليسأل بصوت عالي "يا ذات البسمات رغم الأزمات هل
لمحتي داود"

ومن رُكن المرأب الخلفي أنزوى يجلس أرضاً يصلاح الدراجة التي دفعها تحت
وطأة الغضب "إذا شعرت بالضغط يمكنك الأفراج عما يختلج صدرك، أنا
أسمعك" ناظره الفتى ببغض وهمس معاذب "أنت تكرهها"
وماذا لو كنت أحبها؟ أنتقض الفتى وهتف "عن أي حب تتكلم؟"
أحبها مثلك! أم أنت لا تحبها؟

"هي أمي!"

"وأنا رجل وهي امرأة"

"لكن سمعتها ملطخة بالفضيحة والعار"

"أنا أثق من براءتها! ماذا عنك عامر؟" صمت والجيرة تُغرقه لينتشله داود
سائلاً "قل لي، ثقتك بها أكثر أم ثقتك بنفسك؟" رمقه عاجز عن الرد
والاستيعاب ليهتف بما وعى "سؤالك غامض لكنني أثق بها كما أثق بنفسي"
تبسم داود وترك ما بيده وتوجه بالجلوس أمامه قائلاً "سأتمناك على سر" تحفز
عامر والثقة تدب في دمه قائلاً "في بئر" ليكمل داود وابتسامته تتسع "حين
تقصيبي وعلمت بحكايتها كرها بل كدت أكره يوسف عمها" حثه عامر
للاستفاضة ليكمل الآخر "يوم الحارة! حينها دققت النظر فيما حولها مُرغماً
لكني كابر وتنغضي عن صوت داخلي يلومني فيها ثم اضطررت على
المكوث لديكم بالبيت" هتف عامر يستجدي التكملة "بما شعرت؟ أما زلت على
موقعك" جرى إبهامه على حاجبه وهز رأسه رافضاً وهمس "لا، لأنني دققت
النظر برغبتي لأجد التناقض يضربني بمنتصف جبهتي" أنكمش وجهه عامر
وهتف بغضب "أنا لا أفهم كلام المحامين، إما أن تُفسر أو تترجمي لحالى
وهي" اتسعت ضحكة داود وهتف "يا ولد؟ المقصود أن تنظر إلى الصورة

كاملة وتحي كل الافتراضات سواء فرضها عقلاً أو فرضها المجتمع، حتى ما رأته عينك" نفح وهف "تحمل غبائي ووضح أكثر" هف به بجدية وقد تلاشت ابتسامته "لا ثقتك بنفسك تخولك الحكم عليها ولا نضوجك المجتمعي أكتمل لِيُكبسك الخبرة" رممه عامر بتحدي وتفه يلومه "أنت أكبر مني ولديك ثقة كاملة وحكمت عليها وكرهت أيضاً" رفع حاجبيه بإعجاب وأجاب يضعه أمام نفسه كما يفعل حاله "هذا هو! أنا خذعني الكلام ولم أعرف سوى ما سمعت، أما عنك فحكمت فيمن عاشرتها وتركتها بالإعدام حيّه!" رفع سبابته مُنبهاً "و قبل أن تُتبرر أفصل علاقة الرحم بينكم" سحب نفس وظفره بقوه يسأل بتروي وعينه بعين الصبي "امرأة عاشرتها، تعلم طبعها كف يدك، تناولتها الألسن وشاهدت موقف يُدينها، فما حُكمك المجرد من المشاعر تجاهها؟" هف مباشرةً دون تفكير "أتَأكَدَ مَا رأيْتَ، العيْنُ خادعة، ثُعْجَب بالطعام حتى يلمسه الفم وعندَها تلعي النفس قرفاً"

"أصبت، وهُنَا المغَذِي بُنِي! هُنَا وجَب العَدْل، كَمَا نَظَرْنَا نَحْو سَلْمِي دُعْنَا نَنْظَر في أمر الساقطة نُهِي؟" شرد عامر يذكر ما قصه عمر ليعدل صوب قائلاً "لَدِي سِر" أرتفع حاجبيه وهو سعيد بتلك الخطوة "في بئر عميق" نزح عامر بهم وسرد ما تكبده خلال سنتين من مكوثه معها ليقرأ الآخر بروح المحامي المُخْضرم ما خفي بين الأساطير ويعي أن هناك من دبر لفتك بها، لا يمكر بالمرأة سوى امرأة مثلها هكذا أعظم عذر سطرته كتب الحياة، هكذا الخذلان ناراً تندلع وباطلها الألم، نهض داود يسحب بكفه كف الصبي ليخرجها من المكان وبينهما اتفاق بلا اتفاق مفاده حمايتها ورد اعتبارها وحق من خذل سلمي حد الألم، توقف عامر ونظر إليه يسأل بغيرة واضحة "هل ذكرت أني تُحباها؟" قهقه داود وسبقه بخطوة قائلاً "وماذا لو كُنْت أحُبُّها؟" صاح خلفه غاضباً "وزوجتك؟ أبنتك؟ حياتك بأكملها؟ وهي؟ فَكَرْ بموقفها؟ لن أسمح بأن تُصبح كما نُهِي؟"

تركه عامر أمام الحقيقة العارية متوقف الأنفاس والكابة تُحاوطه، رفع نظره للسماء يهمس مُبتسماً بتهكم "من وجد الجنة لا يتركها إلا مُجبراً! أبانا آدم طرد منها لكنه لم يترك يد أمناً حواء!" دخل بهو البيت حيث أجتمع الكل ليجدوها تحرق سجائراً ها وقد علت ملامحها صلابة لم يشهدها من قبل، ألقط صوتها

المبحوح من البكاء تهتف "البادي أظلم! ولن أترك على الأرض ظالم دون
الحرق"

* * *

ومن أمام حاسوبها الشخصي تفقدت موقع نهى وزوجها، تشاهد البث للمرة
الألف وقد وعثت على ذكر اسم سلمى وحياتها بين التعليقات، أنتابها الشرود
والتفكير لتهمس "أشفق عليك يا سلمى، كيف ستدعين سهام الغادرين" يجب
الذهاب لمواساتها فذلك وقت لا ينبغي عليها الابتعاد فلن تسمح أن يهد داود ما
شيدته، بدت ملابسها وتحركت تاركة مفتاح سيارتها، سوف تعمل على جبر
سلمى لعدم السؤال عنها، خرجت متوجة إليها تتلمس بطنهما وتهمس "ترى هل
طبخت اليوم أم الحزن منعها؟!"

* * *

استمعت دهب الي ما قصه داود فتبسمت تضع قدمًا فوق الأخرى مُثيرة دهشة
الجميع من عدم تفاجئها، بالأصل كانت تحمل نحو قاسم شاكًّا فما سر توده
وقد عرض عليها شراء الأرض مُسبقًا وحين رفضت أرسل من يشتريها من
الباطن، وهنا أنتابها الشك تزامناً مع ظهوره الوافر، لكن الأحداث مرت
مُسرعة لتجد نفسها أمام قضايا نصب ليدق ناقوس العقل بالفهم، حينها وَكَّلت
داود المحامي القانوني بشركتها وكتمت شَكّها، هكذا تتحرك أثني الثعلب
بقدرتها الفائقة على التكيف والتتبُّع بعدها حتى تجعله فريستها التي تُجهزُ
عليها في مخبئها، هتفت وفنجان القهوة مُستقر بين أصابعها براحة "خطوتنا
الأولى الانتظار" تعجب داود مُبدي اعتراضه لتسبيقه بالإلاجابة قائله "نقطاً
ضعف قاسم التسرُّع ومن هنا سننتظر خطوتة المُتعلجة" أكمل صهيب حديثها
قائلًا "تسرعه سيحدث به خلاً منه نتوغل لعالمه" أقترح شهاب قائلًا "معنا
تسجيل له بالصوت والصورة" ليُرد داود "دون إذن النيابة باطل يا متر
شهاب" أستقام شهاب بجلسته قائلًا "معنا أدهم وكيل نيابة"

وضعت دهب فنجالها بهدوء فوق الطاولة وهتفت "لا تنسى الحسانة شهاب
بالأخير قاسم ليس برجُل عادي" هتفت سلمى وما زالت تحت تأثير الصدمة

وقد اشتعلت غريزة الانتقام بها "حلٌ واحد" انتبهت العيون صوبها لمقاطعها داود يسأل باهتمام بالغ "أحب أن أسمع" لمحت دهب نظراته لتهتف سلمي بصلابة دون اهتمام له "ذهب تُخبر قاسم أنها غيرت المحامي داود بعد شَكِّها بنوایاه" هم يُقاطعها مُعرض لتعذر تُشعل سيجارتها وترمهه قائلة "أنتظِر حتى تعي" تابع صوتها بعين لامعه لتهتف "قبل دخولك المباشر للجلاسة بُغت بقرارها وأنها تكتمت الخبر مع المحامي الجديد بعما علمت بعلاقتك بوكييل النيابة أدهم" سكت مُفكراً كما سكت الجميع حتى أردفت مجدداً "أنت تفاجأت ثم وقع حادث اغتيالك الذي ستتهم دهب وقاسم به" ألتقط طرف الخطط منها ليُكمل عنها "ردة الفعل؟! أدعى انتقامي منه ومن دهب، ليبدأ طبع التسرع في تُقلد الأمر" أضافت دهب مُعجبة بالخطبة "أدهم يكون معك لإرباك قاسم" نفحت دُخان سيجارتها بنشوة وهتفت "أبلغوا النائب العام للحصول على إذن بكل خطوة لمواجهته بالأخير وإسقاط الحصانة" أُنخرط الجميع بالحديث والفكرة تخمر بعقولهم وعين دهب الحاذفة تلمح نظراته لها، وعنها فهي شاردة في عالم آخر، الحسرة تملأها لتهمس والدخان يحتوي دمعها داخله "أحرق عدوك قبل أن يحرقك، ذلك قانون العدل القائم" قطع الجلاسة دخول درية المتأخر تهتف متوجهة صوب سلمي "سولي كيف حالك يا قلبي؟ لا تشغلي بالك بمن يغارُ منك!" ألقت سيجارتها المُحترقة في المنفضة بإهمال وخيط الدخان يتتصاعد مُحترقاً لتهتف بقوه "أين مفتاح سيارتي درية؟" تقدمت تجلس أمامها تهتف وقد حيت دهب وصُهيب برأسها "سيارة الشؤم، من يوم شرائها وكانت وجہ الخراب عليك" تناولت قطعه من الكيك الموضوع أمامهم أكملت "لو مكانك لاشترت غيرها فوراً" ضحكت دهب بكل صوتها تسأل "من أنت درية" نفضت كفيها ببعض تُشير صوبه "زوجة داود الرازي، ومن أنت يا هانم" قهقهت بقوه قائلة "ذهب الاخشديي صديقة سلمى المُقربة" لاحت الحسرة والغيرة بعينها وهتفت تجز أسنانها "تشرفت يا هانم" نهضت متوجهة إلى المطبخ بشهية فيل جائع لتهتف مرة أخرى ما إن وصلت "عذرًا فأنا أموت جوعاً" رمقتها دهب مندهشة ومالت له تهمس "بربك كيف تحملها داود؟" صاحت سلمى بقوه أسكنت الجميع صدمة "درية؟ أحضرني مفتاح سياري! حالاً! واتركي مطبخي وإلى بيتك فوراً" سحبت سيجارة جديدة

وأشعلتها تهافت بتجبر أمام الجميع "ببتي له حُرمه ومن اليوم فصاعد التزمي
حدود الصيف"

* * *

وبالأعلى تربع عمر يشاهد البث السابق لوالده وزوجته حتى جدته ليهتف إلى عamer قائلاً "سوف أحاربهم" صاح عامر به "أرحمني" ألقى اللوح الإلكتروني من يده قائلاً "نحاربهم بسلاحهم هم ينشرون الكذب عن أمي ونحن نلعب بهم" هتف عامر مُحذراً "ماما لن تسمح لك" نظر إليه بتحدي والتقط اللوح يجلس جواره يقرأ التعليقات "أنت راقية نهى حاربي من أجل بيتك" كتب عمر باسم وهوية أخرى "صحيح نهي، هل والدك سباك المهنة أم الاسم المُعرف هذا لقب؟" ضحك والتعليقات تشتعل ليهتف عمر "أدفع نصف عمري وأرى وجهها حين تقرأ التعليق" همس عامر بانتقام يقرأ التعليقات المشينة "قسماً بالله موتك على يدي نهى" تناول اللوح الإلكتروني بغل وكتب تعليقه بذات الاسم "هل حقاً كنت صديقة سلمى المقربة؟ كيف تزوجت زوجها؟" أكمل والألم يتعاظم بصدره "ماذا فعلت بأبنائهما؟ والأهم أين حمو؟ يُقال إنكم أصحاب"

* * *

بدأ البث الساخن لسامح فانقسمت الشاشة ثلاثة جمعت سامح وحسناً المُمتهنة والثالثة المعلمة قطة تعالت النكات والضحكات بينهم لتهتف حسناً مُرحبة "معلمة قطة! يا لا سعادتي" هتف سامح بمحاجلة وافرة "واو المعلمة قطة تُثير البث، اليوم عيد رحباً بست الكل يا شباب" انفتحت بالغرور وصاحتولي النرجيلة مُعلق بطرف شفتتها الملونة بالأحمر الصارخ "لدي مفاجئة يا فنذاني" تركت الجميع يسأل بفضول وهي تنتقل بالحديث من موضوع موضوع وتشعل البث بخفة دمها وتبدأها الأحكام مع حسناً وسامح مما جعل التفاعل يصل لأعلى الدرجات والكل يدعمها مُعجب بطبعها الشعبي وشكلها الغريب، هتفت حسناً ترجوها الأفراح عن المفاجأة وسامح يطالب الجميع بدعمها ليستمعوا لصوت زئير أسد أهداه ثري عربي لها على الهواء، هتفت تحبيه ضاحكة "طل عمرك يا أمير" تنهدت وابتسمت منتشية بكم المُجاملات التي أمطرتها كزخات شتاء عاصف وقالت متأهبة لردة الفعل الكُبرى "أحباب قطة قريباً سافتتح مطعمي الكبير وكل أحبابي مدعاون أول يومان" علت التهليقات والتبريكات والكل يطلب أكثر من يومين لتحقق حسناً مؤقتاً من البث حتى أنتبه إليها الجميع وما أن ظهرت بعد خمس دقائق التقطت بهم الأنفاس هتفت تغمز للجمهور "انتظروا، انتظروا لدينا ضيف سوف أدخله" هتف قطة "من يا حسناً؟" فقهت تغمز لها "مفاجئة غير متوقعة" أصر سامح على المعرفة حتى قالت بمكر "شيخ يزيد هدايتي وأسأجعله على الهواء دون أن يدرى" تحمس الجميع وهتفت قطة "أرينا ذلك المفروم؟ يهديك إذن؟" عَدَّلت حسناً بلوزتها لتكتشف صدرها بسخاء وأمسكت بقلم الحمراء تُعد تبرجاً ثم نظرت عبر الشاشة تهتف "أنظروا كيف يجلس وماذا يلبس؟" ترقب الجميع في صمت حل محل الضجيج لتضغط على زر الانضمام وتهمس بصوت ناعم ذو دلال "غفواً شيخ حازم أقطع الاتصال" ترکزت عينه على صدرها الفائز وهمس بنيةسوء "ألم أطلب الرحمة وعدم ارتداء هذه الأشياء" غمزت للمتابعين وقد كتمت أصواتهم لتجعل البث وكأنه خاص بهما فقط، همست تتحسس صدرها بسخونة "ما به يا شيخ زوماً" أصابهُ الحول وهو يسمع أسماء المُدلل وتنهد بحرارة الأربعين يسأل "هل خضعتي للحق؟" لاعبت حاجبيها وقالت "أنت جرى أهذا الدرس الذي وعدتني به"

أبتلع ريقه و قال بشبه همس "ترجعت، لما لا تكوني أنت المعلمة وأنا التلميذ؟" ضحكت بدلال خطف الدم من وجهه ليهتف وجبينه يقصد عرقاً "حسناء؟ أريني ما تحت البلوزة و" أنقض الشاشة تقسم إلى أربعة لتهف قطة تُنعم كلماتها وتضرب صدرها "شيخ حازم؟ مَاذا تفعل يا مصروب؟" لم يعي ما حدث ليلتقط قميصه يرتديه بسرعة ويُعدل من وضعيته يهتف "كيف اخترقت الدرس؟ كيف؟" أصدرت صوت خوار من أنفها وعلت ضحكاتها تصيح به "درس؟ درس مَاذا يا شيخ زوما؟" هتف بالمقابل وقد بدا بالاستيعاب "الأخت حسناء تطوق للهداية يا معلمة" نفخت الدخان بوجهه لتهف الجميع يصرخ من شدة الضحك "تهديها أم تُرقيها يا!" أغلق حازم وقد سبّته نابية لتناوله الميديا وتتناول فعلته وينتهي البث تاركاً فضيحة خططت لها نهي التي هتفت "الله الله عليك يا قطة" صاحت تضحك بقوة قائلة "معلمة" وبالحارة ركض الصغار يهلوون بالفضيحة "الشيخ زوما يا فيسيوك، الشيخ زوما يا تيك توک"

* * * *

تجهز لمغادرة بيتها وقد لملمت أشياءه الخاصة مُرفقة بمعتقدات ابنته، يومان مرا تتجنب الحديث مع أحد تقلب كلمات دهب التي أقعنها بشق الأنفس أن تتخذ الصمت رفيق لها فإن قررت النزال والرد على أعدائها ستجد الكثير من الافتراء والكذب، تلك أفة صارت عنوان المجتمع، والانتقام نار إن أحرقـت أحرقـتها وأبنائـها أولاً، وهذا ما أكدـه عمر حين أبلغـها وعدـ عامـر بقتلـ نـهىـ إن لـزمـ الـأمرـ، رـمـقتـ اـبـنـهـ يـتـبـادـلـ النـظـرـاتـ معـ ضـيـفـهاـ الـراـحـلـ لـتـهـفـ عـلـيـهـ "ـعـامـرـ،ـأـحـمـلـ الـحـقـائـبـ حـتـىـ مـنـزـلـهـ"ـ تـحـركـ الـفـتـىـ دونـ التـفـوهـ بشـيءـ ليـهمـ دـاـوـدـ لـهـ "ـاـنـتـظـرـنـيـ بـالـخـارـجـ"ـ تـنـهـدـ وـالـنـفـ إـلـيـهـ يـهـفـ بـهـدـوـءـ "ـسـلـمـىـ؟ـ شـكـرـاـًـ عـلـىـ استـضـافـتـكـ لـيـ"ـ تـحـركـ وـشـعـورـ بـالـحـزـنـ يـتـمـلـكـهاـ لـتـنـاـولـ كـيـسـ منـ فـوقـ الطـاـوـلـةـ مـدـتـهـ لـهـ قـائـلـةـ "ـدـوـأـنـكـ،ـأـحـرـصـ عـلـىـ مـيـعـادـهـ جـيـداـ"ـ تـبـسـ وـقـالـ مـُمـتنـ "ـشـكـرـاـًـ سـلـمـىـ"ـ طـالـعـتـهـ بـصـدـمـهـ أـثـرـ نـظـرـاتـهـ الغـرـيـبـةـ لـتـسـأـلـ "ـهـلـ أـنـتـ بـخـيرـ؟ـ"ـ تـنـهـدـ يـتـحـركـ مـنـ أـمـامـهـ يـهـفـ "ـجـداـ وـسـوـفـ أـتـيـ يـوـمـيـاـ لـتـنـاـولـ قـهـوـتـيـ مـعـكـ"ـ خـرـجـ مـنـ بـيـتـهـ بـعـدـ اـنـقـاقـ مـعـ الـوـلـدـيـنـ عـلـىـ التـوـاـصـلـ بـعـدـ تـهـدـيـدـ عـامـرـ وـتـعـلـيقـاتـ عـمـرـ عـلـىـ الـمـيـديـاـ لـيـقـرـرـ تـتـبـعـ قـطـةـ وـنـهـيـ وـزـوـجـهـ الـذـيـ أـخـتـفـيـ،ـ أـمـلـيـ تـعـلـيمـاتـ الـصـارـمـةـ وـقـدـ بـدـأـ بـاـحـتـوـاءـ عـامـرـ وـالـتـعـاـمـلـ مـعـهـ كـرـجـ لـيـحـجـمـ فـورـةـ شـبـابـهـ،ـ وـعـنـ عـمـرـ فـقـدـ بـاغـتـهـ الصـغـيرـ بـطـبـعـهـ الـمـرحـ لـيـلـاحـظـ عـلـيـهـ تـقـهـمـاـًـ غـيـرـ مـشـروـطـ للـأـوـضـاعـ مـنـ حـولـهـ،ـ يـمـتـلـكـاـ طـبـعـهاـ فـرـغـمـ ظـرـوـفـهـاـ تـتـكـبـدـ الصـعـبـ إـذـعـانـاـ،ـ كـلـ وـضـعـ يـفـاجـئـهـ تـتـفـهـمـهـ وـتـسـتـقـبـلـهـ بـمـزـاحـ وـبـذـاتـ الـوقـتـ تـُصـبـحـ كـمـاـ عـامـرـ وـاقـفـةـ بـالـمـنـتـصـفـ لـيـسـتـ قـادـرـةـ عـلـىـ الرـجـوعـ أوـ التـقـدمـ،ـ دـخـلـ بـيـتـهـ لـيـسـتـقـبـلـهـ الـفـرـاغـ وـالـبـرـودـةـ لـيـتسـأـلـ بـهـمـسـ "ـأـينـ اـخـتـفـيـتـ ذـرـيـةـ؟ـ"ـ

* * * *

أنتهى من البث الخاص به، لن يُفرط فيما حققه من شهرة على الميديا لذا بدأ في تغيير حياته كما يتمنى، بالأمس أبتاب الملابس العصرية والحلل الفارهة وصار يختال بقدره الفارع وجسده العريض المعضل، بدا لنفسه نجم سينمائي ينافس بوسامته أحمد عز خصوصاً مع تهاافت النساء عليه ومغازلته عبر الميديا، تحرك داخل بيته بروح طاووس ملون ليجدها تقرض أظافرها بغل والهاتف أمام وجهها، تعجب منظرها وتعكر مزاجها، للتو انتقمت من الشيخ حازم وفضحه بلا رحمة، وتعاونها مع قطة أثمر وأينع هي بالمكاسب والدعم ووالدته ضربت الأنما في ألف وحصلت على الشهرة، سألها أسباب الغضب لتهف والغيط يُعرِّيد بكيانها "الباردة لم تهتم للحملة التي صوتها نحوها" "وكأنك لا تعرف فيها" أنهى جملته يجلس مقابلها واضع ساق فوق الأخرى مستعرض أناقته وكأنه ترعرع بأسرة مُترفة صاحت بصوتها الرفيع تؤنبه "لما استعجلت في الظهور يا عابد؟ لو تسمع حديثي وتعلمه؟!" عدل ياقه التي شرت الأبيض الناصع وهتف باقتناع لن يتنازل عنـه "أنا خارج لعبتك يا نهى" تنبهت له ترمقه بغرابة ثم سالت بتوعد "لم يكن هذا أتفاقنا" ركز نظراته عليها وسأل غير عائٍ "وهل اتفقنا؟ حذرتك وأنت المصممـة على تلك المنافسة" دُهشت لجديةـه تتعجب كيف صار فجأة صاحب رأي وشخصية أم بـنفسـه شيء؟ صرخت بصوتها الرفيع المزعـج "وهل نـهى ستـنافـس رـبيـبة السـجـونـ هـذه" ضـحـك بـرـواـق وهـفـ نـاهـضاـ "صـحـيـحـ، ماـذـيـ يـدـفـعـ أـبـنـةـ السـبـاكـ لـتـجـابـهـ أـبـنـهـ المصـرـيـ" جـزـتـ أـسـنـانـهاـ تـهـمـسـ "مـتـىـ سـتـغـيـرـ أـسـمـكـ يـاـ أـبـيـ" صـاحـتـ خـلـفـهـ والـغـيطـ يـكـتـمـ أـنـفـاسـهاـ "مـاـذـاـ؟ـ بـنـ قـطـةـ صـارـ بـنـ أـسـدـ" عـضـتـ لـسانـهاـ تـمـنـعـهـ مـنـ نـعـهـ بـالـكلـمـةـ الـأـخـرـ لـتـجـدـهـ يـعـودـ إـلـيـهـ مـبـتـسـمـ يـهـفـ "أـوـشـكـ المـطـعـمـ عـلـىـ الـإـنـتـهـاءـ" أـخـرـ بـثـ حـقـ أـرـقـامـ مـذـهـلـهـ" تـرـكـهاـ لـنـارـ حـقـدـهاـ مـقـرـرـ العـيشـ بـسـلامـ دونـ عـنـاءـ الـأـبـنـاءـ وـالـزـوـجـةـ، سـلـمـيـ وـتـحـصـلـتـ عـلـىـ أـبـنـائـهـ وـنـهـيـ وـجـدـتـ بـالـجـوـ الجـدـيدـ مـلـهـاـ لـهـاـ، فـلـيـنـظـرـ لـمـاـ يـرـيدـ وـيـتـمـنـيـ، فـلـيـمـوتـ عـابـدـ الـقـدـيمـ ضـعـيفـ الشـخـصـيـةـ سـيـخـلـقـ عـابـدـ أـخـرـ يـتـمـنـيـ الـكـلـ مـجاـورـتـهـ وـتـبـاـ للـنسـاءـ بـدـأـ مـنـ قـطـةـ الـمـتـصـابـيـةـ مـرـورـاـ بـحـدـ ثـنـيـ وـأـخـرـهـمـ وـأـولـهـمـ سـلـمـيـ تـلـكـ الـعـصـفـورـةـ الـتـيـ هـرـبـتـ مـنـ أـسـرـهـ، هـفـ عـبـرـ الـهـاتـفـ وـهـوـ يـتـحـركـ بـسـيـارـتـهـ "هـيـاـ شـبـابـ الـيـوـمـ سـوـفـ نـذـهـبـ لـمـكـانـ سـاحـرـ

انتظروا عودتي" همسـت وهي تراـه عبر البـث المـباشـر "أصـبحـت ذـو قـدر يـا
عـابـد دـرـغـام وـهـذا لـيـس فـي صـالـحـي"

* * *

أغلقت هاتفها متوجهـه لمـكان المـقـابلـة وما إن دخلـت أمرـت صـاحـبـه مـسـرـعة "هـيا
سمـير" هـتف يـناـولـها الملـابـس المـتفـقـ عـلـيـها "تقـضـليـ، كـما طـلـبـتـيـ بالـضـبـطـ"
ارـتـدـتـ النـقـابـ سـريـعاـ وـعـمـلتـ عـلـى إـخـفـاءـ كـلـ شـيـءـ بـهـاـ حـتـىـ عـيـنـاهـ وـمـاـ أـنـ
انـتـهـتـ أـكـدـتـ عـلـى اـنـفـاقـهـ الـذـيـ أـبـرـمـتـهـ مـعـ صـاحـبـ المـكـانـ لـاستـغـلـالـهـ لـبعـضـ
الـوقـتـ قـبـلـ أـنـ يـبـهـ بـفـتـحـهـ مـُنـتـهـزـهـ وـقـتـ التـنـظـيفـ الـذـيـ يـسـتـغـرـقـ السـاعـتينـ قـبـلـ
وـفـوـدـ الزـبـائـنـ وـتـنـهـيـ الـأـمـرـ بـرـمـتـهـ دـوـنـ أـنـ تـقـحـمـ نـفـسـهـ فـيـ مـكـانـ عـامـ تـقـضـيـ
بـهـ، التـقطـتـ هـاتـفـهـ الـذـيـ رـنـ لـيـهـتـفـ قـاسـمـ مـُسـتـغـرـبـاـ "أـنـاـ أـمـامـ الـمـبـنـىـ" هـتفـ
تـدـعـوهـ لـلـدـخـولـ وـهـيـ تـسـأـلـ "هـلـ الـأـمـوـالـ مـعـكـ" تـطـلـعـ لـلـحـقـيـقـيـةـ بـيـدهـ وـقـالـ بـقـرـفـ
"مـعـيـ" دـخـلـ الـمـبـنـىـ الـمـكـونـ مـنـ طـبـقـيـنـ رـاـقـيـنـ يـتـفـحـصـ بـقـرـفـ هـلـ أـجـبـرـتـهـ
عـلـىـ لـقـائـهـ فـيـ صـالـوـنـ تـجـمـيلـ؟ـ نـهـبـ الـخـطـوـاتـ حـتـىـ تـخـطـىـ الـبـابـ الـمـوـارـبـ
لـيـجـدـ الـمـكـانـ فـارـغـ وـالـصـمـتـ يـسـتـقـبـلـهـ بـالـسـكـونـ الـمـبـهـمـ، تـمـالـكـ نـفـسـهـ وـهـوـ يـرـىـ
شـبـحـاـ أـسـوـدـ يـرـحـبـ بـهـ هـاتـفـاـ "مـرـحـباـ سـيدـ قـاسـمـ" تـوـجـهـ صـوبـهـ حـتـىـ جـلـسـ
وـاضـعـ الـحـقـيـقـيـةـ أـمـامـ مـقـعـدـهـ وـهـتـفـ "تـتـخـفـيـنـ وـرـاءـ نـقـابـاـ" عـجزـ عـنـ قـرـاءـةـ
تـعـبـيرـاتـ وـجـهـهـاـ لـكـنـهـ أـنـتـبـهـ لـصـوـتـهـ الـذـيـ أـجـزـمـ أـنـهـ تـلـاـعـبـتـ بـنـيرـتـهـ حـيـثـ هـتـفـ
"دوـاعـيـ أـمـنيـهـ" تـطـلـعـ لـلـمـكـانـ قـائـلاـ باـسـتـخـافـ "وـهـلـ الـأـمـانـ دـخـولـ رـجـلـ
بـحـجمـيـ صـالـوـنـ تـجـمـيلـ لـلـنـسـاءـ"

□ "أـنـهـ لـلـرـجـالـ وـالـنـسـاءـ مـعـاـ لـاـ تـقـلـقـ" هـزـ رـأـسـهـ يـأـمـرـهـ "أـعـطـنـيـ الـفـلـاشـةـ
وـتـأـكـدـيـ مـنـ الـمـالـ" تـنـاـولـتـ حـقـيـقـيـتـهـ تـفـتـشـ بـهـاـ دـوـنـ جـدـوـيـ حـتـىـ قـامـتـ بـقـلـبـ ماـ
بـهـاـ أـرـضاـ لـيـهـتـفـ بـغـضـبـ "هـلـ نـلـعـ؟ـ" اـعـدـلـتـ تـهـفـ وـعـقـلـهـ لـيـسـ بـمـحلـهـ
"أـرـنـيـ الـمـالـ أـوـلـاـ" فـتـحـ الـحـقـيـقـيـةـ ثـمـ أـدـارـهـ إـلـيـهـاـ لـتـشـاهـدـ الـأـمـوـالـ بـعـيـنـاهـ لـكـنـهـاـ
صـدـمـتـ لـعـدـمـ وـجـودـ الـفـلـاشـةـ بـحـقـيـقـيـتـهـ لـتـجـمـعـ شـتـاتـهـ وـتـهـفـ بـثـبـاثـ "عـذـرـاـ كـانـ
لـاـبـدـ مـنـ اـخـتـيـارـ حـسـنـ النـيـةـ" صـرـخـ بـهـاـ وـتـبـعـ صـوـتـهـ صـدـادـ "أـنـتـ تـهـيـنـينـ
قـدـرـيـ!" هـتـفـ بـاضـطـرـابـ وـخـوفـ مـنـ هـيـئـتـهـ "وـلـمـ أـفـعـلـ، جـئـتـ بـنـفـسـيـ وـلـكـنـ

أمور كتلك لابد من أخذ الاحتياطات الالزمة" نهض وقد أغلق الحقيقة يصبح بها "حين تتجهز لي أحضر بنفسي أنت من ستائين وبشروطي" خرج تحت أنظارها غاضباً لترفع النقاب تهمس بشديد الغضب "كيف حدث؟ أين اختفت من حقيبتي" هرولت بعد أن نبهت صاحب المكان بعدم ذكر ما حدث مع تهديدها الصريح له بأن ترسله إلى جهنم وتغلق له الصالون أثر فضيحة مدوية، أدارت السيارة تخرج من الحي بأكمله حتى دخلت مرأب ذو عدة أبواب مُتفقة خاص بمجمع تجاري مشهور لتخلع النقاب بالمصدع الداخلي وتخرج بهيئتها تتسوق وتبتاع، مرت الساعات حتى عادت أدراجها بملابس جديدة وهيئة مُختلفة تُسب نفسها فعلى ما يبدو أنها تركت الفلاشة بإحدى حقائبها التي تُبدل بينهم، انتبهت للطريق أمامها وكل تركيزها على الأموال والخطوة القادمة

* * * *

حل المساء وهي تجلس بالحديقة الخارجية بعدما انتهت من ترتيب البيت بأكمله وقد خوى عليها وعلى أبنائها، تُفكِّر كيف تبدأ حياتها الجديدة وكيف تعمل على التأقلم مع الوضع الجديد وذلك المجتمع الذي لم تطرق أبوابه من قبل، يوماً بعد يوم تتسع دائرة معارفها وتجد نفسها تجاور أصحاب النفوذ والمال وذلك شيء تخشاه وتتجنبه فلا قيل لها بمعاشرة الناس وقد وقع في نفسها خوف من التعامل مع المجتمع بأكمله فقد أحرقتها النار وهي بين البُسطاء فكيف نار الأغنياء ومجتمعهم؟، نظرت حولها تُفحص كل شيء وعقلها يُنبهها لوضعها ووضع أبنائها، انتهت فترة الدراسة لهذه السنة ومن نعم الله انشغالها تلملم ما فاتهم كما انشغلت بمشاكل غيرها لكن الأن؟ فراغ يشملها بقوه رغم صخب المشاكل التي تهدد حياتها، كيف ستتصرف مع نهـي؟ سؤال باغتها بغير حساب حتى عجزت عن إيجـاد جواب له لذا قررت واقتنعت بأن تُشغل حياتها بالعمل ثم العمل فلن تدع دقة تمر عليها وهي تحت وطأة التفكير فيما يـحدث، تذكرت عرض الطبيب العجوز لها فما المانع أن ترجع لمزاولة عملها كـمـرـضـة؟ طالعت سـهـا التي قاطعت خلوتها وهي

تهف بحذر "أين ذهبت؟ ظننتِ نائمة؟" تبسمت وتطلعت إليها قائلة "ليس وقت النوم، تعالى وأجلسني" جلست جوارها وتبسمت قائلة "أخيراً خلَى البيت" نظرت للبيت والهدوء قائلة بتاكيد "لم أصدق الهدوء الذي حلّ بنا، وكأنني كنت بعالم موازي سُها"

"أجل، أنا أيضاً أشعر بصفير الهدوء الذي يصرخ بعد الصخب"

"أين الأولاد؟"

"مُشغلون بـهواهـم" نهضـت من مـكانـها و هـتفـت بـمـفـاجـة "ما رـأـيك أـنـ خـرـجـ وـنـتـسـوـقـ؟ هـيـا أـبـلـغـيـ الجـمـيـعـ أـنـ يـتـجـهزـ" تـلـطـعـ لـحـمـاسـهـا المـفـاجـئـ بـإـجـبـاطـ تـعـيـ اـضـطـرـارـاـهـا لـتـلـكـ الـحـجـةـ، يـبـدـوـ أـنـ عـلـيـهـا إـشـغـالـ الـجـمـيـعـ لـاـ نـفـسـهـا فـقـطـ كـيـ لـاـ يـخـضـعـواـ لـمـاـ تـفـعـلـ تـلـكـ السـاقـطـةـ نـهـيـ وـيـجـبـونـ دـوـنـ شـعـورـ مـنـهـمـ عـلـىـ التـفـاعـلـ

توجهت للداخل تسرق نظرة سريعة نحو بيته لابد وأن زوجته تهتم به وبراحته، عساًه بخير فلا داعي للقلق! مرت نصف ساعة لتنوجه الى المرأب والجميع يتبعها بشوق لأول خروجه تجمعهم لتضغط على مفتاح سيارتها وما أن همت بفتح بابها حتى تخشب بصدمة وهي ترى داخل السيارة الذي أصبح يُعج بالفمامنة ومُخلفات مُتفوقة، رُجاجات مشروبات غازية، أكواب ورقية مُتعفنة والكثير من القذارة أصابتها بنوبة هلع، تحرك الجميع يلملم القذارة عداها وعمر الذي هتف "ليس غيرها، باربي زوجة المحامي" تطلع لوقفتها وهتف مُعاتباً "أنت المخطئة ماما لما تركتني السيارة لها؟ ولما لم تتفقديها حين تركتها عصر؟" همست وهي ترى الجميع يحاول أصلاح الأمر "أقسم بربى تلك المرأة من بضة نفسية"

* * * *

انهى قاسم مكالمته آخذًا وعدًا بأن تكون كل البيانات بين يده مع شروق شمس اليوم المُقبل، كلف رجاله يتبعوا من سيخرج من صالون التجميل خلفه وقد قسمهم إلى كتائب، ولكن لم تخرج غيرُ المنتقبة ليتبعها رجاله إلى أن اختفت داخل المرأب وكأنها إبرة سقطت في بحرِ مُظلم، يكفيه رقم السيارة الذي أملأه لاحد رجال المرور مُبتعدًا عن معارفه من رجال المباحث والشرطة، اليوم مُحمل بالأخبار فيها هي دهب تركت القرية السياحية وأنهت فترة نفاهتها المزعومة عائدة لعالم الأعمال، عليه أن يعرف نوایاها وهل علمت بما حدث لذلك المُختفي داود أم لا؟ ضرب على يد المبعد الذي يجلس إليه بمنزله وعقله حائر باختفاء داود الذي يمتلك روح القلط! تفقد هاتفه وهو يتبع خليلته حسناء وما تفعله على موقع التواصل ورغم انشغاله صاحك يشاهدها تقضي ذلك الشيخ على الهواء، كم يُحب تلك المواقع وما يحدث بها! عاود هاتفه يدق برقم غير ذي اسم ليهمس بغيظ "ذات النقاب الأسود؟" رفع الهاتف يُجيب بغير حذر "نعم يا ذات الرداء الأسود هل وجدتي الأمانة" أرتفع حاجبيه ينظر للمجاور له ونهض "يبدو أن هناك من تشغله بالك قاسم بيتك؟" أرتبك مُنتصضاً بجلساته وقد وعيَ صوته ليهتف مُتھجئ "داود الرازي؟ المُخل باتفاقنا؟" صاح داود غاضباً "إذن أنت من فعلها يا قاسم ولست دهب؟" ضربتهُ الظنون وأرتبك عقلهُ فما دخل دهب! وماذا يقصد؟ ليهتف بغير فهم "ماذا تقصد؟ ألم تربح القضية بعد الاتفاق بيننا؟" هدر به داود بمزيد من العصبية "لا تُراوغ يا قاسم مؤكداً ليديك علم بما حدث؟"

"وماذا حدث؟" سأله باضطراب وأكملا صائحاً "طلبت خمسة ملايين وأنا وافقتك لأجدك بالنهاية تستطع بالمحكمة وتفاخر بالفوز ، من المُراوغ يا متـ؟" أشار أدهم وهمس دون صوت "أدخل بصلب الموضوع داود" ليهتف عبر الآثير باشأ به الرعب "ألم تعرف أن دهب وكلت محامي غيري ولضيق الوقت أجبرتني بعد التهديد بأن أترافق بما الزمني به محاميها الجديد؟"

اتسعت عين قاسم وهب واقفاً يهتف بصدمة "بماذا تهزـي؟ أنا لا أفهم شيء" ران السكون على الجانبين حتى صاح قاسم بغير صبر "أسمع داود دعنا نلتقي لن يُجدي الحديث عبر الهاتف" أغلق الهاتف ليُجري مكالمة يأمر أحد رجاله بالقصي عما إذا كانت دهب وكلت محامي آخر أم داود يكذب، وعلى رغم

تفاجئه لكنه لم يستغرب يعلمُ حيث دهب وعقولها، دوماً تتعامل مع الحياة وكأنها لعبة شطرنج تحرك الحصان حتى تأكله الطابية لفسح المجال لعسكري صغير تجعله يهدد عرش الملك، ثعلبة من فصيلة الثعالب الملكية ومؤكد علم رجالها بزيارته لمكتب داود الرازي، لعبت به وبالمحامي، ذكية دهب تضع الكل نصب عينها الحاذقة، دوماً تُبهر عقله بذكائها، لكنه مُجبر على تقديم سبب مُقنع لزيارة مكتب داود الرازي فإن صدق كلامه فهذا يعني شكها به وتلك نقطة لو وصل لها لأكله أصغر عسكري في لعبتها،

* * *

تركت السيارة بالمغسلة ليتم تنظيفها وتحركت أمامها أبنائهما وجوارها سُها ورباب يشاهدون المحال الفخمة ويبدوا حملاً تسوقٍ واسعة، تفقدت رباب وسها وهفت وسبابتها تُشر على المحل الذي رافقها إليه ذات مرّة "ها هو؟" هنا ننطلق وكل واحدة تنتقي ما يحلو لها" تقدمتهم بخطوة لتجدهم محاطهم فعادت خطوطها مُحذرة وقد تفهمت خجلهم وتحفظهم "أنتقوا ما يعجبكم عوضاً عن تنقيتي أنا، شئتم أم أبيتم سنشتري" مرت الساعات وهم يتنقون ويجربون الملابس والإكسسوارات، الأحذية والحقائب وقد ملئ طرف المحل بما أنتقوا من أشياء لتدفع مبلغ مُحترم وتخرج وهي تهمس إلى عامر جانباً "أذهب مع الرجلين لتضعوا الأكياس بالسيارة" ثم سألت بخفوت مرة أخرى "هل معك المال حتى تُحاسب المغسلة وتراضي الرجال" تحرك من أمامها وعمر معه لتسأل رباب وعينها عليهم "هل ستبقى السيارة بالمغسلة أكثر من ذلك الوقت؟" توجّهت معهم إلى مطعم قريب تهافت "لا تقلي عامر سيسمعها في المرأب" جلست وأكملت لهن "عامر كان يقود سيارة والده ليس الأمر صعب" وبالجانب الآخر بدأ البث يحتسي فنجان الشاي قائلاً "ها أنا بالمول الذي طلبتم التصوير منه" دارت كاميرا الهاتف في لحظة سريعة بالمكان يستعرضه ل تستقر بالأخير عليه ويهاهف "جميل وراقى، أعجبني" غمز للمتابعين له وقد بدأت البنات في محادثته بالجد تارة والهزل تارة وهو غافل بمن جلست على بُعدٍ منه،

أنتهي عامر وعمر من المهمة الشاقة ليتوقف الأول يهتف بمفاجئة "عمر أهذا عابد أبي؟" دقق عمر النظر وارتقت عينه لمن تجلس باخر المطعم ليهتف بخوف وفزع "ما العمل عامر، كارثية تلك المواجهة أخي!" أوشكت الضحكات على قتلهم ورباب تُقلد دُرية وتتذرّل لتندمج سلمى نسبياً تُعدّل ملابسها باختيال تقليداً، هتفت تُعدل شعرها مثلها وأعوج فمها بنبرة صوت مطابقة لها "لينا؟" صُدمت من رأي المستر، هل ابني لا تقدر على حل مُعادلة تافه؟ انتبهي من فضلك؟" قهقهت تهف بطبيعتها "سُحقاً للتربيبة الإيجابية" هتفت سُها "قيلة الدم ومُتعالية بشكل، سامحني يا رب" مالت رباب إليهم قائلة "بِاللهِ كُنْتُ أَخَافُهَا وَهِيَ تَأْكُلُ، شَعُرْتُ ذَاتَ مَرَةً أَنَّهَا سَقَرَنَا" اعتدلّت تأكل من المثلجات وعادت قائلة "صِدِقاً لَا تُشَبِّعُ وَالغَرِيبُ لَا تُظَهِّرُ عَلَيْهَا السِّمْنَةَ" عقبت سُها تضع كوب العصير فوق الطاولة "كثرة الغل والطعم تحرق سُعراتِها الحرارية" سألت سلمى تنظر ل ساعتها "تأخر الأولاد؟" ردت رباب تلتهم المثلجات "لَا تَقْلِيقِي الْمَكَانَ مُزْدَحِمٌ مُؤْكِدٌ بِيَحْثُونَ عَنْ مَكَانٍ لِصَفِّ السِّيَارَةِ"

هتف عامر عبر الأثير متورتاً "أجل أمّامُنا ولم يتبّه علينا"

"لَا تَقْلِيقِي عَامِرَ وَلَوْ أَنْتَ بِهِ لَكُمْ تَعْالَمُوا بِطَبِيعَةِ لَا تَنْسِي الْبَثِ مُبَاشِراً!"
"حسناً عمي سذهب ونجلس دون قول شيء لوالدتي لكن أرجوك لا تتأخر
أخاف أن يحتك بها أو يصورها"

"بِالطَّرِيقِ يَا بَطْلِ لَا تَقْلِيقِ"

هتفت سُها تلومها وهي تُشعل سيجارتها "لما سلمى؟ والغريب ألا تأنفي؟" نظرت لسيجارة ورفعت كتفيها قائلة "أُفِرِغْ بِهَا هُمِي، بِالْأَوَّلِ أُجْبِرْتُ عَلَيْهَا حَتَّى يَهَابِنِي مُجْرَمَاتُ السُّجَنِ" تبسمت تذكرة الأيام الأوائل لنكمّل "اتخذتها قناع كي أظهر من خلاله قوة ليست بي وشيء فشيء صارت عادة غير قادرة على تركها" نفخت الدخان في الهواء وقالت تضحك "صارت بمثابة صديقتي تواسيوني وقت المحن" تبادلت رباب وسها النظارات المشفقة لأول مرة تسمعها سُها تتحدث عن تلك الحقبة القاسية ليتبين لها مدى المعاناة التي لاقتها، مالت

إليها رباب تهمس راجية "أتر كيهها سُها أنتِ لا تعلمي شيء، فقط سمعتني الذكرى بعد انتهاء الملحة" سالت تهمس بدورها "أخافُ مظهرها أمام الناس يا رب" تلعلت لعينها وهمست بشر يظهر لأول مرّه بملامحها "وهل رحمتها الناس سابقًا؟ صدقيني أنتِ على البر لن يخطر ببالك كيف أمواج بحرها! دعيها تفعل ما بدا لها أخنث تعذبت بما يكفي"

سحب عامر عمر مُتجهين نحو سلمى والأخر مشغول بنقل الأجواء عبر هاتفه ليُصدِّم وهو يراهم يمرُّون من خلف الكاميرا ليهتف دون إرادته "عامر، عمر!" صاح عمر عبر الضوضاء المُحيطة بهم "شاهدنا! شاهدنا، ما العمل؟" ضغط عامر كفه يدفعه أمامه مُحذراً "أمامي، لم نسمع شيء" ترك الهاتف معلقاً على الحامل وتوجه صوبَهم مُسرعاً يهتف وكأنهم ليسوا أبناءه "عامر، عمر كيف حاكم!" فتور حف الولاذ رغم الترحيب بهم ليهتف عمر مُتجاوزاً الخوف بتحدي "بأحسن حال، كما ترى" تبسم ورفع عينه للكبير يسأل "وأنت؟ ما جاء بكم هنا؟" سبق عامر الصغير بالرد قائلاً "ليس من شأنك" شعر عابد بعاداته فوضع كفه بجيده وهتف بتعالي "أممكم معكم أم تركتكم حتى تخنلي بنفسها؟"

صاحت رباب تُشير صوبَهم "ها هم أتوا كفا فلق وتوتر" نظرت نحوهم لتهب مصعوقه وتوجه صوبَهم كرصاصة خرجت من بندقية مُعمرة وخلفها سُها تهتف "عابد! يا لا الصُّدفة السوداء" ثوانٍ وكانت تهتف وهي تقف أمامهم بحماية "ماذا تريدهم يا عابد، أما وقد انتهينا؟" سلط أنظاره عليها يشملها بتفحص حتى قال مُبتسماً "سلمي! مرحب بأم أولادي؟" استقبلت ابتسامته الخبيثة وفحواها فمن غيرها يعلم دواخله وشره المتواري خلف ضعفه، انتهزاري طامع لو وجد اللحم بين أنياب الكلب ينتظر حتى يُلملم من خلفه الباقي، تلعلت حولها بربية لتهتف بتحدي وصوت جبار قائله "سُها، رباب أسبقوني وخدوا الأولاد معكم" جلست إلى طاولته بعد أن طلبت التحدث معه لتهتف بمبشرة "ماذا تُريد أنتَ وزوجتك؟ وما مقصدمكم بما تقولون عابد؟" أراح جسده إلى المقعد خلفه وهتف بسماجة "ليس لي دخل فيما تفعل" لطمته بنظراتها الحادة قائلة "على القليل كُنْتَ منعَّها" هتف غير عابئ "تقاجأت مثلك" تفرست خُبُثة لُثْرِيَّح جلستها وتشعل سيجارتها تهتف تحت أنظاره

اللامعة "وإذا طلبت منك منعها!" اتسعت ابتسامته إعجابً بهيئتها الجديدة، شرسة، عصرية، وكأنها نشأت بين الطبقة المُحملية، لو كانت للان زوجته لحق بطلتها الساحرة ما ينقصه من مظهر يطوق له، سأل نفسه وماذا عن نُهَى؟ ليجيب فوراً، شعبية لا ترقى مهما فعلت؟ رد وعيّنة تتفحصُها من اتجاه مُختلف عما سبق "تعرفين نُهَى أكثر مني سلمى، أليست صديقتك" قهقهت بدورها بترفع ورفعت حاجبً منمق تهتف بتعالي يليق بها "معاك حق، منعاشر قرد يعرف رقصه، لكن أنت لم تعرفوا سلمى المصري بعد" شعر بالتحدي من جانبها ليعتدل وما زالت ترتكز بعينها عليه فهتف بمهادنة "ليس من شائي سلمى، أبنائك وقد حصلتي عليهم" رقمها مُتنبهاً ليسأل " صحيح، كيف خرجوا من السجن؟" طالعته بازدراء وهتفت ودخان سيجارتها يحول بينهم "هل أنت أب؟ تتنصل منهم وتتركم هكذا دون حتى الهرع عليهم؟" أحتدت نظراته ومال إليها يهمس بغضب "لا لست أب" اعتدل بيادلها ازدراء نظراتها قائلاً "هل تعرفين صحة نسبهم أم اختلط عليك الأمر؟" عوج فمه بابتسامة تهكم وقد بدا أمامها وكأنه سمسم بن نعيمة البقالة مما دفعها لتهتف ببرود وثقة "أمامك الطِّب بأكمله" رفعت أنفها وعينها تهزأً منه لتهتف مجدداً "أم خلو البال أفضل" أشعلت السيجارة الثانية ببطيء حطم أعصابه وأكملت ببرود "أفعلها إن استطعت! لكنك أقل شأنً من تحمل المسؤولية" تفرس ملامحها نزولاً لجسدها وعقله ينسج خيالات وافرة ليمهض إليها مُسبلاً عينيه "تمني على سلمى وأنا لكي مُلبي" تسلمت نظراته التي تعرفها جيداً فذلك شيء كان يُثير اشمئزازها منه كرجل لتهتف بقوه وقد لعّت نفسها بالقرف "أمنية واحدة أطوق تحقيقها، أرى عجائـ الله في انتقامـة منك وكل من ظلمـني" نهضت لتهتف إليها "دعـك من الظلمـ، وخبرـينـي ما مقابلـ سـكـوتـ نـهـىـ وـتمـحوـ ذـكرـكـ منـ عـالمـهاـ؟" ذافت الأمل فتمسكت بقشة ألقـاـهاـ خـسيـسـ لهاـ تـلـمـسـ بهاـ نـجاـهـ وـتهـفـتـ بـرـجـاءـ "كمـ ثـرـيدـ أـنـ أـدـفعـ؟"

"أريدك أنت" غرقت من جديد تواجه أمواجـ العـاتـيـةـ تـشـربـ مـلحـ بـحرـهـ لـتجـهـرـ بالـسـبـابـ تـهـفـتـ بـغـضـبـ "ياـ لاـ حـقارـتكـ" دـسـتـ عـلـبةـ سـجـائـرـهاـ بـجيـبـهاـ لـتقـذـفـ عـلـيـهـ ماـ بـيـدـهاـ بـحـرـكـةـ تـجـيدـهاـ وـنهـضـتـ تـصـيـحـ بـهـ "لاـ تـدـعـنـيـ أـرـاكـ ثـانـيـاـ وـأـمـاـ عـنـ زـوـجـنـكـ!ـ أـنـاـ كـفـيلـهـ بـرـدـعـهـاـ"ـ هـبـ وـاقـفـاـ يـنـفـضـ السـيـجـارـةـ التـيـ حرـقـتـ قـميـصـهـ

وبلمح البصر جذب معصمها يضغطه ليسحبها بقوة قائلًا "لن أتركك" وقبل أن تَعِي وتصرخ انتقضت وهو يقع أثر الكلمة التي استقرت في عينه وصوت خوار ثور يصرخ "أتركها يا بن الكلب"

* * *

صاحب شحاته يضرب كفًا بكف بعد مشاهدة فضيحة الشيخ حازم "بن الكلب"، وكلما يراني يُبلغني أنه شاهدني بالمنام أعتمر" قهقهة الرجال حوله حتى الحاج متولي يُشاهد الغيط الذي تملكه ليهتف له يسقزه "لكنه يحبك يا شحاته، لا تُنكر" هتف بعدها أرتشف من كوب الحلبة أمامه "جبه برص، مدعوي كما وصفته سلمى" رشف آخر ما تبقى بالكوب دُفعهً واحدة وهتف وقد جُن من فعلته "اليوم صدقها تراه هذا الجنس تحرش بها كما قالت"

صاحب علي السباك يوبخه "يا شحاته سلمى لم تقل ما فهمته، الناس ستفهم خطأ" ذلك فخذه عدة مرات يهتف مغلولاً "دمي محروق يا سباك، يعطني مواعظ كلما لمحني ويلهوا مع النساء خفاءً، الفاجر بن الفاجرة" رفع ذراعيه يتمايل للأمام والخلف ويدعو برتابة "سخطك الله كلب أجرب ياشيخ حازم" ضحك الرجال على هيئته ليهتف على السباك بينهم "اختلط الأمر حتى أصبح الشيخ سفيهاً والمُحسنة بفضيحة" هتف شحاته ومازال يندب حالة "صدقت، أشهد أنها نكاد تكون مظلومة" صاح أحد الشباب بهم بالرحيل مع رفقائه "لو نعثر على حمو تُحل المسألة" هتف خلفه شحاته بعلو صوته "أبحثوا عن هذا الولد، كان يعلم خبايا الحارة وخبايا أهلها"

* * *

سحبها خلفه بقوة كادت تُقْعِدُها ليخرجَ من المكان يجرّها بسرعه، صرخت تُنْفَضُّ يدها من بين قبضته "توقف! سوف أنكفي" شملها بنظراته النارية ليتقدم إليها يهتف من بين أسنانه والجنون يشمله "لما جلستي معه؟ ها! لِمَا؟" دلّكت عصمهما وتقدّمت تأخذ حقبيتها من سُهّا وتهتف دون الرد عليه "دعونا نرحلُ من هُنا! هيا" أعرض طريقها مُعاتِبًا ألم نتفق على عدم الالتفاف لهم؟ لماذا جلستي معه يا سلمى؟ ها!" سحبت نفس قويًا على ثلث شفات نفسها من المُفاجئة الشرسة وهمست وعينها ترتجوه "رجاءً داود آخر جني من هُنا" وافقها مُجبراً ليتبعها وأدهم جواره يهمس عبر هاتفه "أين أخفيت شهاب؟" هتف شهاب يلمحهم مُقبلون عليه "أمامك أدهم" أغلق الهاتف وهو يلمحه عن بُعد ليتقدّم تارك داود الذي توجه إليها يهتف "عَامِر؟" تراجع عامر عدة خطوات ليهمس له "أنتَ رجلُ البيت، هل تسمح أن نلحق بكم لنتكلم لبعض الوقت؟" تحرك بسيارته خلفها ما إن تحرّكت لينظر إلى شهاب عبر المرأة الأمامية يسأل "هل فعلت؟" مال شهاب يتوصّل المقدّعين الأماميّين ويرفع هاتفاً بيده قائلاً "لم يلحظ أحد، ولكن كاميرات المطعم؟!" هتف يلتقط الهاتف ويدسه بجيبه معطفه "لو فعلت ما أميليتك عليك فهناك ثغرة" أراح شهاب ظهره للخلف يُقص على أدهم الذي سأله يستفسرُ عما حدث فبعد مكالمة عامر أمره داود بأن يحصل على هاتف عابد مهما كلفه الأمر، مُذْ أذاعتْ نُهْيَ البث قام بتوكيل فريق كامل بمكتبه بمتابعة حساباتهم على الميديا والإحاقه بتقرير كل ساعة عنهم ليعلم بالبث الذي كان يُذيعه طليقها وقد ظهر الولدان حين تحرك نحوهم تارك الكاميرا مُشغلاً ليتدخل أحد أفراد الفريق تبعه يُهَرّ هاتقه لينقطع البث وهنا تدخل شهاب ليُمرر بجانب طاولته دافع الحامل بما عليه ليسقط ويميل يعدله مُلتقط هاتقه يضعه بجيبه، صاح أدهم وعينه حائرة بينهم "سرقة؟" رفع حاجبيه عاليًا وقال بهدوء "لست أنا بل هو"

خرج الثلاثة رجالٍ من السيارة يتوجّهون صوب بيتها وأدهم يهمس إلى شهاب بمرح "فُل لي يا على بابا أن شُعوري خاطئ" دفعة شهاب ليبتعد برفق وهو يسخر "نقطيني بسُكّاتِك يا خالتِي" وبالداخل نظرت له بغیظ وهو يُناظّها وقد أشعرته كلمات داود بالمسؤولية والرجلة "هم ضيوف والأصول استقبالهم ماما؟" اندھشت من دخولهم البسيط مُلقين السلام وكلاً منهم يفترش مكاناً له ويطلب مشروبة المفضل من رباب، لتهتف له

ومازالت الصدمة تُحاكي عقلها "هل رحلت بالصباح حتى تعود ليلاً" تبسم بسماحة قائلًا "أجلسي" جلست بعد مُجاهدة تُقص ما حدث ليهتف عليها مُحذرها "لا تتعاملي معهم مهما حدث! ها!"

"لما نهدى؟ ولما تتدخل في شأني؟" رمّقها بنظرة باردة وقال مُريحاً جسده للمقعد "ليس من أجلك! من أجل عامر وعمر" مسحت على وجهها بيأس تطالع شهاب وأدهم تسألهما المعاونة لتهتف بغضب "كل المصائب تقع فوق رأسي؟ وهذا البارد، المتعرج ماذا يفعل؟" فاخت خديها بيأس وقد ترك الجلسة وأنضم لأبنائهما بركن الصالة يتهماسون دون الانتباه لأحد لترك الجميع متوجهة لغرفتها على اليوم ينتهي تاركة أبنائهما معهم دون الخوف، لن تُنكر إعجابها بتعامله مع عامر مما جعله يشعر برجولته ويدأب يتعامل بالعقل مُتخلي عن الغضب، يكفي تحاوره معه في أمور عجزت عن فتحها، وبدوره تفهم ما يُخالج الصبي وكتم أمر تشكيك النسب حتى لا يؤثر بهم سلباً وأنهى حديثه بالثناء على حُسن تصرفه وشدّد على عدم التعامل مع أحد دون الرجوع إليه،

نهض شهاب متوجهاً نحو المطبخ يلمحها به ليهمس ما إن وصل أمامها "سُها، هل لديكم شيء يؤكل؟" نظرت نحو داود وعادت بعينها صوبه تهمس "طالما لم ثباغتنا زوجته فالخير باقي" كتم الضحكات وهو يُشاهدها تُعد له من طعام الغداء ليسأل بجدية "ما أخبارك؟ ما زلت ترُيدين الرحيل من هنا؟" وضعت الطعام أمامه وهزّت رأسها بالرفض "اتخذت قرارياً" توقف عن المضغ يرمّقها بحذر لتهمس "سوف أبيع بيت الحارة، وأبحث عن عمل هذا أو لاً" هزَ راسه بثناء على ما تفوهت وسأل بتشجيع "وثانياً؟"

"لن أترك جوار سلمي مهما حدث" أدام النظر بالصحن وأخذ يتلاعب بالأكل ليسأل "ما الذي مُمكن أن يحدث؟" تنهدت وقالت بجدية شملها الخوف "لا أعلم قلبي غير مطمئن وكراهية تُنهى لها زادت عن الحد لكنني مُتيقنة من ظهور براءتها ذات يوم" رفع عيناه بتساؤل غير مقنع بتلك الإجابة لتكمل تتحاشي النظر إليه "لابد أن أرُد الدين الذي في رقبتي لها! لابد أن أُفهر خوفي من المجتمع، ولن يحدث ذلك دون وجودي بهذا البيت"

تطلع إليها مُعجب بكلماتها وطريقة دفعها لنفسها لتجاوز مخاوفها رغم بُطء خطواتها، ترك الشوكةَ من يده وشكرها على حُسن الطعام ليُسأل ضاحكاً "والعربي؟ هل عدلت عن الفكرة؟" ضحكت قائلةً "لا للزواج، كل المشاكل تأتي من الرجالِ أنظر حولك!"

"أنتن السبب"

"وأنتم الأبراء!"

"نحن كما الأطفال لا نُريد سوى الحنان" ضحكت وقالت ثم لملم الأطباق "أجل، حنان وسهام وسحر والكثير من بنات حواء الجسان" تحسّس مؤخرة رأسه وهتف ضاحكاً "لا يمكّر بالمرأة سوى امرأةٌ مثلها" تحركت للخارج تهمّس باسمة "أخذنا الحديث وتركنا السيد أدهم وحده"

* * *

دخل البيت متأخراً ليجدّها تصيح بجولة على الميديا ليهتف بغضب عليها "نُهى أحضرني قالب ثلج" خرجت من البَيْت تتوّي مُهاجمته، كيف يصيّح وهي على الهواء صُدمت من تورّم عينه واللون الداكن الذي أحاط بها لتسأل عما حدث؟ أخبرها بتعرّضه لحادث بسيط فقد على إثره هاتفه، قامت بعملِ الكمامات الباردة له وبالأخير وضعت بعض الدهان الطبي لتركته قائلةً "سوف أعود للبيت الذي قطعته" تركته دون سماع الرد تسبّه بين نفسها، الغبي لم يتبّه على نفسه حين ظهر في الشاشة مع أبنائه، هل كان مواعيدها ليجدد العهد بينهم؟ يبدو سيلعب وحده، تغيّر المفاجئ واهتمامه بمظهره، طريقة الجديدة التي بدأ التعامل بها وخصوصاً على الميديا كلُّ هذا ينمّ عن شيء! عادت للبيت تتوّي فتح الموضوع بطريقة تستفزّ بها صمتها، أخطأت حين أخبرته عن نواياها فها هو يسبّها بتجديد الود لينول الرضا والثروة وحده! هتفت الجميع يسأل عن غيابها "ساعدوني أحبّي" تأهّب الجميع وكثُرت الاستفسارات والتكتّنات لتهتف "طليقة زوجي؟ أجرّت بعضُ البلطجية وأعتدوا على عابد بالضرب"

أشتعل البيت والكل يواسيها ويسأل لما فعلت؟ لثقي ما في جوفها دفعة واحدة
قائلة "عابد أكتشف أن الوالدين ليس أبنائهما بعد إجراء تحليل النسب!"

* * *

أنبلج الصباح ومازال الثلاث رجال **مُستيقظين**، مُنذ اشتعال الميديا ليلاً، توجه إلى مكتبه لمتابعة الأمر وإحداثياته فقد خصّص الطابق الأخير للمجموعة التي كلفها بمتابعة الميديا بكلفة حساباتها ليعلم من زاهر قتي الهاكر أنه تمكّن من إخفاء البيت بعد انتهاءه من عدة مواقع ولكن رغم ذلك يعود وينتشر مما جعله مؤقتاً يصيّب بتشوش طفيف حتى لا يفصح أمرهم فالكثير بات يعلم ويعي في أمور الميديا بأكملها، ومع ذلك أستطيع أن يصيّب حسابات **نُهِي** على جميع الواقع بالحظر والتوقف، تطبع بنظرية سريعة للتعليقات القدرة التي تناولت سيرتها وقد تركوا سيرة أبنائها مؤقتاً، أنتبه إلى بث على الشاشة الأخرى ليجد رجلين وامرأتين اجتمعوا معاً وأحدhem يذكر شركة الحراسة خاصة لهم ليهتف إلى زاهر "من أين يأتوا بتلك المعلومات؟ حاول أن توقف البيت يا زاهر"
ضغط زاهر على نظارته الطبية وهتف "البيت خارجي! من دولة عربية"
ضرب فوق الطاولة المستطيلة التي تحتوي الأجهزة بعنف وصرخ بهم "ماذا يحدث، أحد يوقف هذا القرف؟" تدخل أدhem الذي يتبع في صمت رغم الضجيج الذي يشمله "الوضع يخرج عن السيطرة داود" صاح بما يحمله من فلق "الخوف أن تشاهد ما يحدث أو أن يشاهد الولدان" تحرير الرجال وهم يتبعان الشاشة وفتاة من الأربع تضحك بدلالي مُقزّز وتتفوه بالألفاظ والإيحاءات المُقزّزة ليصرُّخ داود بالكل وقد بات عاجزاً عن اللحاق بوتيرتهم "ألا منكم من يوقف هذا القرف؟" تدخل شهاب الذي كان منخرطاً بهاечه ليجلس جوار زاهر قائلاً "أعطي حساب من الحسابات الوهمية وأدخلني ذلك البيت فوراً" التف إلى داود يهتف "تحي أنت وأدhem جانبًا" أمر اثنين من الرجال وزاهر يتعامل سريعاً "أحملوا معي تلك الأريكة لنضعها تحت النافذة" أكمل موجهاً حديثه لزاهر "هل انتهيت؟" جلس و زاهر يضبط له الهاتف الذي سُيُّتم منه المداخلة ليرتدى كاب على رأسه أخفى عينيه بعدها كتب شيء على

هاتفه ثم تركه لينظر للشاشة مبتسمًا وهو يرى انعكاسه، اخترق أحد الأربع ليظهر هو مكانه "مرحباً بكم يا أهل الميديا" ردّ الثالث بالتوالي لتسأل الفتاة الباقيه "من الحلو" غمز لها قائلًا "أنا العو" شد داود شعره إلى الخلف يُشير عليه بيأس سائلاً "بالتله ماذا يفعل؟" جائه الرد وقد أندمج شهاب معهم بعد أن تمالك صدمته حين علم أن الفتاة رجل! فبدء يُدس الفتنة بينهم وبين نهى على طريقتهم إلى أن قال لهم "الم تخبركم أنها ابنة سباك المنطقة؟"

رد أحد الشباب يستفسر عن المهنة ليضحك شهاب وهو يشرح له ليس استهزاء بالرجل ومهنته ولكن لجذب انتباهم لها، هتف أحدهم مُصرًا على تعريف نفسه بالاسم ليشدد من الكاب فوق رأسه وبيتسم ابتسامة القرش قائلًا "أنا محمود زغلول عزمي، الشهير بحمو" أشار اليهم بالسلام وأكمل "بلغوا نھي السباك أني هنا، مشتاق وفي قلبي لوعة" أغلق الباب يتقدّل عليهم ويُلقي بالكاب لأبعد مدى يتذكر مكالمة سُها بعد أن خرجوا من بيت سلمى بساعة واحدة تُبلغه بما انتشر بكاءً أدمي قلبها ليتوجه الرجال فوراً لمكتب المحاماة لكنه عاد لها بعد أن ترکهم لاضطرارها قطع النت عن البيت لسهر عَامِر وعُمر، لذا عاد يحمل اليهم بعض الحلوى التي أخذها حُجة للرجوع ثانيةً وتعمد السهر معهم حتى يجد داود وأدهم حلاً لتمتد السهرة مع الولدين وكلّا من رباب وسُها، جلس يُثرثر مع عمر ليتطرق الحديث بينهم ويُخبره الصبي ما سمعه على لسان قطة ونھي سابقاً، سألهما بشخصية وكيل النيابة الحدائق "هل تعني أن نھي من دبرت لتلك الفضيحة؟"

"هذا كلام عمر سمع نھي تبلغ جدته وحينها حدث ما حدث"

"لما تقدّم على فعل ذلك؟ لا أفهم" مسح شهاب وجهه بقوة وهتف "الغيرة تفعل أكثر من ذلك أدهم"

"أيُّ غيرة؟ أهناك غيرة بتلك البشاعة؟ لا أصدق" هتف داود بصوت صلب "صدق أدهم، فما كان دافع أخيه يوسف؟ الغيرة! فما بال بامرأة غارت من امرأة!" أشار بسبابته إلى شهاب أمراً "لابد من إيجاد حمو حتى لو في سابع أرض" وافقه شهاب قائلًا "هذا ما أعمل عليه" رفع هاتفه أمام أنظارهم وأكمل

"كما أتى أحجّتُ الحارة وبعثت من بدأ التعامل مع شبابها حتى يبدأ كلاً منهم في التقصي عنّه" جلس أدهم مقابلة يسأل "كيف وصلت إليهم؟ ثم لما انتحلت شخصية الرجل" قص له نشأتُه بالقرب من ذلك الحي، كان صغيراً يلعب ويعدو مع أهله إلى أن قرر أبويه السفر بلا رجعة لكنه أستطاع التواصل مع بعض الأصدقاء القدامى وقد تذكروه والده معلم الحي وقد بحث عنهم على الفيس بوك ليبدأ بالأسئلة حتى وعيّ أنهم على علم بحكاية سلمى كما لاحظ أن منهم من تملّكه الشك والريبة فيما هو مُدبر، لذا انتحل شخصية حمو كي يُرِّبك نهـى حتى تُخطـىء، وبذات الوقت يستفز حمو ليظهر وينفي انتحال شخصيته، تبادل أدهم مع داود النظارات وكلاهما أثـنى على فكرته ليُدقّ هاتف داود ويـهـتف بـمـلـلـ "ليس وقتـكـ؟" تـلـعـ أـدـهـمـ لـشـاشـةـ الـهـاـفـ وـقـالـ "لـابـدـ أـنـ تـجـيـبـ اـتـصـالـةـ" وـاقـفـهـ عـلـىـ مـضـضـ يـفـتـحـ الـخـطـ قـائـلاـ "مرـحـباـ قـاسـمـ بـيـكـ، كـيفـ حـالـكـ"

* * * *

وبالجانب الآخر تابعت دهب هـانـمـ سـيرـ الخـطـةـ المـتـفـقـ عـلـيـهـ بـتـعـاـونـ كـبـارـ رـجـالـ الدولة طـوـاعـيـةـ وـبـمـحـبةـ خـالـصـةـ حـيـثـ إـنـهـ توـكـيلـ المـحـامـيـ دـاـودـ بـشـكـلـ ظـاهـريـ وـتـارـيخـ يـسـبـقـ يـوـمـ جـلـسـتـهـ، تـلـعـ أـنـ قـاسـمـ سـوـفـ يـتـقـصـيـ عـنـ الـأـمـرـ كـمـاـ أـذـاعـتـ بـشـكـلـ غـيـرـ مـعـلـنـ أـنـ سـبـبـ إـقـصـاءـ دـاـودـ يـرـجـعـ لـغـمـوـضـهـ الـمـبـالـغـ وـغـرـورـهـ فـيـ التـعـالـمـ فـكـيـكـ تـرـكـهاـ بـالـسـجـنـ لـأـكـثـرـ مـنـ عـامـ دونـ الـأـفـرـاجـ عـنـ خـطـواتـهـ أوـ سـؤـلـهـ فـيـ مـاـ يـخـصـهـ لـذـكـ معـ اـقـرـابـ مـيـعـادـ جـلـسـتـهـ قـرـرـتـ إـنـهـ مـهـمـتـهـ وـقـدـ أـسـطـعـ مـحـامـيـ أـخـرـ الـوـصـولـ لـبـرـاءـتـهـ، تـلـعـتـ نـحـوـ صـهـيـبـ تـسـأـلـهـ "مـاـذـاـ فـعـلـتـ فـيـ الـمـحـامـيـ الـذـيـ سـنـقـدـمـهـ أـمـامـ قـاسـمـ؟" ردـ وـهـوـ يـتـابـعـ مـاـ يـذـاعـ عـلـىـ الـمـيـديـاـ "عـرـفـيـ دـاـودـ عـلـيـهـ، أـحـدـ مـحـامـيـ مـكـتبـهـ يـتـقـبـلـ بـهـ وـرـتـبـنـاـ الـأـمـرـ كـيـ يـبـدوـ وـكـانـهـ خـيـانـةـ"

"خـيـانـةـ؟" رـفـعـ أـنـظـارـهـ إـلـيـهـ قـائـلاـ "مـحـامـيـ طـمـوحـ عـلـمـ بـمـاـ تـوـصـلـ لـهـ رـبـ عـملـهـ فـأـتـىـ إـلـيـكـ يـعـرـضـهـ مـعـ أـضـافـةـ بـسـيـطـةـ وـهـيـ عـلـاقـةـ دـاـودـ بـأـدـهـمـ، وـلـكـيـ تـأـمـنـيـ شـرـهـ وـعـدـمـ تـلـاعـبـهـ ضـدـكـ قـرـرـتـ الـاـكـفـاءـ بـتـغـيـرـهـ وـالـاحـفـاظـ بـمـعـلـومـةـ أـدـهـمـ حـتـىـ

لو فَكَرْ في الغدر أو المساومة" هزَّت رأسها موافقة ليرفع الهاتف أمامها يُرِيَها
آخر تطورات سُلْمٰى قائلًا "اعتقد لابد من زيارتها"

* * *

أنهى اتصاله مع داود بعدما اتفقا على ميعاد للتلاقي ليلاً وقد شعر
بالاضطراب من صوته الغامض، لأنـ هو المتهم الوحيد الذي لديه الدافع لقتله
وبالوقت نفسه داود الوحيد الذي لديه الدافع لابتزازه، الحيرة ستقتلـه فـما دافع
ذهب لـ تستغـني عنه! رغم أنه دليل على صدق ما حدث بالمحكمة، عليه أنـ
يتـوخـىـ الحـذرـ وـيـحـجـمـ عـنـ ذـكـرـ الفـيـديـوـ وـصـاحـبـتـهـ حـتـىـ يـعـلـمـ هـوـيـتـهـاـ أـوـ لـأـ،ـ أـسـتـمعـ
لـصـوتـ حـسـنـاءـ تـلـوـكـ عـبـرـ حـسـابـهاـ سـيـرـةـ إـحـدـاهـنـ لـيـبـتـسـمـ عـلـىـ تـلـكـ الـمـفـارـقـةـ،ـ هـلـ
لـأـنـهـ بـغـيرـ زـوـجـ مـسـمـوحـ لـهـ مـرـاقـفـةـ الرـجـالـ؟ـ نـتـشـدـقـ بـقـبـحـ مـاـ تـفـعـلـ دـوـنـ النـظـرـ
لـذـاتـهـ!ـ أـمـ تـلـكـ مـصـلـحةـ تـتـرـبـحـ مـنـ خـلـفـهـ؟ـ أـعـتـدـ عـلـىـ رـنـينـ هـاتـفـهـ لـيـرـدـ مـُتـلـهـفـاـ
لـمـنـ رـقـمـ السـيـارـةـ؟ـ أـغـلـقـ الـهـاتـفـ مـُتـعـجـباـ وـمـلـامـحـ وـجـهـهـ مـُغـلـفـةـ لـيـهـمـسـ بـالـاسـمـ
سـائـلـاـ تـرـازـمـاـنـاـ مـعـ صـيـاحـ حـسـنـاءـ عـبـرـ الـبـثـ قـائـلـةـ "ـالـفـاجـرـةـ سـلـمـىـ الـمـصـرـىـ"ـ!

* * *

انتهت من صلاة الظهر لتجلس فوق سجادتها عاجزة حتى عن الدعاء، كلما جال بعقلها ما يحدث مسها الجنون، باتت تُفتش بذاكرتها عن ذنب ثمنه سمعتها؟ لابد أنه اختبار لصبرها! أو أبتلاء كما نبهها هو، أو لم تُختبر؟! أو لم تصير؟! بهذه عقوبتها على اندفاعها للتخلص من مسؤوليتها اتجاه سُها حين وافقت على عابد زوجاً لها؟! لن تُنكر اندفاعها بصغر سنها لتبني بيت هادئ وتسقّر كأي فتاة دون ملأ، لكنها تُقسم أنها ما أهملت أختها لأخر لحظة، بكت بقلة حيلة وابتلهت بالدموع خالقها تهمس "وَأَيُوبَ إِذْ نَادَى رَبَّهُ أَتَيَ مَسْنَى الضرُّ وَأَنْتَ أَرَحْمُ الرَّاحِمِينَ"

انتبهت للباب الذي فتح وذهب تهتف "سَلَّمَي, بُنْتِي" ناظرتها ودموعها تنهمر لتهمس "فُضحت! فُضح أبنائي يا دهب، بُتْ عاجزة عن درء السوء عنهم وعنِي" سحبتها دهب من جلستها لتحتضنها بأمومة تهمس وقد شاركتها البُكاء "أَبْكِي بُنْتِي، أَفْرَغِي همك"

وبالغرفة المقابلة لغرفتها أهتاج عامر وقبل أن ينفعل بحمامة صرخ عمر ينبع "ظهر؟ حمو العَوْ ظهر!"

* * *

هرولت تتصعد درجات السلم وتصرخ "نَهِي، يَا نَهِي" وضعت كفها على جرس البيت بإصرار ويدها الأخرى تدق الباب بقوة حتى فتحت لها وهي تهتف صارخة "ماذا يا قطة هل قامت القيامة" لطمت قطة وجهها وصاحت "نائمة؟ أشعلت النار حتى طالتنا يا ابنة سباك الحارة" جرّت أسنانها وهمست "متى سُتُّغير أسمك يا أبي؟" مسحت وجهها أثري النوم وسألت "ماذا فعلت لكلِ هذه الجَلَبة"

"أين عابد؟"

"نائم" سحبتها خارج الشقة من تلابيبها وهمست وعينها تتقد الداخل للتلصّقها بالحائط كالفار في مصيدة "أَدْخَلِكَ اللَّهُ سَابِعَ جَهَنَّمَ، أَلَا تَدْرِي مَاذا فعلتني؟" دفعتها بقوة وهتفت والغدر بعينها "كفا مواء ويدك دعيها جوارك يا معلمة" أحتدت نظرات قطة وتطلعت تقلّبها تهتف بشماتة "حمو ظهر يا صاحبة الكرامة" أكملت تحت أنظارها المصودمة "أشترك بالبيت الذي صنعه

صديقك المُخنث ومن معه" أرتعش جسدها بقوة وزاغت أنظارها تهمس بصوت هارب "الم تبلغني عن؟ متى خرج؟" لطمت قطة خديها تعى أنها بنفس الخانة "لا أعلم، يبدو انتهت مدة عقوبته، ماذا سنفعل يا بومة؟" أنتبه لصوت عابد الذي صاح عليها فلاذت قطة مسرعة صوب شقتها تهمس "أذهب بي وحين تفرغي تعالى حتى نعلم ماذا سنفعل" أغلقت الباب تهمس "استرها يا رب"

* * *

صرخ بها مهدداً يسألها عن سلمي المصري التي تلاعبت به في سابقة لم تحدث من قبل، فقد صدم حين علم أنها من تسكن البيت الذي تتردد عليه زوجة داود الرازي كما علم بقربتها المرحوم يوسف المصري، منذ أن طلب مقابلتها أنت فوراً لمنزله ظناً أنه اشتاق لها لكن المفاجئة رغبته بمعرفة كل ما يخص الفاجرة، فصتت عليه ما أخبرتها به نهى حين قابلتها في المطعم الخاص ليتفقا على بث مباشر يجمعهم كنوع من الدعاية لهم، سالتها لما تهاجمها بهذا الشكل الغريب وتعتمدها فضحها بتلك الطريقة والتشهير بأبنائهما، لتخبرها نهى بغرام عابد وحين قررت الإفصاح له بعد سجن سلمي وقع في حبها وتزوجها لتأتي جارتها وصديقتها وتبدأ انتقامها وعرضت عليها الفيديو الذي صورته بالحرارة وسلمي تستعرض فرض سيطرتها بدأ من التعالي وال الكبر وصولاً إلى الغيرة باتهام كل امرأة بالطبع بزوجها! فما وجدت نهى طريقة للدفاع عن بيتها سوى فضح عرضها على تصلح دواخل زوجها التي حطمها تعالى سلمي حين ظهرت بجوار رجل شديد الجاذبية والسلطة مهددة بالانتقام لها، وأشار قاسم لها بالتوقف يقرأ ما بين حديثها ليهتف "كفى ثرثرة! الأمر كيد نساء فارغ! تلك نهى ليست سهلة" التصقت به وأمتد كفها بذلك صدره لتهمس "ماذا تُريد يا باشا؟ مُرني حتى أنفذ" أزاح كفها بمزاج مُعكر وهتف "دبري مِعاد مع نهي" رمّقها مُحدراً حَد الرعب وأكمّل "ولا تعرف سبب المقابلة" ابتلعت رمّقها ونهضت واقفة "كما تأمر" وأشار بالرجل يُحدراها "لا تتحدى فقط أخبريها بأن هناك عمل لحملة إعلانية" هزّت رأسها بطااعة تعلم أن رجال الأعمال باتوا يلحّون لمشاهير الميديا حتى يستغلوا شهرتهم التي انتشرت، خرجت والخوف حلّيفها لترفع الهاتف قائلة "نهي فتحت لك طاقة القدر لذا اسمعي جيداً" وبالداخل تفقد ساعته يستعد للقاء داود ومن معه

ويهتف "جيد تأخروا" هتف داود يسأل "على ما تُدْقِنَ النَّظَرُ؟ هيا تأخرنَا!"
 همس يهروُل بالخطواتِ إِلَيْهِ وَلَأَدْهَمْ "أَلَيْسَ تَالَ حَسَنَةُ الْمُمْتَلَةُ؟"
 رحب بهم قاسم بحذر ليتوقف أمام داود الذي أمتنع عن مَدْ كفه يسأل "أنت من
 فعلنها؟" جاوبه قاسم يفتعل الجهل " فعلتُ ماذا؟"

"حادث اغتيالي"

"ماذا؟!" قالها مُتقاجئ وعينه تتفحصه مُدعّي الصدمة ليهتف بإنكار كاد داود
 يصدقه "بما تهذي؟ لو فعلتها أدعوك لبيتي؟" أشار لهم بالجلوس ليسبقهم
 مُعاتباً "ما جئت بك هنا حتى تتهمني! على العكس داود، أنا من له عتاباً عليك
 أنسنت أتفاقنا المُبرم" أراح داود ذراعيه فوق فخذيه ومال يرمقه مُهَدِّداً "مؤكِّد
 تقصيَّت الأمْرِ وعلمت أن دهب سحبَ التوكيل عن مكتبي" قاطعاً يسأل "متى
 حدث بالضبط؟" أعتدل يضغط ما بين عينيه مُحِبِّباً "قبل الجلسة بساعة" ظفر
 لهيب النار المُحرقة وأكمل "تلك المرأة غدرت بي! وكلت محامي يتدرُّب
 بمكتبي، ذهب إليها بالمعلومات وأخبرها أن وكيل النيابة صديقي لذا شُكِّت
 ووضعتني بخيثها وسط حجري راحتها" شردُفند ما يسمع ليسأل مستفهماً
 "هل تعرف وكيل النيابة؟" صاح أدhem به تلك المرة "أصدقاء مُقربين كما
 ترى، وكنا نُرْتَب للأمر سوياً" هتف قاسم مُرتَاب "هل كنت تعلم بالأمر؟"
 وبخه قائلاً "بعقلك هل يقدر داود على دهب وحده؟ القضية يُتابعها القطر
 العربي وذهب الاخشيدى ليست قليلة، داود تقدم بطلب عزل وكيل النيابة
 الأول ليرشحني ضمن عدة أسماء حتى استلمت القضية، ورتبنا ما سنفعل
 وجاءت تلك الخبيثة هدت ما بنيناه بلحظة" صاح يبتلع الطعم حتى شبع "اللئيمة
 وخُبُث الثعالب دمها، طبعها وأعلمها مُنذ كانت صغيرة تتعلق بجلباب والدها
 في الصاغة" هتف داود يُطالعه ويُدَعِّي الريبة "ما الضمان بأنك لم تتفق
 معها؟" صاح بصدق "أتفق مع من وأنا جئتُ أتفق معك!" هتف داود يستقرزه
 "إذن أنت من فعلها؟" أجاب مراوغًا وعينه تهتز بينه وبين أدhem "ولِمَا أنا؟"
 مؤكَّد هي علمت باتفاقكم فحاولت قتالك" سكت داود يُدَعِّي التكثير ليهتف أدhem
 "تلك وجهة نظرك؟ فما حُجْتك؟" تحير كيف يُلْحِق التهمة بها فأخر ما يرجوه
 عداوة داود ومن معه ليهتف بعد طول صمت "مؤكَّد هي!" شعر عدم اقتناعهم

بالأمر ليهتف والخوف يتملكه مما سيلقيه عليهم "هناك ما حدث" هز داود رأسه مستقهماً "أفصح" أبتلع ريقه وما زالت عينه تدور بينهم حتى قال بتردد "هناك من يهددنا! ويملك فيديو الاتفاق الذي تم بمكتبك" هتف ووجهه مطبوع بالصدمة "أي فيديو يا مخبو؟"

"تسجيل لنا بمكتبك نتفق على الخمسة مليون جنية" حلت الصدمة بالصمت عليهم داود يسأل "بما تهذى يا حمار؟"

"ولما الغلط وأنت القائل هناك خائن بمكتبك" تبادل داود وأدهم النظرات هل كذبوا ليجدوها حق؟ تدخل شهاب الصامت مُذن أن حضر يسأل "هل علمت هوية ذلك الشخص؟" هز رأسه بنعم وهتف بالصاعقة الكُبرى "امرأة تُدعى سلمى المصري"

* * *

"امرأة تُدعى سلمى المصري" انتقضت السيدة دهب تُعيد سماعة الهاتف لأنها لنُكمل سماع المقابلة من الهاتف الذي سلمته لشهاب لحضور المقابلة معهم، سمعت أدهم يُلقي سلام فاتر لينقطع إلى هنا الاتصال بينهم، هرولت باتجاه النافذة التي تطل على الحديقة لتجدها لم تُغير جلستها، هزت رأسها رافضة لما سمعت فمن أدخلها المُعادلة؟ كيف فعلها قاسم؟ أين يعرفها؟ هل علمت بذلك التسجيل والاتفاق المُبرم؟ ولو تعلم! كيف ستحصل عليه؟ لم تطأ مكتب داود ولا بيته! صرخت داخلها تلعن قاسم ألف مرة كيف تشک في سلمى، هناك خطب لابد كشفه!

* * *

فعَل حساباته على التطبيقات مُجددًا بعد شراء هاتف جديد وجهاز حاسوب شخصي ليبدأ متابعة ما فاته ممتنع عن الظهور بسبب الكدمة التي احتلت وجهه، تابع ما نشرته نهى ليزداد سخطه هكذا ستظن سلمى أن هذا ردّه ويتفاقم الأمر بينهم، شرد فيها وفي هيئتها، مظهر أبنائه المنمق، كيف ينعم بذلك مظهر كلما أرتدى ما يرتديه الباشوات ظلت صورته بالمرأة صدئة

باهنة قليل الشأن رغم التجديد والإحلال لكامل مظهره؟ ليته كما عامر لديه حضور ومهابة، ركز بالفيديو المُعاد أمامه يسمع اسم حمو لينكمش وجهه ويسأل "متى ظهر؟" لم يعطي بالاً فما حدث أنتهى ومرّ بل أنقع به فلا بد أن يُركز في حاضره ويعمل على وضعه الاجتماعي وذلك لن يحدث سوى عن طريقها!

* * *

ومن مكتبه بقصره الفاخر جلس حائز نادم، لم يكن عليه أن يتقوه بكلمة مما صدرَ من فمه، كان لِزاماً عليه تكتم الأمر حتى يعلمُ ما إن كانت سلّمي تعمل لصالحها أم فخ نسبة داود وذهب، دقت كفة سطح مكتبه برتابة يعلم جيداً أن دهب ما إن وضعت شخص مكانة العدو تدفعه لقتل نفسه مُقطوع بما يفعل، لكن مكمن القلق في صدمة داود ما إن سمع أسمها وأدهم! احتوي صدمته حين كاد داود يهتف بشيء، ضغط رأسه ووجهه بكفيه الكبيرين وعقله يصرخ لما تجابت بنطق أسمها؟ نهض بغير هُدى يلف بالغرفة كأسد وقع في أسر الضياع سهواً! توقف عن الدوران يكتم غيظه، عليه أن يتأكد أن داود وذهب ليسا على علاقة بهذه سلّمي! رفع هاتقه وانتظر رُدّها حتى هتف "حسناء أريد نُهي في أقرب وقت ممكن"

* * *

صُدم بما يسمع لم يهتم بتلك التطبيقات مُسبقاً وقد انشغل في تحقيق حُلم حياته أن يُصبح مُطرب مشهور كمن يراهم على الساحة، دعاء شاب يتعلم الموسيقى معه لتسجيل مقاطع بصوته ويقوم بنشرها عبر حساب له حتى يتعرف عليه الجمهور ويُتابعه، علّمه أصدقائه الجدد أصول اللعبة ليقرر خوض التجربة ليكتشف عالم غاب عنه لسنوات لو لا تشجيعها وإثنائهما على طلاوة صوته ما كان كذا في التعلم واللّف على أعرق مُدرسي الموسيقى القدامى في البلد، وبعد أن تحصل على مبلغ مُحترم نظر لحياته بتقييم مُفصل ليقرر استغلال ما وله الله والعمل بنصيحتها، لو لا وقوتها جواره لكان صرصور يُدهس تحت أقدام الخلائق، لذا قرر تقصيي الأمرُ صحيح أتخذ عهداً بترك الماضي لكن كما

سترُه الله وجعلها سبب الأن صار سبب لسترِها حتى لو كان ذلك الستر سيفضله وينهي مستقبل لم يبدأ به خطواته، طالع مرأة منزله المتواضع يلاحظ تغير ملامحه كاد ينسى هيئته القيمة أبتسم لانعكاسه قائلاً بصوت وفوري "مرحباً بأيام الشقاوة" هرث شعره الناعم وهو يتذكر ما حدث سابقاً ليهمس مجدداً "صدق من قال دبور وزن على خراب عشه" النقط الهناف باسمه ليصبح بصوته الجميل قائلاً "نعم أمي" هرع إليها يُندنن "ست الحباب يا حبيبة" ضحكت بحنان قائلة "أعطيك كوب ماء ببني"

* * *

أوقف شهاب السيارة بمكان خلي دونهم لينزل ثلاثة والصدمة تجهز على عقولهم، الصمت يشلهم فقط عقلان يُفكران بصخب وثالث ينافقه الجنون بألم، هتف شهاب بحذر "هناك شيء خطأ" وافقه أدهم الرأي يمسح على وجهه قائلاً "ما الذي جمع بين قاسم وسلمى؟ مستحيل أن تفعلها، مستحيل" □ ولما العجب؟ ها لما! قالها داود بغضب فاق الغضب يتذكر حين أرسلها تجلب أوراق القضية من بيته وتأخرت، رمقه كلامها وصدمتهم تخطت الأولى ليهتف أدهم عتاب شديد "نعم؟ هل سنكتب ونصدق الكذبة؟" صرخ به وقد أعماه الشك "أليست هي صاحبة الفكرة؟ لم يسأل أحدنا لما تدخلت؟ حتى دهب بذكائها وخبرتها أنطلت عليها اللعبة"

"كيف تفهمها وبالصباح سخرت جيشاً للدفاع عنها؟ هل جن عقلك داود؟ أفق! الكلب يتلاعب بك؟" صاح أدهم وقد وقف مباشر له يوشك بالتهجم عليه ليقطع داود الخطوة الفاصلة بينهم يصرخ بوجهه "ليست سوي سافلة! عاهرة تتبع شرفها وها قد باعنتي" دفعه أدهم بقوه يسأل بحشرجة أثر تغييره المفاجئ "أين عقلك؟ أجب! أين عقلك يا غبي؟" تقدم شهاب يزجّره بلهب يسأل هازئاً "يختل العقل أمام الصدمة يا صاحبي! دعني أسأل مباشرة؟! ماذا عن قلبك داود؟" أندھش مما سمعه ليكمل شهاب وعيناه تفهمه "أنت تحبها داود! بل غارق بها حد الموت" جلس الثلاثة مُترافقين شهاب يلوم نفسه على ما تفوه به وأدهم مصدوم رغم شكه السابق، وعنده إحساس لم يشعر بمنته سابقاً وكأنه كيف

أعتاد الظلام ليأتي مُبصراً وقد صار كهل، لا جزع لا انفاس، الألوان والأشكال يعرفها عز المعرفة، تطلع لعيونهم المثبتة عليه، لماذا لا يُذكر؟ لما النtie مع الهدى؟، الخنقة مع البراح، همس لنفسه "أصرخ! انكر! أرفع عنك التهم!" أستجمع نفسه المهللة و هتف مخنوقي بعصة مُنكرة "وهم، أنا زوج لدى امرأة!" رد شهاب بندم "لذا أُنبهك، كفا توغل بجنة سلمى" هز رأسه بلا معنى يهدي مُتهكمًا "أتوغل؟ ليس توغلًا! بل غرق، موت، ليست النساء سوى وجهها، الهواء صار النعاع المُغمى بدخانها" تهملت أكتافه وغارت عيناه أرضاً ومارد جبار يُعربد داخله، كلما أشهر كُرهها هب عاصفاً بكيانه وأفقد لهيب حُبها،

نهض أدهم ينفض ثيابه ويهمس "كُنتُ أشعر بتلك العاطفة!" توجه له شهاب يسحبه لينهض يعلم ما يتکبد من ألم، لذا هتف "لا تكذب يا صاحبي" طالعة بضم كفه بالأيدي الممدودة وَهَمْ واقفاً يهتف بخفوت وعقله يرحل "أرسلتها تُحضر أوراق القضية يا شهاب، أمنتُها وتغاضيت عن سفالتها" ظفر أدهم وعلت أنفاسه اعتراضًا يرمي شهاب بعجز أمام عينه الدامعة بقهر، همس خائر القوي، جسداً بلا روح "أنا أُحب سلمى؟!، أُحب خائنة؟!"

* * * *

العاشرة ليلاً

أنزوت سُها بغرفتها تقرأ رسالة شهاب لـ"نهانفة" على الفور تسأل "ماذا شهاب لم أفهم شيء؟" أشار لأدهم أن يوقف السيارة جانباً وفتح مُكبر الصوت قائلاً "هل خرجت سلمى طوال الأسبوع المنصرم"

"لما تسأل؟" نظر لأدهم الذي شجعه على المتابعة ليهتف "هناك محضر مقدم ضد امرأة تعدت على أحدهم بالسباب والضرب فظننتها إدحافن على الميديا، فخشيت أن تكون هي" هتفت خائفة "لا، لا سلمى لم تخرج سوى مررتين، الأولى حين ابتعات طلبات البيت والثانية كُنا معاً" تنفس أكسير الحياة وأكمل يستدرجهَا "الحمد لله، ظننتها تورطت خصوصاً ومواصفات السيارة تُشبه خاصتها" ضحكت برقية لم تقصد ها وهتفت "وهل المسكينة ارتدت سيارتها سوى بالأمس؟" أغلق مُكبر الصوت ما إن سمع ضحكتها وأخبرها أنهن صوبهم ليُغلق المكالمة يلتقط الصامت في الخلف قائلاً "سمعت؟" تبسم بتهمكم ورد بعصبية مُفرطة "مؤكد أخذت احتياطها، ليست غبية يا متر" سكت ولم يُضف شيء يعلم قول يا متر بمثابة سُبه وأنه وصل حدود الجنون، تتحنخ أدهم الذي شارف بيتهما "أما زلت ترغب في المواجهة؟" ترجل من السيارة يصفّع بابها متوجهاً لجنتها يضغطُ الجرس دون صبر

وبالداخل هتفت بمزاج عكر لمن تجلس بالحديقة معها "ماذا دهب؟ وكأن هناك ما تخشين قوله؟" تفحشت وجهها برببيه، ثلوم اتهمها رغم يقين براءتها، اتخذت قرارها بسرد ما حدث بطريقتها اللِّفحة وبدماثة خلقها، لكنه باعاتها يصبح من خلفها يهد المعبد برعونة ليسألهما "ما اسم صالون التجميل الذي تذهبين له؟" طالعته مُتعجبة لتهتف "الناس تُنقي السلام أو لا؟" مَاذا حدث؟" أجبَي فقط" نهضت متوجهة إليه تسأل وقلبها يدقُّ بعنف من مظهره "صالون ماذا داود؟ أنا لا أذهب لتلك الأماكن" أرتفع حاجبيه يطالعها بخبث وسأله "من سمير الحلاق؟" هتفت بعصبية "أي حلاق ولما سأذهب لحلاق عمر أقصى شعرهُ بنفسي وعَامِر موسوس يذهب لواحد فقط وطبيعي لن أصحابه" تَحير من صدق ملامحها وأجزم بنكرانها ليهتف مُجدداً "هناك صالون بالحي للنساء والرجال معاً" تلعلت حولها وقد قرأت على وجهي أدهم وشهاب التفوري

المُستتر لتصبح بعصبية استقرّت المُقابل لها "لا أعرف؟ ثم أنا لا أخرج بأمرك يا جناب اللورد" النقطة أنفاسها وتقدمت خطوة واحدة تُركز عينها بعينه السوداء تهتف "هل تراو غني؟ تكلم بما جئت من أجله يا متر" صرخ بوجهها "سافلة، خائنة" قطع الخطوة الأخيرة بينهم يمسك ذراعها يضغطه بشدة "قليلاً ما يُفعل بكِ، أنت تستحقين الرجم" نفضت ذراعها غير مُهتمة بالألم فهناك الأشد وأوغر يشق صدرها لتدفعه بكفيها بقوة تصرخ بوجهه "انتهاري كما زوجتك، وهذا رد الجميل؟ أخرج من بيتي، لا تُرني قبح وجهك مرة أخرى، أنت لست برجل" موجة من الهرج شملتهم ودهب تسحبها جانباً تصرخ "أهداوا" جَرْه شهاب وأدهم بقوة والأخير يهمس "أخطأت يا رجل!" دفعهم عنه بقوة وعاد بالخطوات لها بخطوة واحدة يسحبها من مقدمة شعرها يهتف "أنا لست رجل؟ دعني أعرفكِ الرجلة، قدرة مثلك تستحق مُخنث فاقد الشرف يا عديمة الشرف" صرخت والألم يذبحها لا تعني هل من كلماته أم من تلك الندب بجانبي مفترق رأسها وبدوره أقشعر وهو يلاحظها بارزة لعينه بقوة؟ نتوء فارغ الشعر شديد البروز ينم عن جرح قديم قُطبي ببساطة، لانت قبضته دون أن يدرِّي وشهاب وأدhem يسحبان جسدَه الخائر خارج المنزل وصوتُ صرختها خلفه يرُج قلبه "ستندم يا داود ولن أغفر لك! أكر هك! هل سمعت أكر هك من كل قلبي داود، أكر هك" صرخت تدفع عنها دهب حين استمعت منها ما حدث، نفسها تنزفُ خيبة الأمل والحسرة لتهمس بارتعاش الصدمة "كنتِ تعلمي؟! صدقتيهم يا دهب؟ وسلمي! أبنتك؟" نهت أنفاسها بصعوبة قائلة "أخرجوا من حياتي لها وكفى! كفى خزان يا عالم، كفى ألم"

* * *

بعد أسبوع

تحركت جوار حسناء تنظر للقصر وروعته عينها متwsعة لم تُشاهد مثل هذا سوى بالسينما، ماذا لو المنزل لها! ستُصبح كفاتن حمامـة سيدة القصر نهي على السباك هـامـ، أنكمـش وجـهـها تجزـ أـسـنـانـها وـتـهـمـسـ "ـمـتـيـ تـغـيـرـ أـسـمـكـ ياـ عـلـيـ؟ـ" وـصـلـتـ بـهـوـ القـسـرـ لـتـتـبـهـ لـفـخـامـتـهـ وـصـوـتـهـ الرـخـيمـ يـرـحـبـ بـهـاـ،ـ تـمـلـكـهاـ

الخوف وحسناً تخفي فتقصدت تدعى الشجاعة هاتقة "قاسم باشا شخصياً يا ألف مرحباً" سحب نفس من سيجاره وأشار لها بالجلوس هاتفاً وعينه بعينها "سلمي المصري؟" أنكمش وجهها وتتفق الحقد داخلها، تراه سيمنعها من ذكر اسمها! ألها الحد صارت علاقتها يُدافع عنها غول السياحة بالبلد؟ هتفت والغضب والغيرة يحرقان دمها "لن أتركها مهما حدث؟" قهقهه يرمّقها بطرف عينه مُعجبًا بقالبها الشعبي وقال بهدوء حذر "ما سر العداء بينكم" همت بالحديث لتوقفها كفه ويميل لها هامساً "دون الكذب تاريخك عندي؟" بلعت رقمها واحتلبت أنفاسها خوفاً شخص بقدره يعلم ويعلم لتهف والغل لم ييرحها "أكرهها كما تكره النار الماء" أماء برأسه وبخبرته تأكد أن الأمر كيد تخطى المدى ليهتف سائلاً "هل تعرفين داود الرازي؟" رفعت حاجباً واحد والاسم يرن بعقليها، تتبعت أخباره عبر الميديا لتهف ثوهمه بجهالتها "محاميها سلمها أرث عمها، كان أعز أصدقائه"

"ما مدي علاقتهم؟" تذكرت دفاعه عنها بالحارة كما تذكرت نظراته، تعلم تلك اللهفة، هتفت دون الكذب "دافع عنها بشراسة لا يملکها سوى عاشق رغم الكره أيضاً" رقمها غير مصدق آخر كلماتها لتهف وهي تُخرج هاتفها "تأكّد بنفسك، أثنين بوحد، عاشق حاقد" عرضت صورته سابقاً ليتأكد من تحليلها غافلاً معها عن بداية اضطرابه يتأمل خصلة من شعرها تدلّت تداعب عينها بجرأة وحميمية، تبiss وعيناه تتبعها عبر الهاتف ليتمس صورتها "خصلة قليلة الأدب تحتاج الترويض!" سعل قائل "أريد فضيحة جديدة تشمله وتشملها" غمزت عينها قائلة "وال مقابل؟" قهقهه لطمعها يهتف "مليون تكفي؟" برمت شفتها الغليظة وقالت باسمة "مليون دولار وسيارة أحدث موديل؟" نهض يهز رأسه موافقاً "ثلاث مصرى وسيارة أو ترولي" هتفت بفرح "أمي على الخطوة وشاهد!" رفع كفه والسيجار بأصابعه "لكن! زوجك يُشارك!" رفعت كتفيها وهتفت ترافق حاصل واحد "غصباً عن أمّة يا باشا" ألمتها عضلات وجهها من شدة الابتسام لتلمح حسناء تنتظرها عند السيارة تسأل بطبيعة "على ما اتفقتم؟" تطلعت إليها بإهمال لترد بترفع وغرور "ليس من شأنك حسناء هل ستتدخلين في شؤون الكبار!" صُعقت حسناء من تحولها المُفاجئ كانت قبل دخولها تتمتع بالطيبة والمروءة، ابنة بلد جدعة لكن باتت

بلحظة مغرورة أفقه، أمنت عن محادثها طوال الطريق لتحرك ما إن رحلت من سيارتها قائلة "الأصل غلاب كما قال السلف وأصلك واطي لسابع أرض نهى"

* * *

أنخرط بالعمل بعدما أصدر فرمان بعدم ذكرها حتى بيته تجنب الذهاب له كي لا تُجبره عيناه للمحها، فعل خاصية المنع لها تف أبنائها لمانع التواصيل معهم، أنكشف مستور قلبه وبات لا يقدر على النكران والتجاهل، مسح وجهه بإحباط هامساً "يا لا هلاك يا بن الرازي" أسبوع مر ومازال يأبى سماع ذكرها حتى الطابق الأعلى بمكتبه كاد يُغلقها ويصرف من عينهم ولكن شهاب وأدهم تمسكا به حتى كادت تتشبث بينهم معركة مفادها الفراق الحتمي، تطلع لأوراق القضية التي يعمل عليها ليجدها تطل بعينها العسلية تلقي سلاماً حارقاً مُرفقاً بقبلة أججت سخطه، كلما ألزم نفسه بالنسيان لكمه القلب بقوه، محصوراً بين زاوية يسارها خانتها ويمينها عشقها الدامي! أما الإمام منطق يُلاعبه بحرفيه، مقسم الفؤاد والنصل تلم ومفاد الألم لا رجعه! دخل شهاب مفروغ الملامح يصرخ "داود مصيبة! كارثة!"

* * *

دفع بباب الغرفة مُندفع صوبها يسحبها من خلف الشاشة بعنف مغافلاً البت، سحبها يصرخ بوجهها "ماذا فعلت؟" دفعته تسبه وتسبب أمه "لن أرحمهما! لن تهنا ما دمت حية" ناظرها بعدم فهم وصاح يسأل "لما؟ ماذا فعلت لك؟" ارتعشت بالغضب وهسست "أكرهها، كل ذرة بدمي تكرهها، أبغض أسمها" هتف يُذكرها "كانت صديقتك! جارتاك؟ أين كان ذلك الكُره حينها؟" زجرتة بغضب لتجلس فوق الأريكة تُلملم شعرها النافر بغل حتى كادت تقلّعه وقالت وجسدها يلفظُ غيرته السامة "منذ وعيت والكل يتربّن سلمي! جدعة، حنونة، ذكية، أم أختها! سلمي ذهبت سلمي فعلت، تحملت، تزوجت، ربت" صرخت بقهق "ماذا؟ ألا بالعالم غيرها؟" نهضت أمامه تُكمل بجنون "أنت! بطولك

و عرضك ونسائك تقع بها؟" هاله احمرار وجهها وانتفاضة الغضب الذي
تلبسها ليسأل برهبة "كل ذلك بداخلك؟"

"وأكثر!" صرخت بها ليسألها بجهل التصرف "تمام، أهدأي، فعلت ما يُشفي
غليّاك فما رأيك نكتفي؟" طالعته بغضب وعوجت رأسها تسأل بخل "أتدافع
عنها؟" زاغت عيناه بالغرفة لتهتف تشد وجهه نحوها "أسمع!" ضغطت فكه
وتتابعت "أعلم أن ثرائهما أصاباك بالطعم" أصدرت صوت طقطقة بالنفي
وأكملت "بين يدك منه تأكلك الشهد، تجلب الترف؟ الهمة الاجتماعية لمعدم
مثلك" دفعت وجهه وكلامها يلامس الصدق في نفسه لتجهز على ما بقي منه
قائلة "أعي ما تتنمى! وسنحقق معًا" تطلع إليها بسؤال لاح بعينيه لتبتسم بمكر
مؤكدة وتحمس "طلب رأسها والمُقابل نعيم بجوار الملوك" قصّت عليه مقابلتها
مع قاسم وما جنته من الاتفاق معه، أرسل إليها دعوة بتنمية وقت مفتوح
بإحدى القرى السياحية التي يمتلكها، أسيء في الوصف والتمجيد وبنت له
قصور الذهب، فرشت له بساط مُحملي الملمس بمجرد أن يخطو فوقه يجد
نفسه من زمرة كبار البلد حتى أنها تنازلت عن السيارة الجديدة له لكي يُكمل
هيئته وارتضت بالقديمة لها! عدل لها الهاتف وضبطه جيداً ليجلس جوارها
وتبدأ جولاتهم لتهتف بدلال مُقرز "عُدنا لكم" وبانتصار الأفاعي تألفاً معًا هو
يُدلّلها لحصد الدعم غافلاً عن نظرتها المُحتقرة له، صورة ذلك المحامي
ما زالت تحرقها فعايد غر ساذج أمام هيئته، ملابسه التي جمعت بين الحداثة
والكلاسيكية الفتنة، ملامحة الرجولية وبالأشخاص تلكم الشعيرات البيضاء التي
تَكَوَّمت بمقدمه رأسه في شكل ثعلبة، همست بنفسها تُفصل تصاقها عن
زوجها "رجولة طاغية، أرجل مثل هذا يجاور سلمى وأنا لي عابد بن قطة
الجازرة؟!"

* * *

دفعتها بقوة أوقعتها أرضاً وصرخت بوجهها "أختقي عن وجهي" الصغيرة تسأل عن والدها فبات لا يذهب للبيت سوى سويات قليلة ليخرج منه مسرعاً لأن عفريتاً يتربصه، شملها الغضب وهي ترى حماواته لاسترضائها فتمنعت عنه قاصدة، لو تعلم سر الخلاف بينه وبين سلمى لتوصلت معها، هل فطن كلاهما لفعلتها لهذا تفرقا، عدم وجوده بالبيت قطع عنها كافة الأخبار الهامة! فتحت هاتفها تاركة لينا تبكي بصمت تفقد الأخبار التي أرسلتها صديقتها تستفسر عما أذيع بالميديا وعلاقة زوجها بإداهن، أنسرخ داخلها وهي ترى وتسمع عن حكاية عشق سلمى المصري والمحامي داود الرازى التي تصدرت الترند بقوة كما تفقدت بعض الصور المركبة بخبر يلف أقطار الميديا، ارتبت غير واعية للصدق من الكذب فإذا كان بينهم هذا العشق لما الخصم إذن؟ ألقت الهاتف عليها إيجاد ما تكسر به ذلك الجمود الذي طالهم وبنفس الوقت تقترب ثانياً منها، تلك فرصة لن تتكرر مرة أخرى وعليها استغلالها كما أن اشغالهم ببعضهم البعض سيترك لها الحرية بالحركة دون أن يلاحظ أحداً، توجهت لغرفة مكتبه غير واعية إلى لينا التي خرجت من باب البيت تبكي وقد بات خروجها متكرراً دون ملاحظة أحد!

* * *

وبالطابق الأخير بمكتبه وقف أمام الشاشات المتراسة جوار بعضها ليعاشر تلك المهزلة، صوراً تفرقت تشملها وتشمله والأخريات تجمعهم معاً، إداهن تجلس ملتصقة به وأخرى يحتضنها بحميمية والكثير من الصور أجّجت مارده، سأله شهاب بصوت بالكاد سمعه "نهى من فعلتها؟" هز شهاب رأسه بنعم وأضاف وعينه تفقد الشاشات بتركيز " وأنضم إليها زوجها" أشار شهاب مُنتبهأً لأحدى الشاشات وهتف "داود! أليست تلك الممثلة التي كانت ببيت قاسم؟" تمالك غضبه يدقق بالشاشة قائلاً "أريد مقابلتها شهاب" أنتبه لها لعامل المكتب يستأنن للدخول ليليقه بأن هناك من تنتظره بالطابق الخاص بمكتبه، تطلع الأثنان إلى بعضهما وتحركا صوبَ من جاءت الي مقابلتهم.

* * *

لطمـت سـها وجـهـها وـهـي تـشـاهـد ما أـنـتـشـرـ والـتـفـتـ إـلـيـ رـبـابـ الـتـي أـغـلـقـتـ الـبـابـ سـريـعاـ وـتـقـدـمـتـ إـلـيـهاـ تـهـفـ بـحـذـرـ "هـلـ شـاهـدـتـ المـصـيـبةـ" تـرـكـتـ الـهـاتـفـ صـارـخـةـ "وـأـيـ مـصـيـبةـ" فـضـحـوـهاـ وـأـتـهـمـوـهاـ زـورـاـ مـرـةـ أـخـرىـ؟ـ" لـطـمـتـ صـدـرـهـاـ وـوـجـهـهـاـ وـهـفـتـ وـالـجـنـوـنـ بـعـيـنـهـاـ "أـنـاـ السـبـبـ!ـ أـنـاـ السـبـبـ!"ـ لـحـقـتـهـاـ رـبـابـ تـُمـسـكـ كـفـيـهـاـ وـسـأـلـتـ تـسـقـسـرـ "أـنـتـ السـبـبـ؟ـ مـاـذـاـ فـعـلـتـ؟ـ"ـ سـكـنـتـ وـعـيـنـهـاـ مـتـوـسـعـةـ تـهـزـ رـأـسـهـاـ بـلـ صـامـتـةـ لـتـهـفـ رـبـابـ بـحـذـرـ "مـاـذـاـ فـعـلـتـ؟ـ تـكـلـمـيـ؟ـ عـلـىـ نـجـدـ مـاـ يـبـرـأـ سـاحـتـهـاـ؟ـ"ـ تـمـلـكـهـاـ الصـمـتـ وـالـتـرـدـ مـلـاـ كـيـانـهـاـ لـكـنـهـاـ مـعـ تـشـجـيـعـ رـبـابـ قـرـرـتـ تـلـفـظـ عـذـابـهـاـ عـلـىـ تـرـتـاحـ،ـ تـمـسـكـ بـكـفـوفـ رـبـابـ تـضـغـطـ عـلـيـهـاـ وـبـدـأـتـ بـقـصـنـ ماـ فـعـلـتـ مـعـ وـعـدـ بـالـكـتمـانـ وـالـقـهـمـ،ـ بـكـتـ بـحـرـقـةـ تـهـفـ "لـمـ أـكـنـ عـلـىـ عـلـمـ بـمـاـ خـطـطـتـ يـاـ رـبـابـ"ـ شـهـقـتـ بـقـوةـ وـتـابـعـتـ "فـقـطـ دـفـعـتـيـ لـإـقـنـاعـهـاـ بـالـذـهـابـ لـتـلـكـ الـمـرـيـضـةـ وـاـنـاـ فـعـلـتـ وـ،ـ"ـ قـاطـعـتـهـاـ رـبـابـ تـسـأـلـ بـمـلـامـحـ بـاهـتـةـ،ـ لـاـ تـعـلـمـ تـشـفـقـ عـلـيـهـاـ أـمـ تـسـبـهـاـ وـلـكـنـ بـعـقـلـهـاـ الـوـاعـيـ وـرـوـحـهـاـ الـمـتـفـهـمـهـ عـلـمـتـ أـنـهـاـ كـانـتـ تـحـتـ ضـغـطـ مـاـ،ـ هـمـسـتـ تـسـتـدـعـيـ هـدـوـءـهـاـ "ـأـهـدـأـيـ وـجـاوـبـيـنـيـ كـيـ أـفـهـمـ وـأـصـدـقـيـنـيـ القـوـلـ سـهـاـ،ـ هـلـ كـانـ لـدـيـكـ شـكـ فـيـمـاـ خـطـطـ"ـ هـنـقـتـ تـرـدـ بـسـرـعـةـ وـضـمـيرـهـاـ يـقـرـصـهـاـ "ـأـقـسـمـ بـالـلـهـ مـاـ كـانـ لـدـيـ أـيـ شـكـ وـلـاـ أـعـلـمـ بـمـاـ خـطـطـتـ"ـ ظـنـنـتـ الـأـمـرـ غـيـرـةـ نـسـاءـ سـتـسـفـرـ عـنـ شـجـارـ بـيـنـهـمـ أـوـ عـلـىـ أـسـوـءـ تـقـدـيرـ تـخـطـفـ زـوـجـهـاـ"ـ هـنـقـتـ رـبـابـ تـلـوـمـهـاـ "ـعـذـرـاـ سـهـاـ"ـ مـاـ الـذـيـ دـفـعـكـ لـهـذـاـ؟ـ وـلـمـ سـكـتـ عـلـىـ فـضـيـحـتـهـاـ؟ـ"ـ أـنـزـلـتـ عـيـنـهـاـ خـزـياـ وـهـمـسـتـ "ـأـعـمـتـيـ الـغـيـرـةـ يـاـ رـبـابـ،ـ وـكـانـتـ نـهـيـ دـائـمـاـ نـقـاـضـلـ بـيـنـنـاـ"ـ "ـالـغـيـرـةـ؟ـ"ـ أـيـ غـيـرـةـ جـعـلـنـاكـ تـغـرـيـ وـلـدـيـكـ شـكـ فـيـمـاـ يـحـاـكـ لـهـاـ يـاـ سـهـاـ؟ـ وـلـمـ لـقـرـيـ بـأـنـ تـلـكـ الـكـلـبـةـ مـنـ دـفـعـتـ؟ـ"

"لـمـ أـكـنـ أـعـلـمـ بـمـاـ سـيـحـدـثـ"ـ نـهـضـتـ تـرـتـعـشـ وـصـاحـتـ بـحـرـقـةـ "ـجـبـنـتـ؟ـ"ـ تـمـلـكـنـيـ الـخـوـفـ أـنـ تـطـالـيـ الـفـضـيـحةـ وـتـهـدـرـ سـمـعـتـيـ،ـ خـفـتـ الـعـنـوـسـةـ وـعـوـاقـبـهـاـ"ـ تـقـدـمـتـ إـلـيـهـاـ لـاـ تـعـلـمـ تـلـوـمـهـاـ وـتـرـكـلـ مـؤـخـرـتـهـاـ أـمـ تـحـتـضـنـهـاـ وـتـرـأـفـ بـهـشـاشـةـ نـفـسـهـاـ"ـ فـعـلـتـ مـاـ أـمـلـتـهـاـ عـلـيـهـاـ طـبـيـعـتـهـاـ الـمـتـفـهـمـهـ لـتـحـتـضـنـهـاـ وـبـذـاتـ الـوقـتـ تـلـوـمـهـاـ قـائـلـةـ "ـيـاـ سـهـاـ لـوـكـنـتـ دـافـعـتـيـ عـنـهـاـ وـأـخـبـرـتـ النـاسـ بـمـاـ حـدـثـ مـاـ كـانـ ظـلـمـتـ بـلـ كـانـ الـجـمـيعـ تـفـهـمـ أـنـكـ تـمـلـكـيـ مـنـ الـقـوـةـ مـاـ يـجـعـلـكـ عـزـيزـةـ النـفـسـ قـوـيـةـ،ـ ظـلـمـتـيـ نـفـسـكـ بـظـلـمـكـ لـهـاـ وـبـجـنـ طـبـعـكـ"ـ بـادـلـتـهـاـ الـاحـتـضـانـ مـمـتـنـةـ لـتـرـكـ نـفـسـهـاـ لـمـوـجـةـ الـبـكـاءـ الشـاقـةـ لـتـهـفـ بـعـدـ بـرـهـةـ وـكـفـيـهـاـ تـمـسـحـ وـجـهـهـاـ وـتـهـمـسـ "ـمـاـذـاـ أـفـعـلـ لـأـكـفـرـ عـنـ

ذنبي يا رب؟ والله مُستعدة لقتل نفسي فداءً لها" وضعت رباب كفيها بوسطها
وتعلّقت إليها كما لو أنها تُحاكي شبح لتهف وكفها يُحْك جانب شعرها
"أسمعي" انتبهت مُسلمة "معك، قولي ما عندك" جلست لتبدأ رباب بذكر ما
قاله داود سابقاً عن ذلك صالون التجميل وصاحبة ليرم اتفاق بينهم تقوده
رباب التي أقسمت أن تُتم خطُّها لأخر سطر بها، همست بأخر كلماتها قائلة
أسمعي! لا مجال للجبن معـي!"

* * *

رفع هاتفه يستفسر من أحد رجاله عن أخبار السيدة دهب ليرفع صورتها بين
يده يتققد ملامحها جيداً، استلم التقرير الذي أملأه عليه أحد رجاله وقد عجز
عن معرفة شيء يخصها وإذا ما كانت بيبيتها أم لا، ذاكراً أنها كما الشبح،
صُهيب فقط من يظهر في الصورة كاملة وهي مُختفية حتى بات الرجال
المُراقبين لها عاجزين عن معرفة وجودها من عدمه، ترك الهاتف حيراناً فيما
ثُخطَّ تلك الثعلبة؟ سكونها واختفائها لا يدلُّ سوى عن قبليه موقوتة ستنفجر
حتماً حتى تجعل كل المشاكل وكأنها لم تكن، بل على العكس سوف تجعل
منها خنجرًا يقتل به نفسه، دقق في الصورة بين كفه ورفعها صوب عينه
وكفه الثاني يتامسُ خصلات شعره الشائبة يهمس "أعلم ضعف المرأة حين
تلقي ما وجدت! كل ما تحتاجه حناناً يشملها، رجل يُدافع باستماته عنها" رفع
سماعة الهاتف الداخلية يهتف "جهزوا سيارتي" نهض يُتم على هيئته ويدرس
صورتها داخل الخزنة مُتخذًا طريقة صوب ما يبغي، ركب سيارته هاتفاً
لقائدها "بيت سلمى المصري"

* * *

نظرت بتقزز وارتجمت تُشاهد صورها معه، ألقت بها نفحة الرُّعب حدها لنلمح انعكاسها في المرأة أمامها، نهضت تتظر خيالها بقرف وتهمس "لما تصررين على العيش بهذه الدنيا؟"

أجابت: الله حكمتُه فيما يحدث

قالت: لوبكِ خير لكان الله معكِ

أجابت: يكفي انه رد لي أبنيائي

قالت: وأنتِ قابلتي الرد بفضيحتك لهم

أجابت: هكذا حُكم الله وإرادته

قالت: الله ليس بظالم سُلْمَى أنظري ما فعتي

أجابت: لم أفعل شيء

قالت: سيُمر العُمر والفضيحة تلاحقكَ فما فائدة العيش بتلك الحالة؟! مالت للمرأة تدقق بملامحها جيداً والنفس تسألاها من أنتِ وما أهميتك بالحياة؟! باسئمة كل خطوة تخطوها فضيحة متتجدة! زانية! سافلة! لو امرأة غيرك كانت أكلت كبد عدوها أو أسلمت روحها لله لتنهي متاعب غيرها! ابتعدت واليأس يملئها، عالقة بين الخذلان والألم دون مخرج، انسابت دموعها بسخاء تصرخ صرخة واحدة وقبضتها تُرشق بالمرأة تُحطمها وتهوى أرضاً تهمس والدماء تُغرقها "الموت يأتي مرة واحدة سلمى وتلك حقيقة ليس معها جدال فإذا الموت كُفراً أو الموت شرفاً" اعتدلت إثر دخول ربب وسُها وخلفهم أولادها وقد لاح على وجه الجميع الفزع ليهرب إليها عامر يتقدّم جُرهَا وعمر يُحضر حقيقة الإسعافات ليهمس لها الأولى بحسرة والآخريات يُلملمن شظايا الزجاج "أصبري لحُكم ربك يا أمي فلن يُضيعنا"

بادلته النظارات وقد أوقد نضوجه وثبات عقله بها الأمل، حضر عمر لتجلس بالمقابل لهم تهتف بيأس تملك روحها "لا أعلم ماذا سيحدث غداً لذا!" بلعت رمقوها وسبقها الدمع حتى قالت بروح تذهب عنها "لكم حرية الاختيار، إما البقاء معي أو الذهاب حيثما أردتُم، لن أقوى على لومكم" أرتمنى الاثنان بأخذانها وعمر يهتف "أنا باقي حيثما بقيتِ ماما" ليهتف الكبير مُعاتباً بشدة "قاسية أنتِ يا سلمى" هتفت ربب من خلفها "لن نترككِ سلمى" لتهتف سُها

تقديم إليها والذنب يقتلها "سُنْحَارِبُ معاً أخْتِي" تلعلت إليهم بعجز الإجابة
لهذا الدعم الغير متوقع لتهمس إليهم "لا أملك من أمري شيء والقرار لكم"
بكٌ وأبكت جميع من حولها لتحرك رباب تهق بنزرق "جرس الباب" ثوانٍ
وكانـت تسـأل لـيجـيبـها يـعـدـلـ من حـلـتهـ "قـاسـمـ الوـكـيلـ"

* * * *

أنتهى من التحقيق في القضية المُكلّف بها ليخرج هاتفه يعَدّل من وضعيته الصامتة واجداً شهاب قد اتصل به لأكثر من عشر مرات رفع الهاتف إلى أذنه متوجساً ليجد الآخر يُخبره باخر ما حدث دون حتى إلقاء السلام، تعجب مما سمع لينغلق متوجهاً إليهم بمكتب المُحاماة ولكنه ألقى نظرة على الميديا التي عَجَّت بأخبارها، مررت ساعة حتى أصبح بالمكتب شهاب ينتظره كما وجد دهب هائم وداود معه، جلس الأربعه بمكتبه وذهب تسأل "ماذا فعلت أدهم مع النائب العام؟" رد الجميع متنبه له "عرضت عليه الفيديو وأخذت الأذن بالموافقة، أتضح أن قاسم هذا حوله تساؤلات عده وهناك اتهامات موجهة إليه بالتلاء بالسوق السوداء لكن الحصانة تأمينه" سأل داود "عملة الدولار؟ هناك شك أنه يهرب الذهب والعملة وهو أحد الأقطاب التي ساعدت في الأزمة العالمية" استقامت دهب بجلستها تتناول فنجال القهوة خاصتها لترتفش منه القليل قائلة "انتبهوا جيداً، لابد أن نتأكد انه أبتلع الطعم وشبّع" شرد داود قليلاً ثم سأله "أشعر بحفلة مفقودة! هناك خطأ" رمقته بعتب وترك قهوتها تعدل صوبه تسأله "بظنك ماذا داود؟" أرتفع حاجبيه والتعب مرسوم على وجهه وقال شارداً "لا أعلم؟ ولكن لما الأن؟ وفي هذا الوقت قامت نهي بما تفعل؟ وما المقصود من جمعي بها؟" مالت إليه تهتف وعينها بعينه "أشعر أن تلك الحركات ورائها قاسم بنفسه" تنبه شهاب لاعتراض داود الذي هتف "ولما؟" تبسمت بخبث قائلة "تلك هي المُعضلة! غريب الرابط بينك وبينها؟" اتسعت ابتسامتها الخبيثة وأكملت "كُل شيء له وجهان" صاح دهب يلتفت انتباهم "قاسم أخبرنا أنها هددته فلما يفعل؟"

"ليتأكد أنها لا تتبع داود" قالها شهاب الذي نهض واقفاً يحوم حولهم برؤية ليُكمل بتركيبز "أو تتبع السيدة دهب، أو كلاهما معاً" هتفت دهب "ممكناً! هناك من تلاعبت به وورطت سلمى" تطلع إليهم شهاب كلاً على حدي يهتف بتحدي "تلك لعبتي! أعرف من سيحل الشفرة المعقّدة" سأله الجميع كلاً بطريقته "من؟" ليجيب مُبتسماً "حسناً المُمثلة" نهضت دهب تستعد للرحيل لتسأله "هل ستقدرُ أم نتركها لصهيوب؟" ضحك يودعها "لعبتي المفضلة" نهض

الثلاث رجال ليدفع أحدهم وشهاب داود للذهاب إلى بيته يطمئن على من به ويغير ملابسه وقد قرروا تغيير بعض الجو عوضاً عن حالي المكتتبة وقد بدا مظهراً كرجال الكهف، هائم على وجهه لا يعلم أهي مُذنبة أم استغلت ثقتي التي وُنئت في مهدها مُعادلة صعبة فما أن شعر ببراءتها يُفاجأ بإدانتها مجدداً، أهي امرأة نادرة أم فتاة ليل ونصابة محترفة؟ لينه قادر على تجديد الكُره لها، وكأنها زمزم مكية كلما أفرغ بئرها فاضت بماء أصفي من ذي قبل، لا بئرها يجف ولا قلبها يبرأ من العطش!

* * *

صافحته بكفها الملفوفة بالضماد عينها العسلية ترمُّقه بترقب حتى هتفت تدعوه لصحن البيت مُجبرة "مرحباً سيد قاسم" قبَّل كفها ببطيء أثار حفيظتها وتبسم قائلاً "سلامة كفاك! ماذا حدث؟" طالعته بدھشة من أسلوبه اللزج وجرأته لتهتف بصلابة "ضربت أحدهم" قهقهة وقد جلس بثقة وعينه تتقدّم البيت قائلاً "أحرقي ملا يُعجبك ولكن مهل على سلامتك" تلبت من طريقته الفجة بالرد لكنها سارعت تهتف بشر "كيف تتهمني بأنني ساومناك؟" أكلتها عيناه ترسم جسدها ببنطال جينز قصير نسبياً وبلوزتها الرمادية الفضفاضة، لتنجول نظراته بجرأة فوقها قائلاً "قهوتى سادة إذا سمحتى" استنشاطت من بروده اللاذع لتجلس بتعالي وتلهف بتحدي "لا يشرب قهوتي عدوى!" اعتدلت وذراعيَّها تستند لفخذيها بجلستها الرجالية المُعتادة وتهفت تُنذره "ماذا تزيد قاسم؟" أفتتن بقوتها يُشاهد ثغرها ينفح تلك الخُصلة عن وجهها وهي تُشعّل سيجارتها ليهتف بصوت رخيم "جئت لأجل هذا المنزل وليس من أجل ما فعلتى"

"أي منزل؟ تتهمني بتهديك بالفالاشة وأنا لا أعرفك ثم تقول منزل!" قهقهه يُشعل سيجاره الفاخر ويسأل "من أين عرفتني أمر الفلاح؟" سحبت نفس من سيجارتها وهتفت بثقة "المتر داود، جاء منزلي واتهمني" رفع حاجياً وسأل بلؤم "داود؟ إذن تعرفيه؟" صاحت وهمت واقفة "أسمع يا قاسم الغم لا تستهن بربيبة سجون لست من مُحبي المُراوغة" تطلع شراستها وشيءٌ فشيءٌ يأسره لُكمل تحت

نظراته المُعجية "داود الرزفت ليس سوى محامي سلموني أرثي من عمي يوسف المصري وبالمناسبة ورثت ذلك البيت عنه" مال يُلقي رماد السيجار بالمنفحة مُتعتمداً حين وجدها تُطفئ سيجارتها تحتك كفه بأطرافِ أصابعها المجرورة، سحبت كفها متوجسة ليهتف وابتسامة واسعة تعنتي وجهه "لما الغضب؟ أنا صاحب المُجمع السكني لابد التأكد كونك مالكة لا مؤجرة" رمقته بقرف لفبح نظراته وهتفت باشمئزاز "ها تأكدي، وعن داود المغورو فسحقاً له ولك!" أخرجوا من حياتي وإلا حرقتكم معًا" أستفرزها بالرد ذاتياً في غضبها الطاغي "ومساومنك لي يا سلمى المصري! كيف أتخطاها؟" صرخت بوجهه وقد فاض بها الكيل "ملعون أباك أنتَ ومحامي النحس! أذهبوا وابحثوا عن المرأة التي تتلاعب بكم ليست سلمى المصري من تغدر بأحد" أشارت للباب وهتفت بتحدي نظراتها كالرصاص إليه "إلى الخارج" قهقهه وقلبه يخُرّ لها وهتف يسمع دقات هاتفه "شرسة أنتِ ومتهورة" همت بسبه لكنها توافت وهو يرفع الهاتف يستمع للقائلة "لا تنسى أتفاقنا، حضر المال حتى أحدد مكان لقائنا" نظر للهاتف بعدما أغلقت يتطلع إليها بصدمة، زحفت عيناه صوب هاتفها الساكن فوق الطاولة ربما لديها من يُساعدها؟ وبدورها قرأت اضطرابه لتعتقد أن مصدره قوتها لهتف من جديد تشير نحو الباب بجسارة "لست شرسة بل مجنونة يائسة من العالم، هيأ آخر قبل أن يمسسك جنوني" نهض يهتف بعين الإعجاب "أنتِ امرأة يصادفها المحظوظ مرة بحياته سلمى وأنا ذلك المحظوظ لذا سألتقي مجدداً ولكن" قاطعته تهتف بثقة رغم الخوف الذي كبلها "لا تتجاوز الحديث معى، ولن نتقابل قاسم" توجه يفتح الباب ثم التف إليها قائلاً "جاهرة! ليس قاسم الوكيل من يُدير للحظ ظهره سلمى" ترك الباب راجعاً إليها يهمس بصوت ثخين "عربون محبتى لك رفع هامتك أمام العالم، من مثلك لا تخون ولا تغدر حبيبتي" خرج تاركها لصدمتها القائلة ليركب سيارته أمراً السائق بالانطلاق وخلفه داود يصرخ "السافلة! تستقبله بيبيتها وتحداني"

جلست جوار رباب تسأل بجنون "هل سمعتم ما قال؟ تعهد ببراءتي؟ أزرني من لا يعرفني؟" تلعلت رباب لسعها تحرك شفاهها وتنظر ساعتها هامسة "متى؟" انتبهت كلاماً منها إلى سلمى التي نهضت تسحب مفتاح سيارتها لخروج من المنزل صامتة، نهضت رباب وعيتها على من ذهب قائلة "لابد

أن نتحرك سُها، صباحاً نبدأ خطُّنا!" توسيع عين سها وهفت برب عب قائلة
"رَبَاب! الرَّجُل نعْنَاه بِحُبِّي! يا وَيلِي"

* * *

حل المساء لتبدأ جولاتهم عبر الميديا وقد أعلنت نهى عن صلة القرابة التي تجمعها مع قطة مما أشعل البث وجميع التعليقات تمجّد علاقة زوجة الابن وحماتها وبدورها دفعتهم نهى بمهارة للثناء على قطة التي بدأت في ذكر محاسنها تقارن بينها وبين سلمى طليقة ابنها، لتبدأ من جديد جولة على سيرتها وقطة تعرض بعض الصور المركبة لها مع المحامي داود وتذكر ما حدث بالحارة وما فعله من أجلها، هتفت تدعى الغرابة "الرَّجُل مغرم بها! يا بخت من تجد لها حبيباً يُدلّلها كما يفعل، حُظُوظاً أنظروا نظرة عيناه لها!" صخباً عارم أجتاح الواقع اللا اجتماعية وعوض عن سبها والخوض في سيرتها أنقلب الموقف للرومانسية الكل يتزمنم بعشقاً داود الرازي لسلمى المصري! اكتفت حسناء بالاستماع وعدم المشاركة بتلك المهزلة عقلها ساخت يفرض الأسئلة، سألتها قطة بأسلوبها الشعبي ما بها لتدعى أنها مريضة! لم يكن بها شيء ولكنها فضلت المراقبة فمنذ أن لمحت تغيير نهى ودبأة طبعها ساورها الشك فيما تفعل لذلك قررت الصمت فمن تملك القدرة على الغدر لا تؤمن، كتبت على حسابه الخاص "مرحباً حمو أريد التحدث معك" انتبهت لهاتف قطة التي غشى الدخان وجهها "كانت مجرد ممرضة ترتاد البيوت بالسر، الآن تفتح منزلها لرجال المجتمع المحملي" خرجت من البيت تدخل حسابه الشخصي تكتب له "أريد مقابلتك في أقرب فرصة، الموضوع في غاية الأهمية"

* * *

حل الليل والجميع يسعى مسعاه قاسم مُتيم بها للحد الذي جعله يأمر نهي وزوجها بزيادة الوثير حتى يضغط أعصابها ويكون بالحظة الأخيرة ملادها فتجبر على الثقة به!

قطة التي تترمغ بفراشها نصفها سعيد بما حققته من تألق وشهرة ونصفها الآخر خائف من ظهور حمو وما سيعقبه!

أما نهي وعبد زوجها صارا أشهر من نار على عَلَم وقد بدأ بثهم يتطرق لمناطق مُحرمة أولها الألفاظ النابية وإيحاءات جنسية مصحوبة بالتصرفات المُسيئة وكأنهم رفعوا حجاب السر بكل الرضا وصولاً إلى الترحيب بالمخنثين أصحاب التحولات الشاذة شكلاً ووصفاً غافلين عمّا يحرضون له،

أما دهب فقد وانتها الفكرة لتبليغ صهيب بالاستعداد والتحضير لحفل كبير سوف تدعوه إليه كبار البلد،

شهاب الذي جلس مُفكراً كيف يبدأ التعارف مع حسناء الممثلة حتى فوجئ بها ثڑاسلة،

وأدhem الذي بدأ في التنسيق مع رجال الأموال العامة لوضع الخطة التي ستوقع قاسم وتكشف وجهه الآخر،

أما هي؟ فقد قررت المواجهة! علّها تثبت براءتها، لن تعتمد على ذلك الرجل الذي زار بيتها رغم النقاوة الملمسة في حديثة وهبته، بالأخير هو عدو داود وتخشى أن تكون هي القشة التي قسمت ظهره، ابتعات ما سوف تحتاجه بالأيام القادمة كي تُجاهبه من خلفه ما يفعلون، تعلم أن خطوطها القادمة شائكة تتغل في وادي الأفاعي دون ترياق يُجاهبه سُمّهم، ما بقي لها شيء يُردعها عما تريد فعله، رغم ابتعادها فرض عليها العبور وتحمل السُّم فلا بد أن تستعد لنصب الفخاخ لهم! تناولت هاتفها الذي يرنّ بإلحاح لتجد سُها القلقة لتأخبرها أنها بالطريق لهم غافلة عن ذلك الذي يتبعها مُنذ أن تحركت من بيتها!

هو الآخر بات بمعركة مع المارد داخله، يوماً بعد يوم يتتأكد أنه مُتيم بها لكنه يعي أن ذلك الحُب مبتور الطرف، فمن ذا الذي يقدر على معاشرة امرأة

خائنة! أغلق عينه ليفتحها على صورتها حينما جلست جواره تتندر على بائع العصير بالحارة، شهية، عينها بها شقاوة أسرته، امتد به الخيال ليتوغل بمنطقة ملغمة لمحاجرتها وأرتشف السعادة من بين بسماتها ليراهما تشاركةً بيته صغيراً يقف بمفرده بقلب جزيرة ملكاً لهم هي تتدلل وتمايل على أنغام الموسيقى التي تعشقها تُحضر له طعامها الشهي وتعامل بطبيعتها المُبهرة، امتدت كفُّ شهاب المُجاوِر لـه يُعلى صوت المذياع ويأجج مارده العاصي، يورد على خاطري.... كل اللي بینا أنتقال ويعيش معاك فكري مهما غيابك طال ... كله في حبك يهون.... واحشني وأنت قصاد عيني.... وشاغلني وأنت بعيد، بعيد عنِّي،

أفاق من تلك الحالة العصبية على سيارتها توقف أمام منزلها ليهُرُع إليها والاشتياق يسبقه، لكن أدهم حذره "كفي داود! أتركها بحالها" أوقفه شهاب قائلاً بعدها تأكيد من ابعاده "دعه! ودع العتاب يأخذ مراجاه أدهم" نفقده أدهم بعين متwsعة يسألة "أشعر وكأن موقفك تغير؟" هزَّ رأسه نافياً وقال "بلا ما زلت على موقفِي لأنه متزوج ولكن لا ترى حالي" سحب نفساً ثم ظفره بقوه وأكملاً "داود مُتيم بها! اعترافه دون إرادته جعلني أشفقُ عليه، داود يتذنب وشعوره بالذنب تجاه زوجته يذبحه قدفع الأيام تضعة مع سلمى وجهها لوجه كما ستضعي مع ذرية" أراح أدهم جسده لمقد السيارة وهتف "حيّرتك! أنت موافق أم رافض؟" أجاب مُنتهداً "هناك أشياء ليست بإرادتنا أو لها الحياة وأوسطها الحُب وأخرها الموت يا صاحبي" حفهم الصمت والاثنان يتطلعان له وهو يهتف عليها "سلمي"

توقفت خطواتها وقد وعث لصوته لتجمعض عينها تهتف بغل "أرحل داود ولا تُرِيني وجهك" قطع الخطوات الباقيه وكفه يُدبرها ليهتف بغضب وعينه تتفقدها بلهفة "لن أرحل" صدم من هيئتها الذابلة وعينها المختومة بختم الحُزن ليهتف بكبر والغيرة تقتله "لما جاء ذلك الكلب هنا" تفرق نظراتهما بين كفه التي تضغط ذراعها بلطف وعيناه السوداويين لتهتف وكفه تتعملق بالضغط "أذهب وأسألة بنفسِك يا متر"

"أنطقي سلمى! هل تتحديني لدرجة أنك تستضيفينه بيبي؟" أزاحت كفه بفشل لسحب ذراعها لكن وهن جسدها عاندها لتهمس بضعف وعين خاملة "يكفي داود؟ أنا لا أتحدى أحد، فقط أتركوني جمِيعاً فأننا لا أريده شيء من أحد" تطلع هيئتها الذابلة بقلق وسائل "ما به كف؟" لاحظ انتفاضة جسدها الطفيفة التي انتابتها وارتلاش كفها بين كفه ليقدم وكفه يجس جبئتها وهامساً "حرارتكم مُرتفعة" دفعته بوهن توجه لباب منزلها متربحة "أرحل ولا تعود ثانيةً، انتهينا داود" تطلع لمسيتها الغير مُترنة لِيتبع التقدم خلفها قلبه يتلاع عليها ويُحرق من كلماتها، دست المفتاح بالعقل لتتوقف تسد برأيها إليه تدق دقات خافقه وتهمس "أفتحوا" سقط المفتاح كما سقطت الحقائب الأخرى لتضغط صدرها بقوة وتهمس وجسدها يهوى "عامر، عمر" قطع الخطوات بوحدة يتلقفها صارخاً "سلمى، ماذا بك؟"

* * *

بدأت صلاة الفجر والجميع أمام المولى كلاً يبتهل ويدعو الله جواب طلبه بعقل فطن ولسان فصيح مُلح وقلوب وجده من قدرة الله رغم السواد والحدق، تمشي بالحارة الهدائة وقد ألبسها الليل ستائر السكون حاجبً عنَّا الصخب لبعض الوقت، تفقد عينيه البيوت والطرقات التي ترعرع بها وكل رُكن يفرضُ عليه ذكرى ليتوقف تحت سُرفتها وعلى وجهه ابتسامة نكرا تحرك مُستراً بالليل وقد شعر بأحدهم ليهمس راحلاً "عدنا والعود أح مد"

* * *

صاحب عامر بعناد وغضب وهو يقف أمامهم يحتضن أخيه "أرحلوا لا نريد منكم أحد" تقدم إليه أحدهم مُتقهماً موقفه يهمس له "لا تخاف ستكون بخير" أمتنع عن الرد وعينه تُعاتبه ليصرخ بهم عمر "أنتم السبب، أنا أكر هكم يا أبناء الكلب" تقدمت سُوها إليه تُحاول تهدئته "أهدا حبيبي" تقدم إليها في مواجهة تحدث لأول مرة بينهم "ماذا خالتي أليست من تركني أبنائهما، اليوم أصبحت تخافين عليها" دفعها وعينه تتفقد الجميع أمامه وأكمل " وأنتم؟ ها هي تموت، ستترك لكم الدنيا يا أبناء الكلاب، ارتحوا أمي لا تحتاج لأحد" هم يُكمل السباب لكن كف عامر سدت فمه ليهمس "احترم نفسك عمر" نفض كفه وخرج من تحت ذراعه يصيح

دون لباقة ليُظهر طابعه الشعبي " وهل أحترمها أحد؟ ظننت أنها وحيدة بغير رجال خلفها" صرخ وقد أستبد به الخوفُ عليها " عامر؟ أشهر مطواتك في وجوههم أخي أم نسيت الرجولة تحت وطأة الرفاهية؟" تقدم شهاب يضع كفه على رأسه برحمة ولكن قبل أن يتقوه بكلمة نفضها عمر صائحاً "كفا زيف لن يضحك أحدكم على بتلك الحركات الخائبة، ماتت طفولتنا وقتلت الهم فلن نسمح لكلاً متكلم نهش لحمها" تقدم داود يقف أمامه بتحدي، الجميع متأهب ردة فعله الغاشمة ليسحب عمر بقوة أرعندهم يُخبأ بأحضانه رغم مقاومته وزراعة الحر ضم عامر إلى صدره هاماً وكأن صوته يبكي "أنا أسف عمر سامحني عامر الأمر ليس بيدي" أحتفظ عامر بوجهه الغاضب ولكن فضحة كفه التي تمسكت بقميص داود من الخلف بقوة أما عمر فظل يلهمه في بطنه يبكي حروفاً "ماذا حدث؟ لماذا أتهمتها أنت ايضاً؟ ظننت فيك العوض ولكنك بن كلب مثلهم" تبسم إثر السُّبة الذي نالها موقناً بأنه أخطأ في حق الصبيين بقوة، كان لا بد من احتوائهم بالأخير هم ضحية الجميع بلا ذنب، طال مكوث الطبيب لديها والكل لا يعلم ما بها وداود يجلس أمام غرفتها وجواره أبنائها، شرح لهم سبب الشجار كاملاً ولم يُخفي شيء لينهض والطبيب يخرج من عندها وكفُ عمر تتمسّك بكفه وخلفه الجميع متأهب تاركين عامر الذي شرد! شهقت رباب والطبيب يهتف "الأسف ذبحة صدرية" لطم سُها وجهها تنخرط بالبكاء الدامي، وتقدم هو للطبيب بقلب خائف وصوتٍ مفقود يسأل "ذبحة صدرية؟" أبتسم الطبيب بهدوء وسأل "أين زوجها؟" لم يلقى رد ليهتف مستغرباً "حسناً من المسؤول عنها أو يُلزِمُها صاح به بغير صبر "تكلم! كيف هي؟" أرتفع حاجبي الطبيب حتى عاجله صارخاً "تكلم ولا تتطلع بنا هكذا" رفع الطبيب كفيه مُستسلماً وقال برزانة "الأمر نفسي من الدرجة الأولى يبدو أن هناك ما يضغط أعصابها" ترك الطبيب الجميع في حالة سكون فاترة بعدما منع الزيارة عنها خشية انفعالها أو إثارة أعصابها فشدة الضغط النفسي كادت تُضيق شرايين القلب مما أسرعها بالوهن وبالمُبرح في صدرها، نهض داود كالأسد المفترس يقتحمُ غرفتها ضارب تعليماتِ الطبيب بعرض الحائط واعتراض الجميع له، ومن المقدود المجاور لفراش مرضها مدد سباته المُترددة لكيفها في محاولة للمسها، تراجع والذب يقتله فكيف سمح للمرض أن يسكن جسدها؟ كانت رغم ما تمر به صامدة

ليأتي هو ويُكمل عليها بشكه وأسلوبه المتعجرف تطلع ذبول ملامحها ورقتها التي سحبت من وجهها الحياة ليميل جسده مستندًا لساقيه هامساً "أه يا سلمى ماذا فعلت؟ أغلقت باب هنائي بكمال إرادتي فمن أين جئت بمفتاح الحياة والأمل؟"

* * *

الحادية عشر صباح يوم جديد

تحرك قاسم من خلف مكتبه يصرخ برجاله كيف لم يخبروه أحدا بمرضها؟ وداود؟ لما يلتصق بها؟ ما الذي يدفع محامي يكرهها للمكوث معها كل هذا الوقت؟، دفعهم إلى الخارج وعقله حائر هل يذهب إليها أم يكتفي بالورود فقط، رفع هاتفه يأمر سكريتيره بإرسال باقة ورد أحمر وأغلق الهاتف مُقرراً زيارتها، أنتبه لأحد رجاله يدخل خائفاً ليخبره بأن دهب ظهرت والآن بطريقها لزيارة السيدة سلمى المصري! تأهبت حواسه وبدأ الرابط بين دهب وداود وسلامى كيف اجتمعوا معاً؟ لابد أن يحضر تلك المقابلة حتى يعلم ما طبيعة العلاقة بينهم، فإذا كان داود محامي عمها فما يربط دهب بها؟!

* * *

أنار هاتفه بر رسالة صامتة، سحبته سُها من الشاحن جوارها لتلمح اسم حسناً وقد كتبت له "دعنا نلتقي اليوم سأكون بانتظار ربك" تناوله مستغرب تدقيقها يسأل "هل هذا هاتفي؟" هزت رأسها بنعم "حسناً أرسلت لك" قالتها تُدقق النظر إليه ليلتقطه ويختفي مُسرعاً، همست رباب وعينها تلتقط الموقف برمته "كفي عن المُكابرة" هزّت رأسها رافضة ونهضت تهتف بحزن "دعينا نطمئن عليها وعلى ذلك المعتوه النائم بغرفتها" تبعتها رباب تستقبل دهب التي هتفت مُعاتبة "أين هي؟"

وبالداخل تململت تفتح عينها لتعي موقعها، فُزعت وهي تجده يتطلع إليها لُغمض عينها وتهمس بسقم "حتى بالأخرة تتبعني أذهب لحال سبilk واتركني" جري إبهامه على حاجبه وهمس يتقدّها "لن تخلصي مني!" دفعت دهب بباب الغرفة تهتف بقوة شخصيتها "هل استسلمت؟ لم يكن هذا ظني بك!" اعتدلت تستند لكتفه التي دعمتها بثقلائية تهتف بوهن "دعني الظن وشأنه يا

ذهب هانم، لما أتتني؟، يمكناك الرحيل وخذلي هذا المغدور بيديك" هتفت دهب تجلسُ وقد دفعت داود النزق عنها "سمعتُ عن زيارة قاسم لك" أحتدت نظراتها فأجابت بتهكم "ماذا فيها، كنا نتفق علانية فما الداعي للتخفى" غمزت دهب بإعجاب تعى ارتداد عقلها لتكمل ونظراتها مصوبة فوق داود "على عيناك يا تاجر والشاطر من يفوز بالجولة" لحقتها بالقول المستقر لها ولم "على رسلك دهب، قاسم تعهد بدعمني، أقسم على إبراء ذمتي وإعلاء براءتي أمام الجميع" صاح غاضباً والغيرة تتملكه "تعترفين! ها؟" صاحت غير عابئة باللم صدرها "أنتَ آخر من يتكلم! أغرب عن وجهي يا بارد" تفرقت نظراتها بينها وبين دهب ليصبح بتهور "اعترفي! كيف تعهد لك دون سابق معرفة؟ لا تدفعيني للجنون سلمى" طالعته بتحدي قائلة "تبأ لك ولجنونك وظنك، الحيطُ أمامك أضرب بها رأسك عليك تهأ" صرخ وقد استقرّتْ بقوّة "لما جاء الحمار بيتك" قطع شجارهم دخول قاسم إليهم يهتف ببروده اللاذع "ألفُ لا بأس عليك سلمى" أوعِّج فمها بابتسامة تهم و هتفت بعصبية "اكتملت"

وبحديقة المشفى الجانبي سحب شهاب حسناه جانباً يُنبئها لوجود قاسم فهتفت خائفة "حين يرحل أبلغني لابد أن التقى بها شهاب هناك ما يُحاك في الخفاء لها" رحلت مسرعة وقد اصطدمت بإحداهن مُعذرة لتهتف إليه مُترسبة "هل تلك حبيبتك؟" عضت داخل فمها على تهورها وهمت بالرحيل والخجل حلّيفها ليهتف "سُها، انتظري، يا بنت!"

رحبّت دهب بقاسم ثُرَفه على سلمى وتشرح طبيعة العلاقة بينهم وهي تُثني عليها وتنعمُّتها بابنتها ليهدا بالله مؤقتاً وقد وعي على أصل معرفتهم ليسأل بخبث عليه يرتاح "حقاً وكلتي محامي غير داود يا دهب؟" هتفت بقوّة دون خجل "أجل، وشرحتُ موقفي له وتقهم" غام وجهه بالاستفهام حتى أردفت "ظننت لطول فترة مكوثي بالسجن أنه باع قضيتي لأحد أعدائي يا قاسم" بلع ريقه وقد لاح عليه الإضطراب لتكمل "لكني كنت مخطئة؟" رفع وجهه إليها مفزوغاً من صراحتها المطلقة وقد أربكت حساباته ليسأل "عذرًا، ولكن كيف تأكّدت من حُسن نوايَّاه يا دهب؟" تبسمت كما تبسم والخُبُث بينهما حائز لترفع ساقٍ فوق الأخرى بوجهه قائلة "سببان لا ثالث لهما، الأول حادثة إطلاق النار

عليه! فليس ذلك الألعاب القذر مني، الثاني" تطلعت صوب داود الذي تقفاً بما تفعل لتهتفَ بعد اعتذار مُنمق له "جندتُ أحد مُحاميه حتى أتأكد من موقفه" خرس الجميع تحت وقع كلامها، ثعلبة والمكر مبدأها هدمت كل ما بنوه من خطط بلحظة لتهتف بوجه الجميع كش ملك، هتف قاسم مرتبكاً وقد تخلي عنه الحذر "كان ذي سابق معرفة بوكيل النيابة أليس ذلك مُفاق؟" قهقهت وقد أوقعته في شركها، فمجرد سؤاله اعتراف بما خطط له، قالت تشير علي أدهم الصامت من وقع الصدمة "أُعرفك! أدهم باشا صديق سلمى، جمعتهم الصدقة حين كان يُحقق في قضية تخص أبنائهما يا قاسم وطبيعي أن يتعاونوا كمحامي ووكيل نيابة!" أنزلت قدمها براحة ومالت تسأله "لكن قل لي أنت؟" أراحت ظهرها للمقعد بكسل تلعب بأعصابه باحترافية ومهارة لتسأل بابتسامة لئيمة "تنقنها "أراك مُلم بقضتي؟ فهل هذا من باب الصدقة أم لك مثارب أخرى؟"" تعرّق جبينه وكومة من السباب حُشرت بحلقه، بنت الأبالسة دفعته للقدوم لها بقدمه لتصفع حبل المشنقة بين يده، مواجهة لم تخطر بباله ولا حسب حسابها، هتفت تسأل بيرود عظم توتره "من أين لك بمعرفة سلمى قاسم بيتك؟" تبسم باضطراب يُفتش عن جواب سوالها، إذا ذكر أمر التهديد فهو يعترف باتفاقه مع داود واغتياله! صرخ داخله بقوّة "بنت الأبالسة!" سعل قائلاً بما طرأ على عقله يستوعب مراقبتها له "كنت بزيارتها أمس كي أعلم هل هي مالكة البيت أم مؤجرة" تتحنح ينوي شرح الموقف لترفع حاجبها المنمق تسأل "بنفسك؟!" نهض بوجهاً أحمر كاد أن ينفجر من الغيظ ليُقدم باقة الزهور للمريضة ويستاذن يسب دهب وكل نسلها! أغلقَ الباب عليهم وأختفي، رمقت سلمى بترفع تهتف بغرور يليق بها "تعلمي! الدنيا لن ترحم ضعفك ولن تعرف بطيب قلبك!" تطلّعت الي باقة الورد الحمراء وهتفت فاصلة "زوجة بالورود جميل، قاسم يُجيد التعبير حين يتخلّى عن الحذر" أبتسם داود لها بإشراق وهز رأسه موافقها ليحمل الباقة الحمراء مُلقيها من الشباك "التعبير ها؟ التعبير! ها نحن نُعبر!"

وبمصدَّ المشفى دارى ابتسامته يسألها بهمس "لما تسألي عنها سُها؟" تلبت واحمرت وجنتيها ليسأل من مُجددًا "لحتى بي أُم مُصادفة؟" تطلعت لعينه اللامعة وودت لو تنسق الأرض وتبتلعها، يا لا رباب ونصائحها المورطة،

أغمضت عينها تستشعر عاطفة هزّتها فهمست بخجل "الباب فتح" هرولت
تجمع شباتها ليخرج خلفها يمسح مؤخرة رأسه مُبتسماً، استوقفته رباب بغمزة
ضاحكة فقال مُضيق عينه "لسـتِ بـقـاـلـةـ يا ذات البـسـمـاتـ" قـهـقـهـتـ تـحـاـوـلـ الـلـحـاـقـ
بـخـطـوـاتـهـ وـهـمـسـتـ "يـتـمـنـعـ وـهـنـ الرـاغـبـاتـ يا مـتـرـ" أـشـارـتـ بـعـيـنـهاـ نـحـوـهـاـ
وـهـمـسـتـ "أـطـرـقـ الـحـدـيدـ سـاخـنـ وـلـاـ تـدـعـ حـلـوـ اللـحـظـةـ يـهـدرـ مـنـكـ"

* * * *

صـاحـ شـحـاتـهـ بـخـوـفـ يـجـلـسـ بـيـنـ الشـبـابـ "صـدـقـونـيـ رـأـيـتـ شـبـحـ قـبـلـ صـلـاـةـ
الـفـجـرـ؟ـ هـرـوـلـتـ لـلـحـاـقـ بـالـإـقـامـةـ فـظـهـرـ الشـبـحـ يـتـفـقـدـ الـبـيـوـتـ بـيـتـاـ بـيـتـاـ!ـ ضـحـكـ
الـشـبـابـ لـيـهـقـفـ أـحـدـهـمـ يـرـفـعـ الـهـاـفـتـ أـمـامـهـمـ "هـلـ سـنـظـلـ صـامـتـنـىـ عـلـىـ تـلـكـ
الـمـهـزـلـةـ؟ـ وـبـنـتـ حـارـتـنـاـ تـفـضـحـ؟ـ"ـ صـاحـ شـحـاتـهـ يـرـمـقـ السـبـاـكـ خـلـسـةـ وـهـتـفـ
وـهـلـ نـحـنـ السـبـبـ؟ـ أـبـاـهـاـ لـاـ يـقـدـرـ عـلـيـهـاـ فـمـاـ عـسـانـاـ نـفـعـ مـعـهـاـ؟ـ"ـ التـفـتـ عـلـىـ
الـسـبـاـكـ يـصـبـحـ بـوـجـهـ وـالـقـهـرـ وـالـمـذـلـةـ تـقـتـلـهـ "لـيـسـ بـنـتـيـ،ـ وـهـاـ أـنـأـشـهـدـ الـحـارـةـ
بـأـكـمـلـهـاـ،ـ عـلـىـ السـبـاـكـ بـرـاءـ منـ نـسـلـهـاـ وـسـوـفـ أـخـذـ عـزـائـهـاـ بـيـديـ"ـ هـبـ وـاقـفـاـ
مـقـهـورـاـ بـمـاـ تـفـعـلـ لـيـتـوـجـهـ لـبـيـتـهـ مـبـاشـرـةـ يـتـبـعـهـ الـمـعـلـمـ مـتـوـلـيـ وـشـحـاتـهـ فـيـبـدـوـ أـنـ
الـرـجـلـ وـصـلـ إـلـيـ نـهـاـيـةـهـ،ـ نـهـضـ الـجـالـسـ بـأـخـرـ الـمـقـهـىـ يـخـرـجـ مـنـ بـيـنـهـمـ دـوـنـ
مـلـاحـظـتـهـ يـهـمـسـ بـصـوـتـ خـافـٍـ لـمـ يـلـقـتـهـ أـحـدـ "أـخـيرـاـ تـحـرـكـ مـرـاجـلـكـ يـاـ رـجـلـ
يـاـ طـيـبـ!"ـ

دـفـعـهـاـ مـاـ إـنـ فـتـحـ بـابـهـ يـصـرـخـ بـوـجـهـ لـمـ تـرـاهـ مـنـ قـبـلـ "إـمـاـ أـنـ تـُـقـفـيـ الشـذـوذـ
الـذـيـ نـمـىـ بـكـ أـوـ تـنـسـيـ أـنـ لـكـ أـبـ يـاـ نـهـيـ"ـ طـالـعـهـ بـقـرـفـ تـصـيـحـ بـهـ "مـالـكـ أـنـتـ،ـ
أـنـاـ بـعـصـمـةـ رـجـلـ مـسـؤـولـ عـنـيـ"ـ تـقـدـمـ إـلـيـهـاـ يـصـرـخـ مـجـداـ "جـاـوـبـيـ نـهـيـ!ـ هـلـ
لـكـ يـدـ فـيـمـاـ حـدـثـ لـسـلـمـيـ سـابـقاـ؟ـ"ـ صـاحـتـ بـوـجـهـهـ "هـلـ جـنـتـ؟ـ هـلـ شـمـلـكـ الـكـبـرـ؟ـ
تـتـهـمـنـيـ بـتـنـاكـ الـرـازـيـةـ!ـ أـفـقـ أـنـاـ اـبـنـتـكـ"ـ اـهـتـرـتـ سـاقـيـ عـلـيـ وـأـرـجـ كـيـانـهـ،ـ وـالـعـمـرـ
يـعـادـ أـمـامـهـ،ـ أـهـدـهـ مـنـ أـلـبـسـهـاـ ثـوـبـ العـيـدـ بـكـفـوـفـ الشـقـيـ؟ـ!ـ تـفـرـحـ وـتـتـبـاهـيـ بـيـنـ
أـطـفـالـ الـحـارـةـ؟ـ هـلـ تـعـيـ لـمـ تـصـرـخـ؟ـ مـسـتـحـيلـ تـقـصـدـ!ـ،ـ بـلـ شـفـقـيـهـ الـيـابـسـةـ
وـهـتـفـ يـلـهـجـ أـنـفـاسـهـ بـوـجـهـاـ مـصـفـرـ "تـأـدـبـيـ!ـ أـنـاـ وـالـدـكـ يـاـ نـوـنـوـ"ـ تـقـدـمـتـهـ تـحـتـ
أـنـظـارـ مـتـوـلـيـ الـذـاهـلـةـ وـهـمـهـاتـ شـحـاتـهـ الـذـيـ أـشـفـقـ عـلـىـ الـرـجـلـ لـنـهـتـ بـغـلـ
"أـبـنـتـكـ؟ـ أـبـنـتـكـ مـنـ أـلـصـقـتـ بـهـاـ مـهـنـتـكـ الـمـفـرـفـةـ!ـ نـهـيـ بـنـتـ سـبـاـكـ الـحـارـةـ!ـ أـلـاـ

تستحي مما فعلته بي ويسمعتي" صرخ شحاته بها وقد حرق دمه "هو من رباك يا قليلة الحياة، تستعرين من مهنته؟ ستقلين الرجل بحمافتك؟" سبته بقداره لتعود للميت أمامها تصرُّخ "تعييرني وتتهمني بشرفى؟!" رفعت حاجباً وتقدمت أمامه تهدر "علي يا سباك الحارة! معايرة بمعايرة! أنت لست الأب الذي رجوت طوال حياتي" تمسكت بأطراف أصبعها كُم جلابة وصرخت بوجهه "لا تُحاسبني! أذهب لتلك الساقطة وأتخاذها أبنية ما دُمت تدافع عنها" همس وعينه بعينها "نهى" أخرج من جيبه قطعة نوجا يمدداها لها "بالبندق كما تُحبينها" دمعت عينه وأرتد واقعاً وهي تضرب ما بيده ليلحقة متولي وشحاته الذي صرخ "حسب الله ونعم الوكيل فيك وفي زوجك الهمال" طالع على قطعه الحلوى المُهدرة وأستند بجسد خائر إلى متولي يهتف بوهن "عليك غضب الله يا نهى" تقدمت تصرخ بوجهه "أتدعوا على! طالعها كارها ولسانه يهمس "فضح الله عرضك كما فضحتي سلمي، فضح الله عرضك وأسكنك سجن الحياة أمد الدهر" خرج للحارة يسند إلى شحاته ومتولي يتطلع لأهلها هائفًّا بصوت الحسرة "أشهد الله ورسوله سلمي بريئة مما طُعنت به، أبنتي من دبرت وخطط" تحشر ج أنفاسه ونُقل جسده ليهتف بهم "ابحثوا عن حمو الحقيقة معه، سلمي بريئة أبنتي ظالمة" خر وسط الحارة وأنفاسه مُقطعةً ليصرخ شحاته باكيًّا "طبيب يا خلق، طبيب يا عالم، الرجل يُسلم الروح!"

خرج من الحارة مُتعجلًا وأتخذ قراره، إلى هنا وكفى لابد أن يُردد الحق لأصحابه ويوقف تلك الكلبة التي ستقتل أباها بجبروتها!

* * *

جلس إليها عامر وعمر لتسأل الأول "ماذا يحدث معك؟" مسح على وجهه بتعجب وهتف "فقط قلقت عليك" نظرت لعمر تستجوبه بصمت ليهتف وهو يتسطح جوارها "عقله مشتت منذ حكي عمى داود سبب شجاركم معاً" هتفت وعينها عليه "والله لست أنا يا عامر" نهض مُبتسماً وهتف "ليس لدي شك أمري" سألت وعينها تتبعه "إذن تكلم وارحمني" نطق بغضب "شاهدت ما نشر" تطلع إليها ثم أخفض عينه أرضاً يسأل بالدموع "هل أمر النسب الذي ذكر؟" صرخت بتعب "كذب، أقسم بالله كذب، أنتم أبناء عابد ومن صلبه" سحبت إبرة المحلول من وريدها بمهنية ونهضت تفتش عن ملابسها تهتف "سأذهب وأواجه الجميع ويحدث ما يحدث" صرخ عمر يرى دمائها تنزلق أرضاً "أمي، لا تذهبني، من أجل خاطري وخاطر عامر" صرخت بهم والجنون يتملكها "كفى جبن، بالأخير موتة واحدة وأنا قررت الموت بشرف" أمسكتها عامر يمنعها وقد ارتدت ملابسها ليهروه عمر خارجاً يصرخ "عمي داود، أمري؟" وتحت عيون الجميع بغرفتها صرخت بهم "لن يمنعني سوى الموت" تقدم داود إليها يُعاتب عامر بعينيه يهتف بأسلوبه المُتجهم رغم نظراته المُشفقة "لا داعي للدراما سلمي، أجريت تحليلاً للنسب، عمر وعامر أبناء عابد مائة بالمائة" همت تعترض ليخرج ورقة التحاليل من جيب معطفه، فقد أصر على الاحتفاظ بها منذ أبلغه شهاب بأمرها، رفعها صوب عينها يهتف "إقرائي جناب المُمرضة أولم تستطعيين القراءة؟ ها إقرائي" همس شهاب إلى أدهم الذي يقف جواره "هل نسب اجتهادي له؟" همس أدهم بدوره يواري ضحكته "لا عتاب على عاشق يا ولد" جلس فوق فراشها تناول التحليل لعامر وتهمس بضم ملتوبي "شكراً، ولكن لا تتدخل بحياتي ثانيةً" صدحَ من خارج الغرفة ندائها "سلمي؟" لثغمض عينها قائلةً ببأس "ذرية!"

* * *

صرخت هنية والطبيب يخبرها "البقاء والدوام لله" لطممت وجهها وشقت ملابسها تولول صارخة "يا قتيل ابنتك يا علي" هرولت نهي حافية القدمين بقلبي الحارة تسمع صرخات والدتها ولم تتبه لستر جسدها وقد ظهرت بشورت قصير وهي شيرت أظهر صدرها بسخاء، نهبت سلم بيتهن مجوعة الروح لتدخل وسط النساء بالصالحة تسأل "أين أبي" أصدرت النساء صوت أمعاض من شفاههم يشاهدون هيئتها لتحررك صوبها هنية تصرخ "قتلتي الرجل يا قاتلة" لطم وجهها تكمل بعويلٍ مُنغم "قلبي على ولدي أنظر وقلب نهي عليك يا علي حجر" شقت ملابسها والأخرى كما الصنم لتصرخ مُجددًا "يا شين ما ربيت يا علي، يا مغدور الصنٰي يا علي" صرخت بوجهها "كفى، كفى عما تفعلين!" حل الصمت على الجميع لتتقدم أمام الأريكة البلدي بركن الصالة تتوى كشف وجهه الذي غطا الطبيب لكن كف هنية منعتها لتدفعها صوب باب الشقة تصرخ "لا تُدنسي جسدَي بيدك، علي تبراً منكِ ونطق بالشهادة وهو يدعوا عليكِ نهي" أغمضت عينها تتنهد ثم هتفت بطبعها الشاذ قائلة "عمره انقضى! لا تضعها برقبتي" ضربت النساء صدورهن من قسوة قلبها لتنقلي صفعية أردوتها أرضًا من كف هنية الصارخة "أنا لست أمك يا جاجدة" مالت تسحبها من شعرها تُقيها خارج الشقة "ذنبه برقبتكِ وقبله ذنب سلمي التي خططت لخرابي بيتهما أنت وقطة" صرخت مرعوبة "آخرسي" تابعت هنية "آخرس؟ أذاقك الله الفضيحة يا بنت بطني، حد الله بيّني وبيّنك!"

* * * *

نظرت لها بتقحّص وهي تلوك المُكسرات بفم مُمتليء، مرّ يومان واليوم ثالثهم على زيارتها بالمشفى، استعادت بعض مما سبق لتكلقي ببعض ساعات خلال اليوم تزورها فكان أفضلهن وقت الغداء توفيراً لأهم وجبة، وإعادة لينا للمكوث بيبيتها فالطفلة مُنهارة نفسياً أثر ابتعاد والدها عنها، حيلة نفسية ضغطت بها على سلمى التي استسلمت لاستعمارها عاجزة عن الرفض بعد الإشاعات التي شملتها مع زوجها، لذا كتمت اعترافها، لا ينقصها ظن السوء وقد صار الأمر أسطورة حيث أخذ منعطف رومانسيًّا يتغنى به أهل الميديا، احتارت هل تفتح الموضوع معها أم تصمُّت وتُبقي على جمود وجهها! تلعلت ذرية للسيدة دهب التي لا تفارق سلمى، عقلها عجز عن استشاف ما بينهم وبين داودجالس بالحقيقة مع أدهم، هتفت والفضول يقتلها "ما أخبار قضيتك سيدة دهب؟" تبسمت دهب بتكلُّف قائلة "ألم تعلمي أنني تحصلت على البراءة ذرية؟ الصحف والميديا أذاعت الخبر" تبسمت تفتعل البراءة بمهارة قائلة "مبروك حبيبي وأعذرني فأنا لا أتابع الميديا مُطلقاً" حيثها دهب برأسها وتبسمت بصمت تتبدل النظارات مع سلمى غافلتين عن ابتسامة ذرية المنتصرة،

وبالخارج جلس يتلاظى غيظاً من حضورها الذي أشعره بالذنب وألزم موقفه أمام نفسه، سحبه أدهم جانباً يسألها "هل تتوقع أن زوجتاك ستقتل المشاكل معها؟" تغلغلت كفاه داخل شعره نزو لا برقته يهمس "لم تفاحبني بشيء حتى ظننت أنها لا تعرف" شمله الفلق وتنهد عاجزاً ليهمس بتعب "بما تشعر؟ هي زوجتاك وأنت أدرى بها" شرد يسترجع حالها، هل حقاً يعرفها؟ أم هي ضحيته دون أن يدري؟ أنها تستنزفه لدخلها لكن ما يقتله إحساسه بالدونية، عشر سنوات يحاول تغيير طبعها حتى يأس لينذهب ما أعتقد حب للجحيم وتبقى ذرية، تستنسخ من نفسها السوء لـ"غيره" عوضاً عنها حتى أصبح لها بنك يسد حاجتها، أرتفع حاجبيه يتقد المكان حوله ليهتف وقد ضاقت به الدنيا "عشر سنوات وبالنهاية حياة عنوانها لا شيء" تقدم عamer إليهم وحياتهم باضطراب واضح ليسألها "هل حدث شيء عامر؟" هز رأسه

بنعم وهمس وشهاب مُقبل عليهم "أسف" رمقه بخطر ليهمس قائلاً وعينه بعين داود "أسف! ولكن هناك امراً خطير لا بد أن تعرفه" تقدم داود بعد أن تبادل النظرات القلقة مع أحدهم وشهاب ليهتف مُشفق على الولد "لا تتأسف، تكلم ولا تخشى شيء" وبالدمع همس يناله هاتقاً بيده "هذا الهاتف الذي تم تهديد قاسم الوكيل منه، تفقد أولاً حتى أخبرك بالأمر كاملاً"

* * * *

أنتهي عزاء اليوم الثالث للعم على السباك وقد حزن عليه أهل الحارة حزناً شديداً أثر رحيله المفاجئ وما تلقاء من الجاحدة نهي مما جعل العم شحاته بيكي فراقه بحرقة صاح الحاج متولي على عمال الفراشة يستعجل لملمة صوان العزاء ليجلس جوار الباكى هاتقاً "وحـد الله يا شحاته، لم أعلم أنك تُحبـه هـكـذا" مـسـحـ شـحـاتهـ عـيـنهـ بـكـمـ جـلـبـاهـ وـهـمـسـ صـادـقاـ "الرـجـلـ ذـهـبـ بـشـرـبـةـ مـاءـ ياـ مـتـوليـ!ـ وـصـدـقاـ لـمـ أـكـنـ أـعـلـمـ أـنـهـ غالـيـ عـلـىـ قـلـبـيـ هـكـذاـ"ـ أـنـهـيـ كـلـمـاتـهـ وـغـصـةـ الـبـكـاءـ تـخـنـقـهـ لـيـلـمـحـ الـمـعـلـمـةـ قـطـةـ تـجـلـسـ بـصـدـرـ صـوـانـ خـصـصـ لـنـسـاءـ تـهـنـفـ بـقـوـةـ "ـوـلـدـ يـاـ فـتـلـةـ أـحـضـرـ النـرـجـيلـةـ"ـ تـطـلـعـ شـحـاتهـ إـلـىـ مـتـوليـ بـغـضـبـ لـيـهـمـسـ "ـإـلـمـ صـوـانـ الـحـرـيمـ قـائـمـ لـهـذـاـ الـوقـتـ؟ـ أـلـمـ يـنـتـهـيـ الـعـزـاءـ يـاـ مـتـوليـ"ـ قـطـعـ مـتـوليـ نـظـرـاتـهـ وـالتـفـ لـهـ قـائـلاـ "ـمـازـالـ حـرـيمـ الـحـارـةـ يـعـزـّونـ،ـ يـنـتـهـيـ الـعـمـالـ ثـمـ أـرـسـلـهـ لـفـكـ صـوـانـهـمـ"ـ رـمـقـتـهـمـ قـطـةـ مـنـ مـكـانـهـاـ غـيـرـ عـابـةـ لـتـرـفـعـ هـاـتـفـهاـ دـوـنـ حـيـاءـ وـتـهـنـفـ تـدـعـيـ الـحـزـنـ مـنـ أـجـلـ زـوـجـةـ أـبـنـهـ "ـشـكـرـاـ أـحـبـاءـ قـطـةـ وـلـكـلـ مـنـ عـزـانـيـ،ـ قـرـرـتـ تـأـجـيلـ اـفـتـاحـ الـمـطـعـمـ حـتـىـ اـنـتـهـاءـ الـعـزـاءـ"ـ أـغـلـقـتـ الـبـثـ بـعـدـ الـكـثـيرـ مـنـ الـثـرـثـرـةـ تـدـفـعـ بـكـفـ نـهـيـ الـتـيـ جـلـسـ جـوارـهـ تـهـمـسـ "ـمـاـ لـزـومـ تـلـكـ الـجـلـسـةـ يـاـ نـهـيـ كـنـاـ أـخـذـنـاـ الـعـزـاءـ بـشـقـتـيـ"ـ هـتـفـ غـيـرـ عـابـةـ "ـلـاـ،ـ لـابـدـ أـنـ يـرـانـيـ الـجـمـيعـ بـصـدـرـ عـزـاءـ وـالـدـيـ"ـ هـمـسـ قـطـةـ بـغـضـبـ تـعـوـجـ رـأـسـهـاـ "ـأـيـ عـزـاءـ؟ـ لـمـ تـأـتـيـ حـتـىـ كـلـبـةـ إـلـيـكـ،ـ نـسـاءـ الـحـيـ بـأـكـلـهـ مـحـشـورـينـ بـشـقـةـ هـنـيـةـ"ـ نـظـرـتـ لـبـيـتـ مـرـحـومـهـاـ مـنـ بـعـيدـ لـتـهـفـ بـغـلـ "ـلـذـاـ أـنـاـ هـنـاـ،ـ وـلـهـذـاـ فـتـحـنـاـ الـبـثـ حـتـىـ مـاـ إـنـ وـصـلـ أـيـاـ مـاـ تـفـوـهـتـ بـهـ أـمـيـ إـلـيـ الـمـيـدـيـاـ يـجـدـواـ الـعـكـسـ"ـ وـارـتـ قـطـةـ فـمـهاـ بـطـرـحـتـهـاـ وـهـمـسـتـ بـالـضـحـكـ "ـدـمـاغـكـ سـُـمـ يـاـ مـضـرـوبـةـ وـلـكـنـ مـاـ ذـنـبـيـ فـيـ رـائـحةـ الـمـجـارـيـ تـلـكـ"ـ تـلـعـتـ حـولـهـاـ وـكـانـهـاـ تـبـحـثـ عـنـ شـيـءـ لـتـهـفـ بـخـفـوتـ إـثـرـ

"وجود بعض النساء" من الكلب الذي نصب الصوان هنا؟ البالوعة طفت بهذا الجانب و"سكتت جاحظة تنظر للمعذبين بملابس سوداء عارية لتهتف إحداهم بقرف "أين نهى؟ نحن جروب ألتراس نهى حب وجئنا نقدم واجب العزاء لها!" هتفت قطة مُرحبة ومعها نهى المُضطربة "مراحب بحباب نهى تقضلوا" جلست النساء يتآففن من الرائحة ولدغات الناموس المتتوهش عيونهم تتحقق المكان بقرف وبعضهم يسد أنفه بمحارم مُعطرة، هتفت إحداهم متهمة "كيف تعيشين في ذلك الحي نهى؟" أغلاقت أنفها بطرف في إصبعيها "إيف" لتهتف الأخرى بعصبية وعينها ترمق الأرض اللزجة توشك على القيء "كيف تعيشين في ذلك القرف لا أفهم؟ صدري سيختنق" تعلالت التعليقات السلبية حولها مما أَجْج سخطها هي وقطة لتهتف نهى بطبعها الشعبي "ماذا؟ على رأي المثل الحس حس ديك والحال ما يرضيك" أسهبت وقطة في وصلة ردد مُنغمة يطرون النساء والبنات من العزاء ليلحق بهم بعض الرجال والشباب وصوت نهى خلفهم "أوباش" انتبهت قطة تسحبها جانبًا وهتفت "يا ويلتي مَاذا لو قص أحدهم ما فعلناه في الميديا يا نهى" توجهت للبيت تهتف "لا تخافي يا معلمة حينها قولى نهى انتابتها حالة من الجنون والخروج عن السيطرة من وقع الصدمة" رمقتها قطة راضية تتلمس موت قلبها، صحيح سليطة اللسان وخسيسة لكن قتلها لأبيها كمداً وعدم اكتراثها جعلها في عينٍ من تتابعها وحش كاسر تخشى على نفسها منه، هتفت قبل أن تُعلق نهى بابها "نهى؟ أين عابد؟ لم أراه في عزاء الرجال؟" تتابعت وهتفت بتعاس "لديه بث مباشر، حقّ منه الاثني عشر أسد يا قطة" مالت من سور السُّلُمُ تُكمِّل "فيديوهات العزاء والدفن أثمرت" تتابعت مُجدداً تُغلق الباب خلفها "رحمك الله يا أبي جنازتك حققت أرباح وافرة وبالأخير يقولوا مات غضبان عليها"

تحرك شحاته بعد انتهاء العزاء ينوي الرحيل ليambil على متولي يسأل
"متولي؟ من هؤلاء الذين كانوا يصوروون كل شيء بالحرارة؟!"

* * * *

الواحدة ليلاً صباح يوم جديد

رقد على وجهه لتناسب أصابعها اللينة فوق ظهره تضغطه براحة ملتزمة الصمت رغم الصخب، بالأمس قابلت شهاب بعدها أعتذر عن عدم تفرغ سلّمي لمقابلتها بسبب حالتها الصحية والتي شخصها فريق الأطباء الذي أحضره داود لها بأنها تعرضت لهزة نفسية عنيفة أختلط على أثرها دقات قلبها مع الإهمال والضعف العام، بدأ الحديث بتحفظ ثم تطرق للنقاط الشائكة مما جعلها تُفصح عن سبب طلبها الحقيقي للمقابلة حيث شكّها ببراءة سلّمي التي عادت بها للوراء ثلاثة سنين،

كانت حسناء أو حُسنيَّة ابنة مُدلة وحيدة لوالدها الحاج سيد جمعة تاجر الغلال في أحدى الفُرى المصرية، توفت والدتها بعمر الحادية عشر ليتزوج والدها كما أعراف الفُرى المصرية لتجد نفسها بين الأب وزوجته التي استولت على والدها كاملاً رغم حُسن معاملتها لها، توفى الوالد وترك حُسنيَّة بعمر التاسعة عشر تجهز لزفافها مما أطّرها لتأجيل الزفاف عاماً كاملاً تحت وطأة الأعراف والحزن لتكتشفَ بعد مرور عدة شهور المكيدة، زوجة أبيها ما هي سوى اخت خطيبها من الأم دفعته إلى طريقها حين علمت أن الحاج سيد جمعة كتب خمسة وتسعون بالمئة من ثروته لها وأبقى خمسة بالمئة كميراث شرعى يُقسم بينهم لتصنع لها فضيحة مدوية بالقرية كان نتاجُها تنازعُها عن كل ما تملك مقابل عدم عرض ما صُوّر لها وهي مُدرّة، لخرج من القرية مطرودة خاوية الوفاض إلى الأبد،

هتفَ الرائقُ تحت كفوفها "رفقاً حسناء لما تضغطين بتلك القوة" انتبهت مُتأسفة وهدأت وتيرة يديها تلك كتفيه مُتخذة قرارها بالانضمام صوب سلّمي، تعلم أن قاسم دنى النفس، زير نساء واهتمامه الفائق بسلّمي يدق ناقوس الخطر! هكذا حذرت شهاب كما قصت عليه لقاء قاسم مع نهى التي زادت من وتيرة الهجوم بعدها ليتفقَا على التعاون بينهم وترتيب لقاء بينهما وبين سلّمي، أعتدل قاسم يسألها "أين ثرثرك اليوم؟ أراكِي صامتة" لبسته الروب خاصته وقالت باسمة "شدتُ في حال نهى، غريبة تلك المرأة وغريبة تصريحاتها" نهض يُشعل سيجاره يسأل "وضحي" رفعت كتفيها

تدعي اللامبالاة وقالت بغير اهتمام تستقطب رأيه "والدها توفى وعوضاً عن الحُزن تاجرت بالموت على الميديا" فقهه قائلاً "لما الاستغراب بالأخير قليلة أصل مُتدنية" رمقته بخوف وقالت مُتهمة "الا تخشى التعامل معها يا باشا؟ تبدوا خائنة والغدر مولاها؟" جلس إلى الأريكة يأمرها بإعداد كأس له وفتح حاسوبه الشخصي مُقرراً متابعة الميديا قائلاً "لا تخافي من كان أوله وأخره القود فأمره هين و" سكت مُتراجي بما يرى كيف أتخاذ الأمر هذا المُحنن؟ سأل حسناً وما زالت عيناه تتابع الشاشة "حسناً؟ كيف أنقلب الأمر من فضيحة الي حالمية؟" جلست جواره تسأل ماذا يقصد لِيشير للشاشة، ضحكت مُفعولة السذاجة وهتف برومانسية "أه يا قاسم، حكايتهم ولا أروع" ألقى سيجاره بالمنفضة وصاح غاضباً لِيشير لفيديو لهم زينته أغنية رومانسية "ماذا فعلت الساقطة؟ أعطيتها ثلاثة ملايين و سيارة فارهة وبالأخير تجعلهم عاشقين والكل مُعجب بهم!" لمعت عينها لاعترافه مع نهي لتهف بمُفاجئة "ماذا؟ ولما لم تأمرني قاسم عوضاً عن تسليم رقابنا لتلك الساقطة" نفخت في الشر حتى صار نار ذات لهب أوشكت حرقة وهي تُندد الفرضيات التي ممكن أن تقوم بها نهي كفحة أو الزوج باسمه وتسجيل ما تم بينهم دون درايته، ظلت تُلقي بناره الحطب حتى أمرها بمتابعة نهي ليسرد خطته كاملة، خرجت من القصر تُرسل إلى شهاب رسالة مفادها "تم، لابد من لقاء فوراً" ثم تحركت بسيارتها مُسرعة لترد على هاتفها الذي رن "مرحباً دودي أين أنت يا رجل" هتف عبر الأثير قائلاً "حسناً؟ أريد مساعدتك في أمر هام" أجبته بموافقة ليعاود سولها "أريد الوصول إلى محامي شهير اسمه داود الرازي!"

* * * *

تناول الهاتف بيد مُرتعشة يتساءل هل دليل إدانتها بين يديه؟ ما ليث أن أقنع نفسة بأن هناك ليساً في الأمر مقرر البحث عن الحقيقة بنفسه، تفقد رسائل المساوية ولسان حاله يسبّها لينتهي معطي الهاتف لأدهم يتفقده وينتبه إلى عامر الذي همس "ماما لا تعلم بالأمر لو علمت" قاطعاً داود مُتهكماً "كانت منعتك حتى ولو بالقتل" هرّ رأسه موافق وأكمل تحت نظرات أدهم المتشككة وأنبه شهاب الذي تفقد الهاتف بدوره "أسف سيد داود حقاً أسف لا أعلم ماذا أقول ولكن لن تحمل أمي ذنب ليس لها؟!" النقط شهاب الكلمات يسأل "أي ذنب؟ هناك ليس بالأمر" مذ عامر كفه قائلاً "الليست هذه الفلاشة التي تبحث عنها؟" النقطها داود يدسها بجيده متعجلاً وهو يلمح مرور رباب وسُها مُقيبين السلام ليهمس أدهم "داود، لا تتعجل؟" ضاحك مُتهكم وقال وعينه على باب منزلها "أستاذة في السفاله يا رجل" تنهّد أدهم بيأس وعقله أنقسم بشجار محتم كيف يتهمها وبذات الوقت يُبرأها، هتف إلى عامر مُنفعل "من أين جئت بالهاتف وكيف اكتشفت الأمر؟" تنهّد أدهم يطلع عودة شهاب الذي أشغل مع سُها ليهمس قائلاً "دعوني أقصن الأمر من بدايته"

* * * *

همست سُها وقد وقفا أمام صالون التجميل المشترك "أنا خائفه" سحبتها رباب بقوه تهمس "لا تخافي فقط نقتله" دخلت تسحبها تكتم ضحكتها من تلك الساذجه لتهتف بتقة "مساء الخير، نريد صاحب الصالون شخصياً" هكذا قررت حين سمعت أن المرأة الشبح التقت بقاسم هنا، لذا تهيأت وسُها في أبيهى الملابس الفارهة وقررت زيارة الصالون بنفسها، ومن خلف مجلد مخصص لصبغات الشعر همست "لا تهترئي هكذا يا سُها وانتبهي هناك شخص قادم إلينا" رفعت سُها عينها للرجل مُبتسمة وهتفت لا تعلم من أين جاءت بالثقة "مرحباً" هتف الرجل يتقهدوا ومن ثدفن وجهها بالمجلد "مرحباً يا هوانم، سمير سرحان صاحب صالون التجميل" تخشب جسدها ووقع المجلد من يدها وعيتها تشاهد، دققة كاملة والاشتتان يتطلعان بعضهما لتهتف بصدمة "سمير؟" أرتعد بدوره وهو يتطلع لزحام المكان وتفت يبتلع رمقه بخوف "باب العدو؟ يا لا النهار الأسود" أشرقت عين رباب بلمعان خاص لتهتف

فرحة وذراعيها بمنتصف خصرها "سمير؟ سمير قصة؟ صدفة بتجمعنا يا أبو سمرة" اضطربت سُها ومالت إليها تسأل "ما الأمر رباب؟ هل تعرفين الرجل؟" قهقهت تستعرض شعرها وقوامها وهتفت "حق المعرفة" ألتقت إليها قائلة "أقدم لك سمير! طليقي، وسبب سجنني" شهقت سُها وسقط فكها أرضاً ليتقدم سمير يهمس إليها "رباب، حبيبتي، لا داعي للفضيحة" رفعت حاجباً واحد قائلة "حَبَك الموت يا سمير، سأفضحك فضيحة سارق الجزم بالمولد" تطلع سمير حَوله بخوف لتجهز عليه وتلتممه بكتفه هامسة "أبحث عن مكان موارب نتكلّم به أم تُحب التحدث في العلن؟" هزَ رأسه بحذر ليدعوهم لمكتبه وما أن وطأت أقدّمها ومعها سُها سحبته من تلابيبه وأغلقت الباب تهتف مُهددة "إما الفضيحة يا سمير الكلب أو؟" هتف سمير والخوف أرعد جسده "أو ماذا رباب، أقسم سأُنفذ ما تطلّبين ولكن بلا فضائح يا ربّاب" دفعته بقوة حتى وقع جالساً لتميل إليه تهتف وقد حاصرته جيداً "إذن أسمع ونفذ"

* * *

تنهد عامر ومساح وجهه قائلًا "الأمر بدأ يوم ذهابنا إلى المول" أنتبه الجميع ليتذكر عامر ما حدث وكأنه اليوم، توجه مُتحمس وعمر يتبعه يترجمه أن يُعلمه قيادة السيارة مثله هتف عامر موافقاً على شرط لا يتهور، وصلَ لمغسلة السيارات ليتفقد عامر السيارة يسلامها ليتفاجأ بالعامل الذي أنقذه البقشيش يهتف له بالانتظار ليعود ينالوْه عبر نافذة السيارة كيس للهدايا صغير كان تحت أحد المقاعد ومعه فلاشة وجدها محشورة في المجرى الذي يتحرك عليها المقعد، شكره عامر واضح الأشياء بصناديق السيارة الأمامي هتف عمر "يبدو أن باربي أشتترت هدية للسيد داود، أنظر، برفن رائحته مُقرفة مثلها وكارت من آخر العنقود كتبت عليه لا تنساني" ألقى بالحقيقة داخل الصندوق وهتف "دعويه ينساك ويرتاح يا برببي هانم" تنبه عامر وقد توغل في الذكرى ليُكمل "انشغلت بباقي أحداث اليوم ونسيت الأمر تماماً" ارتكزت عينه بعين داود الحمراء وأكمل "حين تحدثنا بالمشفى تذكرت الفلاشة فشاهدتها ثم قررت إبلاغك دون الرجوع لماما" تنهد بیحث عن كلمات تُساعدُه فما وجَد غير الاعتذار ليهتف وقلة الحيلة تُغرِّفه "سامحني عمي داود، فلن أقبل ظلم

آخر يطال أمي" هتف أدهم وقد باتت الصورة مكتملة "كيف حصلت على الهاتف؟"

"من لينا" شملته نظرات الاستفهام ليُقص يوم ابصرها تخرج من منزلهم غير عابئة بالطريق، ركض إليها وقد سحبها للرصيف ليجدها تبكي بحرقة ليرق قلبها لها غصباً، تمسكت لينا بكفه وكأنه ملاذها لتبدأ تشكو والدتها التي باتت تضربها بقسوة وصولاً إلى والدها الذي كرهها وقرر تركها، احتواها عامر بشفقة وأفهمها أن والدها يمر بأزمة عمل وأنفق عمر على أتخاذ المرأب الخلفي لبيتهم مكان يجمعهم بعد علمه بتكرار خروجها دون ملاحظة أحد لتخرج إليهم ذات مرة باكية تشكو ضرب ذرية حين سمعتها تتكلم مع رجل طالبه عشر مليون جنية مقابل فلاشة! وبالصباح أحضرت الهاتف من حقيبة والدتها خلسة بعدما طلبه عامر!

أنتهي القص ليسأل داود غير مستوعب "ذرية؟ ذرية؟" هتف عامر ينبعه "ليس غيرها، الوحيدة التي كانت تحتل السيارة" كرر السؤال وعقله يستقرأ الخيانة ببطيء ويهمس له "لا تستغرب من عاب أبيتي" أحنى بجسده للأمام قدمه اليسرى تهتز بعصبية ليعتدل وعينه متوسعة "ذرية؟ زوجتي؟" جاءه الرد القاطع ورباب تهتف بغضب "أجل ذرية؟ زوجتك يا متر" ناولته فلاشة أخرى وأكملت "هذا الدليل القاطع لما فعلت" مسحت سُوها دموعها تدفعها للداخل وتهتف بعدها رمقته بغل "لأنها زوجتك لم يراودك الشك؟ أما سلمى فدوماً سافلة!" فُض الجم حوله وصار بمجلسه وحيداً يُشاهد فرحتها عن بُعد، عقله وقلبه بصراع مُر والألم يتولاه بالكى، كانت الخيانة لديه رجلٌ وامرأة تشاركوا الإنثى لكن اليوم وعي أن الخيانة أشد من جرم الفاحشة، زوجة تمرغت في قوامة زوجها برفاهية وجزيل شكرها التربع به، وصف من يتربع بزوجته ديوث، فما مسمى الماجنة، تنهد بصعوبة وأنفاسه حُشرت ليهمس بألم "ليس كل الخيانات جسداً بجسد، بل أقبحها عجز العقل عن قراءة وتقْبِل الحقيقة" غلبة الدمع وضحكاتها تصله، ليهمس متوعداً "ذرية"

* * *

بدل شاشة الكمبيوتر ما إن لمحها ليفتح شاشة أخرى مُفتعل الانشغال وبدورها رمكته بطرف عينها دون سؤال عما يفعل، تعلم أنه بالأيام الأخيرة تطرق للمواعِد الساخنة وهي تركته فقد زهدت رجولته الخاوية، أنتبه لانعكاسها أمام المرأة بعد أن ارتدت ملابسها الملوونة ليسأل "هل تخليتي عن الأسود ما لبث على موت والدك سوى عشرة أيام؟" انتهت من صبغ شفتها بالحمرة الداكنة وسحبت حقيبتها قائلة "يكفي عشرة أيام هل سأحزن العمر كله" سأله وعقله لا يستوعب جمودها "إلى أين بتلك الأذaque" عاقت حقيبتها ورددت دون مشاعر "قاسِم الوكيل! اليوم سأسلم السيارة ما فعلته قطة غير مسار كل شيء"

تركته عاكفة عن سماعه ليمسح وجهه بسقم بات لا يُطيق طبعها منذ تغيرت وكأن كلاً منهم تعرى ليس عري الجسد والمفاتن بل عري الروح عن أسوء ما فيها، جشع وطمع، مزللة وإهانة، موبقات الروح طغت عليهما رغم ادعاء التحضر، نهض وعينه تجول بأركان الغرفة، كلما دخلها شعر وكأنها قبر يُطبق على أنفاسه، تقدم للنافذة يُطالع العيون التي ترمّقها وكأنها شيء شاذ، الكفوف صكت بعضها والهممات هسست بالفحيخ، منذ سماعه شهادة المست هنئه صار بغير هدى، نهى وقطة؟! امرأتين جعلا منه عبداً لهنـا، عاد لهاته مُقرر الرحيل من تلك الحارة مُستغل مال قاسم في شراء شقة جديدة، يكيفهما فضائح وتلسين أهل الحارة، أنتبه لحسناه تدعوه لبيت ساخن ليستعد هاماً رون مُبلاة "حارة مُختلفة وأهلها متأخرین" وبالكلمات الجريئة والإيحاءات المبتذلة شارك ليجد أمامه فتاة شبه عارية وأخرى يعرفها ليندمج معهم حتى أنصدم والفتاة تُخبره بأنها رجل!

* * * *

أوشكت على السادسة مساءً لتنظر للطعام الذي أعدته برضاء وترك المطبخ
تهافت بهم "أنا انتهيت وأنتم عبئوا كُل وجبة في عُلبة لحالها" توجهت
لغرفتها تصيح من أعلى الدرج "حين تنتهوا أخبروني" أغلقت بابها بالفُلْ
لترتدى النقاب سريعاً، هكذا قررت وأنتهي الأمر "تشجعي ما يُحِكْ حِلْدَكِ إِلَّا
ظُفرَكِ" عدل النقاب جيداً لتصفع هاتفها على الحامل الخاص به وتتفتح لتبأ
بِثَهَا، توقف أصبعها عن ضغط زر البث والتراجُد حليفها لكنها عدل النقاب
بعنف واستقامت بالأريكة خلفها تسترجع دخول رباب وسُها إليها حينما
كانت تتحدث مع دهب!

هتفت دهب بغضب تدخل غرفتها يا سلمى كيف تحملني
 وجودها؟" أغلقت الباب تُطلق تنهيدة عالية وقالت "هل رأيت؟ بنى أمة
 سِمْجَة يا دهب" هتفت دهب والغضب يعتلي وجهها "أريد أخبارك بشيء"
 أفسحت لها مجال جوارها وه تهتف "كيف تحملها يا داود؟ ولو أنك بارد
 مثلها" تبسمت دهب من هجومها المباشر عليه وقالت وعينها تتقدّها "لم
 أرغب في ذكر الأمر أمامها" التفت تلقط حقيبتها تخرج منها ظرف أسود
 اللون قائلة "دعوة حفل بمناسبة براءتي" تطلعت سلمى للدعوة بإعجاب ثم
 رفعت عينها تهتف "تخيلي لم أهناك حتى اليوم" احتضنتها مُقبلة وهمسَت
 "أسفة دهب، مُبارك حبيبي" ضمتها دهب لصدرها بقوّة أشعرتها بحنانها
 وحبها لتهمس دهب بصوت مُحشرج "أنا من يتأسف بُنْتِي، سبحان الله مُنْذ
 أول طلّة بعينك شعرتُ وكأنكِ أبنتي" ابتعدت سلمى برفق تنظر إليها فهالها
 دموعها لتهمس "ذهب؟ أتبكين؟" مسحت دموعها وتبسمت قائلة "أحكام
 السن يا بنت، صرت عجوز وضعف قلبي" صاحت ترمقها بعتب "أيُّ
 عجوز دهب أنتِ بالكاد تخطيتِ الخمسين من العُمر" علت دقات الباب بقوّة
 لتهضُن سلمى إليه تصيح "ماذا هل أحترق العالم ونحن لا ندرِي" دخلت
 رباب وخلفها سُها لتهتف الأولى بعصبية مُفرطة يراها الجميع لأول مرّة
 "سأقتلها، أبنة الكلب الباردة التي تجلسُ بالأسفل" هدأت بعد وصلة روح
 لتقُص عليهم ما فعلت وبأن زوجها السابق ساعدَها بعدما خَرَّ مُعْتَرِف تحت
 تهديدها له بفضحه، جلبت سلمى الحاسوب الشخصي لتفتح فلاشه آخر جتها
 سُها لترى وتسمع دُرية تتفقُ مع سمير مُهددة له ومشهد آخر مع قاسم!

صُعقت دهب مما رأت وأغمضت سلمى عينها تهمس بحسرة "حتى درية؟ من بقي لم يخونني" فاقت من شرودها والذكرى تُنكت قلبها فقد علمت أن رباب سلمته دليل إدانة زوجته كما علمت بما فعله عامر وقد عنقته للدرجة التي خرج بها الصبي عن الأدب حين صرخ بها بجرأة "مازال طبع الهيل مبدئك" عدل النقاب تُسبب داود الذي ما إن علم بفعلة زوجته أختفى وكأنه شبح، استعدت ولسانها يهتف بغضب أرعد جسدها "أنا السافلة الخائنة وحين يطال الأمر درية تُصبح المحظية" دون تفكير بالعواقب أو تقدير للموقف ضغطت على الهاتف بسرعة تصيح من خلف نقابها "مرحباً أنا سلمى المصري قررت قص حكاياتي بنفسي ومواجهة أي اتهامٍ منكم" سردت كل شيء عن الفضيحة السابقة، شكتها بنهى واتهامها الذي شمل قطة وكيف كان عابد معها وطالبت أخيراً بالبحث عن حمو، كما ذكرت ما فعلوه بأبنائها وطالبت والدة الطالب أيمن بالإدلاء بما فعلت معها بمحايدة لتختم حديثها قائلة "أما عن داود الرازي فهو محامي فرضته الظروف السابقة لا يجمعني به شيء مما أنتشر ويمكنكم سؤال زوجته" أغفلت البث تخلُّ النقاب لتُغلق هاتفها ثُقِيَّة على طول زراعها واعية لفداحة ما فعلت! أرتمت فوق الفراش تبكي وتصرخ وشعور الوحدة مع القهر تقتلها، دقّ بابُ عُرفتها وسُها تهتف "جهزنا ما أمرت سلمى" صاحت سُها بصوتها وقد وعت نحيبها "رباب، رباب" تقدمت إليها مُسرعة تسأل بعدها فتحت سلمى "لما كل هذا البكاء؟"

* * *

العاشرة ليلاً

سحبت الغطاء الوثير تُسْرُّ جسدها وتغمُّز للعاري جوارها "أحبك قاسم" نهض يُقهقه لتجمِّع عينها من جرأته كيف ينهض عاري كما ولدته أمه؟ هتف متوجه لحمام غرفته "ماذا! هل تخجل؟" لملمت ملابسها لترتديها وقالت "متى ستُأسس لي شقتي الجديدة يا قاسم" خرج يرتدي الرُّوب مُبتسماً وقال "من باكر" تناول هاتفه وصوته يأمرُها بتعاليٍ "أصنعي لي كأساً" أطاعتْه وعينها تنفقد غرفته الفخمة بحدٍّ ولو تنعم وحدها بذلك القصر!، سقط الكأس من يدها إنْثر صرخته "ما هذا العبث؟" تقادت شظايا الزجاج متوجه صوابه لجلس

جواره تستمع لصوتها المُميّز "أعلم أن الجميع أخذته الحمية الشرقية وحكم على بعاداتنا ولكن رجائي الوحيد لكم أن تبحثوا عن الحقيقة، فتشوا عن حمو، تقضيتم عن حياتي فليس بالصعب أن تجدوا الشاهد الأساسي على براءتي" ألقى قاسم بالهاتف جواره ونهض يُجرّها من شعرها وقد رأى تعليقات الجميع التي مالت لها ليهمس بفحيح أسود "لم يكن هذا أتفاقاً" صرخت من شدة الألم كما هالها تحوله لتهتف برجاء الخوف "تمام، أهداً سوف أقلب الموقف ضدها" دفعها لترتدي أرضاً، زحفت نحو حقيقتها تخرج هاتفها تُقْتَلَ بـه حتى أرسلت له رسالة، فتحها والغضب ساكنٌ بوجهه ليتغيّر بلحظة ويرفع إبهامه بعلامة جيد، تبسمت وما زال الخوف يشتملها لتسمع أمره "أريد انتشاراً واسعاً لهذا الفيديو" هزت رأسها ويدها تتعامل مع الهاتف بمهارة ليعلو صوته يصبح بقرف "إلى الخارج لا تأتي إلا حين أطلبك" سحبت حقيقتها مسرعة تُنس أوراق السيارة بها وتهرون ترتدي حذائهما لتصرخ وقطعة رُجاج تجز قدمها!

* * * *

خرج من بيت النائب العام بعد أن سلمه بعض المستندات بقضية قاسم الوكيل، لولا معاونة حسناء وقربها من قاسم ما أستطاع الوصول لنتائج المستندات الخطيرة ولا معرفة شركائه، أتضح أنه يتعامل مع بعض الجهات الخارجية ويسهل لهم الإقامة، يشترون العملاة الصعبة بسعر يفوق البنك المركزي ليجمعوا تسعون بالمئة من العملة بالبلد، ويُهرب الذهب عن طريق الكثير والكثير من النساء ونجوم المجتمع، تتزين أحدهن بما يعادل الكيلوجرام من الحلي وتخرج من المطار للتنزه لتجد بالمقابل من يستلم منها ما تلبس، عشرة يسافرون عبر خطوط الطيران يومياً بما يعادل تهريب عشرة كيلو كل يوم ليُعاد تصنيعه بالخارج وإعادة استيراده مما جعل سعره لا يقبله العقل، أنتبه للطريق يرفع هاتفه صائحاً "شهاب؟ أين أنت؟" نصف ساعة وكان يجلس ببيت شهاب الذي ما زال النوم يشتمله ليهتف وهو يُشاهد ما فعلت "لما، لما؟" تطلع شهاب بدوره ليصرخ "لها وكفي" احمرت عينه لأدهم يُشاهد الفيديو المنتشر وقد ظهرت سلمى ترقص بإغراء سافر ثواني وتوسيع الكادر ليظهر داود معها يأكلها بعينيه وقد جلس لمقد وثير الهيئة ماداً قدميه لطاولة تrama عليهما زجاجة خمر وسلمى تتمايل بدلال سافر وقد ارتدت ما سخا مفاتنها

أمامه، انتهى الفيديو نهاية المُخزية وداود يحملها لفراش مُبعثر يوشوش مسامعها لتصدح ضحكاتها السافرة! تكلم شهاب وعقله ثائر "لابد أن نجد ذلك المُختفي؟" تحرك الرجلان وأدهم يتصل بذهب ليهتف وقد طاق به الهم "إذا كانت لديك معرفة بمكان ذلك الأحمق أخبريه أن ينظر لما أرسلته لك" أغلى الهاتف وقد أصبحا بالشارع ليهتف شهاب وهو يرتأد سيارته "أسرع أدهم لابد من تفقد سلمي" صاح به أدهم مُعاتباً "كان لابد بإخبارها بتواصيلنا مع حمو! هكذا نتائج اليأس"

* * *

فتحت دهب اللينك المرسل إليها دقيقة واحدة وكانت تهrol نحو الجانب الملحق ببيتها، دقت الباب بقوة ثم دفعته تصيح في ذلك المُنزوي بعنف "يكفي اعتكافاً، كفى داود" تطلع إليها يُحک ذقنه التي استطالت لترفع الهاتف بالمقابل له قائلة "تفضل، تركتها للكلاب تأكلها" تناول الهاتف غير واعي وما أن أمتلك تركيزه توسيع عيناه بصدمه، هم يسألها ليجد لينك آخر معه رسالة صوتية لأدهم وهو يهتف "شاهدى المجنونة ماذا فعلت! أى يأس دفعها لذلك؟" تمالك داود نفسه وتوجه صوب المرحاض دون كلمة تاركاً دهب التي جلست بحديقة منزلها تبكي حال المسكينة وتتابع التعليقات على الميديا، أغمضت عينها لهول الشتائم والسباب الذي طالها، وبالداخل وقف أمام انعكاسه بالمرآة ينظر الحال التي وصل إليها، لم يكن يوماً مهزوزاً مهزوماً كما المرة، مسح البخار الذي حال الرؤية عنده وهمس مُتحدياً "استعدوا لجحيم ابن الرازى يا أندال" مرت ساعة وذهب تغلق عليها مكتبهما بصحبة صهيب لينفتح الباب أخيراً وتخرج قائلة له بوجهه وصوت أمر "كما فهمت صهيب، أريد كل شيء جاهزاً غداً، غلطة واحدة ثمنها رقبتك" تركها متعجبًا لتتوجه للحديقة وهي تلمخ داود وقد استعاد صلابته لتهتف بقوة "انتظر يا متر، يجب أن نتحدث" سحبته من جديد إلى مكتبهما وأملت عليه خطتها وقبل أن يحيييها بالرفض صاحت به "لا خيار لك!" أكملت تدقق النظر لعينيه المصودمة "أنت رجل واهتزرت من أول صفعة خيانة واجهتها فما بالك بها؟ المخلوقة بدأت في حرق نفسها دون أن تنتبه" علا صوتها مُقابلها وصرخ "وهل أنا السبب؟" تركت مكتبهما والتلفت له وعيتها تلومه لتفق أمامه شاهرة سبابتها تهتف بما أخجله "أنكر إذن! الم

تطلب حسناء مُقابلتك مُنذ أسبوع مضى؟ الم تُبلغك بأنها توصلت الي حمّو وقد ظنت بالبداية أنه شهاب بما فعل؟ الم تتأكد يا داود بعد كل هذا من براءتها؟ أجبني؟ أفصح عما برأسي وتخلى عن الكتمان مرة واحدة!"

جلس بالمقعد المُنزوي بـرُكن الغرفة صامتاً، كفيه يحوّان كامل وجهه، تقدمت تُشعّل الضوء بجانبه وتهتف "لا أرى لصمتِك معنى يا داود، ليس لك من العذر ما يدفعني لعقدِ رقبتك" رفع وجهه المُرقط بالدموع إليها وعينه الباكية تشتكي لتساؤل مصدومة "داود؟ هل تبكي؟!" رفع حاجبيه وهمس مُغمض "أبكىها يا دهب! أبكي الأماها! أبكي نفسي التي ظلمتها!" مسح على وجهه بقوّة وأكمل بروح هاربة "هل اعتقدي أنى أهتمُ الي دُرية؟" هزَ رأسه بلا صامة دُرية بفعلتها عقت رقبتي من أسرها لي، حلّت وثاقي الذي أدمي رقبتي، أهدتني حريري على طبقٍ من ذهب منقوشاً باسم سلمي حبيبتي، لكن "قاطعه مُتلهمة" لكن ماذا بُني وهل بقيَ لكن؟"

"لستُ ب قادر على مواجهتها! الجُبن والعار يخلعُ نفسي من نفسي" دفع الطاولة بقدمه يضربُ صدرهُ وجُرحُها يؤلمه "سلمي باتت تكر هني! وأخر ما سيفتنني نظرة عينها الكارهة" ضغط ما بين عينيه يولّيها ظهره علّه يوقفُ نزيف الدموع وحسرة خسارتها لتقدم إليه تدبره هامسة بابتسامة ثقة "وإذا أخبرتُك أنها تكُن لك عاطفة! نظر إليها يرجو الأمل في كلماتها ليسألها ملهوفاً وما زال اليأس يُحطمها "هل اعترفت بشيء؟ أرجوكِ تكلمي"

"لم تعرف ولن تعرف لأحد يا داود ولكن من واقع خبرة امرأة سلمى تُكافح عاطفتك دون أن تعي على نفسها" انكمش وجهه برجاءٍ حار واستجداها قائلًا "بالتَّه لا تلعبني بالكلماتِ، لن أتحمل رفضها" تبسمت والشفقة تشملها لتهز رأسها فائلة "يا بُني" وهل لوما كنتُ على يقين أقدر على فعلها" طالعها باستفسار لُكْمِل "ها أنا أسلّمها لك صحيح غصباً وسنواجة بالرفض لكن سوف تسنجُ لك الفُرصة لتطيّب جُرحها" تطلعت لشروعه ولمعة التحدّي التي أثارت عينه لتهتف وكفُها يُشجع عضده "همناك يا متراك قضيتك إما البراءة أو النفي خارج جنتها"

* * * *

لطمـت قـطة وجـهـها وـهـي تـشـاهـد ذـلـك الفـديـو المـنـشـر فـهـمـت بـطـلـبـها وـما أـن جـاءـها الرـد هـنـقـت "أـين أـنت، لـن تـرـتـاحـي قـبـل أـن تـفـضـحـيـنا" صـاحـت عـبـرـ الأـثير بـشـمـاتـة "فـضـيـحـة؟" الفـضـائـح تـصـنـعـهـا الزـانـيـة" تـنـهـت قـطة وـالـخـوف يـعـربـدـ أـمـامـهـا لـتـهـفـ بـمـهـادـنـة "كـفـا شـرـأـ يا نـهـى، كـفـى عـنـ الـاسـقـزـازـ ما بـقـى لـتـالـكـ المـسـكـيـنـةـ شـيـءـ تـخـافـهـ وـلـو ظـهـرـ حـمـوـ" قـاطـعـتـها وـقـدـ ضـاقـتـ بـهـا "حـمـوـ، حـمـوـ اـنـقـطـعـ حـمـوـ وـانـقـطـعـتـ سـيرـتـهـ، وـلـاـ تـقـلـقـيـ لوـ ظـهـرـ سـوـفـ اـمـحـهـ منـ الدـنـيـاـ" ضـرـبـتـ المـعـلـمـةـ قـطةـ فـخـذـهـاـ بـقـبـضـتـهـاـ وـاحـتـارـتـ فـيـ اـمـرـهـاـ مـنـ أـينـ جاءـتـ بـذـلـكـ الجـبـروـتـ؟ـ مـنـذـ وـفـاءـ وـالـدـهـاـ بـاتـ تـخـشـاـهـاـ وـتـخـافـ غـدـرـهـاـ فـمـنـ قـتـلـتـ وـالـدـهـاـ بـدـمـ بـارـدـ لـنـ تـرـتـدـعـ عـنـ فـعـلـهـاـ أـلـفـ مـرـةـ، هـنـقـتـ قـطةـ وـخـبـرـتـهـاـ بـالـحـيـاةـ تـقـرـأـ الطـالـعـ "حـسـنـاـ اـفـعـلـيـ ماـ بـدـاـ لـكـ لـكـنـيـ مـنـ الـيـوـمـ بـعـيـدـةـ عـنـكـ، حـتـىـ لوـ تـطـلـبـ الـأـمـرـ اـعـتـذـارـيـ لـسـلـمـيـ!"ـ صـرـخـتـ وـالـجـنـونـ يـحـتـويـهـاـ "تـعـذـرـيـ لـمـنـ يـاـ عـسـلـ؟ـ وـهـلـ مـاـ فـعـلـنـاهـ يـمـحـيـ بـجـرـةـ قـلمـ، أـهـدـأـيـ يـاـ قـطـةـ فـمـاـ بـقـىـ مـنـ سـلـمـيـ مـجـرـدـ نـفـسـ، أـنـاـ نـهـىـ السـبـاكـ قـتـلـتـهـاـ حـيـهـ"ـ هـمـهـتـ قـطةـ بـصـدـرـ مـقـبـوضـ "رـحـمـكـ اللـهـ يـاـ سـبـاكـ وـأـرـاحـكـ مـنـ سـُـمـ اـبـنـتـكـ"ـ اـنـقـضـتـ وـعـابـدـ يـقـفـ أـمـامـهـاـ لـاـ تـعـلـمـ مـتـىـ دـخـلـ وـمـاـذـاـ سـمـعـ، تـبـادـلـتـ مـعـهـ النـظـرـاتـ وـالـصـمـثـ بـيـنـهـمـ كـالـكـلـمـاتـ الـمـوجـعـةـ لـتـرـفـعـ لـيـ النـرـجـيلـةـ لـفـهـمـاـ وـتـهـمـسـ مـؤـشـرـةـ لـهـ "اجـلـسـ مـاـ بـقـىـ فـيـ السـرـ مـاـ يـخـفـيـ"ـ جـلـسـ يـسـأـلـهـاـ "مـاـذـاـ فـعـلـتـيـ أـنـتـ وـهـيـ يـاـ قـطـةـ؟ـ، أـشـعـرـ مـنـذـ ذـلـكـ اللـيـلـةـ السـوـدـاءـ بـأـنـ هـنـاكـ كـارـثـةـ أـنـتـ بـطـلـتـهـاـ"ـ مـلـئـتـ صـدـرـهـاـ بـالـدـخـانـ وـهـمـسـتـ غـيـرـ قـادـرـةـ عـلـىـ الـمـواـجـهـةـ"ـ نـهـىـ مـنـ دـبـرـتـ وـأـنـاـ سـاعـدـهـاـ"ـ لـمـ تـأـقـيـ مـنـهـ رـدـ وـلـمـ تـأـمـحـ بـهـ اـخـلـاجـةـ لـتـنـظـرـ لـوـجـهـهـ بـصـمـتـ وـتـبـدـأـ بـقـصـ الـحـكاـيـةـ مـنـ الـبـداـيـةـ لـلـنـهـاـيـةـ، اـنـتـهـتـ وـانـتـهـيـ جـوـارـهـاـ لـيـنـهـضـ كـمـاـ الجـثـةـ الـخـاوـيـةـ مـنـ الـحـيـاةـ وـالـمـوـتـ، وـبـشـقـتـهـ وـالـغـرـفـةـ الـمـسـؤـمـةـ تـابـعـ أـخـبـارـهـاـ وـمـاـ فـعـلـهـ الغـدرـ بـهـاـ لـيـقـرـ وـيـعـتـرـفـ بـرـجـولـتـهـ الـمـعـدـومـةـ، هـوـ دـمـيـةـ مـطـمـوـسـةـ الـهـوـيـةـ،ـ صـنـعـتـهـاـ قـطـةـ وـتـلـاعـبـتـ بـهـاـ نـهـىـ، شـهـقـ بـقـوـةـ وـهـوـ يـرـىـ فـضـيـحـتـهـاـ الـأـخـيـرـةـ لـيـرـتـمـيـ بـرـكـنـ الـغـرـفـةـ بـيـكـيـ مـذـلـولـ وـهـمـسـ بـكـائـهـ "لـيـتـكـ هـنـاـ يـاـ أـبـيـ"ـ

* * *

ركض وقلبه مُلتفاً عليها ليلمح سيارة أدهم خارجاً، ضرب بوق سيارته واخرج رأسه يهتف عليهم "احضروا حسناء وحمّو فوراً على بيت سلمى" تحركت السيارات وخلفهم دهب ليهتف عبر الهاتف "عَامِر أين أنت؟" رد عامر باكياً "أدركتني عمي داود هي لم تعرف بعد" صرخ قائلاً "الرجال لا تبكي يا عَامِر اسمعني جيداً ولكن أقطع النت عن البيت وعن هاتفها وقابلني عند أول المدينة السكنية" اغلق ليديق على شهاب هائقاً "شهاب سلمى لم تعلم بالأمر أحضر حسناء وحمّو فوراً لمنزلها" صاح شهاب بغيرِ فهم "ماذا تنويني داود"

"ليس وقت الشرح فقط دع الجميع يجتمع بيتها لا أريد أن تتركوها ترى ما نُشر" اغلق الهاتف وعامر يدق عليه ليجيبه "أين أنت"
"عند البوابة"

"حسناً رأيتكم" توقف أمامة قائلاً "أسرع بني" تحرك مُسرعاً وكفهُ تفتح صندوق السيارة الأمامي ليهتف وعينه تتبع الطريق بحذر "فتش عن الفلاشة التي كانت معك" أخرجها عامر ليشرح له داود ما سيفعله، دققـتان مراً حتى توقف أمام بيتها وهو يهمسُ إليه "هل فهمت؟" تركهُ عامر وتوجه إلى بيته قائلاً "لا تقلق" وعلى باب بيتها شاهدـها تُرخص كماً من الأكياس بسيارتها ليتوجه إليها يهتف "إلي أين؟" انتبهـت لصوته وقد عرفـته لترمهـة بـغـل قائلـة "ليس من شأنك؟"

"ما تلك الحقائب سلمى؟"

"لا يعنيك الأمر داود" مد كفه يفتح واحداً ليرفع عينه إليها ويسأل "المن كل هذا الطعام؟" أغلقت بابها وتوجهـت إليه تسحبـ الكيس من بين يدهـ قائلـة "أذهبـ داود، لا أريـد رؤـية وجهـك" تذكرـ نصائحـ دهبـ لتختـطرـ على بالـهـ فكرةـ، ماذا لو تصنـعـ البؤـسـ وطلـبـ منهاـ إحدـىـ تلكـ الوجـباتـ؟ هـمسـ لنفسـهـ "إذاـ وافتـ معـناـهاـ تـحبـكـ وـإذاـ رـفـضـتـ!" هـتفـ إليهاـ والمـارـدـ يـعرـبـ داخـلـهـ وقدـ رـاقـتـ لهـ لـعـبةـ النـردـ "سلمـىـ! أناـ جـوانـ، أـنـصـورـ جـوـعاـ، ليـ يـوـمـانـ لـمـ يـطـعـمـنـيـ أحدـ" هـتفـ وـسبـابـتهاـ تـشـيرـ صـوبـ بيـتهـ "وـماـذاـ تـقـعـلـ تلكـ الـخـائـنةـ؟ تـأكلـ طـعامـيـ وـتخـونـ عـشـرتـيـ وـأـنـتـ تـحـابـيـ عـلـيـهـ" تـقـدمـتـ مـوجـهـةـ سـبـابـتهاـ بـوجهـهـ وـصـاحـتـ "أـنـاـ"

السافلة وهي المحظية، هيأ أذهب لها "طعمك" اخض رأسه يدعى المؤس فبدا كطفل أبلغوه باللّيتم وهمس "جوعان" ظفرت بقوه تفتح باب السيارة الخلفي قائلة "دجاج أم لحم؟" رقص مارده فمال يستند بكتفه لسيارتها يهمس وعينه تأسر عينها "على ذوقك" مالت بجسدها داخل السيارة تسحب كيساً من آخرها لتخرج إليه قائلة "تفضل بالسم الهاري" النقط الكيس بلهفة يسأل مجدداً "الي أين؟" ارتادت سيارتها وهتفت بعصبية "ليس لك شأن" تحركت بالسيارة وقد صعد جوارها يفتح كيس الطعام ملهوفاً للتذوق ما صنعت ويسأل "غداً حفلة السيدة دهب، متى ستذهب؟" تطلع للطعام الشهي والمارد بداخله يرقص فقد مالت تحضر وجة الدجاج التي يُحبها، أبتسم يلوك الطعام بنهم، وبطرف عينها رمقه لا تعلم ما سرّ الحالة التي شملتها رغم حنقها عليه وكرهها له ولموقفه لكن يكفي أنه مازال يأكل طعامها، ساحتها تلك الحالة التي لا تعلم كُنّتها لتسأل داخلها "ماذا لو كانت هي زوجته" فاقت والسيارة تجنه عن مساريها وهي تؤنب نفسها بشدة لتنتبه لإعادة سؤاله "متى ستذهب للحفل؟" فأجابـت بعصبية "ولما تسأـل"

"نذهب سوياً" التفت له ترميقه بغضب "والله؟ أذهب مع الخائنة زوجها؟!"

"لم تَعْد"

"لم أفهم"

"طلقتها" صرخت وقدمها تدعس مكابح السيارة بقوة "ماذا فعلت؟" ترجل من السيارة تحت أنظارها الغير مصدقة ليأخذ بعض أكياس الطعام يوزعها على بعض القراء ليعود إليها قائلاً "هيا تابعي طريقك، أنا معك" تحركت ولسانها عاجز عن التفوه ودون دراية منهاعاوتها الخاطرة لتشرد في خيال سرمدي جمعهما تحت وطأة تأثـيب نفـسـها ومحاـولة الخـروـج من تـلـكـالـحـالـةـالـسـامـةـ! وبدوره تابـعـ شـرـودـهاـ ليـضـغـطـ علىـ المـذـيـاعـ عـلـهـ يـبـدـدـ الصـمـتـ حولـهـمـ ليـبدأـ مـجـدـداـ لـعـبـتـهـ النـفـسـيـةـ يـهـمـسـ دـاخـلـيـاـ "الأـغـنـيـةـ الـقـادـمـةـ مـوـجـهـ منـهـ لـيـ"

مررت بصدرـيـ
وحـانـ البـكـاءـ فـتـبـأـ
لـدـمـعـيـ وـهـذـاـ

اللقاء تركت
دموعي على
راحتي وأشعلي
في القلب حفل
عزاء

أغلقت ملامحه وهو يستقبل أول الكلمات وأصابعه اليأس للدرجة التي جعلته يُخسر المذياع وهو يهتف مُتهكمًا على كاظم مُطربها المفضل، لتبداً بفرط حُبها له دنونة الكلمات،

وبالجانب الآخر فتحت الباب بعد الكثير من الدق هكذا طبعها ما إن زارها أحد ألقته على بابها بصير عَلَّ تأخرها يصيّبه بالملل ويرحل! تطلعت لعامر المُبتسم بسماحة وهتفت بنزق "ماذا تُريد، أول مرة تقوم بزيارة؟" تعجب من طريقتها العدوانية فقال مُتعجلًّا "غفوا سيدة دُرية هناك أمر هام" مد كفه بالفلاشة يخبرها بسؤالها، وبدورها تعرّفت عليها لتنقطعها من يده تسأله بحذر هل فتحها، أخبرها وما زالت ملامحه مسترخية أنه حاول لكنها لم تعمل، شكرته سريعاً وافتقت على طلبه لترك لينا تقضي السهرة معهم لتخبره أن لو نعست يدعها تنام عندهم، دخلت بيتها تُفتش عن هاتفها الآخر وقد وضعته لينا في إحدى حقائبها المُهمّلة حين افهمها عامر الأمر من السور الفاصل بينهم عند المرأب الخلفي!، أشعلت الهاتف وأجرت المُكالمات تُبلغ قاسم نها سوف تستلم المال غداً أو تُذيع الفيديو وتصنع له فضيحةً مُدوية،

وبمنزل سلمى جلس دهب برفقة شهاب وأدهم ومعهم رباب وسُها تشرح لهم الخطوة وما سوف تفعل لتهف سُها مُعرضة "وابنائهما؟ هل فكرتم بردة فعلهم؟" طالعها شهاب بمحبة وأردف "داود سيتكلف بأمرهم" أعادت السؤال مجدداً "وابنته وتلك الخائنة زوجته؟" أجابها مؤكداً "داود طلقها منذ علم ب فعلتها" نظرت دهب في ساعة مرصدها وسألت "أين حسناء؟ تأخرت" مر الوقت وقد أنهت توزيع الطعام بأكمله وهو يجاورُها لتسأل غير مُعتمدة "لِمَا بعض الناس مُتحفظين معي؟ حتى أن هناك لم يقبلوا الطعام مني!" هتف دون

الاهتمام "هلا ذهبنا، أحتاج دخول الحمام بشدة" هزت رأسها موافقة ليلمح شرودها فما كان منه سوى الهاتف قائلًا "أو ممك فعلها في أي زاوية هنا" صاحت بأنف ترجمة بدهشة "هنا! بالطريق العام؟" ثانية تبادلت بها أنظارهم والذكرى تعاودهم والضحك بين قلبيهما سيجال لتهتف وقد زارتتها تفاصيل الذكرى كاملة "عسا ألا ينتهي الموقف بدراما مخزية"

"لا ذكرى مخزية معِي سلمى، ذكرياتك حلوة المذاق ولها نكهتها الخاصة"
أحجمت عن الرد لخزيها مما قامت به سابقاً، اليوم لدغت من الجميع وأخرهم زوجته وبدوره لم يهتم، فقط طلقها من أجل كرامته، لذلك قررت بيع البيت وما تملك في تلك البلد وأخذ أبنائها والهجرة إلى أبعد مدى على تلوز بالغرار من ويلات الخذلان والألم، صفت السيارة بالخارج لتلمح سيارة دهب وكذلك أدهم وأخرى غريبة لتهتف فلقة "خيراً! ستترك يا رب"

* * * *

ضربت الباب خلفها بعنف، تحجل على قدمها حتى جلست بالصالحة تهتف عليه والألم ييرح كاحلها ليخرج إليها بوجه مُشرق وكأنه لم يبكي وينتحب يسألها "كل هذا الوقت؟ هل استلمت السيارة؟" رفعت عينها تنتظره بقرف لتهتف بـ"أهذا ما يهمك؟ السيارة؟ ألا ترى جرح قدمي؟"

"كيف جرحتي؟ هل أخذت باقي الأموال من قاسم؟" صاحت بوجهه "ماذا؟!" لما أصبحت مسحوراً هكذا؟" رمّقها بعين زجاجية خاوية من المشاعر حتى صاحت من جديد "اجل السيارة تحت بالحرارة والأموال معى وأضف لهم أن قاسم سينجّد الشقة الجديدة بالحي السكني خاصة دون أن نتكلف شيء" لمعت عينها بخبث وراقصت حاجبيها وقالت "سوف نسكن بنفس الحي كي أسود عيشتها بنت المصري"

□ "إلى هنا وكفى نهى لا مزيد من تلك الحرب" توسيع عينها ترجمة بغل وهتفت بجبروتها الكاره "الموت وحده من يردعني عنها، إما موتي أو موتها" تبسم بغضب ومال يجلس القرفصاء أمامها هامساً بفتح اسود "سأوضح كل شيء إذن! حمو واتفاقك معه، تحليل النسب المزور وصولاً لفيديو اليوم يا نهى" مالت إليه تهمس هي الأخرى بكل الغضب "أما زلت تحبها؟ أم أن ذلك

الفيديو أحج بك شيء لا تُشبع منه عابد؟" احتدت عيناه ليميل لأنّها بهمس ساخن "أُعشق حروف اسمها نهي، والفيديو أحج غيرتي عليها" دفعته بقوّة تهتف بتحدي "ساقتها حتى تغار عليها من جهنم" تبسم مُستقيماً بالوقوف وهتف باستفزاز يُيقنُه "ماذا؟ أتغارين على؟" بادلته الاستفزاز بالابتسام البارد وقالت "بل أغار منها! أحترق من ذكر اسمها" اعتدل يُناظرها بخُبث وهتف "إذن ركزي في العلو والسمو هي بالأخير فضحت وانتهى أمرها لذا دعينا نركز في حياتنا وعملنا" مدت كفها إليه قائلة "ساعدني لدخول غرفتي ودعنا نبدأ في مجاورة الأكابر" التقط يدها وقد سعد بإيقاعها لتعطيه كفها وتهمس لنفسها "دورك انتهى يا بن قطة ولابد من التخلص منك!"

* * * *

وَجَدَ عَامِرُ وَعُمْرُ يَجْلِسَانِ مَعَ لَيْنَا الْبَاكِيَّةِ، كَانَتْ تَشْكِيْ هَجْرَ وَالدَّهَا الْمُخْتَفِيْ،
الصَّغِيرَةُ صَدَقَتْ دُرْيَةَ حِينَ أَخْبَرَتْهَا أَنَّهُ تَرَكَهَا بِلَا رَجْعَةٍ، لَمْحَتْهُ عَيْنَاهَا كَمَا
لَمْحَاهَا لِتَهْمِسَ سَلْمَى وَالشَّفَقَةَ تَتَمَلِّكُهَا "أَذْهَبْ لَهَا الصَّغِيرَةُ لَا تَنْفَكُ عَنِ الْبَكَاءِ
دَاؤِدَ" تَوْجِهَ صُوبَهَا لِيَجِدْ كُفَّهَا أَمْسَكَ بِكَتْفِهِ تَهْمِسَ مَجْدَدًا "إِيَّاكَ أَنْ تَأْخُذْهَا بِذَنْبِ
أُمِّهَا" رَمَقَهَا بَحْبِ جَارِفَ وَوَضَعَ كَفَهُ عَلَى كَفَهَا يَضْغِطُهُ لِتَنْتَبِهِ لِفَعْلَتِهَا وَتَرْمِقُهُ
مَحْذِرَةً، تَقْدِمُ لِلصَّغِيرَةِ الْبَاكِيَّةِ لِيَقِفْ أَمَامَهَا مُعْتَذِرًا "افْتَقِدْتَكَ حَبِيبِتِي" حَمْلَهَا
لِأَحْضَانَهِ يَتَأْسِفُ لَهَا وَهَمْسُ يَسْأَلُهَا عَنْ حَالِهَا لِتَهْتَفُ وَالدَّمْوعُ لَا تَنْفَكُ تَتَهْيَيْ "لَا
تَتَرَكُنِي مَعَ مَامَا ثَانِيَاً" اِنْزَلَقَتْ مِنْ بَيْنِ أَحْضَانَهِ وَرَفَعَتْ كُمْ بِلَوْزَتِهَا فَتَكَشَّفَ
حَرَقَ كَتْفَهَا لِتَهْتَفُ بَاكِيَّةً "ضَرَبْتَنِي" حَرَقَتْ ذَرَاعِي بِالْمَلْعُوقَةِ "هَالَهُ حَرَقَ ذَرَاعِهَا
بَعْدَمَا خَلَعَتْ عَنْهَا الضُّمَادَ الْمَلْوَثَ لِيَحْتَضِنَهَا دَامِعًا مُتَأْسِفًا وَهُوَ يَعْتَذِرُ
"سَامِحِينِي" سَامِحِينِي يَا بَابَا لَنْ تَذَهَّبِي عَنْهَا مَرَةً أُخْرَى" اِنْخَرَطَتِ الصَّغِيرَةُ
بِالْبَكَاءِ وَشَهَقَائِهَا تَعْلُو وَتَعْلُو لِيَهْتَفِ عَامِرُ بِتَأْثِيرِ "كَفِي لَوْلَوْ تَعَالَى أَغْيِرْ لَكِ
جُرْجَكَ" رَمَقَهَا دَاؤِدَ سَائِلًا بِغَيْرِهِ "أَنْتَ مِنْ اهْتَمَتْ بِهَا؟" سَحْبَ عَامِرَ كَفَهَا
وَكَفَهُ الْأَخْرَى يُرْتِبُ شَعْرَهَا لِيَهْتَفِ وَابْتِسَامَتْ لَهَا "بَلِي، تَقاَجَاتْ بِمَا حَدَثَ
بِالْأَمْسِ" سَحْبَهَا دَاؤِدَ مِنْ كَفَهَا الثَّانِي وَرَمَقَهَا بِحَذْرِ قَائِلًا "أَحْضَرْ عُلْبَةَ
إِلَيْسَعَافَاتِ، سَوْفَ أَغْيِرْ لَهَا" سَحْبَهَا عَامِرُ وَأَرْتَقَعَ حَاجِبُهُ بِعَنَادِ وَكَأْنَهُ نَسْخَةُ مِنْ
سَلْمَى لِيَهْتَفِ "أَتَرَكَهَا لِي وَلَا تَخَافَ" سَحْبَهَا دَاؤِدَ قَائِلًا "وَأَسْلَمَ الْقَطْ مَفْتَاحَ
الْكَرَارِ" تَقاَجَأَ بَكْفِ لَيْنَا يُسَحَّبُ مِنْ كَفَهُ وَهِيَ تَهْتَفُ لَهُ "دَعْ عَامِرَ يَفْعَلُهَا هُوَ لَا

"يؤلمني" سبها عامر للداخل لينتبه الآخر لضحكات سلمى وصوت عمر الذي
صدح وهو يرقص أمامه "عيب يا ولد أباها هنا" راقص الصغير حاجبيه
وجسده أمام داود وهو يُدنين

"بنت الجيران شغلاني أنا عندي وأنا في المكان في خلق حواليا مش عايز
حد ياخد باله من الأنا فيه"

ترجمهم وهرول للداخل ليسألهما داود وبسبابته تُشير إليهم "هل أبنك يُغيظني"
توجهت للداخل تضحك وتلقي السلام، بُهت وجهها تشاهد جلسته المقابلة لها
لتهتف بلهفة "محمود؟! حمو؟!؟"

* * * *

"محمود؟! حمو؟!" نطقها بغير تصديق والماضي يتشخص أمامها كالوحش شاهراً بيده شرفاها! إما يُلقِيه بالجحيم أو يرده لها بورد الجنة! نهض حمو إليها وبعينيه الأسف يهتف "مرحباً سيدة سلمى، كيف حالك يا غالية" لم يلقى رد سوى نظراتها المتجهمة وهي تتقدم إليه تهتف والذكرى تُعاد أمامها "كيف فعلتها؟، أبعد الجميل يكون هذا رذك؟" شهقت وغصة البُكاء تخنقها وتتابعت "سترُك وقضختُني! مددت يدي بمروءة وأنت عقرثا! لما يا محمود؟ ما السبب؟" رفع كفيه باستسلام قائلاً "أسمعيني فقط وبعدها قرّري" أشار على الجميع وتابع كلماته المُرتعشة "أقسم أمم الجميع مستعد أن أذهب للقسم وأدلّي بما حدث أو بما ثریدین، فقط أهدأي وأسمعي" هزت رأسها رافضة والبكاء ينحرها لتهمس وسُها تضمها "وماذا يُفِيد بعد أن أصبحت في نظر الجميع باغية" دفعت سُها عنها وتقدمتَه تصرخ "هل تعلم أنني سُجنَت بسببك؟ تشرد أبينائي وكادوا يسجنوا مثلِي؟ واليوم تقول أسمعي!" تقدم إليها داود يُشير لحمو بالجلوس ليجلسها جوار دهب ويسأل "أين كنت طوال الثلاث سنوات الماضية؟" تطلع إليها وقد هاله ما سمع ليهتف والذنب يقتله "فعلت كما أشارت على" أعتقد بجلسته يضم كفيه إلى رُكبتيه "عودت إلى أمي أكسب ودّها" انتبهت مُذنكرة ليسأل داود مستقراً "والذنك؟ ألسْت من أهل الحرارة؟"

"يا باشا والدي من الحارة طلق والدي وُكُنْت في السادسة من عمرِي حين أحب أخرى وبحكم العادة تربيت مع زوجة أبي وجرت الأيام مجرها وأصبحت رجُل ناسياً أمي؟" سالت دهب مُتعجبة "متى خرجت من السجن إذن؟" التفت إليها يهتف باستغراب "لم أُسْجُن بالأساس حتى أخرج يا هانم" صرخت به وعقلها يغلي "كاذب، أنت تكذب يا محمود قطة قالت أنڭ سُجنَت بسبب بيع المُخدرات" هتف مُتعجباً مما يسمع "أي مُخدرات يا ست سلمى؟ على يدك! كانت صفة وانطوت وكانت أنت السبب، إذا كُنْت نسيت فحمو لا ينسى" ظفر ومازال عقله بغير هدى وقال وعينه حائره بينهم "لا أعرف لما قالت المعلمة قطة أنى سُجِنْت؟ قطة أرسلت لي أحد صبيانها ببعض المال وأخبرتني أن كل شيء على ما يُرام"

"أنتظرا!" هتف داود بمهنته ليسأل قائلاً "هُنَا يوجِد لِبْس! قُل لِي يَا حَمْوَ مَا سبب إِرْسَال قَطْةِ الْفَقْد لِك؟"

"كَيْ لَا اظْهَر بِالْحَارَة وَعَابِد يَقْتَلَنِي" صرخت بِيَأسٍ "وَهُل عَابِد يَقْدِرُ عَلَى قَتْل نَمْلَة! أَلَا تَعْرِفُهُ؟" اعْتَدَلَ بِالْمُقَابِل لَهَا يَهْتَف بِغَضَبٍ "يَا سَتْ سَلَمَى وَهُل كَانَتْ فَعْلَتِي وَفَعْلَتْهَا هَيْنَة؟ ثُمَّ لَمَا تَحْمَلَتِ الذَّنْب عَنْهُمْ؟ لَوْمًا فَعْلَتِي مَا حَدَثْ" صَاحَ دَاوِدْ تِلْكَ الْمَرْأَة وَقَدْ نَهَضْ وَاقِفًا "حَمْوَ؟ كَفَى خُبْثًا وَلَوْمًا! أَنَا رَجُل لَا أَمْلَأْ صَبَرًا، تَكَلْمَ؟ كُنْ مُبَاشِرًا" شَاعَ الْهَرْج وَكَلَّا مِنْهُمْ يَتَفَوَّهُ بِشَيْءٍ حَتَّى صَاحَ أَدْهَمْ بِالْجَمِيع مُنْبَهًا "أَهْدَأُوا!" وَبِحَنْكَةٍ وَكِيلَ النِّيَابَة نَظَرَ إِلَى حَمْوَ بَثَثَاتِ يَسَّالَهُ "أَسْمِعْ يَا حَمْوَ يَبْدُو أَنَّنَا فِي أَتْجَاهٍ وَأَنْتَ فِي أَخْرَ! لَذَا أَخْبَرْنَا مَا حَدَثْ بِنِتْلَكَ الْلَّيْلَةِ دُونَ الْكِنْبَ" وَاقِفَهُ الرَّأْي لِيَعْتَدِل بِجَلْسَتِهِ مُتَاهِبًا وَعَقْلَهُ يَسْتَرْجِعُ ذَلِكَ الْيَوْم بِأَكْمَلِهِ. دَقَتْ نُهَى الْبَاب لِيَفْتَحْ مُبِتَسِمًا فَمُنْذَ قَرْتَةٍ وَهِيَ تَحْوُمْ حَوْلَهُ تُذَكِّرُهُ بِأَيَامِ الشَّقاوَة، ظَلْ يُحِبُّهَا عَامًا كَامِلًا حَتَّى كُثُرَتْ مَطَالِبُهَا وَمَشَاكِلُهَا فَصَرَفَ النَّظَرُ عَنْهَا لَطَمِعَهَا وَطَبَعَهَا الغَادِر وَقَدْ تَلَمَسَهُ بِحَكْمِ نَشَأَتُهُ بَيْنَ الْأَزْقَةِ وَالْأَرْصَفَةِ، هَكَذَا حَالُ أَبْنَاءِ الشَّوَّارِع سَوَاءِ مَعْدُومِ الْعَائِلَةِ أَوْ مِنْ تَرْعِعَ بِكَنْفِ بَيْتِهِ وَالشَّارِعِ مَعَهُ، عَنْهَا قَرَرَ الْعَمَل بِنَصِيحةِ سَلَمَى فَهِيَ كَانَتِ الدَّاعِمُ لَهُ حِينَ تُورَطَ وَانْزَلَقَتْ أَقْدَامُهُ لِطَرِيقِ الإِدْمَانِ الْقَاتِلِ مَا دَفَعَهُ لَقْطَعِ طَرِيقَهَا ذَاتَ لِيَهُ يُشَهِّرُ بِوْجَهِهَا مَطْوَاهُ وَيُطَالِبُهَا بِعَقَارِ مُخْدِرٍ قَاتِلِ بِحَكْمِ مَهْنَتِهَا وَبِدُورِهَا احْتَوَتْ حَالَتُهُ وَلَا يَعْلَمُ كَيْفَ أَفْعَتَهُ بِالْعَلاجِ بِلِ أَدْخَلَتْهُ بِوَاسِطَةِ مِنْهَا مَرْكَزاً تَابِعاً لِلدوْلَة لِعَلاجِ الإِدْمَانِ وَأَشْرَفَتْ عَلَى حَالَتِهِ بِنَفْسِهَا حَتَّى بَرَأَ عَلَى يَدِهَا، لِيَخْرُجَ بَعْدَهَا رَجُلًا عَوْضًا عَنْ بَلْطِجيِ الْحَارَةِ، كَانَتْ لَا تَنْفَكُ عَنْ زِيَارَتِهِ وَالْحَدِيثِ الإِيجَابِيِّ مَعَهُ حَتَّى أَنَّهَا اكْتَشَفَتْ جَمَالَ صَوْتِهِ فَشَجَعَتْهُ عَلَى ذَلِكَ لِلْدَّرْجَةِ التِّي جَعَلَتْهَا تَتَوَسَّطُ لَهُ عَنْهُ أَحَدُ الْمُلْحِنِينَ الْقَدَامِيِّ حِينَ كَانَ مَرِيضًا بِمَشْفَى تَعْمَلُ بِهِ، لِيَخْرُجَ مِنْ ذَلِكَ الْمَصْحَةِ رَجُلًا أَخْرَ بِفَضْلِهَا بَعْدِ فَضْلِ اللَّهِ عَلَيْهِ مُؤْرَرًا تَرَكَ الْحَارَةَ بِأَكْمَلِهَا وَالْبَحْثُ عَنْ وَالدَّتِنَهِ، لَتَبْدأَ زِيَاراتُ نُهَى الَّتِي جَاءَتْ بِنِتْلَكَ الْلَّيْلَةِ تَوْدِعَهُ مُتَمَنِّيَةً لَهُ الْاسْتِقْرَارِ وَالشَّهَرَةِ كَمَا أَحْضَرَتِ الطَّعَامِ لِيَأْكُلَا وَيَضْحِكَا وَيَتَذَكَّرَا بَعْضُ الْذَّكْرِيَاتِ الْطَّفُولِيَّةِ لِيَتَطَوَّرُ الْأَمْر بَيْنَهُمْ بِدَافِعٍ مِنْهُمْ وَبِدُورِهِ لَمْ يَجِدْ مَانِعًا لِيَحْدِثَ بَيْنَهُمْ مَا أَصَابَهُ فَيَمَا بَعْدَ بِالْخَرِيِّ مِنْ نَفْسِهِ وَمَذْلَةِ الشَّيْطَانِ لَهُ! مِنَ الْأَمْرِ تَحْتَ اسْتِغْرَابِهِ، فَلِيَسْتَ نُهَى مِنْ تَمْلُكِ الْلَّطْفِ وَالْمَحْبَةِ وَلَا هِيَ مِنْ تَتَنَاؤِل ذَكْرِيَاتِ الطَّفُولَةِ

والأخوة، ولا حتى تسلم نفسها دون مقابل! نهى لا تملك بين ثنياها قلبها سوى مُضغةٍ سوداء عَطِيَّة وطعمُها أشدُّ مرارة من الحنظل! وبدوره لم يُصدقها حتى سألها مبasherة إلى ما تُخطط؟، وهُنا نهضت تضحك متوجه للمطبخ تصنع الشاي لتعود بوجهاً مُتغيّراً! دقّيقه وشمله بعض الصداع وشيء من الدوار وبخبرته علم أنها وضعت بковبه أقراص الهلوسات! ولكن ولسوء حظها انه صار لا يتاثر بتلك الأشياء عدا إذا تضاعفت الكمية لأكثر من ثلاثة أضعاف، فقط شعور بالدوار كشاربُ الْخَمْرِ لأول كأس بالحياة! هكذا تبعيات الإدمان! وتزامناً مع الشاي بدأت بذكر سلمى لينقسم عقله شطرين جانبًا واعي مشوش وأخر يتملّكه الخُزعبلات! لكنه انتبه لمسبتها سلمى وذلك ما جعل عقله يأبى الانفلات لتزيد على النار الحطب وتتهمه بحبها حد الوله! نهض غاضباً يسبها ويسبحُها من شعرها ويُيرح جسدها ضرباً حتى تمكنت من دفعه خارج الشقة ليهوي بكل ثقله على درايبين السُّلْمِ، اعتدل بشق الأنفُس والدوار يشله والتلف يسحبها من عباءتها السوداء حتى انشقت عنها، صرخت بكل صوتها ليجد عابد أمامة يسبه ويسبها صارخاً وقد سحبها من البيت لساحة الحرارة، انتبه لما حدث وهروي خلف عابد مذعور يلعن الدوار الذي جعله عاجز عن التفرقة بين نهى وسلامى!

وبصدر السُّلْمِ سدت المعلمة قطة الباب ترجوه الهرب درءاً للشر وحتى لا يقتله عابد، فكيف يمد يده على زوجته كما أن رجال الحرارة بالخارج لفتوك به فلا داعي لتأجيج غضبهم، رفض غير مُقتنع بحُجتها لتنقسم قطة أنها ستشرح الأمر لابنها لكن بعدما يهدأ وتهدا الحرارة بعدها رؤونه، كيف لأحد أن يمس سلمى أو يُهينها؟ أعتذر لها وقد أذعن لحُجتها وتوسلها ليأخذ منها عهداً وقسماً بابلاغ سلمى بالتباس الأمر عليه وعدم قصده لضربها فهو لم يعي من البداية من هي، عاد إلى شقته واجداً نهى تدعى الفزع وتنتعلجُ اللحاق بصديقها ليوصيها بالوقوف حدها، سحب حقيبتها مُغادراً تحت تعجل نهى له ليهرع لسطح المنزل هارباً فيكفي المزيد من المشاكل لها بالأخير سلمى لا تستحق أن تُهان تحت أي سبب، رحل حمّو والغضب من الخطيبة قد أعمى عينه، كيف اهتز وقع في شبакها واستدرجته بحقدها وسواد قلبها ليقع بجهنم، خرج من الحرارة هارباً ظناً أنه تعدى بالضرب عليها لكنه توقف قاصد الرجوع و

المواجهة ليعدل عن مسعاه سماعه صوت نهى الرفيع تصرُّخ بالحارة "كفى، كفى توقفوا" لو يعلم ما حاكته نهى وقطة ما كان ترك الحي سوى وهو كومة من نار مُندلعة وما كان أرسل إلى قطة صديقة يتقدد الموقف بعد مرور عام كامل ليعود إليه بكومة من المال ومعها توسلًا جديداً منها بأن يلتزم البُعد لأن عابد يُقتش عنه وأنه مُتهم بقتل شاباً بعدهما أقر الجميع بأنه باع له السوم البيضاء، لذا أكتفى بتلك الحِقبة غالق أبوابها ونواذها بالأقفال مُلقيًّا مفاتيحها لأبعد بُعدة بالكوكب لتُمرِّ السنوات وهو يُراعي والدته ويجد في تعلم الموسيقى حتى تقاجأاً مُنذ شهر بما يُشاع عنها حتى ذكر اسمه ليقرر زيارة الحارة ليلاً ليتأكد من الأخبار، ليقرر اللجوء إلى المحامي الذي ظهر معها بعدهما عرف هويته وأسمه من الشيخ حازم الأفاق الذي ما تقوه إلا حين علم بعودة حمو لانتقام من الكلبة نهى ومعها قطة العجوز الشمطاء، لذا لجأ لحسناه بحكم معرفة سابقة جمعتهم بورشة فنية منذ عام وبالـ العجب أن تكون حسناء بقلب الأحداث مُرشدة!

انتهى من القص تحت سكون الجميع، ووجوههم علاها التجمُّع وقلة الحيلة وهي تنتحب بالبكاء المرير تُقطن للحيلة الخبيثة التي دبرت بسوء نوایاهم المُظلمة، همست وجسدها يرتعش "لست باغية! ليت الحارة الظالمة تعلم!" شددت دهب من ضمها تحاول تهدتها لتنظر رباب بعتاب شديد لسها التي قتلها البكاء، ما كان يخطر ببالها أن الأمر هكذا ولكنها مُتأكدة من مُشاركتها الغير مباشرة لقطة ونهي مما جعلها تتقدم إليها وتجلس القرفصاء أمامها تترجي المغفرة "أنا السبب! لوما أقعنـاك بالذهب ما حدث ما حدث أختي" "أه يا سـها! لـيتـك ما حرـكتـي شـفـقـتي؟ لـيتـني تـمسـكـتـ بمـبدأـي! لـيتـ اللهـ أـخذـنيـ كـيـ اـرتـاحـ منـ تلكـ الحـيـاةـ" فوق درجات السـلـمـ بكـيـ عامـرـ كماـ لمـ يـبـكيـ منـ قـبـلـ وهو يـعيـ الـلـعـبـةـ التيـ حـيـكتـ بـكـرـهـ وأـيـ كـرـهـ يـدـفعـ المـرـءـ لـلـاسـتـثـارـ بـالـخـبـثـ؟ـ العـجزـ لـجـمـ أنـفـاسـ الجـمـيعـ عنـ القـوـلـ، رـبـابـ تـهـمـسـ بـالـسـبـابـ وـالـشـتـمـ وـأـدـهـمـ سـيـجـنـ لمـ يـقـابلـ بـمـهـنـتـهـ وـضـاعـةـ كـتـلـكـ، شـهـابـ؟ـ شـهـابـ الـذـيـ تـأـكـدـ بـأنـ سـهـاـ كـانـتـ مـتـورـطـةـ بـالـأـمـرـ بـفـرـطـ سـذـاجـتـهاـ وـضـعـفـ شـخـصـيـتـهاـ الـذـيـ تـخـطـىـ الـضـعـفـ بـضـعـفـ؟ـ أـمـاـ عـنـهـ؟ـ المحـامـيـ المـخـضـرـمـ؟ـ مـنـ لـدـيـةـ الـقـدـرـةـ عـلـىـ فـكـ الشـفـراتـ وـإـيـجادـ الثـغـراتـ لـمـ يـسـطـعـ فـكـ شـفـرـتـهاـ حـتـىـ صـارـ هـوـ الـجـانـيـ وـالـقـاضـيـ وـالـجـلـادـ مـتـخـلـيـاـ بـكـامـلـ

إرادته عن الدفاع عنها أو حتى إيجاد التغرات بحُكم مهنته التي تقتضي الدفاع والقصصي لا الظلم! طبع الحياة قادر! كلما ناولتك الثقة سلبتك الحقيقة دون عناء الفهم، لصلة ما إن لمحت النعيم بيديك سرقته بكامل إرادتك! درساً قاسي تعلمه المتر داود الرازي، كل صامت مُستتر غطاءً لnar تأكلك! وكل صادح صارخ أساسه أبكم أصم!

ذرية؟ امتهنت الصمت وزينته بالرضا لتكتشف النقاب عن صرخات الغدر، سلمى؟ صرخت بقهر لتكتشف النقاب عن أتساخ أنفسنا،

"صفعة الحياة نار يا داود فتحمل اللطم صاغراً" همس لنفسه ونحييها ونحيي ابنها ينحره، ليتولى ضميره العمل فكلما طل بعينها سيقتله جُرحها لذا اقسم أمام نحيبها مسؤوليتها! صاحت دهب ثبد الأجواء المُلبدة بالغضب "كفى بـكاء بُنيتي، الحق ظهر ونحو معك حتى تواجهي من ظلمك" دفعتها عن أحضانها براحة تُلملم شعرها فائلة "كفى، كيف سوف تذهبين لحفل الغد بتلك الحالة" غمزت للبنات تدعوهن لتغيير الأجواء لتببدأ رباب ذات البسمات بمشاركه شهاب الذي صاح "لم أعرفكم على حسناء، ممثلة الشاشة العربية" هتفت حسناء مُبتسمة ولم يخفى عليها نظرة سُها لها " ومعكم أيضاً المُطرّب الصاعد؟" صمتت تسللاً "صحيح هل انتقيت أسم عوضاً عن حمو؟" هز رأسه بلا صامتة وهتف بخفة دمه "ما زلت حائر بين محمود زغلول وحمو العو" ضحِّاك الجميع وحسناء تهتف "زغلول، وعاو؟ أنت مُطرّب أم قاتل محترف" صاح وعيته على سلمى الباكيَّة "ست الكل من تنتقي الاسم إذن، أثق بذوقها" هزت كتفها بجهل لتبدأ بالتجاوب رغم دموعها المُنهمرة لتهمس بكل ما تحمل من سخط "داود الرازي" قهقه الجميع بصخب على وجه داود المصدم والذى بدوره أجابها وحاجبيه يرتفعان دون إرادته "داود الرازي؟ ها! الرازي إذن" اغتصبت ابتسامة من أنياب الغم على لزمنه بالكلام، دوماً ما تحرك بها ساكن حتى أنها أحيانا تستقره لسماعها فما أن نطق "ها" بتحدي وغضب صار اوسم من نجوم السينما! انتبهت لشروعدها ترمُّقها وقبل أن تلحظ وجيب قلبها لمحتلينا التي نزلت وخلفها عمر يصرخ "أرجوك تمهلي" سبقته بسرعة تهف بصدمة وبيدها لوحها الإلكتروني تصيح غير واعية "طنط سلمى متى كنت ترقصين لأبي؟ انظري كيف يُصفق لك!"

* * *

تفقد بريبة دعوة الحفل المرسلة من التعلبة دهب وغصباً اضطر لقبولها مُقرر الحضور فتلك فرصة سُنّعزر موقعه خصوصاً وبعض الأخبار وصلته بأن هناك من يتقصى عنه حتى أنه أوقف سفريات النساء حاملي الذهب كما أوقف وشريكه بيع وشراء العملاط مؤقتاً، سُيُجمد النشاط شهراً أو شهرين حتى يدعم علاقته مجدداً بذهب التي بدورها أثبتت أنها لم تشُك به مطلقاً، فقط بقيت ثغرة واحدة وهي كيف يُثبتت لداود انه ليس بقاتله؟ مازال يساوره الشك بأن هناك ما يربط داود بسلمي وتسوييف أدهم وشهاب واحتوايهم له بذلك اليوم! وتلك المرأة التي تُهدّد؟! لابد أن يجدها فما تملكه هو الدليل الوحيد عليه ودونه يشرب داود من أكبر بحر يُقابلها، التقط هاتقها يُراسلها كاتب "النقوذ جاهزة جداً التسليم في حفلة ذهب الاخشidi، أبحثي عن طريقة لحضور الحفل" يُستلم منها ويسلمها المال ويُطلق خلفها رجاله ليتخلصوا منها وبدأت الوقت يكون ظاهراً أمامهم مما يُنفي التهمة عنه! تبسم والخطة تستحسن إعجابه ورفع هاتقها ينظر للفيديو المزيف للمرة الأولى، تنهى بحرارة يتخيّلها تتمايل له وتندل عليه ليُقسم لابد وأن تُصبح ملكه! نهض لفراشه مع بطلة أحلامه يهمس مفتوناً "سُحقاً للذكاء الاصطناعي وما يصنعه"

* * *

حرقت المعلمة قطة الأجواء كما تحرق حجر النرجيلة لتبدأ بالرد على المُتابعين بعد اشتعال الميديا فور إذاعة الفيديو الفاضح، الكل يسأل كيف كانت تعاشر تلك الباغية؟ وكيف كان شعورها حين علمت بخيانتها؟ أسئلة سطحية تافهة لكنها تُصيب كيد الحقيقة وبخبرتها تعلم جيداً أن الأمر بات مرهوناً على كلمة منها مجرد الخطأ كشف المسئور وما خبيء، وأهل الحرارة باتوا في جدال مُستميت منذ تدخل الشباب الواعي بتنزيه الأمر وطرح الأسئلة دون جواب لها، وبخبرتها علمت بأن النهاية آتية، ظهور حمو المُفاجئ ليس سوى قيام الساعة لها ولابنها وقلهم نهي! ظفرت حنقتها مع دخان النرجيلة وهتفت وقرارها سحب نفسها من وحل نهي ليس خوفاً ولكن حفاظاً على ما وصلت له عبر الميديا، لن تُقرط في المدح ولن تسمح بإطاحة عرشها، هتفت عبر الشاشة تدفع

الدخان من أنفها "أحباب قطة القبر ليس ببعيد وأنا سامحت سلمى منذ زمن أما عن ذلك الفيديو فلا أعرف عنه شيء فقط سأله نفسى سؤال!" سَحَبْت نفس ثم ظفرت دخانه باضطراب وداخلها يعلم أن كلماتها القادمة ستغيّر أراء الناس وتُقلب عليها نهی لكن إذا كانت هي حية ترقص في كل اتجاه فالملعنة قطة رفاعية الهوى "جاوبوا عن السؤال! من قام بتصوير ذلك المقطع؟ وما مصلحته؟" أهتاج المتابعين وتواتت التعليقات منهم مؤيد ومنهم معارض وبينهم الآلاف غيّبت عقولهم لتهتف بصوتها الجھوري الصارم "من منكم يقدر على صنْع فيديو لي وأنا أنحر خاروف في لندن" غامت الرؤية إثر الدخان لتعود الصورة وهي تهتف "هيا مُسابقة وأكثر فيديو ينال رضا قطة سيكون صاحبة ضيف الشرف غداً في افتتاح مطعمي" تبسمت تُشير إليهم بالسلام لتعلق البت تهتف من بين أسنانها "كان يوم أسود يوم وأفتقلك يا بنت السباك"

شردت والخوف يرتع داخلها والقلق لم يترك لها مجال لتعترف كعادتها السرية أن الحقدة نهي القت بهم داخل قفص السباع لو علمت بذلك الفيديو لمنعها ولو بالقوة لكنها أعتقها من أي اتفاق، أي ساذج سيهرّب ركضاً ما إن صار الرماد نار والنار صارت لهجة مُستعرة تطوق لأول كبس فداء لذا ستعزل نهی وأفعالها وتقرغ لمُحببيها وحساباتها عازمة على الوقوف في منطقة الأمان حيث لا نهی ولا سلمى ولا حتى عابد ولدها فهو الآخر بلاء، انتبهت لدخولها تعرّج وتصرخ كعادتها "ماذا فعلتي؟ هل من عقلك تكلمت؟" رمقتها بمهانة وقرف وصاحت بغير القبط "آخرسي يا بنت السباك" صرخت بوجهها بجنون "توقف عن نعيي بذلك اللقب! مات السباك وماتت سيرته" أرتعَ جسدها من فرط الغضب لتتقدم إليها تُكمل صراخها "هل جُننت يا امرأة أم أصابك الخرف حتى قولتي ما قولتي" دون مقدمات وحذر رفعت قطة النرجيلة لتدفعها بها وبصوتها الجھوري صاحت "تبأ لك" تقدمت إليها تحت أنظارها المصومة لتأخذ بملابسها وتهتف بفحيخ متوحش "أنسيت من أنا؟ أنا المعلمة قطة! أذبحك بغير تسمية" دفعتها لتقع خلفها، أشارت من على وسبابتها باتجاه النرجيلة المُحطمة "هيا" رمقتها بعين لبؤة غاضبة تزار "نظفي الأرض، وحذار أجد شيء محترق" هزت رأسها بطاعة كما الكلب لتببدأ بالنقاط شظايا الزجاج المُتناثرة تحمد الله أن ماء النرجيلة أطفأ الفحم وهي

ترتعد من الهيئة المُرعبة التي تُشاهدها لأول مرة، انتهت مما طلبت لتنوجه صامتة صوب الباب ليصدح صوت قطة التي أشعلت نار جيلتها الأخرى "إلى أين عرجاء لم ينتهي عملك بعد"

دخلت شقها والجنون يتملکها بعدها انتهت من مسح سُلم البيت بأكمله تحت أمر المعلمة قطة التي جلبت صبيها عضمه يصورها بذلك المشهد! دخلت حمامها تقف تحت مرش المياه بكمال ملابسها الملوثة، والإهانة تقتلها كما قلت كرامتها لتهمس متوعدة "صبراً قطة" ومن داخل غرفة الأشباح خاصتها بدأ البث الخاص بعدها تناول تلك السيجارة الملغمة ليبدأ الهذيان والتظليل على أكباد البلد وصغارها، أنفلت العقل منه بأكمله ليتطرق بسفور ووقاحة وجنون لأمور الدين ويحرض ذلك الشاذ على المعصية ويخلق له الأذار الواهية ويا لا الأسف حين تفاعل معه جموع الشباب والشابات مدعين لكل كائن حي حرية فلا يجب أن يعقب عليها أحد!

* * *

ما زال عقلاها يستوعب كلمات الصغيرة المُتسارعة، دقيقة، الثانية حتى الثالثة وهي أمام المشهد بصمت دون النبس ببنت شفاه، الوقت بمجمله قصير لكن واقعه دهراً الجميع حجب عنها المشاهدة بأمره المباشر حتى انه التقط هاتفها في سهوة يضعة بجيبي معطفه، رفعت عينها تتفقد كلّاً منهم على حدى وابتسمة غريبة رُسمت على وجهها لتهمس بذات الضحكة المجنونة "رقاصة" لمحت عينها عمر لتهتف وكأن لم يمسسها ألم "ماذا؟ أجو عن حبيبي؟ هل أصنع لك رُفق بالحليب والسكر؟" همس داود بقلب مفطور "سلمي!" زاغت نظراتها ليهب عامر إليها وهي تهتف بخوف شملها "جائ؟" التقت إليها وقد شعر بارتعاش جسدها ليهتف مُنبهاً "سلمي هذا كذب" أخفت اللوح خلف ظهرها تهزي "بلا! لا سجن مُجدداً، لا لا تخافوا" همست لذهب التي تجاورها وأنفاسها تلهج "خبريهم؟ تكلمي!، لن أتحمل السجن مرة أخرى، سيضر بوني وأهان مُجدداً" رمقته بهلع وتمسكت بكتفه راجية "أتوصيل إليك لا تقولها أرجوك لست سافلة، لن تزورني بالسجن لا تخف" تطلعت بالجميع على مهل تقضم أظافرها وتهمس "لا تخافي، لن تستضعفك إداهن! تحملني هو مجرد جرح بالرأس" أغمضت بقوة تكبح الدمع العصي وكفها يتحسس جرح رأسها بألم، تطلعت

بعين عامر خائفة لتنقل نحو عمر فضحت كمن مسها جن قائلة "أتعلموا؟" أُمكم قاتلت وحوش ضاربة" رفعت إبهامها تأكل ظافره وتُتبههم قائلة "فُلت لا تخافوا، لما تكون لا أفهم؟" همس عامر بحرقة "ماما، أمي لا تفعلي هكذا" تبِعهُ عمر وقد جلس الاثنان أمامها أرضاً "سولي؟ سلمتني لم يحدث شيء فقط تماسكي" هزَّت رأسها رافضة ودفعت كفوفهم من فوق فخذيها تهمس بهستيريا لا، لا، ابتعدوا، ابتعد عمر، ابتعد عامر لكن عاهدني أن تُحافظ على أخيك ما دمت حياً" سحبت نفسها حُشر بصدرها والتقت تهتف على داود وقد بلغ غضبها مبلغ جهنم "يا مترا! أرجوك! أوصيك بهم، وفر كل سُبل الحياة لهم عليهم ينجوا من تلك الأم الملوثة" همت تُكمل هذيانها ليهمس إليها مُتعاضي عن فرحته بالثقة التي أصقتها بها "سلمي؟ أهدائي؟ جميعنا نعلم الكذب من الصدق" قاطعته بهدوء وثُر الجميع "أنتم لا تعلمون شيء" مسحت وجهها وأكملت "الصدق مكمنه قسوة السجن، كتمان النسيم بالصدر، الصدق معنى للظلم والغدر وخيبة الأمل، أما الكذب فهو الصدق المحجوب في نفوس البشر! فأنت لا تعلمون شيء!" نهضت ليneathض الولدان يتمسكان بها كما غريق يخشى الموت لتهتف وهي تُبعد أيديهم عنها برفق "لا تلمساوني" تطاعت إليهم وكأنها تشاهدتهم لأول مرة ومالت تُتبههم "لو بيدي لقتلت نفسى كي لا ألوث سمعتكم ابد الدهر" استقامت مُبتعدة تهمس بهدوء مُخيف البُحة "أهربوا من السافلة، ابحثوا عن أم غيرها تُهديكم الأمان والشرف" صاحت بعجز "أقتلوني إذا شئتم لن أغضب أو أعراض" حَكت جُرح شعرها وذكرى السجن تُعاودها وأكملت "أتعلموا؟" لو ذهبت لملجأ اليتامي أفضل من المكوث معى، سيعرف الجميع أن السافلة الزانية، ربِّيَّة السجون ماتت وأراحتكم من قذارة سمعتها" دفعت بكفيها الهواء بوهن وهتفت "هيا، هيا، أهربوا لوزروا بالفرار من جحيم السنة الناس وظلم الدنيا وسمعني" صاح حمّو وقد دمعت عيناه شفقةً بها "ست سلمي، نحن نثق بكِ، لا تهتزِي يا غاليلية" ضحكت مُتهكمة ثم أكملت كسكراناً أذهب الشرب عقله كيف حالك حمّو؟ ها أنت ظهرت دون فائدة" صَكَّت كفيها ببعض ثُعلن يأسها وصاحت ضاحكة "أحرثوني حية حتى السماء ستوقف زخات المطر حين احترق" تبسمت لسعها بخجل وهمهمت "سامحيني أختي، لن يُدْقَ بايْكَ ابن حلال مُطلقاً! العالم لا يسكنه سوى أبناء الحرام، تحرري حبيبي أعلني للناس براءتك

من نسيبي" أكملت مخنوقه الصوت "وأنت رباب تحزنين لما فعله زوجك! لا تهتمي بالأخير لم يجرؤ بمس شرفك أو فضحك بل ساعدك وقدرتك حق تقدير العِشرة" نظرت لمن تقدم إليها وقد حال بينهم بضع خطواتٍ قليلة وهمست بوجه شديد الحُمرة ملتهب "لا تقولها، ها أنا اعترف بها، أنا؟ أنا سلمى المصري سافلة وبجدارة استحق عليها الأوسكار" كبله العجز سوى من سحبها بيطيء يُسكن جسدها المرتعد بين ضلوعه ضارباً بتحفظ الجميع عرض الحائط هامساً "أبكي هنا حبيبتي" ودون الأدراك والوعي سكتت إليه تشدق شهقة الموت تبكي مذلة العمر مغمغمه "خبتني داود، أنا خائفة" بكى الجميع انهيارها، رباب اختفت بسماتِها وسُوها لم تستطع التقاط أنفاسها حتى حسناه الضيفة بكت وكأنها أختا لها! دهب بكت تحتوي الصبيان بين أحضانها وهمست "لا تخافوا لدى الحل ولكن لابد من موافقتكم" دمعت عين شهاب الذي سحب سُوها للحديقة علّهما يجدان السلوى معاً، حتى أدهم بقوه شكيته لم يتحمل ليأخذ حسناه جانباً يُرتب معها بعض الأمور العاجلة وهو يمحو الدموع، حملها داود خائرة الجسد وخلفه أبنائها وذهب التي رفعت هاتفها قائلة بالأمر "صَهْبَ، صَبَاحًاً عَلَى الْعَاشِرَةِ"

وبرُكن الصالة لمح حمو الصغيرة الباكية مُنزوية، هم إليها مُسرعاً يسألها بلطف "لما تجلسين هنا؟ ولما القمر يبكي؟"

* * *

تطلعت لانعكاسها بالمرآة ولاح الفرح في ثنایا عينها، عشرة مليون سيكونون لها بعد ساعات، تراقصت بانسيابية تهتف بسعادة "خطوة واحدة يا ذرية، وبذلك الفيديو المنتشر سيتحقق الحلم الأعظم" توقفت عن الدوران حول نفسها لتنتبه فكيف ستذهب إلى الحفلة التي تقييمها دهب؟ توجهت لنافذة غرفتها لتلمح السيارات المصفوفة لتبتسم بخبث وهي تميز سيارة دهب وداود أيضا، بالصباح ستذهب إليها وتحسّس الموقف وتطلب من دهب دعوة الحفلة، صفت بكتفيها مُدركة ضرورة حضور داود وبالتالي سوف تُرافقه زوجته المصوّن ذرية! رتببت أفكارها بروية بدأً من ذهابها لهم بثوب لينا وصولاً لمُغادرتها، تمددت على الفراش وأغمضت عينها تحلم بالمال وتستعد لتحقيق أهم جزء في خطتها! همست وهي على يقينٍ تام مما سيحدث "أخيرا! أخيراً سأتمكن منكِ ومن إرثك يا جناب المُمرضة!"

* * *

همست بخفوت مخافة جرح صمت الليل الذي احتوى ساكنى البيت "لا شهاب، بهذا الحل سُتصدق الثّهم بها! سيظن الناس أن الأمر إنقاذ للموقف" بادلها الهمس بثقة "لا نقلقي سُها وفكري معى لأن العقبة الوحيدة تكمُن بموافقة سلمي" وافتقت بهزة من رأسها لتهمس بحقن "لن تقنع" سألهما بخبث "هل افتقنعتِ أنتِ أو لاً" تنهدت مُستسلمة "ليس افتقناع بل ثقة في رجاحة عقل السيدة دهب" عاتبها يهمس "ذهب فقط؟" أجبت دون انتباه لمقصده "أثق بأدhem لكن داود؟ يكرهها، أخاف أن يجرحها" دفع ذراعها وقد أنقلب وجهه "أنهضي سُها، فلة الكلام معكِ أفضل"

"وماذا فعلت حتى تدفعني هكذا؟" هتف بصوت مجلجل "وثقت بالجميع فماذا عنـي؟ هواء؟ شفاف لتلك الدرجة؟" أخفقت عينها وجاهاـت تكتم بسمتها لتهمس بخجل "أنتَ ملء العين شهاب ولا يصح" صمتت ليجاورها هاماً "تكلمي! يصح ماذا؟" تشجعت تحت نظراته المُعجبة وشيء حرك بها فرحة لتهمس "لا يصح جمعك بأحد، أنت تخطيـت الثقة شهاب" ظفر لهـب ساخـن يسأل "سـها؟ أصدقـينـيـ القـول! أـهـنـاكـ شيءـ منـ وـدـ اـبـنـيـ عـلـيـهـ سـعـادـيـ؟" هـزـت رأسـهاـ موـافـقـةـ وـنـهـضـتـ مـسـرـعـةـ تـهـمـسـ "أـكـثـرـ مـنـ الـودـ" اـنـسـعـتـ اـبـنـسـمـتـهـ وـكـفـهـ يـمـسـحـ رـقـبـهـ لـيـقـرـ بـحـبـهاـ،ـ هـتـفـ وـقـدـ وـصـلـتـ بـاـبـ الـبـيـتـ الدـاخـليـ "ـيـاـ بـنـتـ،ـ وـسـلـمـيـ

ماذا سنفعل؟" أشارت على فمها بالسكت وفالت تغلق الباب خلفها "موافقة الجميع لن ترك لرفضها محل" تركت الباب موارباً لتشهق وهي تجد رباب مُختصرة تغنى بتهكم "أول مرة تحب يا قلبي وأول يوم أتهنى" كتمت أنفاس المُطربة تهمس "آخرسي رباب، كُنني عن التلاصص" راقت حاجبيها وسحبتها للداخل تهتف "أمامي، لأعرف كل كلمة دارت بينكم" وعلى القرب مد حسناء فلاشه صغيرة إلى أدهم قائلة "هدية مني إلى داود، عربون صداقه من حسناء للجميع" تفحصها بربية وقال "قلم حمراء؟ على ما تحتوي؟" تبسم بخبث وشردت قائلة "الجزاء من جنس العمل يا باشا! نهى تجبرت وحان ردعها" طالعها مدهوشًا وسأل "غريب تغيير موقفك؟" نهضت تُعلق حقبتها تتوى الرحيل لتهتف بندم "صحوة عقل وضمير، عالم البت ما هو إلا عرض رخيص تُنزل به الأقدام دون شعور، وأنا قررت ألا أذل بعد اليوم" تبسم ابتسامته الواسعة مُعقباً "سعيد من أجل صحوتك حسناء" همست والندم بعينها "سلمى وصبرها من لهم الفضل! رغم ما مر بها وما زال يُمر لم تفقد جسارتها حتى مع الضعف" رقمها وما زالت الدهشة تعتملي وجهه لتتبسم لأندهاشه قائلة "المرأة الصامدة في لحظات الضعف ليست سوى مقاتلة، وسلمى واجهت اللام شرف بشرف رغم وقوعها مع عدوة لم تُذق شرف المرأة" نظر ل ساعته وهتف "أوشك الصباح البروغ، أبقي حتى نطمأن على سلمى" تغيرت بقرارها ليحس عنها الموقف حمو الذي يحمل لينا النائمة هاتفاً "حسناء؟ ساعديني!" ضحكت تحمل الصغيرة عنه وهمست "حمو العو صار بابا نويل" تحرك الصغيرة بأحضانها ليهتف خلفها برجاء "ابحثوا لي عن اسم شهرة فأنا قررت أحْيِي حفل اليوم" قبلت الصغيرة تُشدد من ضمها متأثرة بعيق البراءة لتهتف من منتصف السُّلُم "تامر شاهين"

جلست دهب بجوار النائمة تتبادل النظارات مع داود فأشارت بصمت على عمر و عامر ليهمس داود إليهم "أريد التحدث معكم بشيء" انتبه عامر لهمسه فهتف مُجددًا "دعونا نتحدث بغرفتكم!" دققتان وكان يُغلق الباب خلفه ليُشير إليهم بالجلوس ليهتف مُرتبكًا "عامر؟" رد الصبي بغم يجثم على صدره "نعم عمي" تتحنح ساعلاً عيناه بعين الفتى قائلًا "أنا أتقدم إليك بطلب يد سلمى والدتك" بُهت وجه عامر ولاحت عليه الصدمة مع هتاف عمر فرحاً

"تنزوجها؟" تبسم موافقاً يُراقب صمتَ الآخر ليهتف بتعقل "ما رأيك عامر؟ أنتَ رجُلها ورأيك قبل أيها، هل أفاتح والدتك في الأمر؟" ورغم الصدمة انتفخت أوداج الرجولة بالصبيّ ليهتف حائراً برجلة بات يُقْنَها "الليس التوقيت غير مناسب؟ الناس ستُطِنُّ الأمر تسترّاً على ما حدث" رقمه بإعجاب لتفكيره واستلقي على المقعد يهتف "العكس تماماً، سأشرح لكم الخطة ولكن أعرف رأيك أولاً" اعتذر عامر بجلسه فلا خلاف على داود كرجل، كُلُّ خوفه من احتقاره لها وكونه متزوج بأخرى فتلك نقطة سُنْتم بها لتصبح خاربه البيوت العامرة، لذا أعرّب بالأخير رفضه القاطع لتلك الزينة وتوقيتها! تفهم داود موقفه كما تلمس غيرته عليها ليعرف بعافته دون التطرق لمواطن توجّح حمية رجلته لينتقل بالحديث بفصاحة لسانه يشرح دوافعه كاملة واعداً لهم حمايتها ورد اعتبارها أمام العالم، هتف عمر رغم صغره بالموافقة أمام عامر الذي طال شروده، يعلم بقراره نفسه احتياجها لمن تكئ عليه كما شعر بعافته داود لها وتلك المعضلة، مجرد مرور طيفهما معاً يُدلّلها ويُلَازِمُها يندلع به شعور حارق فولاذ مُنصره صُبٌ في نهر مُتجدد حتى صرخت منه الأبشرة! طالع داود بغضب والأبشرة تخرج منه ليعالج داود الأمر بحنكته وخبيثه قائلاً "مؤكّد سيكون الزواج على الورق، فقط لابد من صلاحية لوجودي بينكم" هدأت دواخله ليهمس والطيف يشعل مراجله "موافق" سبّ نفسه لا يعلم كيف نقطها خصوصاً وهو يستقرّ الفرحة بعينه ليهمس بغيظ "أنتَ محامي لئيم حقاً"

* * *

فتحت عينها مفروعة من صوت الغراب المزعج، تأوهت بألم وعجزت عن النهوض لتجد ذراعيها وساقيها مُقيدين بالأصفاد إلى أطراف فراشها، صرخت بملئ صوتها "عمر، عَامِر" لا مُجيب أجابها، تطلعت حولها لتجد نَهْيَ تقف بباب غرفتها تهتف بفحيح سام "لِمَا الصراخُ سلمى؟ أَز عجتنى!" فُزِّعت وعينها تسأل بصدمة من جاء بها هُنَا؟ وماذا تفعل؟ لتجيب نَهْيَ وقد تناولت سكين من جوار فراشها "أَنَا هُنَا لِأَضْحِكِ يَا حُلوَة" ضحكت بشماتة وتراجعت بخطواتها صوب الباب تفتحه "معي زائر يتوقُ لرؤيتِك" فتحت الباب لتشهق سلمى ما إن رأته ليتقدمها هامِسًا "حبيبي، اشتقتُ لكِ" تلوت تنازع الأصفاد وقد دنا منها مُقبلاً لتجده يخلع ملابسه ونَهْيَ تُمزع عنها بلوزتها حتى انكشفت مقدمة صدرِها بسخاء، دفع الرجل نَهْيَ بقوه ليبدأ لمسها بشهوة! صرخت بكل قوتها "لا تفعل! أبتعد!" مالت إليها نَهْيَ تضع السكين لنحرها ثُخِيرها إِما الموت أو ترك نفسها له" صرخت سلمى وقد أشبعتها سباب "لِمَا تَقْعِلِينَ هَذَا، مَاذَا فَعَلْتُ لِكِ يَا نَهْيَ؟" احتدت نظراتها وهمست جوار أذنها بكره "اختاري سلمى! الموت أم الحياة" رمقتها باسمة وأفسحت لقاسم الذي تخلى عن قميصه واصبح عاري الجذع، أغمضت عينها رُعباً من هيئته وهتفت متوجلة "أتُوسل إِلَيْكِ نَهْيَ، أَلَمْ نَكُنْ صَدِيقَتِينَ؟"

"اختاري سلمى اختاري بصمت" سألتها تتلوى بالفراش بهستيريا انتابتها من نظرات ذلك البغل "كيف دخلتم هُنَا؟" تبسمت بنوبة وهتفت "لا تُسْوِفِي" صرخت به وبها وقد أقبل عليها "يَا أَبْنَاءَ الْكَلْبِ" دنا يتحسس شعرها نزواً برقبتها "لا تخافي لن يمسسكِ غيري طالما بين أحضاني سلمى" حرَّكت رأسها بالرفض تقلُّ عليه وحدجت نَهْيَ بجمود قائمة "الموت"، الموت أفضل من لمسات ذلك الكلب النجس، افعليها نَهْيَ، اقتلني" تحسس قاسم جسدها بحرارة لكن سكين نَهْيَ كان الأسرع حيث توالت عليها بالطعنات المُنقرقة تصرخ "موتي، موتي سلمى! أرْحَلِي للجحيم حتى أهناً" تحشرج أنفاسها وجراحها تنزف بشدة لتصرخ ببواقي طاقة مُستنزفة "داود أبنائي أماناتك"

* * * *

ضرب الباب إثر صراخها باسمه ليدخل وعيناه تتفقد هيئتها المُبعثرة، تقدم مهرولاً تحت بُكائها الحارق وأنفاسها التي توقفت بصدرها، كفها يمسح وجهها والأخر استقر فوق قلبها، تطلعت له وما زالت بغية الكابوس المفزع لصرخ بعصبية تلوّمه "أين كنت؟ أين الجميع؟ لما تركتموه يدخلوا غرفتي؟" احتضنها دهب جوارها وهمست "ما الأمر" وبدوره أرتفع حاجبيه دهشة من هجومها ليسأل بترقب "من دخل؟ هنا! من دخل؟" رفعت دهب كفها وهي تقرأ غضبها وهتفت توقفه "كابوس! كان كابوساً يا داود؟" تخطى فراشها وصولاً للنافذة يستطيع البيت ليسمع همسها الهستيري "نهى هنا ومعها الكلب قاسم يا دهب" النقطت أنفاسها من البكاء وأكملت "الكلب تلمسني وقبل" عضت لسانها وهي تجده أمامها يهتف "ماذا؟ ماذا فعل؟" هزّت رأسها بلا صامتها وهمست "كابوس؟ كابوس مُعرف" تحسست صدرها باهتمام وتفقدت كفوفها بقلق "نهى قلتنتي، غرس السكين في صدري مرة ومرة ومرات" بكت وهمست مُجدداً "أنا خائفة؟" دخل عامر إليها يهتف خائفاً "هل أنتِ بخير؟ لما تصرخي؟" "عامر اتصل على أدهم أريده فوراً، فوراً بُنني" صاح ما إن سمعها بغيره وتملأ "وفيما تُرِيدِينه؟ هنا! لا املاً عَيْنِكِ أنا؟" رمقته بغضب يتحكم بها وصاحت بوجهه "ما شائلك يا بارد؟ وكيل نيابة وانا سأقدم بلاغ له" تفرقت نظراته المجنونة على الجميع ليمح دهب تُشير له بالهدوء لكنه صرخ كما رضيع فُطم للتو "كل الشأن يا هانم، فأنا! البارد! هنا البارد؟ زوجك!" قلب دهب عينها من عناده ورمقته بشر تحت صرخة سلمى "زوجي؟ هاو! زوجي من أي زاوية؟" بدأ الشجار وكلاهما يسأل دون إجابة، وتحت النار وال الحرب دوت صرخة دهب توقف المهزلة "اصمتوا، توقفوا" انتبهما لصراخها بعدما استنفدت رصيد هدوئها لتهتف بأمر والشر عينها "سلمى؟ ساعة وسيعقد عليك داود، الأمر مُنتهي" تطلع لدهشتها مُبتسماً بجنون مما أثار غيظها لتهتف بعناد مُستحيل! لو انطقت السماء على الأرض! هتف عامر سعيد برفضها "الأمر ضروري ماما، أعيدي النظر!" لحقه عمر الذي دخل على الصراخ يهتف بحذر "لحظة! هناك زائر؟" دخلت تبتسم وبيدها لينا تسأل "هل ستذهبين حفل اليوم معنا طنط سلمى؟" وتحت دهشة الجميع هتفت ذرية بمحبة مُصطنعة

أصابتهم بالغثيان "مرحباً، جئت لأخذ لينا كي نتحضر للحفل، مؤكد سوف
أرافق زوجي حبيبي!"

* * *

صاحت المعلمة قطة تشحذ هم صبيانها وتتفقد تجهيزات مطعمها تشرف على الذبائح بنفسها استعداداً لافتتاح اليوم،منذ قررت تحويل بيتها الذي ورثته عن والديها وهي تستعد لذلـك يوم بعد أن جعلت من الطابق الأرضي محلـاً للجزارة يشرف على الثلاث طوابق العلوية حيث جعلت منهم مطعم بحوائط رـجاجية لامعة في تلك الـبعـقة الشـعـبية التي على ما يـبـدو سـتصـبـحـ حـدـيـثـ المـيـدـيـاـ وـمـزـارـاـ للـسـائـحـينـ وـكـبارـ رـجـالـ الأـعـمـالـ بـالـبـلـدـ، تـقـدـمـ عـضـمـهـ الـذـيـ عـيـنـتـهـ مـشـرـفـاـ عـلـىـ المـطـعـمـ يـهـتـفـ مـؤـكـداـ "الـنـسـاءـ بـدـأـ بـطـهـ الطـعـامـ يـاـ مـعـلـمـةـ متـىـ تـحـدـيـداـ موـعـدـ الـافـتـاحـ؟ـ نـظـرـتـ لـسـاعـةـ يـدـهـ الـذـهـبـ وـقـالتـ "أـوـشكـ الـظـهـرـ عـلـىـ الـاذـانـ وـالـافـتـاحـ فـيـ السـابـعـةـ، لاـ أـرـيدـ غـلـطـةـ وـاحـدـةـ إـلـاـ رـوحـكـ سـتـكـونـ الـثـمـنـ يـاـ عـضـمـهـ"ـ صـفـعـ رـقـبـتـهـ عـدـةـ مـرـاتـ "رـقـبـتـيـ يـاـ مـعـلـمـةـ"ـ اـقـتـرـبـ يـسـأـلـ بـمـحـبةـ "كـيـفـ حـلـتـ مـشـكـلـةـ التـرـاـخـيـصـ وـخـلـافـةـ وـالـأـمـرـ كـانـ مـعـقـداـ"ـ رـمـقـتـهـ شـذـراـ وـصـاحـتـ "هـلـ أـنـاـ قـلـيلـةـ يـاـ لـدـ، بـارـكـ اللـهـ فـيـ الـمـعـارـفـ وـالـكـبـارـ هـكـذاـ العـزـوـزـ إـذـاـ أـرـادـتـ أحـدـاهـنـ"ـ لـوـحـتـ لـهـ بـالـرـحـيلـ وـاـكـتـفـتـ بـمـاـ قـالـتـ لـيـرـحـلـ وـيـؤـثـرـ الصـمـتـ إـذـعـانـاـ لـطـبـعـهـ، جـلـستـ بـمـقـعـدـهـ الـوـثـيـرـ تـتـابـعـ التـحـضـيرـاتـ تـتـذـكـرـ صـفـقـتـهـ مـعـ الـمـحـامـيـ دـاـودـ حـينـ تـقـابـلاـ مـنـذـ عـدـةـ أـيـامـ، هـدـدـهـ بـمـقـرـرـتـهـ عـلـىـ مـحـواـهـ وـمـحـوـابـنـاـ ثـمـ أـغـرـاـهـ باـسـخـرـاجـ كـافـةـ الـأـورـاقـ وـالـتـصـرـيـحـاتـ التـيـ وـقـفتـ أـمـامـهـاـ لـتـخـضـعـ لـمـصـلـحـتـهاـ وـتـمـيـلـ جـانـبـهـ ضـارـبـةـ بـنـهـيـ وـابـنـهـاـ عـرـضـ الـحـائـطـ بـقـوـةـ، كـمـاـ أـنـهـ اـقـتـعـتـ بـدـوـافـعـهـ وـقـدـ عـلـمـتـ مـنـ تـدـخـلـهـ فـنـاءـ نـهـيـ، لـاـ تـنـكـرـ خـوفـهـ مـنـ حـضـورـهـ الطـاغـيـ وـلـاـ تـنـكـرـ يـقـيـنـهـاـ بـأـنـهـ مـنـ وـضـعـ الـعـقـبـاتـ أـمـامـهـاـ فـحـيـنـ وـاجـهـتـهـ بـشـكـهـاـ لـمـ يـنـكـرـ وـلـمـ يـتـنـصـلـ مـنـ مـسـؤـلـيـتـهـ بـلـ اـخـبـرـهـ بـأـنـ اللـعـبـ مـعـهـ خـسـارـةـ فـادـحةـ، فـهـوـ يـلـعـبـ بـشـرـفـ لـمـ تـعـرـفـهـ، لـتـقـرـرـ مـقـنـعـةـ أـنـهـ خـبـيـثـ الـعـقـلـ وـصـادـقـ الـكـلـمـةـ وـتـلـكـمـ الصـفـقـتـيـنـ لـاـ يـجـتمعـانـ فـيـ نـذـلـ بـلـ رـجـلـ ذـوـ شـرـفـ وـعـزـ نـفـسـ.

رفعت هاتـها تـطـلـبـ سـبـبـ شـقـائـصـ لـنـهـفـ "تجـهزـيـ يـاـ سـنـدـرـيـلاـ الـلـيـلـةـ حـفـ الـافـتـاحـ"ـ ردـتـ تـسـبـهـاـ سـرـاـ "هـلـ سـأـتـرـكـ حـفـ دـهـ الـاخـشـيـدـيـ لـأـحـضـرـ اـفـتـاحـ مـطـعـمـكـ؟ـ"

"الـافـتـاحـ بـالـسـابـعـةـ مـسـاءـ يـاـ زـوـجـةـ اـبـنـيـ وـحـفـلـكـ بـالـتـاسـعـةـ يـاـ نـهـيـ؟ـ"
"وـكـيـفـ عـرـفـتـيـ يـاـ مـعـلـمـةـ، قـطـةـ؟ـ"

"من الميديا يا روح أمك" أغافت بوجهها لتنظر نهـى للشاشة هامـسة "كيف انقلبت ذلك المنقلب يا قطة؟ ملعونة الشهـرة التي عملـت منك امرأة" صاحت تقدم من عـرفة الأشـباح لتفتح الباب تـزعـق "تحضر! سـنذهب بالـسابـعة لافتـتاح الملكـة المتـوجـة، هي سـاعة وبعـدها نـنـمـتـع بـحـفـلـ دـهـبـ الاـخـشـيـديـ" نـاظـرـها صـامـتاـ لـتهـفـ مـجـداـ وـقدـ دـاقـ بـهاـ ماـ يـفـعـلـهـ مـؤـخـراـ "ماـذاـ أـصـابـكـ؟ـ صـارـتـ هيـبـتـكـ كـالـمـدـمـنـينـ؟ـ وـماـ تـفـطـلـهـ لـاـ يـنـاسـبـ ماـ تـنـتـلـعـ لـهـ" مـازـالـ يـتـابـعـهاـ بـصـمتـ، عـيـنـهـ تـنـقـدـهاـ بـغـرـابـةـ وـعـقـلـهـ خـاوـيـاـ منـ أيـ شـيءـ مـذـ عـلـمـ ماـ خـطـطـتـ انـقـلـبـ حـالـهـ لـأـسـوـءـ حـالـ تـارـةـ يـشـتـاقـ التـمـرـغـ تـحتـ أـقـادـامـ سـلـمـيـ مـعـتـزـ وـتـارـةـ يـسـعـدـ بـوـحـدـتـهـ وـإـخـلـاءـ سـبـيلـهـ مـنـ الـمـسـؤـلـيـةـ،ـ الـيـوـمـ لـاـ يـعـبـاـ بـشـيءـ وـغـداـ يـهـتـمـ بـحـالـهـ وـهـيـتـهـ وـكـانـهـ زـيـرـاـ أوـ رـئـيـساـ لـلـجـمـهـورـيـةـ!ـ مـُشـتـتـ لـاـ يـعـرـفـ أـينـ الـهـدـىـ وـهـيـ أـمـامـهـ بـُومـةـ تـنـعـقـ،ـ تـنـهـدـ وـاـغـلـقـ حـاسـوبـهـ سـأـلـاـ "أـعـطـنـيـ تـبـرـيرـاـ وـاحـدـاـ فـقـطـ لـغـدـرـكـ بـهـاـ؟ـ" رـبـعـتـ زـرـاعـيـهاـ تـرـمـقـهـ بـغـبـاءـ لـيـسـ بـدـنـهاـ قـائـلـاـ"ـ سـلـمـىـ!ـ أـنـكـلـمـ عـنـهـاـ!ـ لـمـ خـرـبـتـ بـيـتـهاـ؟ـ كـيفـ وـسـوـسـتـيـ لـيـ يـاـ نـهـىـ؟ـ"ـ عـوـجـتـ فـمـهـ بـقـرفـ وـهـنـقـتـ "ليـتـيـ ماـ فـعـلـتـ"ـ طـالـعـهـ بـاـنـدـهـاـشـ فـحـواـهـ هـلـ نـدـمـتـ فـصـدـمـتـهـ قـائـلـةـ "ليـتـيـ قـاتـلـهـاـ وـارـتـحـتـ حـرـقـتـهـاـ وـأـبـنـائـهـاـ!ـ الـمـمـرـضـةـ ذـاتـ الـعـفـةـ"

"اعـلـمـ كـرـهـكـ لـهـاـ وـغـيـرـتـكـ مـنـهـاـ وـلـكـ مـاـ ذـنـبـيـ أـنـاـ؟ـ"ـ تـقـدـمـتـ إـلـيـهـ عـلـىـ وـجـهـهاـ ابـتـسـامـةـ شـيـطـانـ عـصـيـ وـمـلـتـ تـهـمـسـ بـفـحـيـجـ جـهـنـمـ "لاـ تـتـصـنـعـ دـورـ الضـحـيـةـ،ـ بـقـرـارـةـ نـفـسـكـ كـنـتـ تـكـرـهـ صـورـتـكـ بـحـضـورـهـاـ"ـ أـكـمـلـتـ تـلـكـمـ كـنـفـهـ وـعـيـنـهـاـ تـقـرـأـ أـفـكـارـهـ "وـاجـهـ نـفـسـكـ بـالـحـقـيـقـةـ الـمـرـءـاـ!ـ كـمـ تـمـنـيـتـ الـخـلـاصـ مـنـ أـبـنـائـكـ بـالـمـوـتـ؟ـ!"ـ تـكـرـهـ حـبـ النـاسـ لـهـاـ عـوـضاـ عـنـكـ!ـ مـتـىـ شـعـرـتـ بـرـجـلـتـكـ أـمـامـهـاـ وـكـمـ مـرـةـ اسـتـصـغـرـتـ نـفـسـكـ جـوـارـهـاـ؟ـ"ـ دـفـعـتـهـ بـقـوـةـ أـوـقـعـتـهـ وـمـلـكـتـ عـيـنـهـ الـمـذـعـورـةـ بـيـنـ عـيـنـهـاـ وـهـسـهـسـتـ "تـنـتـكـ أـنـ عـقـلـكـ وـقـلـبـكـ،ـ جـوـارـكـ نـفـتـ الـخـيـانـةـ عـنـهـاـ!ـ لـكـنـكـ فـضـحـتـهـاـ قـاصـداـ لـتـمـلـكـ تـعـاطـفـ الـجـمـيعـ بـعـدـهـاـ!"ـ اـتـسـعـتـ اـبـتـسـامـتـهـاـ وـهـنـقـتـ "تـلوـمـيـ فـيـهـاـ؟ـ وـأـنـتـ أـولـ سـهـمـ طـالـهـاـ،ـ حـتـىـ أـبـنـائـكـ!ـ تـخـلـيـتـ عـنـهـمـ بـكـامـلـ كـامـلـ إـرـادـتـكـ"ـ جـلـسـتـ عـلـىـ الـأـرـيـكـةـ وـصـاحـتـ بـصـدـقـ "لـوـمـاـ كـانـ اـسـتـعـدـاـكـ وـتـوـقـكـ لـلـخـلـاصـ مـنـهـمـ مـاـ كـنـتـ أـنـاـ هـنـاـ"ـ نـهـضـتـ تـمـدـدـهـاـ لـهـ وـبـصـوتـ صـارـمـ قـالـتـ "أـنـهـضـ"ـ سـحـبـتـهـ بـقـوـةـ وـقـالـتـ بـيـقـيـنـ الـعـارـفـ "أـنـاـ وـأـنـتـ وـجـهـانـ لـعـملـةـ وـاحـدـةـ!ـ مـلـكـ خـائـنـ وـكـتـابـةـ سـطـرـتـ بـالـبـاطـلـ مـجـداـ لـكـ"ـ تـرـكـتـهـ لـأـشـبـاحـهـ قـائـلـةـ "لـمـ شـتـاتـكـ،ـ الـضـعـيفـ أـضـحـوـكـةـ تـتـنـدرـ بـهـ الـخـلـائقـ!"ـ

* * *

وَقَعْ شهاب وأدهم على عقد القرآن شاهدين كما وقع داود مُسْرِعاً ووَقَعْتْ هي مُجبرة بعدهما اشترطت أن يكون الزواج حير على ورق، أغلقت رباب باب البيت بعد أن خلا تكتم غيظها من داود فلم يُبُارك لها مُتحجاً بضيق الوقت وارتباطه بالتجهيز لحفل الليلة ليأخذ الصبيين يشتري لها الحُلُول ويتجهزوا جيداً، هزت ساقها بتوتر بالغ وهي تتطلع لكل ركن بالمنزل، كيف وافقت؟ كيف سلمت نفسها لرجل مجدداً؟ هل كانت حُجتَّهم مُقنعة أم هناك نُطفة بكيانها رغبت به؟ عَصَتْ شفتيها وتلك الخاطرة تصفُّها لتهتف بغل لمن ثرَّا قب توترها "إِمَا يَا دَهْبٌ؟ لَا يَسْتَحْقُ الْأَمْرُ الْمَجَازَفَةَ! سُجِنْتُ نَفْسِي بِسِجْنِ الْمَرْءَةِ" تمددت دهب فوق الأريكة وتغاضت عن الرد، ستترك لها مساحة تُفرغ بها غضبها عليها تنتبه لدق قلبها، تعلم أن عقلها بحالة من النقم لذا وجب كشف الستار عن واقعها المستتر، تمطّت دهب بجسدها المتناسق رَغْمَ سنواتها الخمسون وهمسَت "بِضُّعْ شَهْوَرٍ وَسِيَّمِ الطَّلاقِ سَلْمَى" غمزت الي ربّ التي كادت تعترض وأشارت بالصمت تاركة لها مجالاً لإِخْرَاج الطاقة السلبية، ضربت كفيها ببعض تسأل بغل "الكذاب، قال طلقها والليوم اكتشف العكس" نفخت خديها ولملت شعرها حتى كادت تخليعه "لَثِيمٍ وَخَبِيثٍ بَدْرَجَةٍ لَا يَسْتَقْبِلُهَا الْعَقْلُ" سأّلتها دهب بلوئم ترمّقها من بين رموشها المُغْلَفَة "عفواً، ما شائِكَ طلقها أم لا؟" نظرت لسُها وربّ باستغراب وصرخت "هل ينقُضُني فضائح يا ناس! سُيُّدَاعُ أَنِي خطفَتُ الرَّجُلَ مِنْ زَوْجَتِهِ، ثُمَّ مَا رَدَ فعل المستغلة حينَ تعلَمَ؟" أشعلت سيجارتها تهتف مع الدخان "يا عالم، أخاف أن تتعاون مع نُهَى صدي" اعتدلت دهب جالسة تطلب من ربّ فنجان قهوة وتهتف لذات الغضب "الله أَحَلَّ لِلرَّجُلِ أَرْبَعَةَ فَاتِرُّكِيهَا لَدَاؤِدَ، وَهِيَا لَابِدُ وَأَنْ تَتَجهَّزِي لِحَفْلِ الْمَسَاءِ" صرخت تضرب خديها "أَتَجَهَزَ؟" شدت بلوزتها ثُهدَد بتمزيقها "ذهب هانم! لما لا تشعرين بي؟ ها! أَهْكَذَا انتَهِي الموقَفُ؟" التقطت هانقها من الحقيقة قائلة ببرود "لا بأس نذهب لصالون تجميل حبيبي، لا تهتمي!" قاطعنها ربّ بفرح "لا هذه لُعبتي لن يُزَيِّنَ عَرْوَسَتَنَا سُوايَا" صرخت بهم "كفا، لا تتطقوا تلك الكلمة، لن افعل شيء، لا تُجْبِرُونِي على القسم بأنني لن اذهب" صمت الجميع أمام عنادِها لشُعل سigarتها ترمّقهم بغضب ليتها تملأ أَلْهُ الزَّمْنِ لتعود ليوم وفاة والدُّها، تُعْنِقَ يَوْسِفَ وَتَرْحُلُ مَعَهُ، سحبَت الدخان لصدرها لتجد نفسها بنهاية الأمر أيضاً جواره! صاحت ولم تعي تركيز الجميع لها "يا ملعون! حتى الأحلام والأمنيات تدخل بها؟" رنت ضحكةً دهب الرائقة

لتهنفَ لسُها "بنت يا سُها تعالي وخبريني ماذا بينك وبين الولد شهاب؟"
 احمرت وجنتي سُها وهزت رأسها تُنفي لتصيحَ سلمى "كاذب آخر لدينا!"
 أشعّلت سيجارة أخرى ونفخت دخانها بقوّة تسُب نفسُها غير مُصدقة أنها
 أصبحت حَرم داود الرازي "مُغفلة، سأعيش وأموت مُغفلة" همست لنفسها
 وعقلها مُدرِّ "لما الحزن؟ تلك فرصة جيدة للانتقام من الكاذب سلمى!"

* * *

توغلَ الصخب بين حواري الحي بقوّة جذبت الجميع للحدث ليبدأ احتفالُ المعلمة قطة بافتتاح مطعمها الجديد الذي أحيا تلك البقعة بالحي بعد أن كانت خرابية يسكنها المُدمنين وشحاذين المنطقة، حيث ضيوفها الأوائل بمحبة وبذات بتفقد تجهيزات الحفل ترتدي عباءتها الجديدة كنارية اللون والتي أرسلتها لها فتاة من دولة عربية هديةً من والدها الشيخ المُعجب بها! لمحت مجيء ابنها وزوجته لتتقدّم إليهم هاتفة "لما التأخير؟" تطلعت لعينه بعمق فتهافت لثديه مُهادنة "اذهبي وأخبرني النساء بالمطبخ تحضير الحلو يا حلوة" رمقتها بنزق دون الغضب لكلماتها لتسحب قطة عابد الي غرفة مكتبه، دفعته تُغلق الباب خلفها لتهنف بغضب "لم أُخبرك بما حدث لتعتم بل لتفيق إلى نفسك وعملك يا عابد" تهدلت أكتافه يتطلع إليها بصمت ليسأل "كيف هنُت عليك يا أمي؟"
 جلست خلف مكتبها الفخم وأشارت له بالجلوس تلقطُ لي النرجيلة وعينها عليه هاتفة "يا لا خيبة أملـي بك يا عابد! أهـذا السـندـ الذي ابـتـغيـتـ أنـ يـرـافـقـيـ فيـ شـيـبـيـ" اعوج فـمـها بـابـسـامـةـ تـهـمـ وـبـدـأـتـ تـسـرـدـ لـهـ مـذـ حـبـاـهـ اللهـ بـهـ انـقـطـعـ النـصـيبـ وـالـقـسـمةـ، وـمـاـ تـرـكـتـ طـبـيـباـ وـلـاـ شـيـخـاـ إـلـاـ وـزـارـتـهـ لـنـرـضـيـ بـهـ عـوـضاـ وـسـنـداـ، تـقـانـتـ فـيـ تـرـبـيـتـهـ وـقـلـبـهاـ يـخـافـ عـلـىـ وـحـيدـهاـ أـنـ يـجـرـحـ النـسـيمـ طـرـفـهـ، شـبـ الـوـلـدـ وـصـارـ رـجـلـاـ مـلـيـ العـيـنـ وـالـقـلـبـ لـتـشـعـرـ بـهـشـاشـةـ رـجـولـتـهـ وـتـعـيـ أحـلامـهـ الشـاذـةـ، جـاهـدتـ بـكـلـ ماـ فـيـهاـ لـرـدـعـهـ مـعـ عـلـمـهاـ بـفـوـاتـ الـوقـتـ عـلـىـ تـقـوـيمـ اـعـوـاجـ نـفـسـهـ التـيـ غـلـبـتـ عـلـيـهاـ الـأـنـانـيـةـ وـعـدـ تـحـمـلـ الـمـسـؤـلـيـةـ حتـىـ أـنـهـ وـاقـفتـ عـلـىـ سـلـمـيـ مـُجـبـرـةـ لـيـسـ لـأـنـهـ تـكـرـهـاـ عـلـىـ الـعـكـسـ كـانـتـ تـحـترـمـ صـبـرـهاـ وـاجـهـاـهـ فـهـيـ نـشـأـتـ تـحـتـ عـيـنـهاـ وـتـعـلـمـ مـاـ تـحـمـلـهـ وـلـكـنـ لـتـكـونـ حـافـزاـ لـتـقـدـمـهـ، تـعـلـمـهـ الـمـسـؤـلـيـةـ لـاـ التـوـاـكـلـ وـالـكـسـلـ، لـيـنـقـلـبـ السـاحـرـ عـلـىـ السـاحـرـ وـيـظـهـرـ عـابـدـ خـنـوـعـ نـفـسـهـ وـضـعـفـهـ أـمـامـ مـثـابـرـةـ زـوـجـتـهـ التـيـ أـسـقـطـتـ وـرـقـةـ التـوتـ عـنـ سـوـءـتـهـ، سـوـءـتـهـ التـيـ صـارـتـ تـعـيـرـ بـهـاـ مـنـ كـلـ صـوبـ وـحـدـبـ فـمـاـ اـقـصـيـ عـلـىـ الـأـمـ أـنـ تـسـمـعـ بـأـذـنـهـ نـقـدـاـ لـاـذـعـاـ فـيـ ضـنـاـ رـوـحـهـ وـتـمـجـيـداـ فـيـ اـمـرـأـتـهـ التـيـ

بطبيعتها المُقاتلة دافعت عن حصنها وبيتها ووقفت أمام سنوات الشقي والفقير بمُفردها، كرَّهَت سيرُّها وصبرَّها كرَّهَت قطعاً منها تجسَّدت في أحفادها خصوصاً ذلك الشقي الصغير خفيفُ الدم، فمِنْ ورثَ سلاطة اللسان والهجماتِ المررتدة سوَى منها، والكبير عَامِر ضيُّ العين لو يعلمواكم سعادت يوم ميلاده! ورثَ عنها ضيقُ أخلاقها، قطعة منها مُصغرَة تغضِّبُ كما تغضِّب وتُجنِّ بعقلها صاعدة لسابع سما لتهبِّط بالعقل تُخْبِي صدقَة وحذاقَة لها! هكذا طبعُ المرء يظهر بمظاهر مُصطنع ويُخْبِي حقيقَة خلف القلب، آما عن العقل فدوماً يَعي ما بعدَ الحقيقة بحقيقة ولكن يحتفظُ بها في قرارَة النَّفْس، تلك هي الآفةُ الْكُبْرِي (المُكَابِرَة) فرحمَ الله من تواضع واقرَّ بسوء نيتَه! حتى يُعدِّل اوجاجها،

أكملت حديثها تحت نظراته المتنفِّضة مما أفرَت به "يا عينُ قطة وزادَها وماءُها، ما فعلتُ غيرَ ما وجَدْتُك عليه، بي أو بنفسك كنت ستصلِّي لذلك موصلٍ، وهو أنا اعترَفُ علَّك تعقلُ، أنا أسرفُت عليك وعلى نفسي بالظلم يا ولدي" نهضَ من أمامها فاهِم مقصدها رُغم انحرافِ أسلوبها فيما اتفقَت له يهتف إليها "بِئْت لا اعرف الصواب من الخطأ أمي، لكنني وعيتُ من أين اكتسبتُ الأنانية! حطمت بيَّنا وشردتِ صغاراً، القيتِ بامرأة في غيابِ السجن لأجل سوء استخدامك لطفلك الغُرُّ" فرد ذراعيه على وسعهما وابتسم بانكسارٍ مُكملاً "ها أنا أمِّك! انظُري بنفسك، امعنِي النظر أمي! من الرابح في مُعادِنِك يا معلمة؟!" تركها ذاهباً يهتف "ما كسرتِ شيءَ يمكن إصلاحه قطة! بل أحذَّت انفجاراً مدوياً أمي!" خرج ليجدُّ نهوى أمامة ليهتف بطبعِ لعن يزول عنَّه "هيا دعينا نلحقُ حفلَ الأكابر على القليل نختارُ بإرادتنا مكانَة تليقُ بنا!" وبدورها رمقت قطة بشماتة تُطِلُّ عليها من بابِ المكتب هامسة "يا ويلتي! أنتِ الدُّب القاتل لصاحبِه، اشربي! تمنعي بوجه القطة لقباً وفعلاً" كتمَت قطة دموع حسرتها تُشيرُ لها بالانصراف وهي تهتف "بلى سأشرب ولكن! وأنتِ معي بنفسِ الكأس يا عقابي في الدنيا!"

* * *

رمَّقَها الجميع بإعجاب دون إبداء الرأي إذ عانى لتعليمات دهب الصارمة تجنياً
لعنادها لذا أفرجت السيدة دهب عن عصايبتها وطبعها المتسلي لتهتف بقوه
شخصيتها "حسناً؟ هيا مع حمو أنتم من سيسألن أولًا" تحركت حسناً مُتعجلة
تسمع هتاف دهب تأمر "رباب وسُها هيا شهاب ينتظركم بالخارج" تحركت
الفتاتان دون الجرأة على التفوه بشيء لتهتف وهي تُعدل من فستانها ذهبي
اللون "وانا صُهيب ينتظرني خارجاً" هتفت بهدوء خشية إثارة حفيظتها
"ذهب؟" لم تُكمل وذهب تركها راحلة لكنها صاحت "أبناءك معى، وداود
بالطريق إليك" التفت لها لتلمح الغضب على ملامحها فهتفت وسبابتها مشهورة
"أصبح زوجك سلمى! أياك والساخفات أمام الناس في الحفل" اعتدلت بكمالِ
جسدتها صوبتها وذادت من نبرة التحدى بصوتها "لعلوماتك! الحفلة بأكملها
لأجلك" القت ما في جوفها راحلة وهي تُكمل تحت دهشتها "صحيح الفكرة لي
لكن داود! زوجك من خطط لما سيحدث الليلة" تركت الباب موارباً لتجلسَ
الأخرى في واديها الضحل كيف كانت بالأمس وكيف أصبحت؟ داود يهتمُ
لأمرها؟ تلك أُعجبوبة ثامنة! مازالت الساقفة الزانية! الأفلاكة من تأمرت عليه؟
أشعلت سيجارتها تتنمى الفناء كما رمادها وهمسَت "أين تأخذك الخطوات يا
سلمى؟ سجن الماضي أم سجن الحاضر؟ أم ستبقى بمنتصف الأسوار عالقة؟"
أراحت جبهتها لكتفيها المضمومتين قائلة "ليتني رحلت، بلاد الله واسعة"
انتقضت وكفهُ تختطفُ السيجارة من بين شفتيها المهلكة لتصبح "فزعتني"
القى بلعنتها في كوب الماء يُراقبها بتسلی هامساً بصوت كتعويذة ساحرة
"موطنك داود الرازي" سحب كفها وعينهُ تتفقدها على مهل ليهمس
واطراف أصابعه تتلمس عرئها الجديدة "لا سجائير بعد اليوم" احتدت
نظراتها وهمت بقول شيء ليدفعها أمامه بخطوتين يتفقد ثوبها الأسود قائلاً
"جميل ومحترم" رفع حاجبيه بتقييم لِتَبَاع "أكمام طويلة، رقبة عالية و" صاح
ما أن لفها ليصبح ظهرها بال مقابل له "أين الظهر؟ ما هذا؟ ظهرك بأكمله
مكسوف حتى آخره! وما تلك الفتحة بأسفله ما" التفت تهتف بعناد "ليس من
شأنك؟" ظفر وكأنه لم يسمع شيء ليضع ذراعيه بصدره ويهز رأسه قائلاً
"اذهي وارتدي واحداً آخر" أغمضت عينها تنتهد بغير صبر "لا املك غيره"
ارتفع حاجبيه يتفقدُها بيأس "لا تملِكين غيره؟ ها؟ حسناً الحلُّ لدى" مد يدهُ

بلحظةٍ خاطفةٍ يسحب دبوسَ شعرِها ليتهلل خلفها يُداري ما بعد نصفه، ابتسِم
وكفه يميلُ يميناً ويساراً قائلاً "مقبولٌ نسبياً" قلبت عينها تهتف بغضبٍ أحبه
"داود لا تثير أعصابي، اتفاقنا على ورق فلا تستقرُّني"

"وإذا استفرزتك؟"

"الطلاق فوراً"

"ومن سيسمح لك؟"

"الخلع حلٌ"

"أنسيتِ أنا محامي؟"

"المُساومةُ إذن!"

"موافق"

"على ماذا؟"

"اترك لكي بعضُ الحريةِ بمقابل"

"وما المُقابل لتحلَّ عنِي داود؟" انقطع صوته وذراعيه تسحبُها كما يسحبُ
الموجُ بعضه آسراً شفتتها بين شفتتها دامغاً اسمه بملكيتها، أقشعر جسدها تشعر
ببرودة شملت عمودها الفقري أثر كفه الباردة التي تتلمس ظهرها، تنهد
يضمُّها بين موجة العارِم ويخرُّ ساجداً بمحرابها، وتحت وطأة الموج والغرق
جاهازت لانقطاعِ أنفاسها بثوابها الهشة،

غريباً تمسكَ بالنجاة بعد يأس لِيُشدَّد الموجُ من سحبها بمِدِّ وجزر، وهي قشة
خائرة لا حولا لها ولا قُوَّة أمام ثورة البحر! دفعته بقوة خائرة تتلعنُّ بالقول
لينظر إليها مُتحدياً وينقد خجلها المُهدر هاتفاً بصوته مُحرك بها وتراً "لا
حرية دون مقابل سلمى الرازي"

* * *

أشرفت على طولات الضيوف بترحاب تتنقلُ بين الحضور بخفة غزال وأبنها جوارها يتقمص شخصية وريثُ السلطان، سُر عان ما عاد لطبيعته الشادة واندمج مع الأجواء يرتدي حلة باهظة الثمن ليصبح ظاهرياً بهيئة الوجهاء وبذراعه تعافت نهى بثوبها الأحمر القصير ذو الصدر العاري تتباخر كما طاووسٌ نفخه الغرور حتى تناسي أن دون ريشة لكان مجرد دجاجة حمقاء، وقفت قطة بالطابق الأول للمطعم وقد خصصته لأصدقاء الميديا تهتف وعضمه يبثُ فيديو مباشرة "من صنع الفيديو يا أحباب؟" صاح الصبي من خلف الشاشة "انظري للشاشة المعلقة يا معلمة" تطلعت لشاشة العرض الضخمة التي أوصت بها تضحك وهي تشاهد نفسها تحرُّ خروفاً بمهارة تحت برج إيفل، توالت الفيديوهات والحضور يضحكون حتى أمرت بالاكتفاء تهتف بصوتها الجهوري قائلة "هُنا المغزى يا أحباب قلبي! ليس كل ما تراه العين صدقًا!" تحركت نهى تكتم غيظها لتخرج من الحفل تُخطط لانتقام قاسي وخلفها عابد لا يهتم بما أن ركب السيارة الجديدة هتف "يبدو أننا سُجنـي من النزال القادم مبالغ ضخمة تحرك بالسيارة الفارهة مُتخم بها ليضحك ويغمز نهى صائحاً "استعدـي للنـالق ولا تُركـزي مع قـطة الكلـبيـة يـبحث عن مـصالـحة"

* * *

من أفحـم فنـادق الـبلـد بدأ حـفل السـيـدة دـهـب الـاخـشـيـدي تحت آـنـغـام الـموـسـيـقـى الكـلاـسيـكـيـة الرـائـقـة وـالـجـمـيـع بـاتـ حـضـورـاً، شـخـصـيـات من اـرـقـيـ رـجـالـ الـبلـدـ، رـجـالـ الـأـعـمـالـ وـوزـرـاءـ الـحـكـومـةـ وبـعـضـ الشـخـصـيـاتـ ذاتـ الطـراـزـ الـغـامـضـ أصحابـ الـجهـاتـ السـيـادـيـةـ المحـظـورـ ذـكـرـهـاـ، وبـهـيـئـتـهاـ الجـديـةـ الـراـقـيـةـ تـقـدـمـتـ بـيـنـ الحـضـورـ تـرـحـبـ بـتـعـالـيـ يـصـحـ لـهـاـ، رـمـقـتـ سـاعـةـ مـعـصـمـهاـ لـتـجـدـهـاـ قـارـبـتـ العـاـشـرـةـ لـتـقـنـدـ أـهـمـ مـدـعـوـيـهـاـ قـاسـمـ حـيـثـ جـلـسـ إـلـىـ حـسـنـاءـ التـيـ فـرـضـتـ وـجـودـ نـهـىـ وزـوجـهاـ بـأـمـرـ دـاـوـدـ شـخـصـيـاـ، تـقـدـمـتـ الـيـهـمـ تـهـفـ وـتـدـعـيـ سـعادـتـهاـ بـحـضـورـهـمـ "أـنـتـ الـحـفـلـ قـاسـمـ باـشـاـ"ـ رـمـقـتـ حـسـنـاءـ ثـمـ حـيـتـهاـ قـائـلـةـ "أـنـتـ الـمـمـتـلـةـ الجـديـدةـ عـلـىـ مـاـ أـعـتـقـدـ، مـرـحـبـاـ بـكـ"ـ تـغـاضـتـ عـنـ نـهـىـ التـيـ لـمـ تـُخـفـيـ نـظـراتـ الـانـهـارـ بـعـيـنـهـاـ لـتـهـفـ بـغـرـورـ لـمـ يـمـحـوـ شـعـبـيـتـهاـ "أـنـاـ نـهـىـ مـلـكـةـ الـمـيـدـيـاـ"ـ تـبـسـمـتـ

ذهب بتعالي قائلة "وهل يخفي القمر، أتمنى أن تناول الصحبة محبتك" أشارت لصهيب بعدها تلعلت لها قها لتركهم مسرعة وهي تهتف "عفواً فقد حضر ضيفي الشرف" خففت الأنوار قليلاً لتتقدم دهب صوب مسرح الحفل تهتف عبر الميكروفون والإضاءة عليها "مساءُ الخير، ممتنة لحضور الجميع حفل براءتي ولكن اسمحوا لي بأن يكون سبب دعوتك هو السبب الثاني للحفل، حفل اليوم أساسه احتفال المتأخر بزواجه أغلى شخصين لقلبي ابني واعني الكلمة قلباً وقلوباً سلمى المصري وزوجها المحامي داود الرازي "توقفت اثر تصفيق الجميع لتلمح بطرف عينها قاسم الذي استقبل الخبر بصدمة صبغت وجهه بحمرة الغل وعايد الذي فتحت عيناه على وسعها وأخرهم نهى تشيق وصدا صوتها يرث بافظة مبتذلة، أكملت دهب حديثها المتمم مدققة على الصاق سلمى بها حتى ظن الحضور أنها ابنتها مما خلق تبجيلاً رفيع المستوى يليق بقدر دهب ويتبع قدر ابنتها، همسَ قاسم بحد "جعلتها خطأ أحمر! ثعلبة تعي جيداً تأمين قطيعها" وبباب القاعة الرئيسية ارتعشت ساقيها رعباً لتهمس له بعد صمت حفهم منذ خروجهم من البيت الى هنا "داود؟ ماذا يحدث؟"

امساك كفها وقبل أن تسحبه شدّ من تملكه وهتف وبين عينيه تحذير شديد اللهجـة "سلمى! لا مجال للخطأ" تملـكها الرعب من ذلك الوجه أليس ذلك من كان منذ قليل يستقرـها طوال الطريق ويضـحك؟! انتبهت لبعض من حديث دهب لتهمس قـبـالة أذنه "ماذا يـحدـث؟" ضـغـطـ كـفـهاـ بـكـفـهـ وـبـدـاـ بالـتـحرـكـ الي داخل القاعة على مهل يـهمـسـ "هـذـاـ يـهـمـسـ" اـرـفـعـيـ رـأـسـكـ عـالـيـاـ" تـحـركـ جـوارـهـ بـخـطـوـاتـ كـئـيـةـ وـأـنـفـاسـ لـاهـةـ، تـكـادـ تـجـزـمـ انهـ سـمعـ دـقـاتـ قـلـبـهاـ الـذـيـ كـادـ يتـوقـفـ، تـاهـتـ بتـالـكـ الدـوـامـةـ الـمـؤـلـمـةـ، الـجـمـيـعـ يـصـفـ بـكـفـوفـ لـاـ تـعـرـفـ الرـحـمـةـ، وـمـوـسـيـقـيـ تـعـيـ عـمـرـهـ الـمـهـدـ، وـجـوـهـاـ تـتـفـحـصـهاـ بلاـ معـنـيـ، أـصـوـاءـ تـسـطـعـ منـ هـوـلـ المشـهـدـ وـكـانـهاـ تـخـطـوـ بـجـهـنـمـ، وـتـلـكـمـ؟ عـابـدـ وـنـهـيـ؟! أـصـبـحـ أـسـمـائـهـ مـتـجـاـوـرـةـ ذاتـ معـنـيـ! وـقـاسـمـ! نـظـرـاتـهـ غـلـاـ يـتوـعدـهاـ، اـطـمـنـنـاـ شـمـلـهـاـ نـسـبـيـاـ وـعـيـنـهـاـ تـقـعـ علىـ طـاـوـلـةـ حـوتـ وـجـوـهـاـ تـعـرـفـهـاـ وـتـأـمـنـ لهاـ، وـاثـنـيـنـ تـجـاـوـرـاـ بـعـضـهـمـاـ فيـ حـلـلـ لـاـ تـلـيقـ لـاـ بـهـمـ وـكـانـهـمـ مـلـائـكـتـهاـ بـصـكـوـكـ الـغـفـرـانـ حـضـرـوـاـ كـفـوـفـهـمـ تـصـفـقـ وـالـسـعـادـةـ ظـاهـرـةـ علىـ وـجـهـ الصـغـيرـ بـقـوـةـ وـالـكـبـيرـ كـعادـتـهـ كـتـوـمـ المـلـامـحـ لـاـ يـسـتـطـعـ التـعـبـيرـ دـومـاـ لـوـلـاـ انـفـرـاجـ جـبـهـتـهـ لـقـالـتـ "رافـضاـ يـدـعـيـ

الفرح" تحفَّزت وكفهُ الساخن يلمس برودة ظهرها العاري بدفعه رقيقة بعدها سحب لها مقعداً على طاولة خُصصت لهم لتجلس ويميل يُعدّ لها المقعد هامساً "أياكِ والخوف أنا معكِ؟" استقبلت همسه عاجزة كيف لا تخاف وهي بقلب جهنم وزبائنه تتطلع إليها بنظراتٍ شتى، حتى الفهم لم يُقدر لها، جلس مُلتصق بها وعينه تدور بالمكان بقلق حتى سأله لِيُجيبها "لا أرى ليينا ابنتي؟" توترت لعلمها بإهمالٍ دُرية وأشارت الي عامر وهي تهمسُ لداود تستفزهُ "مع زوجتك فلما الفلق؟" مالت صوب عامر الذي حضر قائلةً "أين ليينا بُني؟" قبل جبينها واستقام يهتف "عي لي الأمر" تحرّك بعدما أماء الي داود بعلامةً لا تقلق واتجه خارج القاعة وهاتفه يطلبها بدأت فقرات الحفل بالإعلان عن المطرب الجديد تامر شاهين ليصدح صوته من خلف الكواليس بموال شعبي ارْقَ الجميع إعجاباً،

الستة ست الملاحم التصون العرض

والسبعة سبع الرجال بعد العز نام ع الأرض، عيني
أما الثمانية أتمنى الخير تلاقي الخير ولا تضمهاش في يوم الأرض
والعاشرة لو طيبة دي العشرة لو طيبة بدوم على الآخر

شايـب وجـايـب بنـات كلـهـم ولـدـ في الآخـر
والبـنـت كانـ حـظـهاـ ايـضـ وزـيـ الفلـ جـهـ الـولـدـ بـعـدـهاـ طـايـرـ وـقـشـ الـكـلـ
أـناـ الاـخـدـتـ الأـصـيـلـ ياـ نـاسـ وـالـحلـوـ منـ كـوـميـ
وـحـرـيفـ وـفـاهـمـ أـصـوـلـ الـلـعـبـةـ منـ يـوـمـيـ
حـظـيـ انـكـتـبـ عـلـىـ الـورـقـ وـالـحـبـرـ فـيـهـ مـلـطـشـةـ
يـاـ زـارـعـ الـورـدـ اـسـقـيـ الـورـدـ لـاـ يـعـطـشـ
وـالـزـهـرـ لـطـشـ
واـهـيـ رـاحـتـ عـلـىـ الـحـرـيفـ

صدق الجميع بحرارة وتشجيع وحمّو يعتلي المسرح بالغناء لتقع عينه بعين عابد ثم نهى التي اصفر وجهها وهي تهمسُ برع ارعد جسدها "حمّو!" وبالخارج وقف عامر يتلفت هنا وهناك بعدما أخبرته الصغيرة انها أمام الفندق مع والدتها ليخرج إليها حين تأخرت عن اللازم، رفع الهاتف مجدداً وما إن ردت هتف "أين أنت لينا أنا على باب الفندق الخارجي" صاحت الصغيرة تبكي بحرقة "أنا بالخارج عامر ماما تركتني وحيدة" تجاوز عامر بباب الفندق يهتف بهدوء زائف حتى لا يُفزعها "حسناً لا تخافي أنا ها خرجت لكِ هل تريني؟" صرخت تستجذب صوت ضوضاء حولها "عامر الرجل يسحبني!"

انتهت الغنوة الثالثة وتوقفت الموسيقى وحمّو يهتف بابتسامة واسعة "أسعدني غنائي لأول مرة بنالك المناسبة" تقدم نحو طاولتها ليهتفَ والميكروفون بيده "اليوم احتفال بزواجه أخي وابنة منطقتي السيدة سلمى المصري" دعاها للوقوف لستجيبَ صاغرة وأكمل " وزوجها رجل القانون داود الرازي" نهض داود يغمزُ له ليكمل وهو يتوجهُ بهم للمسرح " زواج مبارك لكم" استقرت عين داود على الحضور كما استقر ذراعه على حصرها بتملكٍ ليهتف عبر مكبر الصوت الذي التقاطه من حمّو بيده الحرة بيتسم ابتسامة القرش وبيداً في شكر الجميع على حضورهم وباركتهم، محذراً بطريقة تجاوزت حد التهديد والتروع بـأن من سيذكر اسمها سيد داود الرازي شخصياً أماهه، ألهب مضيفاً بعض الجبل وفحوها أن لا تلاغُب بعد اليوم لينتهي معراباً بـأن ما ذكر وتنادله الميديا فرط افتراء وشائعة سوف يدفع صاحبها ومن اتفق معه الثمن، كما توعد بالانتقام والغدر وهو يهتف بقوّة أرعدت نهى ومن معها " أكرر إلى تلك المرأة ! سلمى الرازي خط أحمر أريدك وبشدة أن تقدمي صوبه" انهى كلماته وعينه على نهى تارك مكبر الصوت الي حمّو ليتناول من السيدة دهب علبة مُحملية يفتحها على الملا وبيدها في تزيين كفها بخاتم الماس بديع الشكل، تبعه بسوار ثم قرط مُنتهيًّا بعقد ابهر الجميع، بدأت الموسيقى بالعزف وحمّو يدعوه "رقصة العروسين" توجهت دهب لطاولة جمعت رباب وسُها اللاتي يُصفقن مُنبهرين بالمشهد وشهاب وأدهم الذين تبادلا الضحكات والنكات سراً، أما عنها مازالت بغير استيعاب مقوضة القلب، ثُرى أهي بداية كابوس مُزعج أم بداية لنهاية ماضي مازال حياً، لملمت بعض قُنّات من روحها ل تستطيع

الهمس قائلة "ما الداعي لذلك الفيلم الهندي؟" ضحك برجوله انتبهت لها جميلات الحفل ليميل إليها يملأ صدره من عبير الدخان والنعناع يهمس قائلًا "أنفُضي الخوف سلمى لن يقربك أحد" ابتعد قليلاً ينظر لعينها المُراقبة ليعاود همسه "أن أوان الراحة سلمى، اتركي الشقاء لي أنا واستمعي لتلك الكلمات هي لك" ضمنها بحميمية يتتمايل برقة باللغة، أمير وجد ست الحسن خاصة، "في قصر بعيد ولا في الأحلام ساكنة أميرة عمري الجاي وأنا من تفكيري لا يعرف أنام نفسي أعرف بس أوصله أزاي حراسها كتير والوضع خطير وأنا لا أمير ولا حيلتي جاه وقللوا لي أفق وارجع بالذوق ومبتشش فوق وبلاش معاناة والحب حياة"

شدّد من احتضانها رغم علمه برفضها للموقف ليهمس ولهاها "ثقي بي سلمى فأنت من أذقتني طعم الغرام" وبدورها وبكل ما تركته بها الحياة من رُكام أبى التصديق! الحيرة بداخلها تُقيم احتفال بأس ليس كما الذي تتمايل بين أحضانه، احتفالٌ من ألم! صرخات تترنح على ذكرها وتتجربُ مرارة جديدة عنوانها الساطع -غدراً مازالت تحمله الأيام -

أنا عمري ما أسيب أحلامي
تغيب لولينا نصيب..
فالحب حياة

من امته وكان الحب معاد
أو سور وحصون حراس
وببلاده عل شانها أعدى
بحور وبحور وأموت لو
مرة تشوفني جبان حراسها
كتير والوضع خطير
وأنا لا أمير ولا حيلتي جاه
وقللوا لي أفق وارجع
بالذوق ومبتشش
فوق وبلاش معاناة

أنا عمري ما أسيب أحلامي
تغيب لولينا نصيبي ..
فالحب حياة

انتهت رقصتهم الهادائِّ العاصفة بُقبلة شديدة الرقة اختطفها تحت صدمتها
بجرأتِه ليتوجه بها صوب طاولتهم لتلمح عينها من مسافة قريبة نُهى وقد دمَّرَ
الغُل ملامحها، ورغم الخوف الممزوج بالألم ابتسمت بمكر زُلخة في مُنْكأ
دعت له أخصامها، جلست ومنظرها يُحيي جبروتِ تملكة لثقر خوض
التجربة المفروضة عليها، رفعت انفها بغرور وثقة وعينها له قائلة "ادخل
عليِّهم يا يوسف" الم يطلب الزاعُم زوجُها تلك الثقة؟ سُطحي كلاً سؤله حتى
ما إن عصفت ريحُها اقتلت قلوبَهم من صدورِهم دون شعور الذنب
الموحش، همسَت لنفسها وعيُّنها العسلية تُطلق شرارات البدء "هذا الدنيا كُلُّما
بنيت جداراً من الأمان تتستر خلفه يهدُّه الظالم بقوَّة" نهضت ليسألها "إلى
أين؟" جاوبته تُشر للبنات "سأذهب للمرحاض!" تحركت تتمايل بدلال وتبعتها
سُها ورباب لتهتف ما إن خرجت ببابِ الفندق "أين عامر خرج ليأتي بلينا ولم
يُعدْ مُنْذ مدة" توجهت للرواق القريب وخلفها رباب تهتف "اتصلِي عليه سُها"
وبالخارج صرخ عَامِر بغضب "لينا؟ أين أنت؟" اهتزَّ الهاتف بين يده وهو
يُفتشُ عن رقم داود ليطلب أدهم الذي ظهر بأول القائمة وصرخ "عمي أدهم
أدركتني لينَا خُطفت"

توقفت سلمى وهي تلمحُ درية تسُبِّهم إلى حمامِ الفندق لتهتف "أليست هذه
دُرية؟ أين تركت الأولاد، غبية؟" لحقتها ورباب تسُبِّق لتهتف سُها "اسأليها
رباب أين الأولاد؟" دخلت رباب تهُرُّل خلفها لتجد المراحض فارغاً سوى
من امرأة تُعدّل نقابها لتخراج سريعاً حتى أوقفت سلمى وسُها تهمسَ وتسحبُهم
لركنِ موارب "ما بالداخل سوى امرأة تُعدّل نقابها" هتفت سلمى والشك يغليها
"دُرية؟" التقطرت هاتفها تطلب داود لتهتف سُها وعيُّنها تلمحُ الرجال يركضون
خلف بعضِهم "انظري سلمى أدهم وشهاب، ماذا يحدث؟" هرولت سلمى
صوب الرجال تهتف "أنتم راقيبوا تلك الحياة المُنْتَقِبة حتى أبلغ داود" اختفوا
سريعاً من أمامها لتركض بالمرر الفاصل بين الفندق وبوابته حتى اصطدمت
مع أحدهم بقوَّة، رفعت عينها تعذر ليسحبُها لركنٍ خاويٍ مُظلمٍ واضعاً كفه

على فمها يهمس "لا تخافي! اعلم انك غصبت على تلك الزيجة" هزّت رأسها بالرفض، عاجزة عن التحدث ليضغط فمها أكثر وينظر داخل عينها المذعورة يتّابع بهمس "سوف اجعله يُطلقك حبيبي!" اتسعت عيناهَا والحلْم يعاودها لتدفعه بقوة وتهتف بأنفاسها المهدّرة "أنت مجنون! كيف صور خيالك هذا المرض" تقدم أمامها وكفه تلتقط كفها بجرأة يهمس ثانيةً "حبيبي سوف أترکك تستو عين الموقف وواعدي لك أن اجعل ذلك الكلب يُطلقك فوراً" دفعته حتى كاد يقع وصاحت بقوة أو شكت على نسيانها "من الكلب يا بن الكلاب؟ والله لأفضحك فضيحة تليق بمقامك" ركضت من أمامه ترتعش مما سمعت لتلمح الرجال أمام البوابة، صاحت مستتجدة "داود" هرولت إليه غير مُنتبهة لتأك التي صورت المشهد كاماً تُحضر لفضيحة أخرى! انتبه لصرختها فتقدّمها يستقرأ ارتعاشها ببراءة "ماذا بك؟"

"أين الأولاد؟" هزّ رأسه بلا صامتة "الرجال يمشطون المنطقة" وضع كفها تكتم شهقتها والصدمة تلجم معدتها بقوة تهمس ببكاء "هناك شيء خطير!" وجدت درية بحمام النساء ترتدي النقاب" احرمت عيناه وارتفع حاجبيه يسأل "أما زالت هناك؟" تحركت ليتبعها قائلة "سُها ورباب يُراقباها" توافت رباب ببيهو الفندّق أمامها وجوارها سُها لتهتف الأولى والشر يلمع بعينها "مراحب درية؟" دفعتها الأخرى باضطراب تخطّطاها خطوات قائلة "من درية يا مدام" سحبتها رباب بقوة تهتف بإجرام "توقف درية أمراك انكشف" شدت سُها النقاب من فوق وجهها "صوتوك فضحك يا كاذبة" كتّفها جيداً وكلّا منهن توعدها بهذا الرُّكن المنعزل سها تسبّها ورباب تمسك شعرها بقوة وكأنهما من نسل ننم إكلي لحوم البشر، ركض داود وخلفه سلمى وهو يلمح المشاجرة بينهم وتدخل بعض العاملين بالفندق ليهتف إلى سلمى "احضرري مفتاح غرفة دهب، الوضع يخرج عن السيطرة" تقدّم يسحب درية بعنف يضغط ذراعها ويتعامل مع أمن الفندق ببراءة وحنكة، جُنّت درية وقد وقعت بالمصيبة كيف ستلحق الرجل الذي ينتظرها بالفقد، عشرة ملايين لابد وأن تحصل عليهم وبذات الوقت لا تُريد عداوة تجمعها بسلمى حتى تنهي خطتها الثانية، هتفت وهي تجد سلمى انتهت من مكالمتها "سلمى؟ دعيه يترکني ثم ماذا فعلت حتى هاجمتني أخْتك؟" سحبها داود يهمس بغضب "آخر سي؟ توقف عن الجدل ودعينا ننظر المصيبة التي وقعت على رؤوسنا"

احتضن عامرلينا تحت ذراعه ومال يهمس لها "لا تبكي لولو أنا معك" رفع عيناه لسانق السيارة والرجل المجاور له، أليس هؤلاء من جاءوا سابقاً لبيته؟ تململ في جلسته يُفسح مكاناً وافراً للصغيرة تجنبأً من يجاورها، شرد فيما حدث مُذْ نصفِ راكنَ ما فعل إلى عمر وحذاقته!

ركض حينما سمع صوت صراخها يأتي من بعيد ليصل إليها ويلمح رجل يحملها ليقطع المسافة صارخاً باسمها وكفه تُرسل رسالة تتبع الموقف إلى عمر، دسّ الهاتف في جيبه وامسك بذراع الرجل الذي ما إن تقابلا به لكتمه بقوه ليترنّح ساحبها معه أرضاً ويلكمه هو الآخر، تغلّب عليه ثلاثتهم والرابع يُمسك بلينا!

أنتبه ولينا تهمس له "أريد دخول الحمام عامر!" تحسّن كدمه وجهه ومال يهمس لها "هل مُناخ الصبر قليلاً" هزّت رأسها بلا دامعة ليتهد وهو يهتف للسائلق "يا هذا الصغيرة تُريد فعلها بشدة" صاح السائق بغلظة "تفعلها تحتها" هتف يستقرّه وفكرةً ما تندفع لعقله "أنت إذن من سينظف القرف فليس الأمر ماءً فقط" ارتبك الرجل كما ارتبك من جوارهما ليصبح أحدهم مُرتاباً بقرف "لن أتحمل تعوط الصغارها أنا أبئها" ومع جدال الرجال همس لها عامر "لينا تصنيع فعلها بقوة واصرخي بالبكاء" تمسّكت الصغيرة ببطئها والخوف يتنّحى عنها قليلاً ليشجعها عامر بابتسمة مطمئنة، صرخت مُحدثة ضجيجاً عالياً تتلوى بشكل مُفرط قائلة "لن استطع تحمل الأمر أكثر أريد الحمام حالاً" توقفت السيارة قُرب استراحة على الطريق ليهتف الجالس بالأمام قائلاً "تعالي معي يا مُقرفة" هتف عامر بتصميم "لا، سأذهب معكم" ضحك الرجال بسخرية وأحدّهم يتندّر "ولما هل سوف تغير لها يا ماما" قهقه الرجل ليهتف عامر بتأكيد مُدعّي التأثير "للأسف الصغيرة لا تتمكن من الأمر كاملاً حتى أنا بالأمس تركناها تقوم بالأمر وحيدة من باب التعود ولكن كانت النتيجة تلوث البيت بالقرف" رفع كفيها إليهم وأكمل يسقّر انفهـم "خرجت علينا والطين بها" رقم الرجال كفي الصغيرة بربيبة واحتاروا بتلك البلوى ليهتف عامر مُستعجلـاً "الأمر خارج استطاعتها، لديها جرثومة المعدة القاتلة، من كثرة النودلز والرقائق وتلك الحلويات و" قطع حديثه السائق صاححاً "كفى قرف هل ستروي تاريخ حياتها؟" توجه الرجال ومعهم عامر ولينا نحو الاستراحة ولكن أوقفهم عامر يهمس بنبرة صوت هازئة تقصد وصولها إليهم "لواردت لفتـ

أنظار العالم بغموض مظهرنا ما فعلتم هكذا" توقف أحدهم وقد سمعه ليهتف بغضب "تقرقوا يا بهائم ورافقوا الاستراحة من الداخل، وأنت معهم، وأنا هنا على الباب حتى أخبر الباشا بتلك المصيبة التي فعلناها" وعلى باب المراحاض هتف عامر "سوف أدخلها حمام الرجال لن أستطيع دخول حمام النساء" هتف الرجل مستغرباً "هل ستدخل معها؟" قلب عامر عينه وهتف غاضباً "ألا ترى؟ فستانها سوف يلوثنا جميعاً" تحير الرجل بتلك الورطة ليهتف "إذا تأخرت سأكسرك الباب" دفع لينا أمامة إلى الداخل ليغلق عليه وعليها الصغيرة تهتف "هل سوف تراني أنا؟" رفع سبابته على فمه ينبعها للكمان ومال يهمس لها "اسمعي جيداً، سوف أعطيك ظهري حتى تنتهي وبعدها سوف نتصرف، فقط أسرع عي" أعطاها ظهره مُنبهاً عليها بما سوف تفعله ليتقدم صوب الباب الفاصل بينهم وبين الرجل هاتقاً بصوت عالي "ما الذي فعلتيه هذا يا لينا؟" وبدورها صاحت الصغيرة تبكي "أسفه عامر بطني تؤلمني" "هذا قرف، قرف ورأحتك كريهة"

"أسفه أخي غصباً عنِّي" مال ينظر من ثقب الباب وقد انفَت نفسه المكان ولكن مُضطر لذلك، لمَّا خرج يمسك بألفه لينتبه لكتفها التي دفعت خصره وهمسها "انتهيت" التف لها يشير بالصمت ليتقدم إلى النافذة التي تعلو مقعد الحمام يفتحها، تحمدَّ وهو يجدها تطل على مكان خاوي وارتدى إليها قائلاً بهمس "سوف أخرج من هنا وألتافق بعدي، لا تصدرني أي صوت"

* * *

انتهى من وصلة الرقص مع حمو ليجد الطاولة خاوية فاخراج هاتفه يطلب أخيه واجداً رسالته، تحير لما يُرسل له موقعه؟ هم بطلب رقمه لكنه توقف وشيء به يمنعه، تفقد الحضور بعينه العسلية ليخرج راكضاً يبحث عن أي منهم ويسأل أين اختفوا؟، دققتان من البحث حتى لمَّا شهاب وأدهم وقد ساد التوتر والوجوم وجوههم ليصرخ "عمي شهاب ماذا حدث؟" تقدم الصغير حدهم وصاح "هناك شيء مع عامر" رفع هاتفه يُكمِل "أرسل إليّ موقعه" النقطة شهاب وانتبه لأدهم قائلاً "اسمع عمر هناك من خطف لينا وعلى ما يبدو عامر على معها انتظر هنا ولا تبرح مكانك حتى نعود إليك" دمعت عين الصبي وهز رأسه موافقاً يهتف "أين ماما؟ أريدُها" صاح شهاب يطمئنه

"والدتك هنا لا تخف أنت رجل" رفع هاتقه يصبح بعد بُرْهَة "سُها عمر بالبهو
حاله؟"

وبالخارج صاح قاسم يهروي إلى سيارته "يا أبناء الكلاب موتكم على يدي!
كيف أخذتم الاثنين كيف؟" هتف الرجل "يا باشا المرأة نصب كميناً ما لبتنا
حتى وجدنا الصغيرة تهتف أين حقيقة النقود ماما ثریدها" توقيف قاسم ينتبه لما
يسمع وعقله يسترجع ما حدث فقد أرسلت له المرأة رسالة مفادها أنا هنا أين
أنت؟ ليخبرها أن أحد رجاله ينتظرها بالشارع الجانبي للفندق وستسلم منه
وسلمه! فما الذي جاء بابنة داود التي أقرت ببنفيها عن اسمها وأسم والدها؟
ما الذي دفع بعامر بن سلمي معهم؟ اتسعت عيناه وانتبه عقله بكينونة المرأة
وتوعد داود الذي يلاعبة هل أو همه بما سبق ودفع بزوجته للمساومة؟ ضرب
على مقدمة سيارته وهو يهتف على الرجل "حضرهم فوراً للفندق وأخبرهم
انك لم تخطفهم بل أنقذتهم من الخطف" اغلق الهاتف لا يعلم ماذا يفعل ليجلس
داخل سيارته مُشتت، كيف سُيُّر ما حدث؟ أما عن داود فسوف يُجبر على
تطليق سلمي ما إن هدد بفضح زوجته،

صرخ داود بعد مواجهتها وقد هاله ثبات موقفها فقد اعترفت بانها من ساومت
قاسم فتلك فرصة لن تتكرر ولكنها لم تقصد لصق التهمة بسلامي، ثم ما المانع
من التربح؟ هي زوجة داود الرازي وقاسم عرض عليه المبلغ ليُمحى إدانته!
هي تعلم أن زوجها بفرط أخلاقه البالية سيركب فرس الفضيلة ويرفض بكرياء
نفسه "لست زوجتي أنا طلقك فور علمت بخيانتك!" علت أنفاسه بعجز لتقديم
سلامي إليها وقد وصلت من الغضب ما وصلت لتهتف مُقابلها "أين ابنتك يا
عديمة الأمومة؟" صرخت ثانياً والأخرى ترمي نفسها بنظرات مُبهمة "أين ليينا يا
ذرية؟ ماذا فعلت بها؟" رفعت كتفيها تُجيب دون فلق كيف تُطلق دون ثمن "أنت
لما تتدخل؟" أشارت على المحبس والخاتم الذين سكنا إصبع سلمي وأكملت
"هل تزوجت حقاً؟" علا صوتها تسأل وقد ظنت أن خطتها الأخرى فشلت "من
زوجك سلمي؟" تبادلت سلمي مع داود النظارات الذاهلة لتسأل بصوت غاضب
"من هذه؟ صدقاً كيف كنت تحملها؟" التقت صوب دهب التي تقرأ المشهد
بصمت وسألت "ذهب؟ سامي سؤالي! أنت لم تنجي وحباكي الله بأمومة أنا
تذوقت حنانها فكيف لمن صرخ رحمها أن لا تفزع؟" دون التردد تقدمت إلى
ذرية ثم سك بمقدمة ملابسها بقوة وتصرخ "أين ابنتك يا!" دفعتها ومازال

السباب على فمها لتهتف دُرية وقد انتهي رصيُّ العقل لديها وظهر الطمع على وجهها والبشاشة تكسوها "أخبريني من تزوجت أو لا؟" وتحت صدمة داود والشلل التام الذي أصابه تقدمت دهب إليها والشك أصبح يقيناً لها لتهتف بتروي "تزوجت داود يا دُرية! تزوجته سلمى هل هذا الأمر فارقٌ معك؟" تهَلَّ وجهها تحت صدمة الجميع وتهافها بفرحة عارمة "يا الله أخيراً تحقق حلمي" صرخت بها دهب وقد وعث ملعوبها "الله؟ وهل تعبدين الله مثلنا؟ مما خلقي؟" لمعت عينها ناسية ابنتها وما فعلت ومن حولها وكل من بالعالم وقالت بثقة "ذهب هانم أنت سيدة أعمال الشرق بأكمله تعلمين الحياة صفة وسلامي صفتني" وفقط أمام ثلاثة تطالعهم بفخر الحاصل على جائزة عالمية "أنا من وضع الحُب بينهم؟" تقدمتهم بخطوات الأفعى "هل صدقتم ثرَهات الهوى والنظرية الأولى وذلك الحُب العذري؟" رمقت سلمى بابتسامة واسعة "أنت أردت أحداً يُشعرك بكيانك، يهتم لحزنك، رجل شهم يشمل امرأة مُهلهلة" لوحٌ له وأكملت "ها هو؟" تقدمته وعينها تحدها قائلة "وأنت! جامد صريح الخطى تلزمك امرأة تكسر جمودك وتتوافق طبعك رغم اختلافها، امرأة تُحفز قلبك وعقلك، تُحفز رومنسياتك المقتولة بيدي وتشعل نارَ أخمدتها حتى ترکع لها" تنهدت وابتسامتها تزداد ثقة لتهمس "وركت! رغم النكرانِ والرفض هبْت نارُك مع نارِها" قهقهت وعينها بعينِ دهب التي أوشكَ عقلُها تركها "ما أنا سوي سبب جمع بين البائسين دهب هانم! لذا استحق الجائزةُ الكبرى" همسَت دهب غير مُصدقة "أهناك مخلوقة على وجه الأرض بذلك التشوه النفسي! ما جائزتك؟"

"نصف ثروة يوسف المصري واترك عصافير الحُب تُزرقُ بالجنة، لن اطبع في الأكثر" سأل داود بصوت كما خواز أسدُصارع الموت "وابنتك؟" "تلك مُشكانتك" تنهدت وقالت تُشبك أصابعها أمام بطئها "لو لا عنادِك لما أرسلتها تستلم المال بنفسها" أغمضَ عينهُ والحسرة تتملّكه تزاماً مع صرخة سلمى "ابنتك خطفت؟ خطفها رجالُ قاسم يا دُرية" شردت مصدومة حتى توسعَت ضحكتها وتهافت إليهم دون شعور بالذنب أو الفزع "لا تقافي الفيديو معي نطلب النقود مقابله ومعها لينا" التفت له تُكمِّل "اتصل عليه إما النقود

والبنت أو تُغرّق الميديا بما فعل، ولا تخاف الناس ستُصبح محامي فضحت
رجالاً فاسداً وتُربح الفضيلة كما تدعى"

صفعةٌ بقوة عشرون رختر تلقتها حتى ارتمت تحت ساج أرض ليخرُج داود
عن السيطرة مُخرجٌ مُسدسٌ من خلف ظهره صارخاً "موتك الحل يا سافلة،
معنى أن أكلم قاسم أني متواطئ معك، حطمتي أسمى وتعب العُمر يا دُرية، لن
أرحمك" صرخت دهب كما صرخت سلمى التي وفقت قبلاً له تهتف بخوف "لا،
لا داود تلك كلبه لا تستحق أن تُضيّع مستقبلك من أجلها" صرخ وقد تجمّعت
الدموع بعينه "لا تتدخلني" هزّت رأسها رافضة وقالت برجاء "لا ساتدخل ألسُ
زوجتك؟" صرخ كما المجنون بها "ابتعدِي سلمى" صرخت عليه خائفة "اقْلُنِي
أولاً" صرخت دهب تترجاً هي الأخرى لتدفعه سلمى في غفلة للوراء تصرُّخ
"يا غبي لا تنسِي ابنتك؟ أفق حتى نعلم مصيرها ومصير ابني" تعثر بالمقعد
خلفه وكاد يقع لتنهَّز الفرصة وتحطف المُسدس من يده وذهب ثُحاول دفعه
أكثر غافلين عن دُرية التي اغتنمت الهرج وفرَّت هاربة

* * *

امسَك عامر بجسده لينا التي القت بنفسها من النافذة ليهمسَ وهو يسحبُها
"أسر عي لينا" لمح السيارة التي قلتُهم فارغاً ليتوجه صوبها بحرصٍ بالغ وقد
لمح تجمُّع الثلاث رجال بداخل الاستراحة، حمد الله على ترك المفتاح بها
ليركب من باب السائق ويلقط جسده لينا معه دافعاً بها للمقعد المجاور ضاغطاً
ذر إدارتها ويتحرك مسرعاً! صاحت الصغيرة تهتف "هل تُجيد القيادة؟" وأشار
فائلاً "ضعي حزام الأمان؟ أين هاتفك" التقت للخلف مائة تلقط هاتفها حيث
وقع منها ليتناوله يطلبُ والدتها ويفعل جهاز التتبع ليعلم أيُّ دربٍ يسلُك!
جلس يُسند ذراعيه فوق ساقية السيجارة معلقةً بأصابعه وبال مقابل دهب صامتة
وسلمى تدخن بشرابة وعينها عليه، لم يُعد يعلم من أمره شيء! أين نور عينه؟
صغيرته من تحمل لأجل عيونها تلك العُولَة بشكلي امرأة، غُولَة؟ بل شيطان
رجيم عجز عن كشف أمره، كما المُلحد طاف بيديها الرث لا قيمة له ولا
معنى، لا مذهب لا صلاةً ولا فرض، سُنثُها بدعة وإيمانها خداع وهو المُتعبد
للوهم! سُحقاً لمن اقرَّ وافتى بالتحمل من أجل الصنفى فيها هي ضناً عمره قتلتها

كافرة بدين الأمومة والرّحّم! "حقاً؟" همسَ بها لنفسه وعينه اختلطت بعينِ سلّمي ليُكمل لذات النفس الملهلة "الحقُّ حقٌ داود لا يوجد بتلك الحياة حُبٌ" انتبه لهاتفِه الذي رنَّ فقط شروداً كاد يدفعه للُّكُفُّر لينهض وهو يهتفُ ملئاً القلب "لينا أين أنت يا عمرِي؟" صاح مُجداً وهو يدفع سلّمي أمامة "اذهب على البيت فوراً ونحن بالطريق إليك؟" وصل أدهم وشهاب ومعهم جمهوراً من رجال الحراسة لتلك الاستراحة ليهتف شهاب للرجال وهو يتراجُل من سيارة أدهم "طوقوا المكان" هتفَ أدهم مُسْهراً مسدسه "شهاب انظر" تطلع ليجد أربعة من الرجال يضرِّبُهم التحبُّط ليزحفَ الرجالين إليهم بحذرٍ حتى استمعوا لأحدِهم يهتفُ مُضطرباً "لا اعلم يا قاسم باشا؟ الولد اخذ السيارة وهرب" رفع كلاً من أدهم وشهاب وبعضُ الرجال معهم الأسلحة بوجوهِهم وأدهم يُحذرُ بهم "افتح مُكْبَرَ الصوتِ وإياكِ واللَّعْبِ" أطاع الرجل كما استسلم من معه وقد وقعا بكماشة مدججة بالأسلحة ليصدحَ صوتُ قاسم عبرَ الهاتف يصرخ "حرقكم الله يا أغبياء" علت أنفاسه حتى صاح مُجداً "اختفوا من الوجودِ جمِيعُكم وأنا سوف أُحلَّ الموقف" اغلق الهاتف ليأمرَ أدهم بأخذ الرجال الأربع لمكان حيث أمره النائب العام ليتوجهَ وشهاب إلى السيارة يطلبُ عامر ويسأل عن موقعه حتى يتبعه!

* * *

ومن خلف شاشة حاسوبها شاهدت الفيديو مُجداً تضحك وتهمسُ "عرض زفاف هابط مثلك يا سلّمي وما بنطيه على باطل لن يهدءُ سوى باطل مثله" تركها عابد متوجهاً لغرفته وصورتها وهي تتمايل بأحضانِ ذلك المحامي تأجُّج حقدُه، كانت له ولا بد أن تُصبح ملكه، لن يستردها سوى عن طريق الشيطانة نُهى! ليتركها تهُدَّ المعبد فوق رؤوسهم ويدخلُ بأخر لحظة كالأمير يُنقذ محبوبته ويُفأك أغلالها الملوثة مُعلناً براءتها وبراءة ذمتها ويعيدها إلى قصره معززة مُكرّمة وأبنائهما يدقّون دفوف النصر فرحين بأبوته! تبسم بشوّة وأغمض عينه مُستسلماً للنوم يهمسُ "أنا أولك ونهائتك سلّمي! أما ثروتك المُعظمة فسوف أحتارُ كثيراً فيما أنفُها"

* * *

لملت مُجوهراتها وكل ذي قيمة واضعة آخر حقيبة في سيارتها التي أنزلت صورها على موقع حديث العهد تعرضاً للبيع لسرعة السفر! تلعلت من نافذة غرفتها المظلمة لتجد الجميع يقف خارجاً وكأن الحرب أوشك اندلاعها، تابعت المراقبة من بين ظلام بيتها حتى وجدت سيارة أدهم وخلفها أخرى غريبة توقفت لتلمح عامر ينزل ويحمل ابنتها بين ذراعيه، همسَت مُتهكمة "أنقذها بن الحارة! انعمي سلمى فلابد أن يُنتي داود على ابنك ثناء البطل المغوار" انتبهت لبدء خلو الشارع وقد تخطت الساعة على الرابعة فجراً لتحرك بعدها لمحة رجال داود يأخذون السيارة الغربية ورحلوا فوراً، تحركت وقد ارتادت سيارتها تتأكد من وجود مفتاح شقتها التي اشتراها كثمين لمستقبليها دون علم أحد! لتحرك متوجهة صوبها وهي تهتف "إذا لم تدفعني نصف ثروتك بالذوق والرضا الغصب موجود أيتها المُمرضة؟"

وعلى اعتاب منزل سلمى احتضنت عامر ولينا التي يحملها تهمس بخوف وهي ترى كدمة عينيه "هل أنت بخير" ابتسم عامر بتعب وهتف أريد الحمام بشدة" هتف من خلفها بصوت ملهوف "لينا؟" ارتمت الصغيرة صوبه تهتف بكاء "بابا خطبني أربع رجال وعامر أنقذني" شدد من احتضانها وكفه الحرقة تضغط كف عامر قائلاً "لا أعلم كيف أوفيك حقك بُني" انتعشت رجلاته وتعاظمت لديه الثقة مع بعض الغرور المحبب ليهتف بمحاولة رجولية لتبديد الخجل "وهل فعلت شيء؟ فقط اتركوني اذهب إلى المرحاض" أغلقت سلمى الباب خلف الجميع والتقت وعيها تتبع هرولة عامر تعى حالته لتسأله ولينا "ماذا حدث؟ وكيف هربتم؟" فنخت الصغيرة خديها من فوق قدمي داود وربّعت ذراعيها تهتف بنزلق "ابنك فظ طنط سلمى" دمعت عينها بصدق وقالت بخجل ارق الجميع "لن أغفر له ما فعله بي في الحمام القذر" نظرت سلمى بترقب حذر لداود الذي تحفّز يديه الصغيرة له يتحصّنها والشك يعصف به فهتفت بقوة ثقتها بابنها قائلة "تكلمي واتركي هذا الجبن المعقّد لينا" قصّت لينا ما حدث بطريقتها التي تحس الأنفاس لتنتهي وهي تتطلع الي عامر الذي حضر وقد أخذ حماماً شديداً السخونة حتى بانت حمرة جسده لتهتف وهي تشير عليه "ها هو، لا بد أن يحاسب على ما فعل" كتم الصبي ضحكه وامتنع عن

لمسها قائلاً "هيا اذهبى وتحممى بماءٍ ساخن جداً" حملتها رباب الصاحكة لتصعد بها تهمس "هيا لينا سوف اجعله يتنمى الكلام معك من كثرة نظافتك" صاحت الصغيرة من فوق السلم "يُكذب ويُصدق كذبته! لم افعل شيء يا ناس مما ذكر" جلس عامر جوار السيدة دهب التي أجرت كفها على كتفه بفخر وهمسَت له "ما شاء الله، كما كانت تصيفك سلمى رجل رغم صغر سنك عامر" تبسم برجولة الجميع يمنحه الثقة ليهتف وهو يغمز إلى عمر الصامت "الفضل لذكاء عمر لولا تفهمه لما كنا هنا" نهضت دهب وصهيب خلفها قائلة "تأخر الوقت دعونا نذهب ونلتقي غداً" تبعها شهاب وأدهم ثم استأنفت سُها تُسند عمر السابح بالنوم ليخلو المكان على سلمى وابنها وذلك الصامت دون النبس، همسَت لعامر سائلة "هل سينام عندنا؟" رمّقها بعتاب يهمس "صار واحدٌ مِنْا هل سوف نطردُه؟ ثم ما باله؟ ماذا حدث؟" تنهدت وعينها تتبع عميق شروده وهمسَت "تعال نصنع عشاء لك وله وأخبرك بما حدث" نهض ورأيها مُبتسماً وقال بمزاح ما إن انفرد بها "تصنعين له العشاء وابنِك الذي قاتل أشرار الفضاء تنسيه يا سليمي! لا! أنا حزنت" تبسمت تسمع دلالها الخاص به "سليمية" لكن كلماته أشعرتها بالذنب! لتهتف باعتذار طلَّ من عينها "لم اقصد عامر والله أشفق عليه فقط" احتضنها مُقبل رأسها وابتسمت توسيع على مسؤوليتها التي لا تفتر ليهمسَ وما زالت ترتاح برأسها على صدره "كفى جلداً للذات حبيبي، اعتقد أن الأولان للتلقى همومنك علينا ولا تعنى بشيء" استكانت فوق صدره وشعورٌ جديد يُلفها برقة كيف لمن مازال طفلاً بنظرها أن يحوي روحها بذلك الدفء؟ ابتعدت تسمع سعال داود الذي تململ في جلسته فهمست "لا اعلم كيف التعامل معه" سرقت نظرة إليه وهمسَت مُجدداً "أفضى لك سراً؟" شجعها مُبتسماً وهزَ رأسه موافقاً بحماس لتهمس وعينها عليه "أشفق عليه رغم حنقى منه" قهقهه برجولة أسعدت روحها اليابسة وهمس "حضرى العشاء وأخبريني بما فعلته بارببي، واتركي الحنق جانبًا" ومن جلسته الصامدة سأل وهو يرى عامر يضمها ويغضض لها، متى يكون له الحق في بعض من تلك الفضفضة؟، طرح رأسه للخلف مغمض عينيه وقد بدأت بالتحرك بمطربها يسأل نفسه سؤال تكرر في الساعات الفائنة ألف مرة "كيف لا يوجد حُب؟، وتينه ينبع في حين أن كلمات ذرية هدت المحراب على رأسه

وأدخلت عليه الشك والريبة! يعلم شعور الكُرْه والمحبة ألم يكرهُها حَد الحرق، واليوم لهيب قلبه يشتعل عشقًا؟ فكيف يُخالجه التخبط بما صنعته ذُرية؟ شتاتاً وتيهاً وضعته بعقله لتركته تحت رحمة القلب ولو عنته! اعتدل وعينه تلزماها وسؤالاً مُدبب السهم اخترقه، هل لامس قلُبها عاطفة ولو قيد أُنملة؟ يرضيه القليل مدام منها، ليتها تترك له فُتات قلُبها يقتات عليه! انتبه وعامر مُنبهاً "هيا العشاء جاهز" رفض بصمت وقبل أن ينطق بكلمة أردف الصبي "هيا، لم نأكل شيء وكنا طوال اليوم معاً" سحبه حتى هم بالوقوف وقال مازحاً "لا تألف مثلي سليمية طعامها نظيف" تحرك جواره يتنكر الطعام الذي كان يأتيه من جانبها ليعي أكثر على فداحة الأمر، همس مغلوب الأمر "سافلة" جلس بمنضدة المطبخ وعامر جانبها لتهتف لهم وعيتها تنقده "سوف اذهب وأغير ملابسي" ناوله عامر واحدة من التوست المُحمص "تفضل، أنت تحبه هكذا؟" التقطها وابتسم بتهمُّ "أرى أنكم تعلمون الكثير عنّي"

"ماذا تقصد"

"لا شيء"

"اعلم أني صغير السن مقارنة بك ولكن يُمكنك التكلم عمي، لن يخذلك عقلي" طالعة بتقدير الصاحب ليكتشف أن الصبي يحمل في طياته بعضاً من روح يوسف ليهمس صدق من قال العرق يمد لسابع جد، تنهد قائلاً بعد صمت "هل هناك ما يقال عامر؟ انكشفت اللعبة وصار الحاضر تجربة أجريت بمعمل شديد التوْحُش" ابتلع عامر ما في فمه قائلاً "لكل تجربة نتائجها السلبية والإيجابية! أراك تنظر للفشل! هذا إن وجد!" طالعة غارقاً بالمعنى وهتف "إن وجد؟ ألا ترى الأمر سافر؟ مُؤكد علمت بما حدث" وافقه بنعم قوية وأغلق فمه يلوث الطعام بروية حتى قال مُبتسماً "لا تفعل مثلي! أنا حاصرني صغر سنى وحداثتي بالتجربة، أما أنت سنوات عمرك كافية لتعي الحقيقة من الوهم" التف بكمال جسده ينفض كفيه بهدوء وقال بعمر مضروباً في عشر "هل تسمح لي بالحديث المفتوح دون المواربة؟" وافقه وعيناه ترجو ما يشد أزره ليبيتس عامر له قائلاً "اتفقنا" تغيرت ملامح الفتى بلمحه حُزن يتذكر يوم فضيحة الحرارة ليشرح له حِصاراً عايشه بكيانه، فضيحة شرف زينت جبهته

بطلتها والدته لتشحب للسجن تاركته سجنٌ أكبر، لم يجد من يُطّيب خاطره ولا من يحميه من عواصف نفسية اقتلعت صلة الأمومة من كيانه سوى أصرار عمر، لم يُلقي لها بالاً مع إهمال الأب وقصوة زوجته والجدة استسلم للوحدة وطنون الشك التي كتمت أنفاسه حتى بات عاجزاً عن التقوه بكلمة تقدّرها، لا قادر على الدفاع ولا الهجوم والترفع لتدفعه التجربة القاسية نحو دروب العنف الذي كاد يُنهي حياته، وهنا فتح الفرج أحد أبوابه لتدخل والدته وبيدها الدواء، ما كان الدواء سوى الفهم والمثابرة على قراءة نتائج التجربة التي بدأت بفشل حتى تفهم أنها أفرزت فتى بعمر اللهو والمراهقة تلقّح بنوبي الرجال والمسؤولية، وهنّا؟ قمة النجاح حيث استخلاص مكنون التجربة بياجانية! رفع عينه إلى داود الذي توسيعَت مقلتيه وارتقا حاجبيه دهشة مما يسمع، ليهمس له عامر برجولة سبقت المهد "أجل عمي أشعر واني مُكتمل الرجولة عقلاً وقلباً ويعلم الله خواءنّي من ذرة غرور ولكن الفضل بعد الله لواحدٍ فقط" همس داود ورباطٌ غريب يُقيده بالصبي "مؤكّد والدتك" تبسم عامر هازّ رأسه بلا معنى ليهمس وعينه مؤكدة "أنت، داود الرازي" انفرج فم داود من الصدمة وارتعد جسده ليهض عامر يُلملم الأطباق ويُنظف مكانه تاركاً له مجالاً لجمع شتات نفسه حتى انتهى بضم كوبين من الشاي الساخن أمامه "اعلم أن ما قالته زوجتك قاسي ويفتقّد للرحمة ولكن؟ هل لمخلوق على وجه الأرض قدرة في صنع ما ملكته أصابع ربك" ارتشفت من الشاي القليل وأردف "إن أخفى العيرة التي تحرق دواخلي على أمي ولكن؟" طالعه داود بصمت الصدمة ليبيتس بخبث جعله نسخة من سلمي وقال "لم أجرب الحب ولا اعلم كُنته ولكن تجربتي اليوم مع لينا أشعرتني بفداحة المسؤولية، رغم أنها طفلة ولا يربطني بها شيء لكنني كنت على استعداد أن أُلقي بنفسي في النار ولا يمسها أحد" اتسعت ابتسامته وسائل والخبث يزداد بعينه العسلية التي تطابقت بوالدته بتلك اللحظة "ماذا لو كانت حبيبتي؟ صِف لي أنت ذلك الشعور عمي؟" نهض داود والغيط يتملّكه ليهجم عليه يجذبه من ملابسه ويهمس "احترم نفسك أنت تتكلّم عن ابنتي" قهقه عامر حتى دمعت عيناه وهمس وقد تفهم داود مقصدة "الحمد لله إذن ستترك سليمية حبيبتي فهي الأخرى والدتي" وكز داود كتفه ولا يدرّي كيف ومتى احتضنَه ليهمس بصدقٍ

أستشعره عامر بقوه "يا زين ما رَبَّتْ سُلِيمَة، بعمرِي لَنْ أَفِي جِزاءَ مَا فَعَلتْ
مِنْ أَجْلِ ابْنِتِي" التف داود وقد غلبه البكاء ما إن تذكر لينا وما كان سيطلاها
ليُبَدِّد عامر الأجواء يهتف "حسناً داود باشا هناك خدمة تصنُّعها لي" مسح
عينه بابهامه قائلاً "ماذا تريد"

"استخراج بطاقة الرقم القومي"

"الم تستخرجها بعد، كم عمرك بالتحديد؟"

"كم شهراً وأتم السادسة عشر" جمع ما بين عيناه يسأل "وكيف لم تستخرجها
بالمدرسة" توترت ملامحة قائلاً "خفت قضية والدي" ارتفع حاجبي داود
بصدمة وهتف مُذكراً "الا تعلم بأني شطبت القضية وكأنها لم تكون" سأله
مُندهش "لم تبلغني ماما" ارتفع حاجبيه مصدمً ليمسح مؤخرة رأسه قائلاً
"غالباً لا تعلم، يبدو مع الأحداث نسيت أخبرها"

"جيد، سأبدأ غداً في السعي لاستخراج بطاقة الشخصية" تحرك الاثنان
والثعلاس يُتقلّ جفونهم ليهتف داود "لا تذهب وحدك سوف نذهب معاً، غداً
الجمعة سوف نذهب فيما بعد" جلس على الأريكة ليسأله عامر "هل ستنتام
هنا؟" هز رأسه بنعم ليسحبه عامر وكأنه أخ له "هيا الى غرفتي حتى نُرتب
الأمر" اعتراض رافضاً مشاركة مساحته الشخصية ليستمر عامر بسحبه وهو
يتناوب "البيت به نساء ونومك هنا سوف يُقيد حريتهم"

"هل تلك نواياك حقاً عامر"

"ماذا؟ هل مثلاً أغارت، أخاف أن تذهب لتنام بغرفة أخرى؟" فتح باب غرفته
وداود يهتف "لدي شعور بالخبث من جانبك"

"لا تشعر يا باشا"

"أنت لئيم يا ولد"

"ليست بلومنك"

"لم يا عامر بدأت تهدي"

"استأق هنا جانبي، تصبح على خير عمي"

"وأنت بخير"

* * * *

انتهت صلاة الجمعة وتجمع شبابُ الحارة قُرب قهوة المعلم متولي يتدالون هو اتقهم بينهم تحت صدمته ظهورِ حمو الذي أصبح مطرباً أحيباً أكبر حفل شهدته البلدة، كما أرسل إليهم شهاب مقاطع لم تذاع عبر الميديا لينشرها الجميع بينهم، صالح شحاته يتقدّم هاتفي متولي الذي يجاوره بالجلسة "كانت متزوجة؟ وما أدرانا أن الزواج لم يأتي بعد فضيحتها" صالح أحد الشباب هاتفاً بجدية هابها شحاته "انتبه يا عم شحاته المرأة اليوم بعصمة رجل لو نفح بالحي لجعله دكاً، فلا تُثرثُرْ كثيراً في أمور تُحرق ولا تُثمن" صالح آخر يتقدم صوبهم "صديقاً لي من القلعة يعمل بذلك الفندقة نادلاً قصّ على كل ما حدث، لو ترى كيف وقف الرجل مُندداً بمن يذكر اسمها لتبولت تحتك" صالح شحاته بهم وقد ارتعب "لم أفل شيء! لعن الله الشيطان بما يفعل! سلمى ابنة حارتنا ولا بد من الفرح لها كما أن حمو ظهر ولا بد من تقسيي الأمر برمتها" لم يُكمل حديثه ليجد عربة نصف نقل تدخل الحارة وخلفها أخرى حديثة ينزل منها شاب مُنمق، رفع نظارته الشمسية لفُقدمة رأسه وهتف "مرحباً بكم، أغيب عنكم ثلاث سنوات لتأكلوا سيرتي كما تأكلون القطعة أبنائهما؟" رحب الشباب به ليتقدم صوب المقهى ومتولي ينهض قائلًا "حمو الجن؟ كيف حالك يا شقي" احتضنه حمو بمحبة مُتذكر نصائحه كما لو كان أباً له ثم حي شحاته قائلًا "ما زالت على تلك العادة يا رجل يا طيب؟ كفى كلاماً عن الناس يا شحنته" قهقهة شحاته يتفحصه بتدقيق وبيهتف "عيني عليك باردة يا حمو أصبحت تنافس محمود يس يا ولد" فقد حمو الجميع ثم سأله "أين عم علي السباك أحمل له سلام حاراً من الست سلمى" سكن الحُزن وجوه الجميع وشحاته يهتف "الم تعرف؟! قاتلته أذاعت الخبر على الفيس بوك مُنذ فترة البقية بحياتك يا حمو"

"مات؟! عم علي توفى؟ لم أعرف ولم أتابع الميديا سوى من قريب" رد شحاته بوجوم وحزن "قتلته نهى هشك بشك" قصّ متولي ما حدث كما قصّ عليهم هو

الآخر أحداث اليوم ذاته ليهتف شحاته يسأل والشك يتعاظم داخله "من التي كانت معك يومها؟!" هتف حمو يعلم أن شحاته لن يترك الأمر" كانت شقاوة شباب وتاب الله علينا، ربّاك ستار يا عمي فلن افصح أنا امرأة" تلوى شحاته بجلسته قائلاً "أقسم بالله عرِفتُها، نهى! ليس غيرُها؟" أغمض حمو عينه ونهض قائلاً "كفى يا عم شحاته لا نريد سلمي ثانية فقد جئتُ اردُ عرضَ المرأة الذي نُهش وهي لا ناقة لها ولا جمل" هتف متولي مُذنكر بعضُ الفوضفة حين كان حمو ينزعُ بها إليه ونهى تراوده قديماً "كفي ثرثرة، الحمدُ لله تأكُد الجميع من براءة سلمي المصري، رحمك الله يا عليّ يا سباك دافع عنها حتى لحظة نطقه بالشهادة" تقدم حمو صوب السيارة النصفُ نقل قائلاً "وأنا اليوم جئتُ اذبح هذين العجلين حلاوة براءة سلمي المصري، أخي وتابعُ رأس المنطقة بأكملها ورقضني يا جدع" صفق الجميع وبدا الشباب بالرقص لينقلب الحال ويقف الجميع متأهباً وقد أتت برجالها وصبيانها تهتف بصوتها الجمهوري "ولد يا حمو تأتي دون السلام علي" رمّقها بحنق قائلاً بفتور "مرحباً يا معلمة قطة" اقتربت تصيحُ وعينها تدور بالحرارة "جدع يا ولد، سبع ابن أسد، ولك عندي حقٌّ عَرب أمام الحرارة بأكملها" التفت تستعرضُ نفسها أمام الجميع لثعاود الصياح مجدداً " وسلمي أيضاً لها برقبي دين غليظ وببداية تسديد الدين عجلين مقابل ما أتى بهم حمو على الله يتقبل مني ويغفر ذلك التي لا تغفر" صاحت تحت دهشة الجميع "ولد يا عضمه أين العجلين يا ولد" هتف شحاته يتقدم إليها سبحان مُغيِّر الأحوال، أنا اطمع في العكاوي يا معلمة" قهقهت ثم هتفت تُشير على عينها "عيوني يا إذاعة الحرارة والشرق الأوسط وسوف أطبخها لك يا شحاته" التفت تتناول السكاكين من عضمه الذي افسح لهُ الشباب المكان هو والعجلين لتهتف "وأنا من سيدبح الذبائح بيدي لأجل عيون سلمي، أم أحفادي ضي العين عامر والغالى عمر" رفعت أنظارها إلى شرفاتِ الحرارة تُشير والسكاكين بيدها لتهتف "زغرودة يا حرير الحرارة" التفت تنهي الفيديو الذي يصوره عضمه لترسله له مرفق برسالة مفادها "انظر بنفسك يا داود باشا كما اتفاقنا ها، أنا أوفيت ووفيت فقط لا تدخلني بدائرة جهنم خاصتك" هتف شحاته من بين الضوضاء العارمة "اجعلني المرأة أم ولاه تطبخ العكاوي يا معلمة، تلك

الأرملة التي تركها زوجها ومعها ست أبناء أكبرهم ولاء في كلية الهندسة وتلك
الثانية!"

"ستظل النعيمه وتقضي حالي الناس آفة البشر، وتحت خيام النم نسي الجميع ما
حدث وعيونهم مصوّبة نحو اللحم بأفواه فتحت تبغي العقر غير عابئين
بمصدره، هل لحم طير أو حيوان أو إنسانٌ مر؟! هكذا سطرت حسناً كلماتها
فوق الفيديو الذي أرسله لها حمو فور خروجه من الحارة الظالم أهلها إلى
المدينة المدججة بالظلم والظلمة الدامسة لتنشره بوفرة تشاهد تضاربات القدر،

صرخت بغل وهي ترى الحارة ترقص وتقرح برجوع سلمى وبراعتها
الحاضرة، لتُقسم قائلة "بشر في سير غ شرفكِ مجدداً يا ملوك الرحمة ليست
نُهى من تُهزم" غافلة عن ماضي بدأ يغلق أبواب ظلمه ليفتح عنها أبواب
إنصافه ويسدد الرامي بما رمى،

* * *

دب العمل بالطريق الأخير بمكتب داود الرازي واليوم ليس كما سابقاً، فسابقاً
كانت قضية من ضمن قضايا مكتبه، واليوم! اليوم شرف زوجته وحبيبه،
كتيبة كاملة خصصها ربّ عملهم معلناً مكافئات مجرية، لبدأ التقاني في إثبات
براعتها ومع الأسف! الدافع مجرد مكافأة كرامة لمحبوبته، لبيت الجميع أو
البعض يجد بنفسه حمية الشرف كما نصّ عليها المولى، لا حمية الراتب
والكافأة ونيل الترافق والشّكر على ما بذل!

هكذا همس شهاب وهو يوجههم مُقرّاً بتلك الآفة التي تملكت من أخلاق جيل
بأكمله، أملَّ بثورة تُعيد العادات والتقاليد التي باتت بنظر الناس قديمة، بالية،
ما زال مثله لا تُقيده مصلحة وهناك أدهم لم يتلاعب بالقانون الذي تقليده، دهب
عقل يحكم الأمور بحياديه ونزاهة رغم طبيعة عملها، حسناً التي وَعَتْ درب
الأمان بعدما ذاقت مرارة ذبح الشرف، سُها ارتدت لطبيعة المرأة التي تشعر
بمثيلها ليس لكونها أخت ولكن لكونها إنسان أولاً، ربب! الوحيدة التي حافظت
على سجيّتها رغم طعنات العذر، سجيّتها فائرة تغلبت على أحقاد الزمن
وبفطريتها تفاصت شظايا الحقد المتناثرة ونجت من الخذلان بكلِّ إرادتها،

حمّو مبعوثاً من جحيم الآفات! عالج نفسه بنفسه ليودع ماضيه بحاضر مُزّين
بشارات النجاح والأمل!

تفقد الميديا التي بدأت في المباركات وتحسين التعليقات تحت وطأة السلطة
مشدداً على الجميع انتشار المقطع الذي توعّد به داود الجميع بالحفل مُرفقاً
معه صوراً التقطت بعفوية لم تلاحظها سلّمي أظهرت تنااغماً بينهم بدأ يحسّدها
عليه البعض!

* * *

بدأ أدهم العمل الرسمي بقضية قاسم الوكيل بعد تكليف من النائب العام
شخصياً، ملّم بجوانب الموضوع ويستعد لاستجواب رجال قاسم، كما قدم
مذكرة تكفل بها داود الرازي مُرفق معها ملف تفصيلي يشمل فلاشة احتوت
على ما يندي له الجبين ذاكراً بأن تلك القضية إن فتحت فسوف يتولاها
قضية مصرية واضعها تحت راية قضايا الرأي العام مؤكداً أنه منذ تلك
اللحظة لن يترك عبث الميديا يُشيع الفجور بين المجتمع،

* * *

أغلقت الهاتف مع السيدة دهب التي رفضت الحضور لدعوي سفرها إلى ذيبي
حضور معرضاً دولياً للمشغولات الذهبية فلم تتمكن من الاعتذار كونها ضيفة
الشرف، انتبهت إلى لينا التي دخلت من الحديقة تسأل "أين عامر طنط
سلّمي؟" هفت سلّمي باضطراب وقد ضاقت من ذلك الجالس بالصالحة مُربع
اليدين وعينه تترصدُها "لا اعلم لينا، تقريراً بغرفته" صاحت الصغيرة وهي
تقف على أول درجات السلالم "عامر!"، عامر تعال هناك من ينتظرك بالحديقة"
هتف داود متحسس "لينا؟ صوتك؟ سلّمي والجميع سوف ينزعج منك" هزت
الصغيرة رأسها بطاعة والدموع تتلألأ بعيونها لتخرج إليه سلّمي مُتحفزة تمسح
كيفها من رذاذ الماء وتلمح خوف الصغيرة التي ترمّقها بحذر، هفت مُشفقة
عليها "أياك حبيبتي والخوف هذا بيتك وعامر وعمر أخويك تصرّفي
بطبيعتك! ألسْت مثل ماما؟" تقدمت الصغيرة دموعها تنزلق تسأل برباع "هل
ستضربيني وتحرقيني مثلها؟" انتقضت سلّمي جزعة ثلاحظة مدي تأثر

الصغيرة بما حدث لتحملها بنحافة جسدها التي لا تُناسب سنواتها العشر قائلة "أبدأ يا عمرِي من قال ذلك؟" رممت داود شدراً لترويعها وهتفت "لينا؟ لا تخافي من أحد ولا تهتمي طالما تفعلين الصواب" انتبهت له وهو يسأل "هل ذُرية ضربتك مرة أخرى؟" هزَّت الصغيرة رأسها وهمست تحتمي بسلامي "حين أخبرُتها بأنني لا أريد الذهاب لهذا الرجل وحدِي صَفعتي على وجهي وقالت اذْهِي أو أحرق جسدي" ضمتها سلْمي بقوة تهمس بشفقة "لا تخافي يا قلبي لا تخافي ووَعْدِي لن اسمح لها ولا لغيرها أن يضرِّك أبداً"

"طنط سلْمي؟"

"نعم يا عمرِي"

"لا أريد الذهاب للبيت مُجداً"

"لن تذهبِي حبيبي ولن اسمح لها بلمسيك طالما هذه رغبتك"

"وَعْد؟"

"وَعْد حبيبي ولا تسمحي لذلك الرجل أن يوقفك عن اللعب والتحرك بحرية" أنهت كلماتها ترْمُقْة بتوعُد وأكملت تسأل "من يريد عامر بالخارج؟" انزلقت الصغيرة من أحضانها حينما لمحت عامر تهافت وتمسح دموعها "هُناك فتاة جيميلة تسأل عليك خارجاً، اسمُها مريم!" حملها يسألاها بترقب "هل كنتِ تبكين؟" أشارت على والدتها وهمست "بابا صرخ على، والله لم افعل شيء يا عامر" جمع ما بين عينيه وقال وهو يتبادل النظارات مع سلْمي ثم مع داود "افعلِي ما يحلو لكِ طالما لن تتأذى" التفت بعينيه مُجداً الي داود يسأل بهمسٍ وقد انزل لها أرضا "لما تصيِّحُ عليها يا باشا؟"

"لا شيء كانت فقط تصرخ عليك بصوت عالي"

"يا سلام؟ ألا ترى عمر ماذا يفعل؟" أشار على سلْمي وأكمل "وست الحبایب ما إن ثارت أعصابها علا صوتها حتى سمع أهل مصر بأكمليها" ضربت كتفه بظهر كفها وقالت "من مريم يا حبيب ماما؟" تذَكَّر الفتاة وهتف "كانت معِي بالصفِ وللأسف رسبت في مادة فجاءت تأخذ بعض المُلخصات التي

عرضتها على جروب الواتس الخاص بصفنا" هم بالخروج ليسحبه داود بهدوء هامساً "انتظر يا أبي؟ هل ستخرج بتلك الهيئة؟" رفعت حاجبها بشر وداود يعدل قميصه يفتح أوله بسخاء ويثنى أكمامه للمنتصف بعصرية إلى أن تلاعب بشعره الناعم يميناً ويساراً ثم هتف يتقدّه "هكذا الشباب يا ولد" دفعه يهتف خلفه "كنت أشبه بحاجب المحكمة" انتقض يراها مقابلته تهتف وسبابتها مُشهرة "إياك ثم إياك أن تعنِّف البنت لأي سبب، لا تُلغِّي شخصيتها" تقدمت خطوة والشرُّ بعينها ليرجع بدوره للوراء يسمعها مُتميناً "لا تُخيِّفها مني؟ ولا تتدخل ببيننا، كُف عن الحركات القديمة التي تفعّلها؟" أسلبت في توبيخه غافلة عن استمتاعه بما تفعل، لو تعلم كم يشتكي وصالها تلك اللحظة لاختلفت من الدنيا خجلاً؟ عصابيتها فاقت إغراء هند رستم وصوتها بتلك البَحَة التي تظهر ما إن صاحت عالياً أروع من صوت أنغام التي يعشّقها! تبسم بخبث وساقه تتلمس المقعد من خلفه ليُدعى السقوط للخلف مُستتجداً بكفها، شهقت وهي تراه يهوى لتدفع لشده، وعوضاً شدّها ليسقطاً وهي فوقه! هتفت تحت تأثير الخضة "أنت بخير؟" تقدّته بعينها العصبية تسأل "انكسرت ساقك أم ذراعك" همس وكفاهُ ثُحيط خصرها "قلبي سلمى"

"قلبك؟" انتبهت لموقعها لتهم بالنهوض فوراً ولكن ذراعيه لهم الغلبة، هتفت خائفة "اتركني؟ ما هذه الجرأة"

"تجاوزت كما عادتك"

"أيُّ عادة يا مخبول؟ أتركني!" جاهدت لفَك قبضتيه دون فائدة فمن يلوم المُتّيم سوى جاحداً، همس مُتّيم بها "تركتُ لك حرية توبيخي فوجَّب دفع الثمن" هتفت وعينها تتفحص المكان بخوف "داود لا تستفزني" ضحك على ملامحها الخائفة وهمس "لما الخوف والتلفت؟ أنت زوجتي" رمقته بغضب وهمت بالصراخ بوجهه ليهمس مُقاطعاًها "سلمى؟ سؤال وجوابي بصدق"

"اتركني أولاًً وسوف أجيبك"

"شرط"

"ماذا؟" التف بوجهه إليها رافعاً وجنته تصيح ذاهلة "لا أنت لا تقصد؟"

"هيا سريعاً فهناك أحد قادم" ارتبت تهف بترجي "داودا! ماذا أصابك؟"

"اقسم بالله لن أترُك قبل أن تُفْلِي وجنتي وإذا ماطلتَ سيكون فمي" رمقته زاهلة بوجه شديد الحمرة لتهز رأسها موافقة غصباً، اعتدلَ واعدلها معه يعطيها وجنته يتقبلُ نفحتها وماردُه يُعرِّباليوم في قلبِه، شعورٌ خرافي وشفقِها تتلمس صدغة، عبق النعنع المحمل بالدخان يأثره، أغمض لتكلمت نشوة القُبلة تاركَ خياله معها، صرخ يتنقض ويدفعها عنه عندما عقرت شحمة أذنه بقوه، صاح وكفة تتلمس عضتها القوية "متوحشة، مجرمة" ولأول مرة رنَتْ صحتها الصافية بقوه، تمايلت مع الضحكات كما وردة راقصها النسيم وسبابتها تُشير عليه متوعده، همسَ يرسمها بعينيه كلوحة بدعة بالأبيض والأسود يهمس "غلبني أخذت أسلحتي، هزمتني داخل مملكتي، نزعت عن وجهي أقنعتي، لم يحدث أبداً أبداً سيدتي" تنهى ووجيب قلبُه يُسُدُّ أذناه "سلمي؟" هزَّت رأسها وما زالت تحت وطأة الضحك ليسأل بخوف "ما شعورك نحو؟" انحصرت صحتها وبهتت لتنظر له عاجزة عن الفهم والردّ، سارع بصيغةٍ جديدة للسؤال علىها تفهم "أنا أحبك سلمي فهل هناك أملٌ لذلك الحُب؟" تحركت صوب المطبخ بارتباكٍ شملها تهف ودقائق قلبها مُضطربة "الطعام؟ نسيت الطعام على النار" هرّول خلفها يسحبها مرة أخرى يسأل برجاء "جاوبي إما بنعم أو لا، لا تترُكيني هكذا! هل يوجدُ أمل؟" أنزلت كفه التي تمسك ذراعها ببطء وقالت بصدق لاحَ بعينيها "تسألني أنا عن الأمل؟" تبسمت بخزي وأكملت "أيُّ أمل؟ أنا أشفقُ عليك يا رجُل؟ هل خُلِّي لك أن من مثلي تُحب" هزَّت رأسها بلا وقبحتها تضرب صدرها برتابة "أنسيت! أنا السافلة!" تركته تطهو الطعام مجدداً تهفت بيقين "الستُّ بهذا الضعف داود! لدى إرادة سُوّوصلني لبرِّ ارتاح به بعيداً عن أملِ كاذب ورجلٍ كما باقي الرجال يراني بعينيه سافلة" صدحَ راديو مطبخها المعتاد وأنغام رفيقةٌ دربه تصدحُ وكأنها صارت خصمَه

* * *

النحو والتاء

جلست ترثشفُ من فنجانِ قهوةٍ لها على مهل شاردةً فيما حدث بينهم، عن أيِّ امل يتحدث ذلك الآلبي؟ وما ذلك الحُب الذي ظهر بغير أوانه؟ أمثلها يعرفُ الحُب؟ أشعلت سيجارتها وقد اشتاقت لها، دوماً ما تري نفسها كتلك التي بين أصبعين! تشتعل تحت الحصار ثم تحرق والدخان عنها يصعد وتُلْحُق شاربها بالنشوة وما أن تنتهي يُفَكُ حصارها وتدعس، بالأقدام تُدْهَس وتُسْبَ وકأنها من قامت بالذنب!، نفخت الدخان من جديد بقوة وتحدي وهمسَت "الا يوجد أحدٌ يُخرج هذا الرجل من عقلِي؟" تطلعت للرسالة التي استقبلها هاتفها لتجد عامر يُخِيرُها بين بعض الملابس الخاصة بليلنا لتختار اثنين منهم وترفق ملاحظتها وتحفظها على الباقي، حتى ابنته تُشبَهُ لا تحتفظ بالكلام مُطلاً بل تُطلقه كالسهام أينما روشقت، عنيدة وجريئة وخفيفة الظل، القت الهاتف جوارها تتعجب من أصرارِ داود الذي اصطحب الأولاد معه كي يشتري ملابس جديدة بعدهما امتنع عن استخدام أشيائهما وملابسُ التي مازالت بيته، تحيّرت تذكر كلماته مع عامر وهو يُعرب عن قرفه وكرهه لأي شيء يُذكره بها! وهل نسي؟ ما مر سوئ كم يوماً على افتضاح أمرها، جزت أسبابها تذكر دناءتها واعترافها اللامبالي بنصب الشرك له ولها معاً تقبل بضرورة لها مقابل المال والثروة! همسَت وقد انتبهت لدقائقِ الباب "بإله هل هذا رجل يُباع لا يُشتري؟" نهضت واعية لما نقوه لتصرُخ داخلها "بماذا تهزِي يا غبية؟ هل جُننت؟ كفى تخبطاً!" شدَّت طرفَ بلوزتها من خلف ظهرها ثعلبها وقد وصلت للباب تهتف ضاحكةً "أخيرا حضروا! هنا وشرين على الخروج متقيين" تسمرت بأرضها وتوسعت حدقاتها وهي تراه ماثلاً أمامها لتتذكر ما فعله! كيف غفلت عن مساعاه؟ وكيف يجرؤ على القدوم إليها؟ وداود! كيف لم تُخبره؟ تبسم بسماجة يهتف "مساءُ الخير سيدة سلمى" دخل ولم يُعطيها مجالاً للرد يأمل رجاليه بوضع بعض الأشياء جانبًا، دقيقة حتى ذهبوا لتهتف بغضب "ما جاء بك؟" جلس بصدر بيته والسيجار معلق بين أصابعه قائلًا بثقة "جئتُ أبراً دمتني" تركت الباب مفتوحاً على وسعه وتقدمته تهتف "من مَاذا قاسم بيـك؟" رمقها من مطلع شعرها المموج بسحر وصولاً لأصابع قدميها الصغيرة الفاتنة وتنهَّد بحسرة شملته "سُوء تفاهم حدث فجئتُ بنفسي اشرخ الموقف" تبسمت باستهزاء وكتفت ذراعيها تطالعه بهمَّ ليهتف وعينه على مفاتنها "بالأمس

حاولَ رجالي إنقادَ ابنةُ السيدِ داودَ وعندَها ظهرَ ابنَكَ فما كانَ لهمْ بِحسِنِ التصرُّفِ قُبلاً وعوضاً عن حمايَتِهم دفعَهمُ الخوفُ لأخْذِهم بعيدهاً "أحلَّ!" اضطربَ بالقولِ هاتقاً "اجل سلمى، الرجالُ لم يُضمرُوا الشَّرُ لأخذِهِمْ حتى أني أمرَتهم قبلَ بدايةِ الحفلِ أن يكونوا بحِمايَتك دونَ شعورٍ منكِ" تبسمَت تقفُ أمامةً بتحدي لتهقِّفَ بصوتٍ خبيثِ النبرةِ "ظننتُكِ قُمتَ باختطافِهمْ!" ادعى الفزعَ قائلاً "ما عاذَ اللهُ" تهكمَتْ ترميقَه بطرفِ عينِها "صدقْتُكِ! ولكنَّهُ كانَ لا بدَّ منَ محادِثةِ داودِ زوجي! لا مُحادِثتي" اعتدلَ يتلاعِبَ بسيجارِه بينَ أصابعِهِ وهتفَ مُبتسماً "ها أنا جئتُ له بنفسي" هدرَ دخانَ سيجارِه جواً وأكملَ بمعزى "أينَ ذهبَ؟ أيُّ عريَسٍ هذا يترُكُ النعيمَ ويرحلَ" تلبتَ منَ جراءَتِهِ وهتفَتْ ويدَها تتفرقُ هنا وُهناكَ بغيرِ راحةٍ "ماذا تُريدُ يا قاسم؟ ها نحنُ تفهمنَا موقفَكِ؟" صمتَ ملياً وعينَه تتبعُ قَدَّها النحيفَ وخِيالاتُ تملَّكتَ رأسَهُ تُشعِلُها، لو تعلَّمَها لقتلَتَهُ عمداً، سَعَلَ بخفوتٍ وقالَ مُتيمِاً "لما تزوجتَ منهُ سلمى؟ لم يُكُنْ ذلكَ الْخيارُ مُوفِّق؟" اغتنَاطَتْ وفارَ دُمُها منَ أسلوبِهِ القدِيرِ لتهقِّفَ بقوَّةٍ مُقرَّره طرده "لا شأنَ لكَ، اثنانِ جمعَهُمُ الْحُبُّ فما أدخلَكَ؟ اخرجَ منَ بيتي قاسمَ ولا تجعلني التقى بكَ صدفةً" نهضَ منَ جلستِهِ وذلكَ الْحُبُّ المذكورُ لا يُلْقِي في نفسهِ ترحاِباً ليهُمسَ وعينُهُ ترميقَها بتوعَدَ "أنتَ لا قبلَ لكَ بالْحُبِّ وتلكَ التُّرَهَاتُ، أنتَ امرأةٌ تطوقُ لاستراحةِ مُحَارِبٍ وأنا تلكَ الاستراحةِ سلمى، يوماً ما وعنِ قرِيبِ ستَّائي لبابِي بِكاملِ الرضا غاليَّتي وحينَها سأكونُ بانتظارِكَ كما لم ينتظرَ رجلَ امرأةٍ منَ قَبْلِ" وبجبروتِها هتفَتْ "اخْرجِ! اذْهَبْ إلى جحيمِكَ ولا تُرِينِي وجهَكَ الدمِيمَ بعدَ الْيَوْمِ" تحركَ قائلاً بتوعَدَ "سوفَ أخرُجُ ولكنَ ليسَ قَبْلَ أنْ تعلَمَي أنَّ المرأةَ التي هدَدتَني باسمِكَ كانتَ زوجةَ داودَ الرَّازِيِّ، اتفقاً سوياً على تلكَ المسرحيَّةِ الهايَّطةِ وقدَ جعلَتَ منكَ كيسَ فداءَ لها" رميقَها بتحدي وأكملَ "أعلمَتِي لما تزوجَكَ؟ حتى" قاطعتَ هذيانَهُ وهي بالبابِ تطرُدُهُ وترميقَه باستفزازٍ "أنتَ تهدي قاسمَ وحديَّتكَ محضُ خَرْفٍ، للسنِّ أحْكَامٍ يا جدي، كبرتَ وخرفتَ ضرَبَيَّةَ أوَخْرَ العُمرِ" أشارَتْ تطرُدَهُ لتجَّدَ ربابَ وسُها أمَّاهَا وقدَ توقفَتْ ضحْكَاتِهِمْ ليخرجَ دونَ النُّبُسِ ببنتِ شفةٍ فقطَ عينَهُ ترميقَها بغلٍ إثْرَ نعْتها لهُ،

جلستَ على الأريكةِ صامتةً والخوفُ يلعبُ بها لُعبَةَ القَطِّ والفارِ وقبلَ أنْ تُحِبَّ سيلَ أسئلةَ ربابَ وسُها انتبهتَ لصوتِهِ الأجيشِ يصيغُ أمَّاهَا بجنونٍ

"ماذا كان يفعل قاسم هنا؟" دثرت وجهها بين كفيها والتزمر الصمت تاركة سُها ورباب له، تحت وطأة الصمت الذي دام لأكثر من نصف ساعة نهضَ وهو يلمح كومة الهدايا التي تكُومت جانب باب البيت ليصرخ وهو يركأها بقدمه يسألها مجدداً "ما سبب وجود رجلٍ بيتك سلمى؟ تكلمي؟" طاعته بفزع من التهمة التي باتت تمسها لتهُم واقفة تصرخ به نداءً بند وبنظراتهاتحدي "ماذا تقصد؟ وضح؟" أمساك بإحدى حقائب الهدايا يفتحها بهمجمية يُلقي ما بداخليها أمام الجميع صارخاً "فسري أنت؟" صدمت وهي ترى منامة حريرية افترشت الأرض لتهتف والكلمات تتلعلم بفمها "ليس لي شأن بهذا، فُلت بطرده ونسيّت حقاً امر تلك الهدايا داود" تقدم إليها والغيرة تعصفُ به للحد الذي جعله كمجنون ذو انفصام تام عن الواقع ليهتف وسبابته بوجهها "كيف سمحتي له بالدخول سلمى؟ كيف قبلتني الهدايا؟" همت بالرد فسبّقها قائلاً "ردد مُقطع؟ أريد رداً مُقطع يا هائم!" النقطة عدو الجنون منه والجميع حولهم مُتحفز عamer واقت جواره وشهاب الذي جاء للسهر معهم يُراقب عن كثب، تبسمت بتهمم تضرب سبابتها بسبابته وتهتف محرقة من أمامها دون أن تدري "جاء يعاتبني! يتودد! يُقبل قدمي حتى أطلق منك وأتزوجه" فردت ذراعيها تستعرض أمامه وأكملت بصوت طبيعي كأنها تتلو عليه موجز النشرة "هل أفتعنك؟" جلست إلى الأريكة تضع ساقاً فوق الأخرى تشعل سيجارتها بتروي وتحدي، لو تعلم ما فعلت بما تفوّهت لما استطاعت التقاط أنفاسها! وقبل أن تتعتمق باستفزازه صرخت مُفاجئة من ردة فعله العاصفة حين مال يحمل الطاولة الفاصلة بينهم مُلقيهاً بعرض الحائط، دفعها عamer للسلم بحماية يترجي صمتها كما دفعتها رباب وسُها تزامناً مع شهاب الذي جذبه خارج المنزل يحاول تهدئته، نظرت لثورته تبتسم بشماتة ليهتف عليها وقد مات عقله "سافلة، تعيشين وتموتين سافلة!" ملكت عينه بين خاصتها تُخفي حسرتها ببراعة لتبتسم بانكسار وتهتف معاذنة "هاؤ" خرج من البيت يغلي من شدة الغضب ليصرُّخ عamer يلحّه "أخي شهاب، أدركه، مُسدسة معه"

* * * *

بعد مرور شهرين

نهضت ترتدى ملابسها براحة وداخلها يغلى كمداً، كم مرة عليها الإصغاء لأسم غرمتها، أسمها وشماً من نار تحرقها، شهرين على مرور إعلان زواجهما والميديا لم تخبو نيرأنها لا حديث يخلو من سيرتها ولا موقع لم يذكر قصة غرام الرازى بها! مُنذ انتقلت لشققتها الجديدة وصارت جارتها وهي ترى بعينها معنى العِشق وكيف يُغرقها غرامه في انهار السعادة الصافية، وهى؟! تحملت من الصمت ما يعجز عنه البشر لذا سوف تضرب ضربتها الكبرى، انتبهت لصوتِ النزق وهو ينهضُ هاتفاً "نَهَى؟ اعْدِي لِي كَأساً" نهضت مُتأففة مُقررة هَذَا المعبد على رؤوس الجميع لتهتف غاضبةً "أَخِيرًا تذكري أسمى قاسم بيَه" فقهه يستفزّها "يبدو أنِي ضغطتُ على الجُرح بقوَة" عَدَلت بلوزتها ثُلُق إزرارها بعنف "أنا من أشعَلتُ نارك حتى تمنيت وجودها بين يديك" دمعت عيناهُ وموحة من الضحك تتمالكه ليهتف إليها باحتقار "حالتُك يُرثى لها نُهَى" هَذَا من ضحكاته يتقدمها ليتحدى وعينه ترمقها بقرف "لا وجه مقارنة، أنت تترجين فراشي حَذَّ التَّذَلُّل، أَمَا هِي؟" اقترب مُمسكاً بذراعها يضغطُه بقوَة ويهمس "كُبُرِيَاء، كِرَامَة، جُوهَرَة لَوْ مَلْكَهَا أَحَدُهُمْ لَنْ يَتُورَعُ عَنْ حفظها بَيْنَ اللَّحْمِ وَالْجَلْدِ" دفعها عنَه بقوَة يأْمُرُها "لا تُرِينِي وجْهَكَ بعدَ الْيَوْمِ، بِتُ اقْرَفُ مِنْكِ" تحرّك صَوْبَ الحمام يهتف ببرود وصلف "لا تنسِي أَخْذَ ثُمنَكَ مِنْ بُوَابِ الْقَصْرِ" ارتادت سيارتها وأغلقت بابها بعنف تضع ظرف النقود بحقينتها وصوتُ حارس القصر مازال يرُنُّ بأذنها "لا تعودِي هُنَا مَرَّةً أُخْرَى" همسَت وقد اسوَّدَ وجهُها من شدة الغل "لَمْ تَتَنَهَّيِ اللَّعْبَةُ قَاسِمُ الْكَلَبِ"

* * * *

هو أنتَ مين عشان في ثانية تشيل حاجات وتهدر صرت ذكريات وتلخص
العمر في يومين ليه تبقى مين عشان تزورني تقوم بتات
جوة في سواد العين وأحبيك بالسنين،

دندنت مع أنعام ثَحَضَرَ الفُطُور للجميع، شهرين مَرّا على تلك المُشاجرة الدامية لُقْنَ أنها استقررت مارد بداخله أخرجَه عن زمامِ نفسه، لو لا ترجِّبِها له بذلك اليوم حين هرولت خلفه لما مَرَ الأمر مرورَ الخير، لم يتركُها الدفء منذ

أقسمت عليه بحياتها تهتف بخوفٍ صادق لا تعلم متى ولد "من أجل خاطري داود ادخل البيت وفعل بي ما شئت، سلامتك قبل سلامتي"، تنهدت تذكر نظراته الممزوجة باللّوم والعتاب وشيءٌ ناعم إثر استسلامه أشعرها لأول مرة بالانتقام، بئرً انفجر به الماء خريره نغمات قلبها ومذاقه زمزم بالشفاء، تمايلت غير واعية لرباب سُها اللتان يُراقباها تُغنى لتهمس رباب بضمكتها الواسعة "بنت يا سُها أشعرني بما أشعر" ردت سُها وقد بانت تفهم خلجانها "طالما شعرتني أنت إذن حدث" رمقتهاها تبسمت وقد تذكرت تذمرة الطفولي وهو يُصر على حرق الهدايا أمام عينها، لن تخفي شعورها بسعادته حينما شاركته حرقها ملقيه المنامة التي أججت مارده من جديد لتهتف بحرقة "الجهن عل صاحبك يلحق بك" التقطت من بين ضي النار لهيب الإعجاب بنظراته التي دفنت قلبها ورغم ذلك انتهت جيناتُ أمها حواء في النكد حين استبدت به تُعلن خصاماً دام أسبوعين كاملين إثر كلماته الحارقة،

رست التوست المُمحّص كما يُحبه والذكريات الدافئة تلتحفها كيف كان يتحين الفرص لإرضائهما، منذ عاودت رياضتها الصباحية بالمشي بات ملازم لها يمشي خلفها عن بعد قليل يُغنى لها بصوته البشع على ترسي، وحين أبدت اعترافها تتهمه بمراقبتها وعدم ثقته بها همسَ وكاد أن يُقبلها السافل والغبي فقط كُفي عن التمرد يا قاسية" اتسعت ابتسامتها من مُساكنته لها ولكن كلما شُعرت بارتياح قلبها جُبنت وأنكرت لتنهز الفُرص وتبدأ بالنكد! بالأمس تшاجرت معه تتهمه بشكّها بعلاقة تجمعه بتلك الموكلة اللبنانيّة لتعود لتأنيب نفسها فمالها تتدخل ب حياته؟، انتبهت لنفسها وسألت لأنّه "من هذا الذي باتت من أجله تحرق؟" بدأت عقابها النفسي والتقيّع، تحتاجه جوارِها وتشتاق صوته وعصابتيه وتذوب ما إن سمعت تهكمه "ها" المُنجمة بالتحدي ومع كل ذلك الشوق والوجد تجاهر بعلو صوتها "لا حُب بقلبي لك" انقطع اجتماعها النفسي المريض دون الوصول للحظة حاسمة وهي تسمع صوته وقد ارتدي ملابسه استعدادا للعمل يسأل "سُها؟ لم تبلغيني رأيك؟" جلس بمقدمة السُّفارة وعن بعد رباب وسُها ليسحبها من كفها مُنبهاً "الم أُنبه أن تجلسني فور ما اجلس" رفعت حاجب واحد جن مارده وهتفت تجلس وتضع آخر طبق "كُنت أحضر الزيتون الأخضر" رمقها بنظرة صارت عاجزة عن

فهمها وهمس "الجسي، كفى فرط حركة" وقبل أن يبدأ عراك الديوك
خاصتهم أسرع مُوفداً اهتماماً لسعها قائلاً وهو يتناول من يدها قطعة توست
مُغمسة بالجبن "بماذا اردد على الرجل سُها؟ المجنون يظنُ أني ارفض" أحمر
وجه سُها بشدة وهمسَت بخجل "أنا أثق في رأيك داود فما هو؟" سالت
بترقب والعصبية بدأت تزحف لها فكيف بينهم شيء لا تعلمه "ما الأمر؟ وما
تأخذ رأيها؟" اصطنعم عدم سماعها وهتفَ يتلاعب بأعصاب الأخرى "عن
رأيي فأنا لا أوفق؟" وقبل أن يُكمل غصت سُها بما في فمهما وصاحت رباب
مُنفعة "موافقة هل لأنها التزمت الأدب والخجل انتهي الموقف؟ هي موافقة؟!
موافقة" قهقهة داود سارقاً نبضة من نبضاتها لتسأل ومازال تُكابر إحساس
كما الوحش يلتهمها "ألا من يفهموني" هدأت ضحكاته وقال يُشير على أختها
"شهاب طلب بدها"

"نعم؟ وهل أنا أخر من يعلم؟" طالعها بجانب عينه وقال يغيظها على تشعر وتحس "لم افتح الموضوع سوى لسؤالها! ثم أنا رجل البيت، أتصرف كما يحلو لي" صاحت بعدن تضرب الطاولة "أنا غير موافقة" نهض ببرود يُراقص حاجبيه لها "اضربني رأسك بالحائط" لوت فمهما وتطلعت له معاقبة "لم تأكل شيء" ابتسم بسماجة ومال يهتف بوجهها "سنتي نفسى"

"داود؟" غمز لسُها وهتف فِرحاً "مُبارك يا عروس" وضعت أمامة كوب العصير ثمّتم ببعض الكلمات المُبهمة تشده حتى جلس مُطيناً كفها يُكمل حديثه لها "الخميس القادم قراءة الفاتحة والفرح بعد شهر" عاندت ومقصدُها أغاظته "لِمَا تأخذُ القرار وحذَك؟ شهر لن يكفي! الفرح بعد سنة" لمح الإحباط بوجه سُها وتزمر رباب قائلة "سنة؟ يا قاسية" صاح يُشر عليها "هو شهر، يا عديمة الحُب" نهض عنهم يجلس بالصالّة يتقدّم هاته لتهمس "أنا عديمة الحُب؟" همست رباب إليها تلوّن الطعام بغيظ "لا، عديمة القلب، اشْك بكونِك امرأة" نهضت بعصبية تصيح على رباب "من تتحدث؟ الم ترُضي الرجوع إلى سمير حين جاء يتذلل لك!" ضحكت سُها والفرحة تُثرين وجهها ثم همست ولم تتوقع مردودَ كلماتها "المجنونة أقسمت إذا جاءها من يُشبّه داود سوف تتزوج فوراً" وبعين الغيرة التي صهرت

عظماؤها رمقت رباب بغيظ وهمست "هل تتغزلين بالرجل يا ربب" راقت حاجبيها تستشف ما بها لتهتف "وهل داود كما سمير يا سولي؟ أتحيرني بين الفسيخ والبسوس بالمسكيرات" انتبهت داود يهتف "سليمة! القهوة من فضلك" ضحكت البنات عليها وهي تتوجه إلى المطبخ نزقة تقلد طريقته وقد غلّظت صوتها تهتف "سليمة القهوة، بارد ومستفرز" وارت ابتسامتها ما إن دخلت للمطبخ ثم رمقته بمراقبها وأكملت بين نفسها "رجولي وخفيظ الظل" هتف وقد امسك بعينها ثرافقه "ارفعي صوت المذيع كاظم يعنى" أطاعت بمحبة فمن هي لترفض كاظم حتى لومن باب العند وهتفت "أصبحت تحبه!" أجاب يغمز لها مُرسلاً بالهواء قبلاً أربكتها "إن جاءك الغصب قبله بالرضا"

"برغم جميع قراراتنا بأن لا نعود برغم الجفاء، برغم البرود برغم انطفاء ابتسامتنا، برغم انقطاع خطباتنا فثمة سرّ خفي، يوحّد ما بين أقدارنا ويرفض كل اتهاماتنا برغم خريف علاقاتنا، برغم التزيف بأعمقنا وإصرارنا على وضع حدٍ لمسانتنا بأي ثمن برغم جميع ادعاءاتنا بأنّي لن وأنّك لن فإنني أشك بإمكاناتنا فنحن برغم خلافاتنا، ضعيفان في وجه أقدارنا شبيهان في كل أطوارنا دفاترنا، لون أوراقنا، وشكل يدينا وأفكارنا وحتى نقوش ستائرنا وحتى اختيار أسطوانتنا دليل عميق على أننا رفيقاً مصيراً رفياً طريق، برغم جميع حماقاتنا!"

تحرك بسيارته وما زال الله يُجثم على صدره شهرانٍ وهم على خلافٍ مُستمر وعنادها يزيد من إحباطه وحياته رغم المنافة الودودة، ألم يعتذر ويُقر بالخطأ في حقها وحق كرامتها المتورمة! ورغم التراضي المستتر مازال يشعر بأنها لم ولن تبادله أي عاطفة! تنهَّد متذكرةً كلمات أدهم بأنه مع انتهاء قضية قاسم لابد أن يضع لتلك العلاقة التي استنزفتْ نهاية فيكتفي إذلال باسم الحُب! أي نهاية يسترضيها سوى الموتْ كمداً بين أحضانها، فقط لو

ثُرْخِي لِجَام قَلْبِهَا لَامْسَك بِهِ وَرُوّضَ روحَهَا التَّائِرَة لِكِنْ عَنْدُهَا لَا يُشْبِهُ عِنَادًا
أَوْ تَرَاهَا لَمْ يَدْقُ الْحُبَّ بَابَ قَلْبِهَا الْمُغْلَق! تَنْهَى وَالْحَسْرَةُ تَمْلأُ قَلْبَهُ "أَيْنَ دَفَنُوا
قَلْبِكِ وَمَشَاعِركِ حَتَّى اذْهَبُ وَارْوِيْهُمْ بِمَا يَفِيْضُ مِنْ نَهْرٍ غَرَامِيٍّ يَا فَاسِيَّةٍ"
اَنْتَبِه لِهَاتِقِهِ لِيَجَدْ شَهَابٌ يُخْبِرُهُ بِمَكَانِ دُرْيَةِ الْتِي طَالَ الْبَحْثُ عَنْهَا طَوَالَ الشَّهْرِ
الْمُنْصَرِمِ فَبَعْدَ اِخْتِفَائِهَا الْمَفَاجِئِ وَالتَّأْكِيدِ بِعَدَمِ مُغَادِرَتِهَا الْبَلَادِ يَقِنَ أَنَّهَا تُخْطَطُ
لِشَيْءٍ مَا فَلِيْسَتْ دُرْيَةً مِنْ تَصْمِيْتِ وَالْطَّمْعِ مَعْهَا، اَغْلَقَ الْهَاتِفَ مُتَوَجِّهً لِمَكَانِهَا
بَعْدَمَا اِنْتَقَعَ مَعْ شَهَابٍ أَنْ يَسْبِقَ لَهَا

* * * *

خرج من مكتب النائب العام إلى جواره حسناء بعدما قدمت إفادتها والمستندات التي ثبتت قيامها بالسفر للتنزه والتسوق بين أكثر من بلد أوربي وهي تنزين بالذهب لشلملة لرجال قاسم بالخارج، كما استطاعت إقناع بعض الآخريات للإدلاء بإفادتهم كاملة بعد تخويفهم ببعض التهم التي ستوجه لهن لتذهب النساء بكل إرادتهن وتذليلن بكافة المعلومات، حتى رجال قاسم الذي تم التحفظ عليهم اعترف كلًّا منهم باختطاف الأولاد ولكن ليس بأمر قاسم حيث كانت الخطوة اختطاف المرأة التي هدّتة وقتلها ليجدوا الطفلين أمامهم، كما اعترفوا بمخطط قاسم لقتل داود الرازي، تأكّد أدهم من توجيهه تهمة الشروع في القتل إلى ملف قاسم بعدما قدم داود وشهاب بلاغ بمحاولة اغتيالهم، كما ارفق داود الفلاشة مع بعض مستندات قضية دهب ليأمر النائب العام بفتح القضية مجددًا مُشددًا على امتحان المُتهمين أمامه شخصياً وبشكل سري لا يُثير ريبة قاسم الوكيل وشركائه حتى لا يتمكنوا من الهرب، هتف أدhem وحسناء جواره "شكراً حسناء بدون مساعدتك ما كانت فتحت القضية" تبسمت تلملم شعرها وهتفت "الفضل لسلمى بسببها انتبهت لما كنت أورط نفسى به وأنا غافلة"

* * * *

دقّ شهاب بباب بيتهما وجواره داود المُتحفز ، مرّ الوقت دون الرد والجواب ليهمس شهاب "غير موجودة دعنا نأتي مرة أخرى" انتبه كلاهما على صوت المصعد وهي تهتف تزاماً مع فتحها الباب "لا فكريتك أروع أنا معك طالما" توقفت عن الكلام ترى كلاهما لتعلق الهاتف بعد بعض الترثرة وتبتسم قائلة بتوتر "مرحباً بكم" جلس الاثنان بصالحة بيتهما لنجلس أمامهم بغرور لم يذهب عنها ليهتف شهاب دون مقدمات "جئنا لتوقيع عن تنازل بحضانةلينا يا ذرية" ردت دون عناء التفكير "كم ستدفع داود مقابل ابنتك" سبّها وهم بضربيها ليمسك شهاب يده قائلاً "لن ندفع شيء فقط لن نذكر اسمك حين نتقدم ببلاغ عن قاسم الوكيل حتى لا تتورط" برمت شفتّيها وقالت باستفزاز "ليس لي دخل بالقضية وإن سُئلت سأقى الثّمة على زوجته خصوصاً وقد ظهرت على الميديا بذلك النقاب الأسود، كما أن قاسم اتهمها شخصياً قبل سابق" تطلعت لطلاء أظافرها بتعالي وأردفت "من الممكن أن أضُم بلاغاً اتهم قاسم بخطف ابنتي وقيام سلمى بانتحال شخصيتها من أجل النصب عليه" طالعتهم بابتسمة عرضها السماء والأرض ومالت إليهم هامسه "عصفوريين بحر واحد" اغمض شهاب عينه وهو يعلم مدى ذكائها فمن غيرها لديه القدرة على الابتزاز وقلب الموقف لصالحه، هتف داود والاشمئاز يُزِين وجهه "من أين تلك البجاجة؟ كيف عُمِيت عن وجهك الآخر" أراحت جسدها للمقعد وقالت "لم تكن اعمي! كنت تعلم من أنا، تمسك بثُرات الأسرة، تقانيك من أجل ابنتك كتم صوتك واظهر كُرهاً كنت تخشى الاعتراف به" رمقها ذاهلاً فسأل "أليست ابنتك؟ ألا تشعرين بالحنين أو الخوف عليها؟ كيف تمكثين مع رجل وأنت تعلمين انه يكرهك؟" هزّت رأسها بلا مبالاة وقالت "ابنتي طبعاً ولكن! لن أدفن نفسي وطموحي جوارها، أنت والدها الأولوية لك ألسْتْ قواماً، أما مسألة الكُرٍه والحب فلا تفرق معك" هتف شهاب ينتهز آخر كلماتها قائلاً "جيد! وقعي عن التنازل أو تحملي رعايتها؟ الخيار لك" رمقته بغضب وصاحت به "ما زلت لئيماً يا شهاب مُنذ صغرك وأنت هكذا؟" لم يُبدي تعبيراً وهو يهتف مجدداً "قرارك ذرية؟ وقعي أو نحضر لينا أنت أمها فلا داعي لتبقى البنت مع زوجة والدها" أكمل داود وقد قرأ الامتعاض على وجهها "دون التخيير شهاب" نهضَ واقفاً وأكمل "قررت إحضار لينا لها وسوف

أعطيها مبلغاً أول كل شهر البنـت لـوالدتها" تـلـعـت لـهـم بـغـل وـوـقـعـت عـلـى التـنـازـل صـاغـرـة، لا يـنـفـصـمـها طـفـلـة تـعـكـر رـوـاق حـيـاتـها، باـتـت تـخـرـج وـتـذـهـب وـتـفـعـلـ ما يـحـلو لـهـا دون اـرـتـبـاط بـمـسـؤـولـيـة تـقـيـد حـيـاتـها خـصـوصـاً معـ العـرـضـ الذي قـدـمـ لها منـ مـشـفـيـ كـنـديـة تـطـلـبـ أـطـبـاءـ نـفـسـيـينـ بـرـوـاتـبـ ضـخـمـةـ، خـرـجـ الرـجـلـيـنـ منـ بـيـتـها لـتـرـفـعـ الـهـاتـفـ تـقـصـ علىـها ما حـدـثـ لـتـهـفـ صـدـيقـتها بـغـلـ "ضـحـكـواـ عـلـيـكـ، وـأـنـاـ مـنـ فـكـرـتـكـ وـاعـيـةـ" قـهـقـهـتـ قـائـلـةـ "تعـالـيـ وـاحـضـرـيـ شـيءـ يـؤـكـلـ وـسـأـبـلـغـكـ بـمـاـ لـمـ فـيـ رـأـيـ يـاـ نـهـيـ" هـنـقـتـ نـهـيـ بـالـمـوـافـقـةـ قـائـلـةـ "كـفـيـ بـخـلـ دـرـيـةـ، سـوـفـ أـحـضـرـ مـاـ يـؤـكـلـ وـأـنـاـ الضـيـفـةـ؟ـ"

وـبـالـسـيـارـةـ هـتـفـ دـاـودـ "شـهـابـ؟ـ دـرـيـةـ تـرـاـقبـ جـيـداـ" وـافـقـهـ شـهـابـ الرـأـيـ وـكـلـاـ منـهـمـ لـدـيـهـ يـقـيـنـ بـأـنـ هـنـاكـ ماـ يـحـاكـ سـرـ،

* * *

الخامسة مسامٌ

نظرـتـ لـسـاعـتهاـ بـقـلـقـ، لـيـسـ مـنـ عـادـتـهـ يـتـأـخـرـ لـهـذـاـ الـوقـتـ وـهـوـ يـعـلـمـ بـمـجـيـءـ دـهـبـ وـحـضـورـ الجـمـيعـ اـيـضاـ، هـتـفـ دـهـبـ تـسـأـلـهـاـ "أـلـاـ يـوـجـدـ خـيـرـ عـنـ دـرـيـةـ؟ـ" اـنـتـهـتـ تـجـيـبـهـاـ "سـرـقـتـ مـحـتـويـاتـ الـبـيـتـ وـهـرـبـتـ، لـاـ أـحـدـ يـعـلـمـ أـيـنـ؟ـ" وـهـلـ بـحـثـ عـنـهـاـ دـاـودـ؟ـ" اـعـتـدـلـتـ صـوـبـهـاـ تـهـفـ بـضـيـقـ "وـلـمـ يـبـحـثـ؟ـ الـمـ يـطـلقـهـاـ أـمـ الشـوـقـ يـذـبـحـهـ؟ـ أـلـفـ دـاهـيـهـ" اـرـتفـعـ حـاجـبـيـ دـهـبـ مـنـ الـمـهـاجـمـةـ وـمـالـتـ تـهـمـسـ لـهـاـ بـخـبـثـ "ماـزـالـتـ أـمـ اـبـنـتـهـ؟ـ طـبـيـعـيـ يـطـمـئـنـ عـلـيـهـاـ" رـمـقـتـهـاـ مـُـحـذـرـةـ وـصـاحـتـ "وـلـمـاـ لـمـ يـطـمـئـنـ؟ـ خـانـتـهـ؟ـ بـنـيـ أـدـمـةـ لـاـ تـهـمـ سـوـىـ بـنـفـسـهـاـ حـتـىـ اـبـنـتـهـاـ تـخـافـ ظـهـورـهـاـ، وـالـيـوـمـ يـبـحـثـ وـيـطـمـئـنـ؟ـ" تـبـادـلـتـ دـهـبـ النـظـرـاتـ الضـاحـكـةـ مـعـ رـبـابـ وـسـهـاـ وـقـالتـ تـصـطـنـعـ الـجـدـيـةـ "الـرـجـلـ لـيـسـ بـقـوـةـ الـمـرـأـةـ!ـ الـرـجـلـ يـبـقـيـ طـفـ مـُـتـذـمـرـ يـرـجـواـ الـاـهـتـمـامـ فـقـطـ" هـتـقـتـ رـبـابـ بـخـبـثـهـاـ تـأـجـجـ غـيرـهـاـ "صـدـقاـ، وـالـلـبـانـيـةـ تـكـسـبـ" غـمزـتـ لـهـاـ وـأـكـملـتـ "هـلـ رـأـيـتـ مـوـكـلـتـهـ الـلـبـانـيـةـ، تـفـوـقـتـ عـلـىـ بـرـبـيـ بالـشـكـلـ وـالـجـمـالـ وـالـكـرـمـ" قـهـقـهـتـ دـهـبـ وـجـارـتـهـاـ "تـقـصـدـيـنـ فـتـنـةـ، اـعـرـفـهـاـ أـنـاـ مـنـ عـرـفـتـهـاـ عـلـيـهـ" رـفـتـ عـيـونـهـاـ بـهـيـامـ قـائـلـةـ "قـوـلـيـ فـتـنـةـ الـمـرـأـةـ أـيـةـ بـالـجـمـالـ يـاـ دـهـبـ وـقـوـامـهـاـ يـاـ سـتـارـ" تـجـرـأـتـ سـهـاـ تـهـفـ وـقـدـ وـعـتـ لـعـبـتـهـمـ "لـاـ وـشـعـرـهـاـ يـرـبـحـ وـمـعـهـ عـيـونـهـاـ الزـرـقاءـ، كـنـتـ سـأـتـرـكـ شـهـابـ بـسـبـبـهـاـ" ضـحـكتـ

رباب وهي تلمح الصدمة على وجهه دهب كما لمحت الغيرة كالشمس تحرق سلّمي "أشهد، كان داود وشهاب بالحقيقة فُتنَة أنت، أعطاها المكتب عنوان البيت" نهضت من مكانها تُقدِّها "دخلت وشعرها الأصفر كسلسل الذهب خلفها تهتف بلكتها المُدللة" كيفك داود الغالي وينك يا زلمي فتشت عليك العالم يا دلي" توقفت عن الاسترسال إثر الضحك ثم أكملت "كان شهاب يراها لأول مرة ولم يعي على خروج سُها وهو يهتف، يا هلا بليلي لبنان الحلوة، وعينك لا ترى سوى النور، القت سُها ما بيدها وبدأت المشاجرة" ضحك الجميع على خفة ديمها وهم يراقبونها تمسك بشعرها تنفصه وكفها الحُر يتحسّن وجهها لتهتف ما إن وعت على نفسها "دمها ثقيل وهذا ما يطمت جمالها" هتفت دهب تستثيرها "سامحك الله، المرأة خفيفة الظل وكريمة جداً" التقت لكلاً من رباب وسُها وأسهبت وعينها على الآخرى "أذكر يوم عرّفتها على داود كنا ببلبنان وأصررت ننزل ضيوفاً بقصرها، كرمها وسخائها غير حميمية تعاملها معنا" هتف عمر الذي حضر وقد استمع للحديث برمته "تكلمون عن اللبناني؟" صارووخ يا عالم لو كنت كبير قليلاً لتزوجنها"

"ولد" صرخت بها سلّمي ليهتف دون علم بأنه دخل باللعبة معهم "ماذا؟ المرأة قطعة قشطة بالعسل الأبيض أقسم ثنيّر ذاتياً بالظلمة" تقدم يُقاد مشيتها تحت ضحكاتهم المُجلحة ليهتف وكفيه يرسُمان فوق جسده مفاتن امرأة "طبيعية خاوية من السليكون" صرخت به والغيرة تكوي قلبها "أنت قليل الأدب" هتف ومازال يُساكسُها جاهلاً حالها "وهل فتنَة ينفع معها أدب يا سولي" فرَّ راكضاً من أمامها يتفادى خُفها لـ"يجهز عليها عامر وقد وعي الملعوب بأكمله" دعاك من شقاوته ماماً أنا لي طلب؟" هتفت بوجهه "نعم؟" هرش مؤخرة رأسه وقال يتحسّن صدره "زوجيني فتنَة!" هدأت الأنفاس من الضحك والله حتى التفت إليها دهب ثطالعها بجدية طبعها لتهتف بصوت صلب "اتركونا وحدنا" أطاع الجميع بخفر وذهب تُراقبها حتى قالت مُباغثة "متى شعرتني بحبك له" همت بالإإنكار مُسرعة لترمقها دهب مُتحدية وبصلابة وقوه قالت "لا تكذبي وأنت بحضورة دهب الاخشيدي" نفخت خديها بنزق وصاحت مُكابرة "اجلي الحديث لوقت آخر، ها هم أتوا" جلس الجميع بعد الغداء شهاب يتفق مع داود على أساسيات الزواج، شهراً وينتهي من التجهيزات مُعرباً عن بدأه مُنذ فترة بتجهيز

البيت كما رَغِبَتْ سُها حتى يبقى فقط بعض اللمسات التي تركها لذوق النساء، هلّ داود مُبارِكاً لتهتف بغضب "هل كنتم تخططون للأمر مُسبقاً؟" التفت صوب سُها توبخها غير عابئة بإرهاجها أمامهم "هل ذهبتِ لبيته؟ تتصرفين وكأنكِ معدومة الأهل والهوية؟" نهضت تصيح لا تعلم ما أصابها فقط حرقه تملّكت قلبها وناراً اندلعت بأورتها "الستُّ أختك"، على القليل دعني افرح جوارك! لما سُها؟ رغبُت في الشعور بالمسؤولية تجاهك أنا بمثابة أمك" وتحت صمت الجميع ودموع سُها المتدفقه خرجت للحقيقة تؤنب نفسها! نفخت أنفاسها واتخذت جانب لن يراها به لتشعل سيجارتها التي اشتاقت لها وتبدأ في جلد ذاتها! تعلم انه لم يتقصد إلغاء وجودها بل يلوّز بها عن المسؤولية، هو بطبيعة الرجل تلمس بها شقاء تحمل الجميع على عاته وكأنهم ميراثاً ورثته من الزمن لذا قرر بـدكتاتورية راحتها! تذكرت همسة وإصراره الدائم على قوله اليومي "أنتِ خلقتي للدلائل لا للمشقة، اللحظة التي حملتني بها اسمي هي نهاية الماضي ما بعدي راحة عهدها في رقبتي" همست من بين أسنانها "لما تفعل؟ أي حُب تترنم داود؟ لا يوجد بتلك الدنيا حُب" دمعت عاجزة عن المُكابرة فذلك الشيء الذي يتضخم يوماً عن يوم داخلها صار وحشاً يهدد قلبها، الفت سيجارتها المحترقة أرضاً وأغمضت عينها بقوة تهمس علىها تخف الضغط عنها "داود أنا أحبك!" انتفضت مفروعة وهو يهمس أمامها "اشتقاك سلمى!" وبالداخل همت دهب بالخروج إليها فمنعها داود قائلاً "اتركيها فهي مرحلة المجادلة، دعيها تُقرر إما الاستقرار معك أو بدوني لتكمل حياتها" رمقته دهب والقلق يُورقُها لتسأل "ما الأمر داود؟"

"قضية قاسم أوشكت على البدء رسميًا وتلك نهى سامي ذكرها من الوجود، خطوات بسيطة ويدهب عنها الخطر الجميع سيفلّ بشرفها ونزاهايتها ولها لابد من الوقوف على أكون أو لا أكون"

"أهذا قرارك النهائي؟ أنت محامي! أين النفس الطويل والصبر؟" حدق بالأرض قائلاً "أنا جوارها رجل هزمه العشق، متمردة دينها العناد!" "سلمى تحبّك يا أحمق" أبتسم متهكمًا وقال بيأس ملك صوته "وهُم، سلمى عجزت حتى عن حُب نفسها، ها هي أمامك لا تؤمن بالحب مطلقاً!"

"ثكابر،"

"وأنا احترق"

"وبعد احتراك؟"

"أموت راضياً بالعشق" وكعادتها حين تخرج عن العقل هدرت ترجمة بغضب
"تبأ لك ولها"

وبالخارج، عادت للوراء بربع وقد بدأ في التقدم إليها يهتف بجدية شديدة
"دعيني أصلح الأمر، سنتزوج ونربى الأولاد بيننا وهكذا سيتوقف الجميع عن
مهاجمتك وأولهم نهى" هفت مصعوقة "أرحل وإلا صرخت، أنا أكرهك" تقدم
صوبها بخطوات مجنونة "اصرخي! اصرخي حتى يأتي ذلك الكلب ليطلاقك، لا
مكان لك معه مكانك معي، أنا أول حب دق له قلبك" صرخت وكفها يصفعة
"لم يدق؟ ولم أحب سوى داود زوجي" انتبهت لاعترافها السهل وأفررت به بغير
جلد، تُحبه بل ذاتك أول قطرات العشق بنبعه الحلو، فاقت من غفلتها وعايد
يهجم عليها محاولاً تقبيلها بقوة يهمس "بحبك سلّمي! وكما ترغبين ظلي معه
ولكنه لن يحرمني مما أملك" حضرها الموت يكتبها بكل قوه لتصرخ خائفة
تستجذب بملازها "داود؟ أدركني"

صرخ عامر ينزل السلام متعجلاً "عمي داود، كارثة" وقبل أن يتناول الهاتف
من يده سمع صرختها المستجيرة باسمه ليهرب مفروعاً والجميع يتبعه
"سلّمي؟" جن وهو يشاهد عابد ممزق ملابسها مستميتاً في استباحة عرضه
ليهجم عليه ساحبه بقوة يسبه ويلقنه معنى الرجولة والشرف، تركه غصباً
وشهاب يسحبه ليحملها مسرعاً وما إن وضعها على فراشها صرخ بالجميع
"إلى الخارج"

وبالأسفل لطمت رباب خديها وهي تشاهد مع دهب وسُها ما انتشر على موقع
الميديا، لطمت وجنتيها بقوة وذهب تهمس بأسي "تلك الطامة الكبرى"

* * *

حثتها على المُضي قدماً بعدها اتفقا على ابتزازه مُجدداً ولكن ليس بذلك الفيديو الذي يُثبت إدانته وإنما بمزيدٍ من المد حيث قامت بإعطائِها ذلك المقطع الذي صورته أثناء الحفل، قاسم وسلمي! رغم أن حقيقة المشهد كان مُشاجرة لكن بعض الذكاء الاصطناعي جعلهم عاشقين يتحابون بركنٍ حميم، كما أرفقت ما صورت بمقاطعات وهو يزور بيتها والهدايا تسبقه ثم يخرج بعد تجاوز الوقت أكثر من الساعتين، هكذا دبرت الأمر برمته لتكون الطامعة وجهتها، تعلم جيداً ذكاء ذرية البارع لكنها تققر إلى الخُبث والمكر وإلا ما انتظرت طيلة تلك الأشهر أملة بالحصول على عشرة مليون جنيه، فمن ذا عقل سيدفع فيما معها ذلك المبلغ، لحسن حظها أن طمعها القائد والحكم وهي نهى ملكة الخُبث سُتناسب كُل الأمر هي خلف الكواليس تضحك وتلهو، ليست ساذجةً كي تضع اللحم بكفها في فم الأسد حتى ما إن تذوقه عقرها عقرة الموت، حمستها وهي تدفعها للذهاب له فلا بد من التعامل وجهها لوجهه فما أن أرسلت رسائلها طلبها في التو ليس خوفاً من فضيحةٍ فقط ولكن خوفاً أن يطير العصافير الملوّن من بين يديه، ومن قلب بيتها فتحت حاسوبها الخاص ما إن تحركت وأذاعت الفضيحة الجديدة على الملايين مُرافق معها تسجيل فيديو مُسبق تتهم به سلمى بسرقة ابنتها وزوجها الذي اجبرها اليوم على التنازل عن حضانة لينا صغيرتها وكل مُستحقاتها، حتى البيت قام بإغلاقه في وجهها بعد طردتها في منتصف الليل! ضحكت مُتنشية تتابع ردود الأفعال التي بدأت من جديد على الميديا والكل صار يسب ويُلعن في امرأة خانت صديقتها التي صدقت طهرها ليتم الربط بين الفيديو وسابقه حين ظهرت تراود داود واليوم تراود قاسم الوكيل شخصياً دون مراعاة الرجل الذي وهبها اسمه وبات يتغنى بحبها! صارت الميديا سرّك جمع الحيوانات الجائعة وكلّاً منهم دفعه الجوع لنها سمعتها، وأفعى جلس تشاهد بتلذذ فريسة ألقتها للسبع الثائر، تعلم تمام العلم انه سينهيهما ويجهز عليها فور وقوفها أمامه، نهضت بعدها أغفلت حاسوب ذرية تعلم ما طالته يدها وصولاً لغرفتها لتجد صندوق مُجوهراتها يُغازلها!

* * *

"سلمى" همس بها ومرأجله تغلي لولا انهيارها لسحق ذلك المُختَنْت فكيف تجرأ على القدوم لزوجته بغية افتراسها، هل ظن أن ما به من رخو وزوال نخوة في غيره، تكُورَت على نفسها تنتخب ليعتدل حَدّها يهمس "كفى بُكاءً" هزَّت رأسها رافضة وهمست وعيُّنها مُغمضة "أشعر بالاشمئاز" ارتفع حاجبيه والغضب وصل أقصاه ليسحبها بعما جلس وهي بين حجره، استسلمت له ولشهيقه التي تُزيح شعرها عن وجهها وهو يهمس "حبيبي، لا تبكي" ذاد نحيبها وهي تزوق حنان أشهي من العسل، مال بها للأمام والخلف يُقبل مفرق شعرها وجبهتها هامساً والقبلات بين الكلمات تُهددها "واحد أثنيين سرجي مرجي، أنت حكيم ولا تمرجي، أنا حكيم الصحابة العيان أديله حقنة والمسكين أديله لقمة" مرغت رأسها في صدرة وغمغمت "ماذا تُغنى" ضمها وما زال يترنح بها والقبلات تتزلق على وجهها "نفسِي أزورك يانبي يا لي بلادك بعيدة فيها أحمد وحميدة" رفعت رأسها ترمقه بتعجب وهمست باكية "يوسف كان يُغنى لي تلك التهويدة" شدد من ضمها هامساً "أخبرني" لم لم شعرها براحة وقبل وجنتها قائلًا "تعالي وتحممي حتى تفيقي" طالعنة بحسرة وكلما مررت الدقائق بها أدركت الموقف أكثر لتهافت وعيّنها تترجي توقف الدموع الحارق "وجدتُهُ أمامي، فاجئني داود" مسح دموعها التي حجبت عينها عنه لتهمس مجدداً "أقسمُ ما كُنْت اعْلَم بِمَجِيئِهِ هُنَا" لحقها واصبعاً سبابته على فمهما يهمس "على ما تقُسِّمِين، أتُقُّبِّلُ يا مجنونة" تلعلت لعينيه الصادقة وشعوراً مُلحّاً بضمها يجتاحها وبدون العناد والحسابات المُعقدة رفعت ذراعيها والخجل يُمسك بهما تتوغل بصدره وتشدد من ضممتها هامسة "داود" ارتفع وجيب القلوب بقوة والصمت حائر بينهم لمن تلك الدقات المُهدرة، عاشقان التقوا بعد طولِ سفر، همسَت ليشتعر لأول مرة احتياجاها له "داود!"

"أفضى ما بكى يا أجمل من نطق أسمى"

"أنا حائفة" شدد احتضانها وجسده يُلملمها داخله "وأنا معك؟" قابلت ضمه بالضم وهمست "بلي ولكن أخافُ الزَّمْنَ" قبَّلَ مفرق شعرها وهمس بصدق "نذيرُ الطبيعة" دواماً يُخيف فلا تخوئي تقتي بطبعتك المُقاتلة" ابعدها بشدید الرفقِ وهم يسألُ سؤالاً أرقَّه "ألا بات بك شيءٌ سلمى؟ ألا يوجد بصيص حُب يُروي جفاء طبعك؟" افترقت شفتَيْها مُقررة الفيض ليقطع فيضُّها دقاتُ الباب العاجلة، نفح أنفاساً حارة وهمس وهو يدفعُها عنْه برفق "هيا تحمي واتركي

لي ذلك الغليظ عامر، الغيرة سقتله" تحركت وخطواتها تمنع تركه لغلق باب الحمام خلفها تزامناً مع فتح داود الباب يهتف والأخر يتقد المغرفة بعيدة "أين أمي؟"

"خبيث أنت!"

"الوضع حرج أين هي؟" رد قلق "ما الأمر؟" سحبه عامر خارجاً ليرفع الهاتف قائلاً "شاهد بنفسك"

خرج من البيت بعدما حطمها مُنبعاً على الجميع التعامل بطبيعة مشدداً على عامر مُراقبتها جيداً، هاتف أدهم للمرة العاشرة دون رد ليتصل على حمو الذي ما إن رد صرخ به ليأتي لمكتبه، القى السيارة بهمجمية أمام مبني مكتبه ليصعد من فوره لأخر طابق وقد استدعي طاقم العمل ليطرق الحديد وهو ساخن مشتعل، حاول شهاب جاهداً منعه مما يُقدم عليه لكن دون فائدة فسحقاً لكل البشر مادامت سوف تتأذى مجدداً، تلك المرة ليست كسابقتها فاليوم اللعبة على وتر النفس يعلم أن فور معرفتها لن تلوم أحداً لكنها ستقتل نفسها بجاد الذات وصولاً للموت، لأخر مرة تَوَسَّلَ شهاب، يسأله الرواية، مازالت التحقيقات بالقضية قيد العمل وما سيفعله سيهدِّم تعب شهور كاملة، ومع استمرار التوسل خرج المارد عن السيطرة ساحقاً الصبر مُقسم بقتل قاسم وذرية ونهى والديوث زوجها!، اذعن شهاب بالطوع يراه بتلك الحالة من البأس والثورة ليجلس داود لشاشة الكمبيوتر يضع بنفسه حداً لمن ليس له حد ويببدأ في بثِّ فضيحة الموسم وهو يعرض فيديو وثاني وعاشر للسيد قاسم الوكيل مع حسناء الحارة نهى وقد جمعهم فراش الرذيلة غير عابئين بشيء! هتف حمو الذي دخل إليهم بأنفاس لا هثه "خير ما فعلت" سحبه داود بصمت حتى أجلسه أمام الشاشة في بثِّ مباشر جمعه مع حسناء لتبدأ المُباراة النهائية، قص حمو ما كان يجمعه بنهى كما قص ما حملته رياحها العاصفة لتكمل حسناء واضعة النقاط فوق الحروف المُبهمة تروي طبيعة العلاقة التي بدأت بين قاسم ونهى وكم ساعده بحقدها ليصل حد التغريب بأمرأة متزوجة، وعلى الجاني القريب فتح داود حاسوبه الشخصي يري ما يفعله قاسم الوكيل حيث كاميرات المُراقبة التي زرعها بقصره بأمر من النائب العام وبمساعدة حسناء المُمثلة، انقض وهو يرى ذرية تجلس بمكتبه ليرفع الصوت وقد انتبه له الجميع بالسمع والرؤية،

رفع قاسم مُسدس بوجهها ما إن علم هويتها يتهمها بالاتفاق مع زوجها، لكن دُرية من فرط خوفها نفت وأقرت بمن حضرتها وأخذت تُقص عليه الأمر كاملاً تحت وطأة سلاحه كما أقسمت بأنها لا تملك أي نسخ من الفيديو الذي جمعه مع سلمى وقد تأكّد أيضاً بنفسه أن الفلاشة التي كانت تبغي أحراها خاوية ليس بها سوي تلك الأغنية الشعبية وكأنها تقصد هم، بكت خوفاً وقد اوشك على قتلها فانهارت مُعترفةً بأن داود طلقها منذ فترة دون علمها كما أنها سعت لزواج داود من سلمى بكامل إرادتها لتحصل على ثروتها لو لم بالمناسبة سيكون بالوراثة بعد أن تُدبر لها أي حادثة ولكن مع رفض سلمى ما وجدت غير ابتسارها بتشوية صورتها وادعاء خيانتها وهدم بيتها، فكيف تفعل كلَ ما سبق بالاتفاق مع داود؟ داود الذي لم يذق الحُب سوى بنكهة سلمى ونعميمها، وتحت التهديد والضغط أقرت بمن خططت ودبّرت وهي تصرخ والمُسدس فوق رأسها "نُهى؟ نُهى؟ السبّاك من سالمتي فيديو الحفلة وهي من سجلت شكتي الكاذبة" شرد قاسم يُفند حديثها ليجد أحد رجاله يدخل صارخاً "مُصيبة قاسم باشا كارثة" خرجت من قصره تركض بكل قوتها متهزءة فرصة انشغال قاسم بتلك المُصيبة التي تجهلها لتحرّك بسيارتها على أقصى سرعة تسبّ نُهى واليوم الذي تعرّفت به عليها،

اقطع داود الجزء الخاص باعترافها وإقرارها بما فعلت ليبدأ في بثه عندما لقي
بث حمّو وحسناً صدأً بين الناس ليهتف للعاملين معه "أريد تشويباً على ما
أذاعتُه الساقطة ومن يقدر على محوه نهائياً له مرتب سنة مكافئة"
نزل عامر مسرعاً إليهم يهتف "ما زالت بالحمام" هتفت دهب بتوتر "اهدا
عامر وكفى عصبية وأنت رباب هل داريتم ما حطمه ذلك المجنون" جلس
الصبي يتقدّد وجه الجميع حتى صاح برباب وسُها "كفى بكم لو شاهدتكم
هكذا لن تهدأ حتى تعلم" التفت إلى دهب مستجداً "من فضلك اذهبي لها ولا
تركيها تمسك هاتفها" مسحت رباب دموعها وقالت "ليست غبية لو نظرت
في وجه دهب ستشك فوراً، دهب لم تذهب لغرفتها منذ يوم زواجها" تألف
حيراناً ليهتف مجدداً "لو نزلت ورأيت منظر البيت هكذا سوف تسأل أيضاً
نهضت سُها قائلة "سأذهب إليها بحجة استرضاء قلبها على ما حدث هكذا
أوّق" همت بالتحرك ليهتف عمر "انتظري، اصنع لها شيء تشربه أو عشاء
خفيف حتى تقتنعني، هي تعلم أنك مُحال ثبادي بشيء" انتبه الجميع لنزولها
تحمّل حقيقتها تبتسم باتساع وإشراق ليسألها عامر متوجساً من هيئتها "أنت

ذاهبة ماما؟ الوقت متأخر؟" قَبَلت وجهه وقالت "لا تقلق حُبي عَمّك داود طلبني، يقول لدية مُفاجئة" هتفت دهب تسأل بشك "مُفاجئة! أي مُفاجئة؟ انتظري سأجعل صُهييب يوصلك" مالت إليها مُسرعة وهمست "ماذا دهب؟ لما صُهييب؟ فقط قررت الاعتراف لداود بما في قلبي وتلك فرصة لن أجُد مثيلها" اعتدلت تُقبل عامر واتبعته بعمر حتى رباب وسُها مما جعل عمر يسألها "ما الأمر ماما وكأنكِ راحلة للكوكب آخر" ضحكت وهي تخرج من الباب قائلة "أراكم بخير" انسابت الدموع تُعرق وجهها بمجرد ما ارتدت سيارتها لتصرُخ مقهورة "يا لا نذير الطبيعة المُوجع"

هتفت دهب بقلب مقووض "داود لا يُرُد، وكذلك أدهم" صاح عامر "حمو ايضاً" هتف عمر وقد نزل من غرفتها يركض "تركت هاتفها وووجدت ذلك معه" اختطف عامر الهاتف يناوله لذهب وهمس بشديد الخوف "خطاب مكتوب عليه داود الرازي" صاحت سُها تتمسك بها قفها "شهاب أين أنتم؟"

* * *

لطمَت قُطْة وجهها تقف بين أهل الحارة والعار يُزيّنها، الحقيقة تكشفت وبالتبادل أخذت موقعها مما فعلته بُهتانً وزوراً كتب عليها بحق القلم، بالأمس فضحت عرض ولدها بالكذب والليوم تقف أمام الحقيقة عاجزة، عجز القدرة على موافقة الخداع، وكعادتها القبيحة همس ضميرها المُعايق مُقرًا أن الجزاء من جنس العمل، صاح الشيُخ حازم أمامها بالكلمات شامتاً بها وينسلها فكما فضحته نهي فضحها، تقلد شحاته مسرح الحياة بطبيعته المُزيفة يُمسك سيرتها يلتهمها كما لحم الضأن ما تعني أكله إلا والثخمة تهاجمُك، ترحم على علي السباك كما سب ابنته وتربيته لها تاركاً لنفسه العنان بالسب والقذف بيوم لم يلقى به من يتجرأ على منعه مُذكره بالمحصنات، لملمت المعلمة قطة عباءتها الملونة وتوجهت لمنزلها بصمت فقط بعض الكلمات التي اعتلت فمها وصارت كما الترنيمة المُتعَمدة "على الباقي تدور الدواهي وكل ما ميعاد"

* * *

جلس على الأريكة الجلدية باسطاً ذراعيه على وسعهما مُنتشي بانتقامه، كان سكوتة طوال الشهرين الفائتين لا لأسر الصغينة التي تملكته ولا إثراءً للسلام ولكن تقرعاً لرأب تفكها النفسي الذي جعلها آلة مُتحركة دون الشعور والحس، لتأتي الأقدار بما يشتهي ويرغب ويُبسط له بساط الثأر، سيعلم وجوده الأفقيين ببصمة الزمن السوداء، وكأن المسيح استنسخ لآلف وجه، لا يخسون قيمة ومحاسبة، كافرين بأقدار الله الواقعة، لا يعي هل انتصاره باطل أم حق؟ كل ما شُيد من باطل فهو في عين المولى باطل وتلك ضريبة الزمن فرضتها الحداثة وتقبلها أنسٌ جعلوا من التقدم عَبْث، لو الأمر بيده لقطع ذلك التواصل اللا اجتماعي عن البشر وعاد بهم أزواج وأفراد لعصر الحجر، لا جدال على الثوابت ولا جدل! ترك الشroud جانبًا وهو يسمع صوت شهاب المُضطرب لينهض ومازال قلبه بتلك القبضة نابض ليهتف الآخر إليه بقلة حيلة "سلمى خرجت وتركت لك رسالة" لا يعلم كيف أصبح داخل سيارته ومتنى وصل بيتها، ما يعلمه حقيقة دامجة بأنها استسلمت لبراثن اليأس مُقررة الهرب! وبجنون من خانه انتصاره صرخ بوجه عامر وأوشك يضربه "تركتها في عنايتك؟ لما تركتها؟" اخفض الفتى رأسه وشعور اليم يعاوده ليهمس الدموع صارت عادة لن تقطع "لم يُبُدو أنها علمت بشيء" هتف بصوتاً يائس محشوراً بين الصراخ والهمس "كيف؟ ليس من عادتها الخروج ليلاً ليترك انتبهت" مد عامر قبضته يناله خطابها بيكي وينتحب "تركته بجوار هاتقها" وبحسرة رضيع فطم للتو تناول الخطاب المُعطر بالدخان والنعناع متوجهاً لمطبخها يجلس بركنها الفارغ ومذياعها الناعي فراقها، فراغ موحش تركته ينهش ما يُقابلها من ظلها،

"شربت من أكبابها صبابه حتى الملل وعشت في عذابها كابة لا تحتمل باركتها في غدرها (آه) ولم أفارق الأمل آه (آه) قاومتها في مكرها من حكم العقل وصل"

تنهد وخطابها بيده كأنه عقرب سيلدغه، فتح الرسالة بقلب مُرتعش وعطرها يُداعبه، تفرق شفتاه بابتسمة عجز وهو يرى خطها الصغير المنمق يضحك

له، دُحِّضت ابتسامته وشَهْقَة مكتومة الصدى تصدر من فاهه وهو يتذوق أول كلماتها،

حبيبي داود

اليوم فقط استطعت الانفراد بقلبي أستخلص ما فيه من حُبٍ، لم أُكُنْ أعلم أن ما يُخالجني عاطفة قوية ولدت بداخلِي وزينتها الغيرة بزینتها الساخنة، داود؟ يا حبيبياً ملكته في الوقت الحرج، أوصيك بأولادي فما بقي لي من ثقة دونك ورجائي أن تغفر لي ما اقترفت بحقك بقصد أو دون قصد،

هكذا الدنيا، جمعتنا في لمح البصر وفرقنا بطرفَة عين، داود؟

أوصيك بنفسِك خيراً ورجاءً لا تبحث عنِي، أنا صرتُ حُطاماً امرأة، حُبِّت في قلعة أسوارها الشوّوك وأبوابها صدئة، وأنت لا تستحق وخزة الشوّوك، أبلغ حُنُي للجميع واللغُمُ أن سلْمي ذبحها اليأس باليأس ورُغم الاعتياد على الكدر لكن هذا يكفي فطبيعة البشر صارت مُعدمة كلما فرسِهم الجوع كان طعامُهم لحم ميت وأنا وافتني المنيّة منذ زمن، وأخيراً أنا اعترف، أنا أحبك داود الرازِي، سامحني فلم أستطع على تلك الحياة صبراً!

سلمي المصري

همسَ ودمَ القهر يُعرِّق حروفها "لِمَا استسلمتِ؟ ملعونَةُ الدنيا يا سلْمي ما دومنتِ فارقتي" ترنم كاظم يواسِي الجُرح بالجُرح،

من لم يُفْقِدْ من وهمه فعنِي أساه لا
تَسْلَ لصارت حياته عدم، صارت
همومه جبل اشرب لوحِدِك الأسى
وذُقْ مرارةَ الفشل إن لم نقاومْ
ضَعْفَنا ليس لنا فيها محل

هيَ الحياةُ هكذا، هيَ الحياةُ هكذا
طبعُها مُنْذ الأزل، كم أغلاقْ
أبوابها كم هَجَّرت أصحابها

احزانُها لا تنتهي أفراحتها
لا تُكْتمَ لكم من قتيلٍ في

الهوى قَبْلَ كَفَّيْ من قُتْلَ هِيَ
الحياة (هيَ الحياة)

همست بغضّة البُكاء تُشارِكُه الاستماع عن بُعد "بلى، بكلٍ مُفترق طرِيق قتيلاً
ينزفُ دماً وأنتِ سلمى نزرقي حتى الموت حية" صفت سيارتها جانب الطريق
المُظلم وقد وعْت على تبيهها لتلمح الأضواء الخافتة عن بُعد ترجلت دون
الخوف فما حيلة المذبوح وقت النحر والسلخ، دخلت لتجد جموع المقادِع
الخاوية في استقبالها وبعضُ الموسيقي الفاترة، قطعت شروداً أحدهم جالسة
وقد حل بها التعب، ورغم عُسر حالها وجدت يُسراً في خلو المكان من البشر
لتجد الطولولة لها معاونة لترتاح فوقها، النوم؟ ذلك العزيزُ الغالي باغتها مشفق
على العقل والقلب لتجمض عسل عينها غير عابئة بالمكان والزمان علىها تنام
أمد الدهر ولا تقيق ثانياً، وكما أن النوم رحوم لكن الآرق يجُبُ الرحمة مُنتزاً
سكون العقل وتشتت القلب ليُعيدها لما حدث.

خرجت بعد حمامٍ ساخن هداً عقلها المُتعب وصخب قلبها، لتقف أمام مرأتها
تهمس "منذ متى وأنتِ تؤمنين بالحب يا خائبة؟" لتنذكر خوفه عليها، همسه
الحار يُدلّها، انتبهت لرنات هاتفيها وابتسماتها توسع لتهتف لنفسها "مجنون،
وَجَنْ عَقْلِي معه" فتحت الهاتف لتسمع صوتها القبيح يهمسُ كفاحً أفعى "لن
تسعدِي ما دُمْتُ حية" أغلقت الهاتف بوجهها تضغطُ موضع قلبها الذي قُبض
لتجد سيلًا من الرسائل باغتها، قاسم وذرية والعالم اجمع اقرروا أن لا وجود
في ذلك الكوكب لها، لذا! عليها ترك الجميع بالحياة ينعم، بانت كاللوباء الغادر
تنقل للجميع العدوى لترُك أحبائِها ينعمُوا وتقبل مصيرُها الملوث دون الفتك
بهم،

* * *

صرخت عبر هاتفها بهستيريا "نَهِي أَنْتِ مِنْ سُرْقَتِي شَقْتِي؟ مَجْوَهْرَاتِي؟ الْمَالِ أَيْضًا؟ وَبِسُمِ الشَّيْطَانِ ادْعَتِ الْجَزْعَ لِتَهْتَفِ إِلَيْهَا "غَيْرُ مُعْقُولٍ! تَلْكَ حَرْكَةٌ لَا تَصْدُرُ سَوْى مِنْ قَاسِمٍ، اهْرَبِي دُرْيَةً! اهْرَبِي لِآخِرِ الْعَالَمِ قَبْلَ أَنْ يَقْتَلَكَ" قَطْعٌ حَدِيثَهَا دُخُولٍ عَابِدٍ وَعَلَى وَجْهِهِ سَوْءَاتُ الْمُجْرِمِ يَهْتَفُ بِصَوْتِ أَجْشٍ "لَمَا الْخِيَانَةَ؟" صَاحَتْ بِعَلْوِ صَوْتِهَا دُونَ الْخَجْلِ "الْفِيْدِيُو مُزِيفٌ؟" تَقْدِمُ إِلَيْهَا وَالْجَنُونُ يَخْاطِبُهُ "حَقِيقِي مَائِةٌ بِالْمِائَةِ" تَبَسَّمَتْ تُدْلِكَ رَقْبَتِهَا وَهَفَتْ تَنْمَطِي "وَأَنْتَ مَاذَا فَعَلْتَ؟ أَقْبَلَتْ بِنَفْسِكَ تَحْتَ أَفْدَامِهَا كَالْكَلْبِ" خَلَعَتْ بِلُوزَتِهَا تَنْلُوِي أَمَامَهُ بِإِغْرَاءٍ وَهَمَسَتْ "اَخْلُعْ ذَلِكَ الْوَجْهَ، لَا يَلِيقُ بِكَ، الْمَ تَدْعُوا بِنَفْسِكَ سَلْمَى لِينْطَلِقُ الصَّرَاخُ مَدوِيًّا بَيْنَ سَكَانِ الْعَمَارَةِ الْمُنْزَعِيْنَ مَمَّا دَفَعَهُمْ لِتَطْلِبِ الْشَّرْطَةِ "كَيْفَ لِزُمْرَةِ رَعَاعِ أَنْ يَتَجَرَّؤُوا عَلَى مُجاوِرَةِ الْأَسِيَادِ؟" كَانَتْ تُدْلِكَ بَعْضُ عَبَارَاتِ سُكَانِ الْبَنايَةِ الْمُتَرَفَّةِ، سُكَنَ الْصَّرَاخِ تَزَامِنًا مَعْ قَدْوَمِ رَجَالِ الْشَّرْطَةِ لِيَفْتَحَ عَابِدَ الْبَابِ بَعْدَ الْكَثِيرِ مِنِ التَّفَاوِضِ لِيَتَبَيَّنَ لِلْجَمِيعِ هِيَئَتُهُ الدَّامِيَةِ، اسْرَعَ رَجَلُ الْشَّرْطَةِ بِاَقْتَحَامِ الشَّقَقِ لِيَجِدُوا نَهِيًّا تَسْبِحُ بِدَمِهَا وَعَابِدٌ يَهْتَفُ مِنَ الْخَارِجِ غَيْرَ عَابِيٍّ "هَكَذَا يُصَانُ الْشَّرْفُ"

* * *

امْتَلَكَ زَمَامَ قَلْبِهِ الثَّالِثِ وَصَاحَ يَخْرُجُ مِنَ الْمَطْبِخِ "عَامِرُ، احْضُرْ حَاسُوبِيِّي" سَأَلَتْ دَهْبَ وَالْدَّمْوعَ تَسْبِقُهَا "هَلْ هَذَا وَقْتُ الْمِيدِيَادِ؟ أَيْنَ زَوْجَتِكَ؟" التَّقْطُعُ الْحَاسُوبُ مِنْ يَدِ الْفَتِيَّ وَفَتْحُهُ بِعِجلٍ يَهْتَفُ "وَضَعْتُ بِمَحْبِسِ زَوْاجِنَا جَهَازَ تَتَبَعُ" لِتَمُرُ الدَّقَائِقُ مَرَوِرَ السَّنَةِ وَمَا أَنَّ التَّقْطُعَ الْحَاسُوبَ مَكَانَهَا رَكَضَ وَخَلْفَهُ شَهَابٌ وَعَامِرٌ، لِيَهْتَفُ عُمَرُ الْبَاكِيِّ "الظَّلْمَةُ لَمْ يَأْخُذُونِي مَعَهُمْ"

وَمِنْ بَيْنِ سُبَاتِهَا التَّقْطُعُ صَوْتُ هَمْسٍ ارْقَ نُومَهَا، أَحَدُهُمْ يَتَكَلَّمُ جَوَارِهَا! تَرَاهُ عُمَرُ؟ مَا إِنْ حَبَّ يَوْقَظُهَا أَخْذَ مِنِ الْثَّرَثَرَةِ طَبِيعَتِهَا! هَمَسَتْ وَالنَّوْمُ يُخْيِمُ عَلَى عَقْلِهَا "كَفَى عُمَراً! اتَرْكَنِي اعْنَسُ" انْزَعَجَتْ مِنِ النَّقْرِ فَوقَ كَتْفَهَا لَتَرْفَعَ رَأْسَهَا بِمَشْقَةٍ مِنَ الْأَلَمِ الَّذِي كَادَ يُحْطِمُهَا، تَرَاقَصَتْ أَهَدَابُهَا بِقُوَّةِ لَتَفَرُّجِ عَنِ عَيْنِهَا تَهْتَفُ مَفْزُوعَةً "أَيْنَ أَنَا؟" تَبَسَّمَتْ الْمَرْأَةُ بِوَجْهِهَا لِتَعْتَدِلُ تُدْلِكَ رَقْبَتِهَا قَائِلَةً "أَيْنَ هَذَا الْمَكَانُ خَالِتِي؟ أَنَا تَائِهَةٌ" تَقْحَصَتِ الْمَرْأَةُ وَجْهَهَا وَمَا زَالَتْ عَلَى ابْتِسَامَهَا

لتهمس "استراحةُ مسافرين لا تعلمِي؟" تهكمت قائلةً "اعلم السفرَ فهذا حالُ الدنيا ولكن الراحة لها أهلها" تغضن وجه العجوز بمزيد من الابتسام لتجلس جوارها تهمس "الدنيا رحلة، ونحن راحلون أما الراحة فلا وجود لها" جمعت ما بين عينها وانتبهت قائلةً "هل أنت مسافرة؟ أم تخلت عنك الراحة كما تخلت عنِي يا خاله؟"

"وهل وجَّدت الراحة لترُك" قالت جملتها تخرج من جيب عباءتها الخضراء كيساً قُماشي أهدرته فوق الطاولة لتتوسَع عين سلمى وهي ترى مجموعة من الأصداف البراقَة الملونة، مدّت كفها ناسية كل شيء تلمَس صدفة باللون الأحمر الأرجواني تسأل والدهشة تتملَّكها "مُبلاة؟!" مازالت العجوز تبتسم باتساع وعيُّنها الزرقاء تتفقد من جوارها عن كثب حتى قالت تضع كُفها فوق كف سلمى تخبي الصدفة بينُهم "أين وجدتِي السلوان؟ ظنْتُه ضائع؟"

"أي سلوان؟ وهل بتلك الدنيا من يسلو خالي؟"

"الدنيا ليست لهو ولعب، لكل منا منها يتعلمه" اعتدلت مقابلها تتلاعُب بالصدف لتهتف بيقين "خلق الله الفرج مشروط بالصبر، الابتسام يمحو الحُزن، الرضا والسعادة يدحضوا اليأس، النسيان والسلوان يرافِّهم العَوض، أمورٌ عِدة يُخفف بها المولى طبائعُ الدنيا التي صنعها البشر، شيء واحد لم يضُعه الله بالدنيا يا سلمى" "ما هو؟"

"الراحة" أكملت وصوتها كما صدرا رائق "وجعلنا الإنسان في كبد"

"وأنا تكبدت ورضيت حتى تركني الصبر ورحل" قالتها بروح المهزوم تتهكم على نفسها، نهضت العجوز تلملم الصدف مُتجهمة الوجه تهتف بقوة "تهكمي على أقدار المولى؟ تسخرين من القدر؟" نهضت سلمى وقد ضاقت بالمرأة وحديثها لتهتف بلا مبالاة "حاشا الله يا حاجة! الرضا موجود والصبر بوفرة لكن شر الناس قاتل، أنا قُلت بما يكفي، وفري النصائح والمواعظ اعلمها جيداً، نفذت طاقتِي" همت بالرحيل من الاستراحة المُخيفة لتجد كف المرأة يلتف على ذراعها تضغطُه بقوَّة وابتسامتها مُتسعة تهتف بيقين وفرح "أتَي الفرج سلمى والغمامُ أنكشف، بقت خطوه واحدة" جذبَتها المرأة بالفُرب لها

و همسـت مـجـداً و عـيـنـها مـعـمـضـة "و اصـبـرـ عـلـى مـا أصـابـكـ إـنـ ذـلـكـ مـنـ عـزـمـ
الـأـمـوـرـ" كـرـرـتـ الآـيـةـ أـكـثـرـ مـنـ مـرـةـ وـكـفـهـاـ يـضـغـطـ صـدـرـ سـلـمـيـ،ـ شـمـلـهـاـ الدـوـارـ
وـتـرـنـحـ جـسـدـهـاـ لـتـدـفعـهـاـ العـجـوزـ بـرـحـمـةـ تـجـلـسـهـاـ لـلـمـقـعـدـ،ـ وـبـيـنـ الـوعـيـ وـالـلـاـ وـعـيـ
تـمـتـمـتـ العـجـوزـ تـضـغـطـ رـأـسـهـاـ بـكـفـهـاـ الـيمـينـ "الـنسـيـانـ مـفـرـوضـ وـالـسـلـوانـ
مـوـجـودـ وـالـقـلـبـ يـقـلـبـ بـكـفـ الـوـدـوـدـ،ـ أـمـاـ الـعـوـضـ مـشـرـوـطـ يـاـ اـبـنـهـ الـمـصـرـيـ،ـ
تـقـبـلـيـ الـقـدـرـ دـوـنـ الـيـأسـ أـوـ الضـجـرـ" رـنـتـ الـأـصـدـافـ بـيـنـ كـفـ الـعـجـوزـ بـنـغـمةـ
سـحـبـتـهـاـ لـنـوـمـ كـمـاـ يـسـحبـ النـهـارـ الـلـلـيـلـ،ـ

وـبـالـخـارـجـ نـزـلـ مـهـرـولـ مـنـ السـيـارـةـ يـتـابـعـ بـرـنـامـجـ التـبـعـ بـهـاـفـهـ لـيـهـفـ عـامـرـ
"سـيـارـتـهـاـ هـنـاـ" رـكـضـ الرـجـالـ لـلـدـاخـلـ لـيـلـمـحـهـ تـنـامـ وـحـيـدةـ فـوـقـ الطـاـوـلـةـ،ـ تـوـجـهـ
بـخـطـوـاتـ وـاسـعـةـ لـيـقـرـبـ هـامـسـ "سـلـمـيـ!" لـحـقـهـ عـامـرـ يـهـفـ بـفـزـعـ "أـمـيـ،ـ مـامـاـ"
دـفـعـ كـتـفـهـاـ لـتـتـبـهـ بـعـدـ مـدـةـ عـلـىـ الـهـتـافـ الـبـاكـيـ "حـرـامـ عـلـيـكـ،ـ كـادـ قـلـبـ يـتـوقـفـ!
أـهـنـاـ عـلـيـكـ؟ـ" اـنـتـبـهـتـ ذـاهـلـةـ لـتـهـضـنـ وـمـازـالـ النـعـاسـ يـحـتـويـ وـعـيـهـ "أـيـنـ أـنـاـ؟ـ"
وـلـمـاـ تـبـكـيـ يـاـ قـلـبـ أـمـكـ؟ـ" تـلـعـتـ حـولـهـاـ باـسـتـغـرـابـ لـتـنـتـبـهـ لـسـؤـالـ شـهـابـ
"سـلـمـيـ؟ـ هـلـ أـنـتـ بـخـيرـ؟ـ" مـسـحـتـ وجـهـهـاـ بـكـفـيـهـاـ وـهـمـسـتـ "لـاـ عـلـمـ!ـ أـلـمـ؟ـ
الـعـجـوزـ صـاحـبـةـ الـوـدـعـ؟ـ" سـأـلـ عـامـرـ يـتـبـادـلـ النـظـرـاتـ مـعـ شـهـابـ مـُرـورـاـ بـذـلـكـ
الـصـامـتـ "أـيـ عـجـوزـ؟ـ لـاـ يـوـجـدـ أـحـدـ؟ـ" هـزـتـ رـأـسـهـاـ نـافـيـةـ وـتـلـفـتـ حـولـهـاـ
تـتـحـسـسـ سـطـحـ الطـاـوـلـةـ "أـنـاـ مـُتـأـكـدةـ،ـ كـانـتـ هـنـاـ مـعـ الـأـصـدـافـ" طـالـعـهـاـ شـهـابـ
وـهـنـفـ يـوـقـفـ الـهـذـيـانـ "أـنـهـ حـلـمـ!ـ كـنـتـ نـائـمـةـ بـعـقـمـ" دـارـتـ عـيـنـهـاـ بـالـفـرـاغـ
وـصـورـةـ الـمـرـأـةـ لـاـ تـفـارـقـهـاـ،ـ تـقـسـمـ بـدـاخـلـهـاـ عـلـىـ حـقـيقـتـهـاـ وـلـكـ الشـكـ أـسـكـتـهـاـ لـتـهـزـ
رـأـسـهـاـ موـافـقـةـ بـغـيـرـ اـقـتـنـاعـ وـتـهـمـسـ "وـكـأـهـ حـلـمـ" لـمـحـتـ بـطـرـفـ عـيـنـهـاـ وـفـقـتـهـ
الـمـتـحـفـزـةـ الغـيـظـ عـلـىـ وـجـهـهـ فـتـجـاهـلـتـ تـحـضـنـ عـامـرـ قـائـلـةـ "حـبـيـبيـ،ـ حـاوـطـنـيـ
الـيـأسـ فـضـلـتـ الرـحـيلـ حـتـىـ لـاـ حـقـ بـكـمـ الـضـرـرـ بـنـيـ" حـاوـطـ وـجـهـهـاـ بـكـفـيـهـ
يـقـبـلـ رـأـسـهـاـ "أـنـتـ تـاـحـ رـأـسـيـ سـلـيـمـةـ" طـالـعـ عـيـنـهـاـ وـمـازـالـ رـأـسـهـاـ بـيـنـ كـفـيـهـ
لـيـكـمـ "أـنـاـ الـأـسـفـ حـبـيـتـيـ،ـ أـنـاـ الـعـاجـزـ عـنـ حـمـاـيـتـكـ" أـعـادـ تـقـبـلـ رـأـسـهـاـ مـرـتـينـ
نـزـوـلـاـ لـوـجـنـتـيـهاـ لـيـنـقـضاـ وـهـوـ يـهـفـ "عـامـرـ!ـ شـهـابـ!ـ خـذـاـ سـيـارـتـهـاـ وـنـحـنـ
وـرـأـكـمـ" هـتـفـ عـامـرـ بـغـيـظـ وـهـوـ يـتـحرـكـ "حـسـنـاـ دـاـوـدـ أـفـنـيـ،ـ لـاـ دـاعـيـ لـلـصـرـاخـ"
قـهـقـهـ شـهـابـ يـدـفـعـهـ أـمـامـهـ "أـخـرـجـنـاـ مـنـهـاـ عـلـىـ خـيـرـ يـاـ رـبـ" تـفـرـسـ وـجـهـهـاـ بـتـمـهـلـ
يـعـضـ شـفـتـهـ بـغـيـظـ لـيـتـقدـمـ إـلـيـهـاـ قـائـلـاـ "تـهـرـبـيـنـ؟ـ هـاـ!ـ تـهـرـبـيـنـ مـنـ مـاـذاـ؟ـ" رـفـرـفـتـ

أهدابها وهمست "ضاقت نفسي حتى اليأس ولم أشأ توريطك معى" جلست الى الطاولة بتعب تدنس رأسها بين كفيها وتهتف "ماذا أفعل بالخوف؟ خائفة والرعب يشمني لو كانت حياتي كابوس لانتهى لكن الظلُم مُستمر" سقط كفيها فوق الطاولة وكأن الجاذبية تسحبها لتهمس مخنوقة بالبكاء "داود؟ لا يوجد حل؟ تعبت!" انخرطت في بُكاءٍ قائلةً ليتقدم إليها حائر أيضربُها آم يحتويها، جعلته كما الميت الحي لا قادر على الصحو ولا النوم والراحة، جلس جوارها ينوي توبيخها ليجد ذراعيه تضمماها لصدره بحنان، تمسكت بقميصه وسكتت له وكفه يضغط رأسها يهمس "باسم ربِّي أرقِيكَ منْ كُلِّ ما مُرِّ بكِ، باسم القاهرِ ابتهل يقهِّرُ عدوِيكِ، باسم الله أتوسل له يهديكِ"

خرجت من الاستراحة ويدُها بيده مفتوحةً بما سمعت لتهمس سائلةً "أين تعلمت تلك الرُّقية؟" تبسم ليسحبُها بقوه قائلًا "أنتِ تعلمين الآخرين كيف يشُدُّون" دفعها صوب السيارة يلاحظ ارتعاش جسدها برداً ليفتح الباب الخلفي للسيارة ويأتي بمعطفه الطويل مدخلها إليه قائلًا "حسابك معى عسير سلمى"

"لم أقصد الهرب! كانت مجرد لحظة ضعف" رمقها بغضب قائلًا "لما لم تُخبريني بما حدث يوم الحفلة؟ هل تحرّشَ باي ذلك الكلب؟" اضطررت ملامحها وهتفت ويدُها تندسُ داخلَ معطفه "داود! كيف الخلاص من تلك الدنيا؟" جاوبتها وهو يجذبها الى صدره "هناك بعض الجمال يستحق النظر وبعض العَوْض يحقُّ احتضانه سلمى" انتبه لارتعاش جسدها فمال ينظر دهشتها سائلًا "ما الأمر؟" توسيّعت عينها وشهقت مُبتعدةً بعدما أخرجت كفها من المعطف تنظر لما أمسكته تهمس بذهول "السُّلوان؟" التقط الصدفة يسأل بربية "من أين جئتِ بها؟" تافتت حولها ثقتش عن العجوز بجنون ليدخلها السيارة قائلًا "هيا سلمى واروبي لي القصة على مهل" صاحت وعينها تتبعه حتى ركب جوارها "كيف وصلت لمعطفك؟" عقلها جن وقد تحرك مُسرعاً تحت تقدّها للمرأة، هتفت والصدفة بفكها "الديات تفسيراً لذلك الحُلم" عوج فمه بابتسمة مُتهكمة قائلًا "أعرفك بنفسي داود بن كثير الرازي مفسر الأحلام المستعصية"

* * * *

الثامنة صباحاً

توجه لحديقة البيت يُفتش عن شهاب المُختفي مُنذ أكثر من ساعتين وعلى ما يبدو أن سُها اختفت معه، تحرك وعينه تدور بجوانب البيت الخارجي فلابد أن يطمئن على أدهم أيضا فهو الآخر اختفى دون سبب! انتبه إلىلينا تهتف من خلفه "بابا" حملها مُستغرباً "متى استيقظت حبيبتي؟ ولما خرجت؟ الجو بارد" حكت عيناهما إثر النعاس وأشارت صوب باب البيت تهمس "ذهبت أشرب ولكن وجدت عمر بيكي بالمطبخ" ارتفع حاجبيه بصدمة وتوجه للداخل يهمس "عمر! بيكي" انزلها يلمح الصبي مُنزوي بركن فاصل بين المبرد والحائط ليتقدم يسحبه يسأل بقلق "عمر؟ ما الأمر؟ هل تشاجرت مع عامر؟" رمق عمرلينا بلوم وهمس لها وهي تشد ذراعه تخرجه "أنت واشييه" طالعته معاية وهمست "أنا عمر؟" قطع حديثهم يسحبه عنها ويهتف "خافت عليك يا بطل" التف يغمز لها "قضلي حبيبتي ودعني الرجال يتحدثون قليلاً" راقبها عيناهم معاً وهي تذهب هامسة "حسناً" التفت داود يسأل بقلق "من ابكي البطل؟"

"لا شيء"

"تكلم عمر السنـا صـديـقـين؟"

"بلـيـ ولكن!" انحدرت الدموع من عينيه مـجـداً وهو يـنـاظـرـ كلـ شـيءـ عـدـىـ هوـ حتىـ هـتـفـ بيـكـاءـ دـامـيـ "أـخـافـ القـادـمـ،ـ أـخـافـ أـنـ تـذـهـبـ أمـيـ بلاـ رـجـعةـ!ـ فعلـتهاـ مـرـةـ فـسيـسـهـلـ فـعـلـهـاـ أـلـفـاـ"ـ اـحـتـارـ دـاـوـدـ بـذـلـكـ الـولـدـ فـرـغـ صـغـرـ سنـهـ لـكـ ذـكـاءـهـ الحـادـ يـلـنـقـطـ موـاضـعـ غـفـلـ الجـمـيعـ عـنـهـ،ـ طـفـلـ لـقـيـ ماـ لـقـيـ وـعـوـضـاـ عـنـ التـفـريـغـ اـمـتـهـنـ الضـحـكـ وـالـهـزـلـ حـتـىـ اـمـتـلـأـتـ نـفـسـهـ بـتـرـاكـمـاتـ التـجـربـةـ!ـ ليـتـهـ اـعـتـرـضـ كـمـاـ عـامـرـ أوـ عـبـرـ عـمـاـ يـخـالـجـهـ حـتـىـ لاـ يـصـلـ لـنـاكـ النـقـطةـ الضـاغـطـةـ!ـ اـسـطـاعـ اـحـتـواـءـ الـكـبـيرـ وـلـمـلـمـةـ شـتـانـةـ بـالـصـدـاقـةـ لـكـ الـوـضـعـ الـآنـ يـرـنـوـ لـاـحـتـياـجـ الـأـبـوـةـ فـكـيفـ يـفـعـلـهـاـ!ـ لـاـ الـأـبـ يـصـلـحـ بـدـعـوـةـ كـمـنـ يـدـعـوهـ عـلـىـ حـفـلـاـ وـلـاـ باـصـطـنـاعـ الـاـهـتـمـامـ اوـ الـاـحـتـواـءـ الـرـائـفـ!ـ مـعـادـلـةـ صـعـبـةـ!ـ شـرـدـ يـسـتـعـرـضـ تـعـاملـهـ مـعـ لـيـنـاـ اـخـذـ فيـ الـاـعـتـباـرـ طـبـيـعـةـ الـأـنـثـىـ لـيـقـرـرـ تـرـكـ الـأـمـرـ لـسـجـيـتـهـ عـلـ الـوـضـوحـ يـنـفعـ،ـ تـبـسـمـ بـمـحـبةـ وـهـتـفـ "ـدـعـنـاـ نـبـرـمـ اـتـفـاقـاـ عـمـرـ"ـ مـسـحـ عـيـنـاهـ بـكـمـهـ قـائـلاـ "ـمـاـ

هو؟" ضحك داود على فعلته يهتف باتفاقية بعدها سحبه للحوض "لو رأي عامر فعلتك لحرق الجمامه وحرفك" فتح صنبور المياه يُراقب صالة البيت قائلاً "اغسل وجهك، أسرع" ومع تنفيذ الأمر هتف عمر "أمي كانت ستضربني"

"تضربك؟ تفعلها وستجذبني أمامها" تبسم عمر وسؤالٌ عُلق بأهدابه المبللة ليقرأه داود مُجيئاً ويناوله المحارم الورقية "هل أقسم؟ أنت بمنزلة الابن عمر؟" هزَ رأسه رافضاً وهتف "بلى تقدِّر، ولكنك فعلاً أب لست مجبور على تحمل أعباء غيرك"

"من تقصد بغيري؟" ذرف الدمع يهمس والبكاء يشتد "و هل يُشرُّفُك أبناءَ والدهم كما والدنا" فزع داود من المعنى وما خلص له عقلُ الصبي حتى جذبه لصدره بشعر ابعد عن الشفقة يهتف "ليتكم أبنائي، دع تلك الأفكار السامة خارج عقلك واجبني، هل تراني أباً يليق بك؟ هل ترى لينا تليق أختاً لك؟ هي الأخرى تُعاني ما فعلته والدتها" انتَجَ الصغير قائلاً "بلى، فكلانا مُتعادلان هي بلا أم وأنا بلا أب" هم داود بقول شيء لينقاطعه هتف عقلة الأصبع تهتف "يا لا النك! أصبحت دراماً عمر!" اقتربت تُناظره بغضب وحاجبيها ارتفعا كما والدها تهتف متأففة "ها هو الأب وطنط سلمى الأم، نلخبطهم ببعضهم وتصبح عائلة! بسيطة وسهلة" مال إليها داود مضيق عينه يسألها "الم اطلب ترکنا؟" تغيرت ملامحها لملاحم حرو وتحركت تفتح المُبرد قائلة "جئت لأنني جائعة" هزَ رأسه يأساً ومازال مائلاً لها، ليهمسَ لعمر الذي انفرج وجهه قليلاً "ماذا نفعل؟" همس الصغير "فطور لعقلة الأصبع" حضر لهم الفطور بما استطاع فعله واجلس كلاً منهم ليأكل وهتف إلى شهاب الذي ظهر "هل هناك أخبار عن أدhem؟" هزَ رأسه بلا صامتة وتوجه للفطور المعد يشاركهُم ليسأل داود "أممك أن يكون مع خطيبته" قالها يسحب طبق عمر من يده يُحذرُه بعينه ليهتف الآخر ضاحكاً يفتح الثلاجة تاركاً فطور الصبي "أي خطيبة، الرجل أعزب" رمقه مُبتسِّم وقال "قبل أن تتدesh دعني أخبرك من كانت معه مجرد صديقة جعلها حُلية ليأتي دون تركٍ ثغرة خلفه" همس داود بسببه نابية وتوعده، هم يطلبُه ليجد عمر يُطالعه بنظرة لم يستطع استقرارها وقبل أن يسأل

تفاجأ به يشب إليه يهمس "شكراً لأنك موجود بذلك الوقت معنا" قبله بخجل
ليهمس مجدداً لذلك المُتخشب "شكراً بابا" ترکه يركض خلف لينا التي على ما
يبدو استفزَّته بشيء غير واعي بما فعل، تسائل داود بصمت هل ذلك انتصار
له أم بطولة من ذلك الصبيّ؟! فاق مُتنبهاً على دخول أدهم يهتف "قاسِ الوكيل
"هرب"

* * * *

هرع داود وشهاب وخلفهم أدهم يصبح بمحاولة فاشلة لإيقافِ هذا المجنون فما أن سمع بهروب قاسم الوكيل انتابتة حالة جنون عارمة كيف بعد كل ما فعل يلوذ بالهرب من قضته؟، بالكاد استطاع أدهم للحاق به ليركب السيارة وقد أوشكت على التحرك يصبح به غاضباً "بالله أين ستذهب؟ اترك الأمر لرجال الشرطة هي كفيلاً به" لم يلقى ردًا سوى شعوره بالطيران على سطح الأرض وداود ينهب المسافة الفاصلة بين البيت وقصر قاسم، دقائق مرّت والموت يحضرهم حتى همس الرجال بالشهادة ممتنين للحياة بأنها تمسكت بهم، ولكن العبث لم يمهلهم الراحة وداود يقتحم باب القصر بسيارته مُحطماً له ليُصبح أمام الباب الداخلي، عشرون ثانية مرّت يدق بها الجرس بهمجيّة ليفتح قاسم هارباً ليجدهم أمامه كملائكة العذاب وكبيرُهم يتتوسطُهم، هتف يبتلع ريقه "ماذا؟" هتف داود ونظراته بالتبادل بين شهاب وأدهم يسألهم ساخراً "ماذا؟" تقدم مُبتسماً كتمساح بلع قرد وهتف "الي أين يا حبيب الماما؟" كتم شهاب الضحك ومثله أدهم مُلتزمين الحذر ليفاجئ داود الجميع وهو يقبضُ تلبيب قاسم الذي صرخَ بفزع أثر نطح الثور البري له، ما لبث النطح حتى بدأ اللّكم والركل وداود يسبُه قائلاً "أتظن انك هارب يا كلب تهربُ من الشرطة جائز لكن من بن الرازي تلك سُبّة لن أقبلُ بها" أوسعه ضرباً تحت مرأي ومسمع الجميع ولم يحولُ بينهم سوى رجال الشرطة التي اقتحمت القصر للقبض عليه، اعتذر أدهم لرجال الشرطة وعلّ وجودهم للحاق بذلك النذل وقد علموا من كاميرات المراقبة استعداده للهرب، سحبه أدهم بقوة نحو السيارة المُمحطمة يهمس خشية سماع أحد "أجنبت؟" تبسم داود واقترب وبعينيه الشر يسألُه وهو يقطّق رقتنه على الجانبين "كيف حال خطيبتك؟ اعزّمها اليوم على الغداء عندنا!" اهتزّت مقلتي أدهم وهتف دون تفكير "قدّر ولطف يا صاحبي، قدّر ولطف، هيا ل تعالج جرح جبها" اسرع برکوب السيارة قبلهم ليلحقه داود تاركاً لسانه ينطق بما لا يجوزُ بحقه وشهاب خلفهم لم يُعد قادرًا على كتم الضحك

* * * *

بعد عشرة أيام

دثرت الصغيرة ببراء الحمام بعدما أصررت على تحميمها، منذ وقت وهي تلاحظ عدم أنقان لينا للأمر رغم سنواتها العشر لتعلم اليوم أنها لا تعي معنى النظافة الشخصية، أشعلت حالة الصغيرة شفقتها حين تجردت من ملابسها بجهل طفلة باتت تقفر لإحساس الخجل الفطري المصاحب لذوي عمرها، كيف لصبية على وشك البلوغ أن تقفر لطبعتها؟ سألتها ودواخلها كأنها تتجاذب اطراف الحديث معها "هل كانت ماما تساعدك لينا؟" هتف لينا غير مدركه للمعنى "لا، ناني حفيظة التي تنظف البيت هي من تحمني" وارت حسرتها وانتبهت لهاتف لينا "طنط سلمى ما رأيك في تلك الـجامعة" شهقت وهي تجد الصغيرة تركت روب الحمام مفتوح ليظهر جسدها النحيف بسخاء، تقدمت لها مسرعة تغلق الروب عليها وهمست "ليلو، حبيبي، هناك أمور غالية في الأهمية لابد أن نتعلّمها" تطلعت لها بعيون متوعنة لتكمل سلمى مستغلة انتباها "حرام يرى أحد جسدنَا! لا تنزع ملابسي أمام أحد" هتفت لينا شاعرة بالذنب "لم أقصد طنط، ماما كانت تنزع ملابسي أمام الخادمة لم تقل الأمر محظوظ فهي الأخرى بنت" احتفظت سلمى بابتسامتها وضبط النفس ومالت تلبسها ملابسها الداخلية ثم الـجامعة تهمس وتندعى اللعب "حسناً ليلو بما انك لم تقصدي الأمر سوف تُبرم اتفاقاً معًا" سحبتها تجلسها أمامها تُصنف شعرها الذهبي وتعلّيمها مبادئ الحفاظ على نفسها كما علمتها منذ قليل كيفية الاعتناء بنظافتها الشخصية مُعتمدة بأن تكون نصائحها بوازع الدين وصولاً لطبيعة الأنثى، محبب أن تصير فاتنة ليس بالشكل والملابس فقط لكن بالنظافة والخلق الطيب فحسن الأنثى حياؤها وكرامتها عزة نفسها والتزام تعاليم الدين تحفظها وتذيدها فتنة، انتهت من صنع جيلتين طوليتين لاقت بها لتقبلها بقوة وكيفها يُدغدغان خَصْرها وقد ارتاح قلُبها لتقْهُم الصغيرة واستيعابها النصح دون التذمر والشعور بالوحشة، همسَت تُدللها بمحبة وحنان لا تعلم متى تمكّن منها وقد أشفقت على حالها وحال جسدها المشوه بالندبات إثر تعذيب دُرية لها "آخر، آخر من ذلك القمر" قَبَلت وجنتيها بالتبادل لترتّمي لينا بحضنها وسلامي تهمس وكأنها قطعة من رحمها "يا قلبي على ذلك الحُضن الدافئ، سأكلك لينا هم، هم" قهقهَت الصغيرة وقد فلتَت منها هاربة ترُكض خلفها سلمى في محيط الغرفة تصيح بضحك "تعالي يا ليلو فقط سأكلُ منك قطعة صغيرة" صرخت

لينا بالضحكِ وما زالت تهربُ لتصيحَ الأخرى وقد أمسكت بطرفِها "مسكتكِ!
سوفَ أُعْضُك عضةً صغيرةً" صرخت لينا وتمددت فوق السريرِ وسلمى معها
تفعلُ تقييدها بضحكٍ "عضةٌ صغيرةٌ يا عُقلة الإصبع، أنا جو عان وأشتهي
المُهليبة" قهقهت الصغيرة بصراخِ محبٍ حتى أوشك قلُّبها يتوقف لتهتفَ
بإحساس باخت قلبها وكيانها الفطري "كفى ماما بالله كفى تعبتُ من الضحك"
توقفت سلمى عما تفعل وعيئها على الطفلة ذاهلة، تلك التلقائية الساحرة وكأنها
بلسم مسٌّ قلبيهما معاً، هنقت لينا بخوفٍ وقد تداركت ما تقوهٌت به "أسفة"
دمعت عينها وهمسَت تسترضيها "لن أقولها ثانيةً، لا تغضبي" ساحتها سلمى
تمسح دموع الفزع عنها تضمُّها وتُغلق عليها بقوة وتهمس "بلى يا قلبي لا
تقولي غيرها، هل تريدين حقاً أن أكون والدتك؟" أغلقت لينا ذراعيها على
رقبتها وهمسَت بطفولة صادقة "أجل، أنتِ تحبيني أكثر من ماما دُرية" لم تمل
سلمى شتائتها وحملت الصغيرة التي لفت ساقِيها حول خصرها لتهتفَ متوجهة
لباب الغُرفة "اتفقنا من اليوم أنا ماما يا عينِ ماما سلمى، وهي دعينا نصنع
الطعام سوياً فأبنتي القمر ستُشاركني كل شيءٍ وتكون أختي وحبيبي
وصديقتي وسري" نزلت بها السُّلُم الداخليّ وكلناهما يضحكَن بصَّحب لتنزَّلَ
لينا من بين يديها تهتف بسعادة لم تجدها من قبل "عامر، عمر هناك سرٌّ لأنَّ
أن أقوله فوراً" اتجهت لمطبخها بمزاجٍ مُعَكَّرٍ وهي تلمحةً يجلس بالغرفة الذي
اتخذَها مكتبَ له غير عابئ بشيءٍ، مُذْ ليلة هروبها وهو يدعى القمح بحجَّة
أنها لم تُخبرهُ عمّا فعلهُ قاسم معها! همسَت من بين أسنانها تُراقبهُ بطرفِ
عيئها "ماذا فعلتُ لذلك النَّكَد لا أعلم" ساحتَ الحلة مُصدرة ضجيجاً مقصوداً
علهُ يستفزَّ تسلُّل نفسها "ثُرى هل قرأ الخطاب؟" تذكرت سؤالها لعامر عنه
والذي اقرَّ بأنه سلمةٌ إليه يداً بيد، تاهت أفكارها بين الظُّنُون أىُعقل أن قرأ
اعترافها؟ ثُرَأَ كفَّ عن حُبِّها؟ همسَت تخلسَ النَّظر نحوه ثم ألتقت تُتابع ما
تفعل "يا ستار بطل العالم في لي البوّز" انقضت مفروعةً وهي تسمع فحيحه
خلفها "من صاحب البوّز الملوّي يا هانم" رمقتُه باستفزازٍ مصحوب ببعض
الفزع وسألت متهكمة "تخيل من؟"
"مؤكَّد أنتِ"

"أنا ها؟ ماذا تريد داود؟ أتركني وشأنِي"

"جو عانٌ"

"ها أنا أجهز الغداء"

"هل سأنتظر؟ جو عان أنا" تأفت و هتفت بفراغ صبر "حسناً سأصنع لك شيء سريعاً تأكله"

"أريد دجاج" تَخَصَّرْت تهفَت بغضب "طلب صباحاً لحم؟"

"غيرت رأيي، أريد دجاج مشوي بالفرن" سكت وعينه تجري فوق قدها ليهمس مجدداً "أو مشوي على الفحم، أنا جو عان" رمقته بغيظ وغمضت طفل "تقدم لها وكفيه بجيبيه" لا تتتجاوزي الرد، أنا جو عان صاحت بوجهه "يا لهوي، أترُكني إذن"

"يا لهوي أنا، جو عان"

"يا الله، الصبر"

"سلمى!" صرخت به "نعم؟" ثم صرخت مرة أخرى وقد فاض الكيل "عرفت! فهمت! جناب الغليظ جو عان! دعني اطبخ لو سمحـت" بدأت بتحضير الطعام وقد ثارت أعصابها ولكنـها لم تخفي بسمتها وهي تراه يحوم حولـها مفتعلـاً اللا شيء، هـتف وقد جلس خلف سور المطبـخ "على صوت المذيع واصنـعي لي كوب شـاي من فضـلـك" تحركـت تـعلـي الصـوت وتـضـغـطـت إـبرـيق الشـاي تـهمـسـت وما زالت تـكـتمـ الضـحـك "ارـحـمنـا يا ربـ من ثـقـالـ الدـم" تـطلعـ لـقـدـهاـ المـثـرـكـ بـرشـاقـةـ وـهـيـ تـعـدـ الطـعـامـ بـعـجـلـ حـيـرانـ فـيـماـ خـطـةـ بـخـطـابـهاـ هـلـ مـنـ وـطـأـ المـوقـفـ أـمـ شـعـورـ يـتـمـلـكـ قـلـبـهاـ بـجـدـ،ـ لـوـ تـلـكـ الـكـلـمـاتـ ماـ يـخـالـجـ قـلـبـهاـ فـقـدـ فـازـ فـوزـ الـمـنـتـصـرـ بـالـحـرـبـ،ـ عـيـنـاهـ مـاـزـالـتـ تـرـقـبـ خـلـجـاتـهاـ حـتـىـ الـأـنـفـاسـ يـعـدـهـاـ مـاـ إـنـ تـنـفـسـتـ،ـ هـمـسـ دـاخـلـهـ وـعـيـنـهـ تـرـكـضـ خـلـفـ مـفـاتـهاـ بـجـرـأـةـ "انـهـضـ لـهـاـ،ـ تـلـكـ الـفـاتـتـهـ صـارـتـ لـكـ" وـبـلـحظـةـ خـاطـفـةـ كـانـ يـقـفـ حـذـوـهـاـ فـمـاـ التـفـتـ تـتـنـاـولـ شـيءـ منـ خـلـفـهـاـ وـجـدـتـ نـفـسـهـاـ دـاـخـلـ ذـرـاعـيهـ بـالـأـسـرـ،ـ شـهـقـتـ بـارـتـبـاكـ "داـودـ" لـيـهمـسـ بـدـورـهـ "انـطـقـيـ بـتـلـكـ الشـفـقـانـ ماـ خـطـةـ يـدـكـ!" تـلـبـكـتـ وـاحـمـرـ وجهـهاـ وـهـيـ تـعـيـ بماـ يـقـصـدـ فـهـمـسـتـ وـالـحـدـودـ بـيـنـهـمـ تـنـزـوـيـ "داـودـ؟ـ مـاـ الـأـمـرـ!" شـدـهـاـ إـلـىـ صـدـرهـ

وكفهُ تُطوق خصرها "انطقى سلّمى، قلبى اعتل" حنّيت عيناهَا وكفها فوقَ
موضع قلبهُ تهمس بخجل "سلامةُ قلبِي ومن يحملهُ" قرصَت كفهُ خصرها
لتلتَّصقَ بهِ تلقائياً وعينها ترمُّقه بنظرٍ شقيٍّ غير مُمانعة ليعاودُ الهمسُ
المجنون قائلًا "ها؟ ماذا قلتِ" همماتٌ ساخنةٌ ضربتْ صدغَهُ وأنفاسها العالية
تُدَغِّدُهُ وهمسةٌ خجولةٌ اخترقتْ خافقَهُ المُبعثر "حبيبي أنتَ"

"عيديها يا عمرى"

"احبك داود الرازي"

"مرة أخرى تُسُدُّ جُوعِي"

"داود؟ أنا احبك"

"لا تتوقف عن التَّغْنِي بها"

"احبُّك" لم تشعر سوى بشفتيهِ تلتقيانِ مع خاصتها في معركة حامية جُنودها
الأنفاسُ اللهجَةُ وكلامُها بسلاحةِ مُدْجَجٍ،

متمرة، متمرة وأحبها متمرة أحبُّها متمرة فهي اختيارُ القلبِ وهي حياتهُ
والعمرُ لو يُهدى العُمرُ لو يُهدى لها أهديتها وفْر علىك اللَّوْمُ، اللَّوْمُ روحَنا
واحدة"

ومن بين طروادة العاشقين فارساً روضَ مُهرتهُ يُشُقُّ بها غمامَ الحزنِ والألمِ
مُدركاً قلبها وعقلها لأخر نَفْسٍ، همسَ من بين لقاءِ كبركانِ مُتقَرِّجِ الحمْمِ "ابقي
على عهدِ الْحُبِّ سلمتِي ودائماً وأبداً اهمسِي بالْحُبِّ ما إن تنفسَتِ" تأوهَتْ
وسكرَةُ الْحُبِّ تُدوخُها فباتت لا تعلمُ كم مرةً نَطَقتْ "احبك"

لا عقلٌ لا قلبٌ لها

مجنونةٌ ومحققةٌ
وهدوئها مكرٌ

وضنكها البريئة
مصيدة متمرة

ماذا إذا غيرتها
وجعلتها ناراً بلا لهبٍ
وسمساً باردة مادة
إذا فعلا هي بهدوئها
مكرٌ وضنكها
البريئة مصيدة

يا قلبي يا قلبي لا
تصغي لهم ظلمٌ
عليها حكمهم يا
قلبي يا قلبي

انتبهت فسألت بخجل "داود ماذا فعلت؟" اغلق باب الغرفة بركلة من قدمه
وهمس "كفا بالله تمرداً ودعينا ننعم بالحياة دون جدل" ورغمأ عنها سلمت
واستسلمت له ترك الماضي خلفها وتستقبلُ الحاضر بأحضانه متخمة!

دعنا نصفق لأنها يارك
وانكسارك

هل أنتَ حرّ هل سعيدٌ في
حصارك سجنناك تمثلاً
بدارك دعنا نبارك

إن كان هذا السجن
ما أغلاه من وطن
على قلبي المهاجر
أو كان هذا الحزن

ما أحلاه من حزن

به تصحو المشاعر

متمرد أيضًا أنا

وحببتي متبردة

متمردان ممizaran

وعاشقان بعنفوان

وحياتنا متتجدة

عيني عيني علينا باردة

عيني عيني علينا باردة

دعنا نصفق لإنهيارك

وانكسارك

هل أنت حر هل سعيد في
حصارك

سجنتك تمثلاً بدارك

دعنا نبارك

* * * *

صرخت المعلمة قُطْة تلطم وجهها ما لبَّت عابد ينجو من جريمة قتله لُنْهِي بعد طعنها طعنات مُقرفة حتى وجد جيش من التهم، أحضرت له كبار محامين البلد بعدهما رفضَ داود توسلاتها لتولي قضيته، كاد الموقف ينتهي بقضية شرف بعد إذاعة الفيديو الذي جمع نُهْي وقاسِم الوكيل ليجد المحامي المسؤول عن القضية العديد من التُّهم الموجهة له، ازدراء الأديان والتشجيع على الفجور وجملة اتهامات لو أخذت بالرأفة أو دعته السجن مدى الحياة مما جعل مُحامييه يعتذر عن القضية فمن هو ليقف أمام حملة تقدَّها مُخضرم يُسمى داود الرازي، لتجد نفسها أمام الحقيقة حيث رفض عشرة محامين تولِّي أمره، هرول أهل الحرارة لمسكنها ليهتف شحاته سائلاً "لما الصراح يا معلمة" شقت صدر عباءتها الحمراء ولطمت وجهها حتى خرت أرضًا ولسان حالها يهتف "من أطعم الزقوم للمحصنات ذاق الحنظل، ضاع وحيدُك يا قطة وكما فعلتني بابنة الأحرار فُعل بولدُك وأكثُ" اعوج فمها بالتواء وشخصت عينها تتطلع بالحرارة وشحاته جوارِها يهتفُ ويضرب كفًا بكف "تلك نهاية كل ظالم مُتجبر" صاح المعلم متولي على صبيها عضمه "اسرع بالطبيب فورًا"

* * * *

سألها وكيل النيابة عن واقعةُ الخيانة لتقرب صوت فاجر خاوي من الخل رُغم التعب بما حدث، حق معها بِتُهم تشاركت بها مع زوجها عابد ليأمر بحبسها ذليلة فراش المرض تحت حراسة مُشددة، كما وجَّه لها اتهام بالخيانة قدمه محامي زوجها الذي عينه السجن له، نهض وكيل النيابة بعد انتهاء التحقيق معها لتهتف إليه تسأله محامي يدافع عنها فما كان من صدمة الرجل غير أنه هتف "صدق من قال الاختشوا ماتوا" اغلق الباب خلفه مُشددًا على حراستها حتى تُنقل للسجن هامس بقرف "الجزاء من صنف العمل" انتهت نُهْي بفضيحة مدوية وسجين ينتظرها، همسَت من بين الصحو والموت "أخذك الله يا سَلَّمِي، مؤكِّد اليوم تشمتني"

* * * *

سحبت دُرية حقيبة سفرها مُتجهةً إلى كندا فقد قُبِلت بتلك الوظيفة الطبيعية في مصح نفسي يطلب أطباء وطبيبات، هكذا ستحقّق حلمها الفائز وتؤمن الآتي

تاركة ابنتها خلفها دون عناء، ستببدأ بتحقيق طموحها الطبي فليست هي من تخون لزلات الماضي، همست مُبتسمة غير عابئة بشيء "هناك الكثير والكثير من بن الرازي والممرضة! لن أغلب في البحث" اتسعت ابتسامتها تتطلع لنافذة الطائرة وأشرق وجهها بالفرح تذكر مجوهراتها الغالية وبعد أن طلبت بالقسم ليتحققوا معها أتهمت نهى بالسرقة ليُغلق المحضر بإدانة نهى وتسليمها مستحقاتها، تنفست الصعداء وهي تذكر الفلاشه الخاوية التي كانت تهدد بها قاسم ففور ثبوت خلوها اطلق وكيل النيابة سراحها وبدورها أقرت بأن قاسم الحق بها الثمة نكایة بزوجها جهلاً منه بأنه طلقها، همست تُرتب شعرها وملابسها "خرجت منها بأعجوبة دُرية" أغمضت عينها تحلم بتحقيق ذاتها دون الالتفاف لمن يُعطي مُستقبلها لا تعى غير دُرية فقط،

* * *

اصدر النائب العام قراره بتحويل قضية قاسم الوكيل للمحاكمة العسكرية العاجلة بعد اعتراف شريكه العربي الجنسية بالتلاعيب بالسوق السوداء سواء ذهب أو عملة صعبة لتنكشف خيوط القضية حيث تورطه مع جهات خارجية مساعها الإيقاع باقتصاد البلد وتكمير الوضع العام بإشعال الأسعار، كما اعترف تجار الذهب بما خططه للوقوع بالسيدة دهب الاخشidi، كما وجهت جملة من القضايا منها غسيل الأموال وصولاً إلى تكمير الأمن العام للبلد لتنتهي سيرته على السُّن الناس الذين لقبوه بوحش النواب لتصير قضيته قضية رأي عام وفضيحة مدوية مع فتاة الميديا نهى زوجة عابد در غام!

* * *

بعد مرور شهر

علا التصفيق والصفير إثر دخولها من بهو القاعة ترتدي فستانها الأبيض والتي جوارها شهاب في حلة العرس الفاخرة وموسيقى الزفاف تستقبلهما صوت حمو يعلو ويتألق بقوة، قهقهت دهب بقوه وهي تستمع لرباب التي مالت إليها تهتف بفرحة حقيقة "أخيراً فُكت عقدتها، منذ الصباح وأنا أجاهد مع تلك الهباء كي تقتنع أنها أخيراً ستلبس الفستان الأبيض" تبادلت معها دهب الهافل تحت ضجيج الحفلة "سمعت أنها استيقظت بالصبح تتأكد من حذاء

"الفرح" قَهَّقت رباب حتى دمعت عينها لا تعلم بسبب الضحك ألم الفرحة، لتهف مرة أخرى "فإنك الموقف يا دهب كدنا أنا وسلمى نتبول تحتنا من كثرة الضحك" وكَرَّت دهب كتفها تسأل "أين سلمى؟ كل ذلك الوقت لتبدل ملابسها؟" غمزَت رباب لها ومالت تهف من وسط ضجيج الموسيقى "دعيعها تطلق لجام الأنثى المحبوسة بداخلها يا دودو" هَرَّت دهب رأسها ضاحكةً من تلك المصيبة رباب وأشارت لها بفرح على عامر وعمر الذي بدءا بوصلة رقص حتى سرقة الأنظار إليهم، وقف داود جوارِ أدهم يسأله بغيظ "متى سنفرح بك يا جناب وكيل النيابة، يا صاحب السمو والشهرة" ضحك أدهم يستعرض حلتُه رمادية اللون بغرور وهو يهتف "منذ تلك المرافة التي انتشرت على الميديا وبِت اهرب من الحسنوات، سمعتي أصبحت على المحك" ضحك داود ومال إليه قائلاً وهو يكتم الضحك "ما رأيك نزوجك رباب؟" قهقهة الاثنين وكلّا منهم عينه تلمح خفيفة الظل التي بدأت تشارك عمر بالرقص ليهتف أدهم ضاحكاً "لا العزوبيَّة أرحم من الجنان" صاحت بضحك وكفها يرتاح على ظهر داود "كفا تتمر على تلك المسكينة وإلا أخبرتها أنك مُعجب بها أدهم" صاح أدهم يدعى الفزع ويرحل من أمامهم "توبه، وهل أنا حمل لسانها الطويل، رباب أجدع ناس" قَهَّقت على فزعه لتتنظر للشارد تسأله "ماذا؟ لم يعجبك ثوبي الجديد" جرت عيناه ترسم قدّها ليطوق خصرها بتملك ويهمس بوجد "دوماً تسرقين نبضي النبض سليمية" قبلت وجنته برقة وجرأة اكتسبتها منه ومن طريقته الساحرة معها حيث التقى المطلقة رغم الغيرة الحارقة والنقار المستمر، همست وعامر يسحبها لجانب سُها "أنت القلب وأنا نبضه يا سلوان سليمية وعوضها" سحبها عامر يرقص أمامها لتبتسم وكفُها يتلمس الصدفة التي زيت صدرها، منذ قصت رؤياها التي عجزوا عن تفسيرها اصرّ داود على تقديس تلك النفحة الربانية ليصنع لها سلسل من ذهب جعل الصدفة تسرق لُب من لمحها، تماسك عامر بذراعها يُراقصها وجوارها عمر ولينا يرقصان معاً، وبدورها تطلعت لسُها وجمال فرحتها لتبدأ في التمايل بالرقص والفرحة تُعربد داخلها، طالعت جموع المدعوين تدور حول نفسها تُقر وتعترف ونظارات الاحترام والتقدير تشملها أن لوما داود بحياتها ما كانت اليوم ترقص وتتمايل بتقة، لوما داود حَدَّها ورأمن حياتها وأنفاسها لكان مشهدها الراقص ذلك يتصدر الميديا والجميع

ينهشُ شرفِها، على قدرِ احتواء الزوج زوجته تجد مقدارُها ينعكسُ في عيون الجميع وهي ذاتُ قدرٍ لا يُضاهيه تقبيم بل يليقُ برجلاً صار بها مُتنيماً وجعلها نجمة يتمنى القمر المدور بمدارها، تمايلت بدلال ولينا تتمسّك بها تتنذّر الاعتذارات التي ملأت الميديا فور ما فعله داود وكتبته ليتطور الأمر حد إرسال الهدايا والورود لاعتراض بيتها مُرفق معها اعتذاراً وأسف، اليوم صارت ملكة متوجة لا تخلي الميديا من تتبع أخبارها ليس بالسوء والظن لكن بمحبة، أغمسّت عينها تحرّك كتفيها برقصة كانت تجمعها مع عامر قدّيماً تهمس لنفسها تتنوّق حلو السعادة وراحة البال "سبحانَ من يرأب صدع القلوب ويجعل ما بين الخذلان والألم عوضاً تدمع له المقل" قهقهت وعامر يلفُها حول نفسها لتجده أمامها وكفاه بجيّب بنطاله وعينه تتوعدُها، تقدمت له وابتسامتها تغازله تترافقن أمامه بشقاوة أثرته، علا صوت حمّو لينتقل لغنة أخرى أهداها لهم،

هيقوت عليك في الدنيا ديا ناس نظيفة وناس راضية وناس مع الكسبان تدوم
المَثُل دور ضحية وهو عاشق للأذية حد ناقص نص كوم

الي حبّتهم وياما جرّحهم ساب ميت علامه كان يعاني القلب منهم دار زمانهم
هما عانوا الي حبوا فياك جيوبك واللي داروا فيك عيوبك واللي عافوك عن
ذنوبك اشتريهم مهما كانوا

واللي كان في المُر جنبك كله غاب هو اللي دام لك ده اللي زاملك مش يجاملك
أوعي تتغيّر عليه

تمايلت أمامة بمكر حواء وإغرائها تاركة للشقاوة أمرها، قلبها قرير الحُب،
والأمان يسكن ثناياها لتودع ماضي ضحل بغير رجعة، غمزت له بطرف
عينها وما زالت تتمايل وفمها كما يضحكُ يُلقي عليه كلمات الأغنية التي مثلتها
بكينها لا هماً يتکبدُها ولا الناسُ وافتراهم عندها من موقع، ارتفع حاجبيه
دهشة وهو يراها أمامة مُتألقة، طائشة بسکرات الحُب دوماً ما كان خياله
الواسع يرسمها لكنه لم يصل لذاك الفتنة المُدمرة، ابنة حواء المُتمردة فتحت له
أبواب الحياة المُغلقة، اتسعت ابتسامتها ليرمّقها بجرأة ويميلُ مُقبل خدّها بهيام،

ليُكمل حمّو الذي اشعل العرس بالغناء، ألتقطَ من أدهم الذي قرأ المشهد عصا طويلة وتقدم إليها في نزال من العشق والغرام المعلن يراقصُها في تحدي مُغلف برياحين الغرام،

واللّي زاحك من مكانك تحكي غش وهو خانك واللّي عمره ما ابتسم لك بس
فضّاك مكانك

واللّي حبك لأجل علة ما الجمال أو حتّى ذلة ده اللي تطلع منه قلة أو عي تندم
يوم عليه

عَالَتْ صِيحَاتُ الْجَمِيعِ بِالْإِعْجَابِ وَلَفْهُمُ الْحَضُورُ فِي دَائِرَةِ مُغْلَقَةٍ، رَبَابُ
تُصْفِقُ وَتُزَرْعَدُ غَيْرُ مُصْدَقَةٍ أَنْ تَلْكَ التِّي عَانَتِ الْوِلِيَّاتِ بَاتَّ صَافِيَّةٍ
وَالسَّعَادَةُ أَخِيرًا لَهَا مُصَاحِبَةً دَمَعَتْ عَيْنَ دَهْبٍ وَهِيَ تَرَاهُمْ كَمَا النُّورِ يَبِزُّغُ مِنْ
ظَلَمَةِ الْمَاضِيِّ وَالْحَاضِرِ مَعًا مُمْتَنَةً لِكُلِّ الظَّرُوفِ الَّتِي أَتَاحَتْ لَهَا الْحُبُّ أَنْ
يُولَدْ بِقُلُوبِهِمْ، هَفَّ شَهَابٌ بِغَيْظٍ وَهُوَ يَمْيلُ نَحْوَ سُهَّا الَّتِي تَطِيرُ سَعَادَةً لِيُسَمِّنَ
أَجَلَ نَفْسِهَا وَلَكِنْ لِفَرَحَةِ أَخْتَهَا وَتَأْلِفَهَا "أَرَى أَنَّا جِئْنَا هَذَا الْفَرَحَ بِالْخَطْأِ؟ أَيْنَ
حَفَلَنَا سُهَّا؟" تَلَعِّبَتْ إِلَيْهِ بَعْنَيْنِ دَامِعَةً تَعْيَى أَنَّ الْجَمِيعَ غَفَلَ عَنْهُمْ وَبَاتَ الْإِنْتِبَاهُ
لِسَلْمِي وَدَادِدُ الَّذِينَ اشْعَلُوا الْفَرَحَ لِتَهْتَفَ وَالْفَرَحُ لَا تَسْعُ كَيَانَهَا "اَتَرْكَهُمْ
شَهَابٌ، وَاللَّهِ الْيَوْمَ فَرَحْتِي لَا تُنَدَّرُ، وَكَانَ فَرَحَّهَا تَلَكَ أَذْهَبَتْ ذَنْبِي" طَالَهَا
بِعُشْقٍ يَتَلَمَّسُ بِهَا تَغْيِيرًا إِيجَابِيًّا يَزِدُّ دَادُ يَوْمًا عَنْ يَوْمٍ سَعِيدًا بِرَسوْ قَارِبَهَا لِشَاطِئِ
لَا يَعْرِفُ الْغَيْرَةَ أَوِ الْحَقْدَ، هَمْسَ وَقَدْ سَحَبَهَا لِأَحْضَانِهِ "صَدْقَتِي، فَلَنْدَعْهُمْ
يَنْعُمُونَ بِعَوْضِ الْقَدْرِ وَيَأْخُذُوا ثَأْرَهُمْ مِنِ الْمَاضِيِّ الظَّالِمِ"

وَمِنْ بَيْنِ هَمْسَاتِ الْحُبُّ وَالْغَرَامِ الْمُتَبَالِدَةِ هَمَسَتْ وَهُوَ يُسْكِنُهَا صَدْرُهُ "سَلْوَانُ
الْمَاضِيِّ أَنْتَ وَحَاضِرِيِّ الْمُزَدَّهِرِ يَا بَنَ الرَّازِيِّ"

قَبْلَ نُدْبَةَ رَأْسِهَا بِشُغْفٍ يَعْرُفُ لَهَا أَنَّهُ لَا يَرَاهَا سَوْيَ تَاجَ يُزَينُ رَأْسَهَا فَحَوَاهُ
الْشَّرْفُ وَهَمْسَ يَضْمُنُهَا دَاخِلُهُ بِقُوَّةٍ "مَرْحَبًا بِأَمْرَاتِيِّ الْمُتَمَرِّدَةِ الْمَقَاتِلَةِ ظَلِيِّ
دَائِمًا وَأَبْدًا مُتَمَرِّدَةٍ"

* * *

النهاية والختمة

"سلمي"

صَفَّ سيارته الحديثة بجوار مقهى المعلم متولي ووقف هو وأخاه ينظرون لخراب الحارة وقد عصف بها الكُفور بعد صخب، سبع سنوات وأكثر مُنذ ترکا أهلها رحيلًا بلا رجعة ليجدوها صارت كما الوكر وتبدل معالمها بعشوانية ضربت جنباتها ضرباً، نظر عمر ل ساعته وهتف يُغلق الباب الخلفي للسيارة بعدها النقط بعضُ أكياس الهدايا "هيا جانب المحامي ليس لدينا من الوقت مُمْسِعٌ، دعنا نُنهي تلك الزيارة حتى نفرغ لحفل تخرجك" تحرك عامر حذوه يقرأ الفاتحة على روح المعلم متولي، ذلك الرجل الذي أو اهم ذات يوم بيته ليهمس وهو يرى حال المقهى قد تبدل " سبحان مُبدِل الأحوال" هتف عمر يسبقه بالدخول لبيت جدته يتفادى بعض الصبيان التي هرولت جوارهم تحت صدمتهم "وكان البيوت ترانا كما نراها أخي، تُرى ماذا تهمس بعد أعواام مرّت علينا" ارتقا سُلُم البيت الشاهِد على ما مضى وكلّاً منهم تضربة الذكرى ليقف عامر ينظر لتلك المرأة التي تصيح في مخدومتها بزنق "يموت الزمار وأصابعه تلعب" دفعت الكرسي المتحرك بقوة وأكملت "أخدمك لوجهه الله ولا يتوقف لسانك عن الشتم والسباب يا معلمة قطة" أمسكت قطة بدولاب المقعد حتى أوقفته بذراعها الذي لم يطاله الشلل وهتفت بضم شبهه معوج "ابتعدي، لا احتاج مُساعدتك" دفعت أم ربيع الكرسي بقوة تصيح بها " صحيح آخر خدمة الغُر علقة" أغضبت قطة عينها بحسرة وغضبت على جانب شفتها التي طالها الشلل ودمعت تهمس "ليتني ادخلتُ بعضاً من الخير لتلك الأيام الصعبة" صاحت المرأة بغضب "بماذا تُعمغمي يا قطة" انقضت الاشتنان على صوت عامر الرجولي يهتف بقوة أرَدَت جسد أم ربيع من وقوفها "اسمها المعلمة قطة، كيف تتجزئي على تلك المُعاملة" تقدم عمر يُطالع المرأة بغضب وقد رق قلبه إلى جدته ليعدل مقعدها ويميل لها يهتف بصوته الذي بلغ مبلغ الرجولة "كيف حالك يا قطة، ماو، ماو" شهقت دموع الحسرة بعينيها لتهمس وحشجة البكاء تذبحها "عمر؟ عامر؟ يا ضي العين أين كُنتم؟" مسح عمر دموعها والشفقة على حالها تتملّكه ليتقدم عامر يتقدّم المنزل بقرف حتى قال صائحاً

"من تلك المرأةُ جدي ولما تسمحين لها بمعاملتكِ هكذا" تلعلت ليهـي وجهـه وقوامـه الرجولي يُشرفـ عليها فمدـت يُسراها تتمـسكـ بـكـه تسـحبـ إـليـهاـ حتىـ هـمـسـتـ لـهـ وـلـعـمـرـ "كمـ صـارـتـ أـعـمـارـكـ؟"ـ اـحـتـوىـ كـفـهـ بـكـفـيهـ وـقـالـ وـعـيـاـهـ تـرـمـقـ المرأةـ بـغـضـبـ "أـنـاـ بـالـثـالـثـةـ وـالـعـشـرـونـ تـخـرـجـتـ مـنـ كـلـيـةـ الـحـقـوقـ هـذـاـ الـعـامـ وـعـمـرـ بـالـواـحـدـةـ وـالـعـشـرـونـ يـدـرـسـ بـمـجـالـ عـلـوـمـ الـكـمـبـيـوـتـرـ جـدـيـ"ـ تـبـسـمـتـ مـنـ بـيـنـ دـمـوعـهـ وـهـمـسـتـ وـكـفـهـ السـلـيمـ يـتـحـسـنـ وـجـوهـهـمـ التـيـ مـالـتـ إـلـيـهاـ بـالـتـوـالـيـ "اسـعـدـ اللهـ قـلـبـكـ يـاـ سـلـمـيـ بـأـبـنـائـكـ وـجـعـلـهـمـ بـارـيـنـ بـكـ"ـ تـلـلـعـتـ إـلـيـهـمـ بـنـدـمـ وـأـكـمـلـتـ "وـيـسـامـحـنـيـ رـبـيـ عـلـىـ مـاـ فـعـلـتـ بـهـ"ـ قـبـلـ عـامـ رـأـسـهـ رـغـمـ مـاـ يـجـيـشـ فـيـ صـدـرـهـ مـنـ أـلـمـ يـسـأـلـ "مـنـ تـلـكـ الـمـرـأـةـ؟"ـ ردـتـ تـرـمـقـهـ بـعـتـبـ "زـوـجـةـ عـضـمـهـ،ـ أـتـىـ بـهـاـ مـنـ سـبـعـ سـنـوـاتـ لـتـرـعـانـيـ وـتـرـعـيـ الـبـيـتـ وـهـوـ يـرـعـيـ مـحـلـاتـ الـجـزاـرـةـ خـاصـتـيـ وـمـنـذـ يـوـمـهـاـ اـحـتـلـاـ الـبـيـتـ وـاـسـتـولـيـ عـضـمـهـ عـلـىـ مـالـيـ وـحـالـيـ وـهـاـ أـنـتـمـ جـنـثـمـ فـجـأـةـ لـتـرـواـ بـأـنـفـسـكـ اـنـقـامـ الـهـ حـقـ"ـ اـنـتـبـهاـ عـلـىـ صـوـتـ صـبـيـ ظـهـرـ مـنـ الـغـرـفـةـ الدـاخـلـيـةـ وـأـثـارـ النـوـمـ تـنـمـلـكـهـ يـصـيـحـ بـخـشـونـةـ وـقـلـةـ أـدـبـ "أـمـيـ،ـ اـتـرـكـيـ تـلـكـ العـجـوزـ وـحـضـرـيـ لـيـ الطـعـامـ،ـ أـرـيـدـ الـذـهـابـ لـلـمـطـعـمـ بـاـكـرـاـ"ـ أـغـمـضـتـ قـطـةـ عـيـنـهـاـ عـلـىـ مـاـ تـبـقـيـ مـنـ دـمـوعـ النـدـمـ وـهـتـفـ عـمـرـ وـعـلـىـ وـجـهـهـ اـبـسـامـةـ عـاـوـدـتـهـ مـاـ إـنـ دـخـلـ الـحـارـةـ لـيـعـتـدـلـ صـوـبـ الـفـتـيـ صـاحـبـ الـعـشـرـونـ عـامـاـ قـائـلاـ "يـاـ مـرـاحـبـ بـعـجلـ أـمـهـ عـدـيـمـ التـرـبـيـةـ"ـ غـمـزـ لـجـدـتـهـ بـشـقاـوةـ يـنـاـولـهـاـ هـاـنـقـهـ وـسـاعـتـهـ لـيـهـمـسـ لـهـاـ بـطـبـعـهـ الـمـرحـ "استـعـدـيـ قـطـتـيـ وـفـطـيـ عـنـكـ الـمـرـضـ سـنـعـودـ لـأـيـامـ الشـقاـوةـ"ـ تـوـجـهـ لـلـصـبـيـ يـجـذـبـهـ مـنـ فـانـلـتـهـ الـدـاخـلـيـةـ الـمـهـلـلـةـ يـصـيـحـ وـمـازـالـ يـبـتـسـمـ "وـدـعـ أـمـكـ يـاـ بـنـ عـضـمـهـ صـبـيـ الـمـعـلـمـةـ"ـ نـطـحـهـ عـمـرـ بـمـقـدـمـةـ رـأـسـهـ تـحـتـ صـرـاـخـ أـمـهـ النـائـحةـ "رـبـيعـ؟ـ وـلـدـيـ"ـ مـرـّـتـ سـاعـةـ اـنـتـهـيـ بـهـاـ عـمـرـ وـعـامـرـ مـنـ تـطـهـيرـ الـبـيـتـ مـنـ الـغـرـاـزةـ لـيـصـيـحـ عـمـرـ مـنـ شـرـفـةـ الـمـنـزـلـ يـلـقـيـ حـقـيـثـيـنـ مـدـرـسـيـتـيـنـ بـقـلـبـ الـحـارـةـ "يـاـ أـبـنـاءـ الـكـلـابـ،ـ لـاـ أـرـيـدـ رـؤـيـةـ خـيـالـكـ هـنـاـ مـجـداـ"ـ جـرـجـرـتـ أـمـ رـبـيعـ أـبـنـائـهـ وـخـلـفـهـ رـبـيعـ يـبـكـيـ كـمـاـ اـثـرـ الـضـرـبـ الـذـيـ تـلـقـاهـ وـالـعـمـ شـحـاتـهـ يـصـيـحـ خـلـفـهـ بـأـعـوـامـهـ الـتـيـ تـجاـوزـتـ الـسـتوـنـ بـبـرـاحـ "الـحـارـةـ نـورـتـ يـاـ أـبـنـاءـ الـغـالـيـةـ خـيرـاـ"ـ مـاـ فـعـلـتـ بـطـرـدـ مـصـاصـيـنـ الـدـمـاءـ"ـ صـعـدـ شـبـابـ الـحـارـةـ إـلـيـ الـرـجـلـيـنـ وـكـلـاـ مـنـهـمـ يـتـقدـمـ لـلـمـسـاـعـدـةـ لـيـهـتـفـ أـحـدـهـمـ عـلـىـ عـامـرـ قـائـلاـ "مـرـحـباـ"ـ بـصـاحـبـ الـطـبـعـ النـزـقـ جـنـثـ مـلـلـلـلـمـسـاـعـدـةـ"ـ تـفـرـسـ عـامـرـ وـجـهـ الشـابـ يـشـعـرـ بـمـعـرـفـتـهـ لـيـتـقدـمـ مـاـ دـيـهـ بـالـسـلـامـ قـائـلاـ "جـنـثـ مـعـتـدـراـ"ـ رـغـمـ أـنـكـ كـنـتـ

ستقتلوني منذ سبع أو ثمان سنوات" ارتفعا حاجبي عامر دهشة والرجل يكمل "أيمين!" تبسم في وجهه وأكمل "مطلوب أول أيمن البسيوني ويسرفوني صداقتك عامر در غام!" انتهى اليوم ليس كما بدأ حين أعرّب الولدان عن اعتراض صريح بعدم الرغبة في زيارة الجدة ليدفعهم داود بحكمته بعد موافقة سلمى على مضض لوصال رحمهم تاركين الانتقام والحق لله القهار، لم يعلم كلاً منهم أن حنين الرحيم سيُبدل بالشفقة ولكن ما حدث لم يكن يحدث سوى مع اثنين تصالحا مع الماضي بالحاضر تاركين ما مر خلفهم للقدر، ساعدهم أيمن في المجيء بامرأة حسنة السمعة، مطلقة عكفت عن الزواج لعقمها مقطوعة من شجرة ارتبضت برعاية المعلمة قطة على أن يديروا لها مسكنًا عوضاً عن غرفة تسكنها في بيت آيل للسقوط، تقبلتها قطة قبولاً حسن وتعجبت فور معرفتها حتى هتفت إليها "أنت بشرى؟ حفيدة الشيخ التهامي إمام مسجد السيد نفيسة" وبطبع كمته قطة داخلها تبسمت بمحبة تُخرج عنه لبراح ما بقي لها بالحياة قائلة "وكان الله تقبل توبتي حتى رزقني بك لترعى شيخوختي يا بشرى" ارتاح قلب الولدين ليقف عمر أمام مقعدها الذي أوشك عامر على دفعه "انظر يا جناب المحامي المبتدئ حتى تري جدي ما أحضرت لها" فتح حقائب الهدايا يستعرض العباءات ويمسك إحداها يراقصها أمام ناظريها "اصفر كناري كما تُحبين وصدرها ذهبي التطريز يا قطتي" بكت بحرقة الندم تُناظرهم وقالت "بإله لا تغيروا بالسؤال، وبإله لا تخرجوا من الباب إلا والسماخ يمس قلوبكم" مدّت كفها بمجموعة من المفاتيح العتيقة قائلة "بشرى، بأخر دلفه بدولابي صندوق خشبي احضريه" دقيقة وكانت تفتح الصندوق الذي استدنه عامر إليها لتناوله كيساً قماشياً صغيراً نسبياً وتهتف "أعطيه لسلمي وبالغها ندمي لو صح الندم" مسحت دموعها وهمست "استغفرُك ربِّي وأتوب إليك" وتنهدت تستجمع نفسها وأردفت مجدداً "أبلغوا أمكم أن ما بين الخذلان والألم نار تحرق الظالم وبرداً وسلاماً على المظلوم" دفعها عامر صواب الحمام وقد اتخذ هو وعمر قراراً بموافقتها ببيع جميع محلات الجزار والمطعم إذا لم يجدوا شريفاً يديرُهم، تسلمت منه المهمة بشرى وهي تتباشم وتتناول عباءة جديدة وتترنم بصوتها العذب

"(قُلْ يَا عَبَادِيِ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْطُطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ)

* * *

دفعه أحدهم جانباً يصرخ بوجهه "اجلس هنا يا؟ هل نسيت نفسك؟" جلس عابد جانباً بعد أن قام بتنظيف الزنزانة على أكمل وجه غير قادر على التفوّه بكلمة، هكذا حاله طوال سبع سنوات مضت حتى اعتاد على الإهانة دوماً، همس وهو يتکوم جانباً "هانت كلها أيام وخرج من هنا لأبدأ يا زمرة الأولياد يا نهاية المجتمع" تفقد الجميع والخوف قد اعتلي عينه ليهمس بينهم "سيتبدل الحال يا مجرمي السجن" صاح أحد المساجين متهكم وقد استمع لهمسه "يا خيبة الرجال ستخرج من هنا لكي تتمطي على الميدية ثانية، بلا شرف أنت" قهقهة مساجين الإجرام ليهتف آخر قائلاً بصوت كما الحمار "لا تنسينا يا أختاه فقط أرسلنا لنا صور زوجتك عارية حتى نقيم أدائكم ونكيس لكم" صرخ بالجميع ضاحكاً "تكبيس" صاح رجل بصوت بدا عليه الحكمة رغم دوام صمته "نحن في زمن يصير الكلب أسد مadam من يدعمه بلا شرف، رغم جرمها ووحشيتنا لكن لنا شرف، سُحقاً لرجلٍ تخلى عن شرفه بكامل إرادته حتى صار امرأة دون إرادة" سبع سنوات لاقت كل أشكال الامتحان بما فعل فمجرد علم نزلاء السجن بهويته صار كما الممسحة بينهم رغم معرفتهم انه طعن زوجته واخذ ثلاثة سنوات بقضية شرف ولكنه أضاع شرفه ما إن ظهرت حقيقة ما كان يفعله من لقاءات الميديا التي حررت الشواد والمُلحدين والفجارة، صاح كبيراً المساجين وزعيمهم قائلاً "بت يا دودو تعالي طقطقي ظهري" تحرك عابد مُبتسماً والرعب يشمله ليهتف بطبعه ضعيف الشخصية "أوامرُك يا معلم" همس لنفسه معترضاً بأن ما بين خذلان النفس وألمها خنوغاً ومذلة، رقم الجميع غير عابئ بالإهانة وهمس "اصبر يا عابد ما بقى سو الفليل وتخرج"

"فَأَزَّهُمَا الشَّيْطَانُ عَنْهَا فَلَأْخْرِجُهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ ۝ وَقُلْنَا اهْبِطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَذُوٌ وَلُكُمْ فِي الْأَرْضِ مُسْتَقْرٌ وَمَتَاعٌ إِلَىٰ حِينٍ"

* * *

نظرت للشمس التي توسطت كِيد السماء بقوّة وكأنها تتحداها شخصياً، قطعت الخطوات بعرج واضح أصابها صبيحة دخولها السجن بعد الحُكم عليها بسبع سنوات مع الأشغال الشاقة، تحسست جُرح وجهها الغائر وقد ترك بها ندبة شعّعة بِدأ من داخل شعرها مروراً بعينها انتهاءً بوجنتها وطرف أذنها، همست بغل زاد ونمي داخلها "لوما قاومت المرأة المتوجهة لما هدر وجهي بتلك الطريقة الدامية" هكذا كان افل استقبلاً لها بالسجن بعدما تم إيداعها بعنابر الآداب وما احتوت من نساء كشنن سترهن بإرادتهن الحُرّة وقد تخلوا برحابة صدر عن الأدب والأخلاق عدا القليل من رحمة ربِّي، كانت أول احتفالاتها ذلك الجُرح الغائر حينما علمت نساء السجن بهويتها وهوية ما فعلت، لم يفرق معهن الزِّنا أو اعوجاج القيم والأخلاق ولكن جميعهن اتفقن دون اتفاق على بشاعة التّرصد بامرأة حُرّة وكان كُلّاً منهم تعاطفت مع سلمى وهن يرثين فيما وقع عليهما جُزاً مما يُخالف ماضيهم، هن اعلم وأكثر علمًا أن البداية دوماً تكون تحت وطأة ظرف سلب شيء من براءة وطهر المرأة حتى صرن جميعاً يتشاركن أصل الحكاية رغم اختلاف الحدث والظرف، لتصبح المرأة دوماً هي المثلهم الأول بإفساد المجتمع وهدر الأخلاق دون النظر لمعطيات الحياة التي أدخلتها تلك المُعادلة الصعبة، تلك تكالبت عليهما الديون وتلك أودعها أباها يد الرجال وهذه غدر بها حبيبٌ بعد اعتلاء شرفها وبين الظالم والمظلوم الذنب واحد، لا فرق بين من أجبرت أو من أتقنه طواعية بالأخير نساء هجرتهم الأخلاق ولا داعي لمعرفة السبب، سبة عريضة في وجودهن وشمت دون رحمة من أشراف المجتمع، أشراف المجتمع؟ الذين فعلوا ابشع من الفحشاء والمنكر ولكن بالخفاء المستتر، تفوقوا في إخفاء وجوههم الأئمة تحت لثام التّقوى والورع،

ونهى السبّاك كما قال الكتاب تخلت عن بُريق الحياة دون رمشة جفن وحين أقبلت عليهن تمهن القوة وتستعرض الجرأة فوجئت بسيرتها العاطلة كما فوجئت بسيرة سلمى الباقيّة داخل أسوار السجن مما أوفد أمواج الرعب لمائتها حين تواجهت سيرتها بسيرة ضحيتها وكأن موجة عاتية ابتلت بعنوانها كل ضئيل محمل بعکاره البحر الغابر،

لتنقم سلمى باسمها وتبُرّحها بما لاقت انتقاماً جباراً لم تعلم عنه شيء ولا خطر يوماً بباليها، استباحثت نساء السجن نهياً حتى صارت لهم بمقدار الواجب المقدس تمتهن إداهن كل ليلة حتى تكتب كافرة، صلاة باطلة فربانها يُقدم لشيطان دون رحمة لا يعي الندم، ضرب وسباب نهاراً، والليل؟ تخلٰ عن سترها لتُصبح لياليها امتهاناً في صحبه زمرة من الشواذ تتولى أمرها، تلك لياليها وأيامها سبع سنوات مرّت سبعون ألف من العذاب والقهر دون رفضها!، خذلاناً وألم وما بينهم جحيمٌ رفض حتى احتواها،

فتحت باب شقتها الفارهة التي تركتها بذلك الحي لتدخل سريعاً لغرفتها الخلفية تتطلع بعين الحقد لتجدها تجلس جوار حاميها بحميمية تضحك بسعادة وتحسّس مصوّغات والدتها! يبدو أن قطة سلمتهم لها، تلك العنقاء التي غدرت واتخذت ذلك المحامي ستاراً تتخفي خلفه، جزّت أسنانها وجُرح وجهها يقرصها لتعود إلى الداخل مخافة شمس النهار الملهبة لتلمح خيالها البشع بمرأة غرفتها فتهمس من بين الغل والحسرة "سأرجع سلمى" توجهت لدولابها تخرج حاسوبها الشخصي دقائق وكانت تفتح الميديا وتتفقد أخبارها وأخبار زوجها وأبنائهما بحسرة، توقفت إثر دقات الباب المُعجلة فما إن فتحت وجدت آمن المجمع السكني أمامها ومعهم ضابط شرطة يهتف "أيمين البسيوني الضابط المسؤول عن قسم المنطقة" ارتعشت قائلة "نعم" تبسم بمكر قائلاً "نعم أنت؟ كيف دخلتني تلك الشقة؟" صاحت بطبعها الشعبي "أجنبت، هذه شقتي" تغيرت ملامح أيمين للشر وهتف يستدعي عساكرة ويهتف "إذن أنت المُحتاله التي وضعـت يـدـها على الشـقـةـ قبل سـبـعـ سنـوـاتـ فـائـتـهـ"

□ "هذه الشقة ملكي" أغمض الضابط عينه بملل ثم فتحهما مجدداً يهتفَ بما صدمها "الشقة باسم رامز قاسم الوكيل يا هام بن قاسم الوكيل ووريثه الوحيد، السيد قاسم مات مُنتحرًا بالسجن من سبع سنوات، ووريثه باعها للمدعى عامر عابد در غام الذي قدم بلاغ من عدة أيام يُفيد استيلاء إداهن على الشقة دون حق فهل لديك ما يثبت ملكيتك للشقة أم تتفضلين معي على القِسْمِ بِنُهْمَةِ الاستيلاء على ممتلكاتِ الغير"

وقفت بالحارةِ والدُّتها من الشرفة تصرُّخ بعد طردها ذليلةً بلا مسَكن "لا تُرني وجهك مُجددًا لست ابنتي ولا أعرفك" صاحت المرأةُ تستجير باهل المنطقة "يا ناس اليوم أشُهدُكم أنني براء من نسل الزانية المُجرمة، كتبَ بيتي لدارِ الأيتام يستلموه لحظة موتي وهذه وصيتي" أغلقت شرفتها كما أغلقت قلبها تدعوا الله وتبتئل الغفران مُقبلةً عقابَ الدنيا بقلبٍ تكلى فقدت ولديتها وما زالت بها حياةً، لتهمنس بدموع الخوف من المولى "غُفرانك يا غافر الذنب اغفر لي ما أذنبت وما قصرت بتربيّة تلك الفتاة" ومن ويلات السجون لويلات أشدُّ قسوة حيثُ الشارعِ والذئاب لترسو مركبها الخربة لبيوت الغانيات علىَّها تجُدُّ ما يأوي جسدَها المستباح أو ما يسُدُّ جوحاً لن تلقى له شبعَ،

أيام تُداول أيام وبينها عوض الزمن أختلي بالحق كخلوة شمس النهار
بالسماء،

* * *

انتهت من وريتها بالمشفى النفسي للتوجه لغرفتها الملحقَة بسكن العاملين فبعد أن تقدمت بأوراقها للإدارة المشفى رُفضت شهادة علم النفس والاجتماع لا الطب دراسة الأطباء، مُشددين على أن ما ذُكر بالطلب شهادة كليات الطب لا كليات علم النفس والاجتماع كما كانت تزعم دائمًا، لكن القدر كان لها بالمرصاد حين تعرّفت على طبيباً مُهذب ساعد في تعينها بالمشفى كمُمرضة مُبتدئة على وعد بمساعدتها في إكمال شهادتها حيثُ الطب بالميديا، فقط سنتين أو ثلاثة لتحصل على شهادة طب يعتدُّ بها، وساعدتها أخت الطبيب واحتواها الأخوين حتى آمنت لهم بعدهما بسطَّت بساط الأمان والطبيب يقع بحبِّها كما وقعت لهُ عندما علمت بثروته الطائلة، ويوم الزفاف تقاجأت بالطبيب وأخته تركاً البلد بعد سرقة كلَّ ما تملك تاركين لها رسالة مفادها "ما زلت فعلى بيتك حتى تكونين صيداً سهلاً هكذا" ضربتها الصدمة بمقتل وهي تعلم بعدهما أبلغت الشرطة إنهم زوجين قاما بالنصب عليها، وقعت بين الخذلان والألم تندوّق الغدر وما صنعت يديها،

انتبهت من شرودها وكبيرة المُمرضين تهتفُ عليها بصرامة وقوة "دُرية"
غرفة عشرة تُريد دخول الحمام

أيام تداول أيام بينهما الزمن أختلى بالحق كخلوة شمس النهار بالسماء،

* * *

ومن شرق يومَ جَدِيد جلست كملكة متوجة وبجانبها قيسراً، تتلقى بثوابها
ناصع البياض يُزین خصره حزام احمر قرمزي شابة سلسلتها الصدافي
بالألوان، عن يمينها لينا ذات العشرون عاماً وعن يسارِ داود وعمر مُبتسماً
بإشراق، خلفُهم رباب وسُها وشهاب يحملُ صغيره سالم ذو الثلاثي سنوات
بمحاولة بائت بالفشل علّه ينام، كما جلسَ كلاً من أدهم وحسناء التي لهجت
أنفاسها وهي تعذر عن التأثير فلم تتمكن من القديم مُبكراً قبل أن تؤمن
والدة حمو زوجها والذي بدوره سوف يُحيي حفل اليوم بالجامعة، سألتها رباب
تحت ضحكاتِ السيدة دهب "أخبريني يا بنت كيف هي الحياة الزوجية مع
حماتِك الغالية بعد تركك للشهرة والأضواء" ضحكت حسناء تُعدّ من
حبابها وهتفت "على خير ما يُرام، العاقبة لكي رباب" قهقهت دهب ورباب
تهتف "لا لا ما أحلى العزوبية يا أختاه أنا في نعيم سرمدي حبيبي والحمد لله"
مالت إليه سلمى تسأل وقد استبدَ بها القلق "داود أين الصغار؟" قبلَ كفها
مُبتسماً وقبلَ أن يُجيبها هتفت سلمى ذاتَ السبع سنوات بسان مُنطلق "خاتي
سلمى ابنك المُجرم تاج الدين قال لي أعطني قبّلة مقابل الشوكولاتة" ارتفعَ
 حاجبي داود كما ارتفع حاجبي سلمى وصوتُ شهاب خلفُهم يصبح وهو
يُعطي سالم الي سُها "قبّلة؟ تعالى هنا سلمى كم مرة يجب أن أقول ابتعدِي
عن ذلك الولد، مُترحش ومازال بالسابعة من عمره" هتفت رباب بخفة دمها
"من طبع هذا الواد؟ بالأمس جلسْ جواري وهمس مُعلقاً على بطل الفلم الذي
كان بالتلفاز (الغبي خجل ولم يُقبّلها)، ما حوار القبل معه لا اعرف!" قهقهه
داود مغمض عيناه وسلامي تصيح بالصغير تكتُم الضحك ايضاً "ولد؟ ألم
تتأدب؟" رفعَ تاج حاجيَن مُمائتين لوالده وهتف إليها بكرياء وغُرور "وهل
توقفَ الأمرُ عندِي؟ ما فعلتُ سوي ما يفعلُ أبي، طوال اليوم يُقْبَل ويُهتف
قولي احبك سليمية" صرخت به بوجهِ احمر لا تعلم هل تضحك أم تتصنع

الغضب "ولد" فصاح وهو يرمّقها بخبث واسعاً كفيه داخل حبيبه يبحث له عن مقعد "تمام، تمام الأدب فضلوه عن العلم" جلس الي جوار عمر ومال له يهمس "فَكَرْ معي في خطة أوقع بها صديقتي بالصف ودعنا من ابنة خالتك حتى لا يُهدِر دمي" فَهَقَهُ الجميع وقد التقطوا الهمس بتلك اللحظة الفاصلة من السكون وَمُعَد الحفلة يُعلن عن بدأها، ومن جلستها نظرت إليهم بعين دامعة تتذكر ذلك اليوم الذي وقعت به سلمى بحديقة المنزل ليصرخ داود عليها "ذهب احضرني طيباً فوراً" تبسمت سلمى تصرخ كما الصاعقة "حامِل!"، أنا حامل؟" ليهتف داود بذات الصدمة نافش كفيه بخلياء "الأول" كما تذكرت أيام حملها العُضال وقد شارفت الأربعين بقليل ليأتي يوم الولادة وقد أوشك داود على حرق المشفى بأكملها فكلما صرخت تتألم بالطاقات صالح بمن أمامه حتى علت صرخات الصغير ليهتف بأنفاس قطعها الدموع وهو مُشرف على البكاء "رجُوا بتابع الدين داود الرازي" انتبهت دهـب من الذكرى وهي تراها أمامها تدمـع وبدورها مسحت دموعها وابتسمت وثقـتها بالله وبنفسها يوماً عن يوم بازدياد فـمالـت تهمـس لخلـيل روحـها بمـحبـة "ذـكـرـني اللـيـلـةـ بـأـنـ تـكـوـنـ السـهـرـةـ عـلـىـ غـنـوـةـ السـبـتـ هـذـهـ لـيـلـتـيـ" مـاـلـ يـقـبـلـ خـذـهـاـ خـلـسـةـ وـهـمـسـ بـحـرـارـةـ قـائـلاـ "شـرـطـ أـنـ تـرـقـصـ عـلـيـهـاـ" فـهـقـهـ الـاثـثـانـ بـقـوـةـ وـصـوتـ عـامـرـ يـعـلـوـ مـنـ مـسـرـحـ مـُـتـبـاهـيـاـ كـوـنـهـ الـأـوـلـ عـلـىـ الدـفـعـةـ لـيـهـفـتـ وـعـيـنـهـ بـعـيـنـهـ دـاـوـدـ قـائـلاـ "مـرـجـاـ بـرـوـوـ" عـلـاـ تـصـفـيقـ دـاـوـدـ يـصـفـرـ فـرـحاـ وـيـرـفـعـ أـصـبـعـيـهـ بـعـالـمـ النـصـرـ حـتـىـ قـالـ عـامـرـ "حـضـرـتـ الـكـثـيرـ مـنـ الـكـلـمـاتـ الـمـنـمـقـةـ لـهـذـاـ يـوـمـ وـلـكـنـ" رـفـعـ الـوـرـقـةـ الـتـيـ اـعـدـهـاـ يـمـزـقـهـاـ قـائـلاـ "لـاـ يـسـعـنـيـ الـبـوـحـ سـوـىـ بـمـاـ فـيـ قـلـبـيـ" تـلـعـ وجـهـ الـحـضـورـ بـلـمـحةـ سـرـيـعـةـ وـهـتـفـ بـمـاـ جـالـ بـنـفـسـهـ "رـحـلـتـناـ بـيـنـ الـخـذـلـانـ وـالـأـلـمـ كـانـتـ طـوـيـلـةـ، مـُـفـجـعـةـ لـنـجـدـ بـأـخـرـ الرـحـلـةـ الـعـوـضـ وـحـنـانـ الـبـعـضـ، صـدـافـةـ خـالـصـةـ وـأـهـلـاـ بـلـاصـلـةـ الـأـهـلـ، مـؤـازـرـةـ وـعـالـمـ لـكـ شـفـ لـنـاـ" دـمـعـتـ عـيـنـاهـ وـهـوـ يـشـيرـ لـهـاـ قـائـلاـ بـصـوـتـ تـمـلـكـهـ الصـدـقـ "بـيـنـ الـخـذـلـانـ وـالـأـلـمـ سـلـمـيـ أـمـيـ وـتـاجـ شـرـفـيـ" سـحـبـ نـفـسـاـ قـوـيـاـ وـأـكـملـ مـُـرـتـعـشـاـ "سـلـمـيـ الـمـصـرـيـ؟ـ أـمـيـ وـتـاجـ رـأـسـيـ عـهـدـاـ عـلـيـ وـهـاـ أـنـتـمـتـ درـاسـةـ الـحـقـوقـ بـتـقـوـقـ أـلـاـ اـتـرـكـ مـظـلـومـاـ يـقـهـرـ كـمـاـ طـلـبـتـ" صـفـقـ الـجـمـيعـ وـقـدـ شـمـلـ الـجـوـ الشـجـنـ لـيـكـمـلـ وـعـيـنـهـ تـسـتـقـرـ عـلـىـ دـاـوـدـ مـرـةـ أـخـرىـ "داـوـدـ الـراـزـيـ؟ـ أـبـيـ الرـوـحـيـ وـصـدـيقـيـ وـحـبـيـيـ"

التقطت الصورة الرائعة لهم ليجعلها المصور خلفيةً لشاشة العرض الهائلة ليتقدم حمّو ويبداً بالغناء والطرب من جوارِهم فارضاً جواً من الشجن والجميع يُغنى معه

يا اللي بتسأل عن الحياة خُدّها كده زيّ ما هي
فيها ابتسامة وفيها آه وفيها آسية وحنية ياما الحياة
فيها اللي يشقّيها واللي بيرضّيها (آه) واللي
يقاربّها (آه) الدنيا ريشة في هوا

ياما ناس تتقايل من غير ميعاد يجمع بينّهم
وناس تتحايل على الفراق يبعد عنهم

* * *

"ما بين الخذلان والألم حياة لمن أراد الحياة"

مع حبي

♥♥♥♥♥ أميرة مختار

<https://www.facebook.com/share/17YukmqR5n/?mibextid=wwXlfr>

[/https://www.facebook.com/share/g/1GGEF5YyYZ](https://www.facebook.com/share/g/1GGEF5YyYZ)